

الْجُمْهُورِيَّةُ الْجَزَائِرِيَّةُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ

وِزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

جَامِعَةُ مُحَمَّدٍ بُوْضِيَّاف - الْمَسِيلَة.

كُلِّيَّةُ الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ.

قِسْمُ فِلْسَفَةٍ.

رُقْمُ التَّسْلُسِلِيِّ:

رُقْمُ التَّسْجِيلِ: D.PG/3C/01/19

أَطْرُوحَةُ مُقَدِّمَةٍ لِنَيْلِ دَرَجَةِ الدَّكْتُورَاةِ الطُّورِ الثَّلَاثِ فِي الْفِلْسَفَةِ الْمَوْسُومَةِ بِ :

إِشْكَالِيَّةُ السِّيَاسَةِ فِي الْفِكْرِ الْغَرْبِيِّ الْمَعَاوِرِ نَعُومِ تَشُومَسْكِ أَنْمُودْجًا.

التَّخْصُصُ: فِلْسَفَةُ عَامَّةُ

إِشْرَافُ الْأُسْتَاذِ الدَّكْتُورِ:

خُونِي صَيْفُ اللَّهِ

إِعْدَادُ الطَّالِبِ:

أَيُّوبُ مَعْبَدِي

نُوقِشَتْ بِتَارِيخِ: 2023/07/03

أَعْضَاءُ لَجْنَةِ الْمُنَاقَشَةِ

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
أ.د/ زروخي الدراجي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسًا
أ.د/خُونِي صَيْفُ اللَّهِ	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مُشْرِفًا وَمُقَرَّرًا
أ.د/ بن بوحه أحمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مُنَاقِشًا
د/ زيغمي أحمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة ورقلة	مُنَاقِشًا
د/ خيرة بورنان	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	مُنَاقِشًا
د/ معيلي عيسى	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	مُنَاقِشًا

السنة الجامعية 2023/2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

صدق الله العظيم

سورة الإسراء، الآية 85 .

شكر وعرفان

بعد الشكر والحمد لله " عز وجل " في علاه، له الشناء كله، والكمال بمشيئته. أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير والاحترام وعرفان إلى أستاذي الفاضل البروفيسور "خوني ضيف الله" الذي أشرف على إنجازي لهذا البحث العلمي الأكاديمي، بفضل... دعمه العلمي... وتوجيهاته القيمة... ونصائحه الفاضلة..."حفظه الله" ووفقه.

كما لا يفوتني أن أشكر جامعة محمد بوضياف بالمسيلة من مديرها إلى عميدها بفعل مجهوداتهم المبذولة في إطار "العلم والتنوير"، بالإضافة إلى ذلك أشكر قسم الفلسفة، بداية من الدكتور مسالتي عبد المجيد، مرورا "بـ د. د. خيرة بورنان" والآخرين، إلى غاية البروفيسور دراجي زروخي.

الباحث

أيوب معبدي

الإهداء

إلى الوالدين حفظهما الله وأطال في عمرهما ...

إلى صديقي عبد الحفيظ بورزقي

إلى أستاذتي شريط إيمان

إلى كل من علمني حرفا له مني أعظم.. المحبة والاحترام والتقدير والامتنان ...

إلى هؤلاء، أهدي هذا البحث العلمي الأكاديمي

الباحث

أيوب معبدي

مقدمة

إن الحديث عن السياسة هو نهاية التفكير البشري الغربي إلى النقطة التي نشأ منها المصطلح نفسه، نقطة من المعرفة السياسية فيما يتعلق بإدارة وتنظيم تجمع الجنس البشري وفقاً لمبادئ العقل والسلام، النقطة التي نشأ عنها الوجود الإنساني. ويكون ذلك عن طريق الالتفاف حول ظواهر السلوك والممارسات في المجتمعات البشرية. كما تليها مراحل فصل العقل البشري في مجتمع القوة والاستبداد والفوضى، والمجتمع المنظم الذي يخضع لمعايير الطبيعة البشرية والحرية والمبادئ والقيم العقلانية والأخلاقية. لقد ارتبطت هذه المرحلة بالدولة وقضايا إدارة السياسة للمجتمع وشؤونه من حيث روابط وتقاليد التكوين الطبيعي في القانون بطريقة مثبتة ومعممة على كل دول العالم.

ومن الملاحظ، عبر التاريخ، أن السياسة تبحث في القضايا الإنسانية الأكثر ارتباطاً بالحكم والدولة وتوجيه النظام السياسي طبقاً لإبستمية العصر والعقلانية السائدة فيه، لذلك، ظهر مبدأ التفكير في السياسة ومشاكلها المتعلقة بالعدالة والفضيلة والديمقراطية والقانون والحرية لأول مرة في الغرب مع الحكيم اليوناني سقراط (399-470 ق. م) *Socrates*، عندما كان مبدعاً في إقناع الشعب الأثيني بفن السياسة على أساس العقيدة المثالية وبتحديد السؤال: ما الحكم؟ أو ما هي السياسة؟ في الإجابة على الفضيلة والتعليم والقوة، وفقاً لما أكدّه أفلاطون (427-347 ق. م) *Plato* في (محاورة بروتاغوراس).

لم يكن من الضروري أن يعرف سقراط السياسة لمعارضة النظام الديمقراطي للدولة الأثينية. ولكن لم يكن من الفاضل والعاقل رؤية النظام السياسي لا يبرر ممارساته بمبدأ الشرعية والتمسك بالحقيقة، لذلك فإن إعدام سقراط، المتأرجح بين الحقيقة والديمقراطية، فتح حرية التساؤل والتفكير في المبادئ المتعلقة بالشرعية السياسية. هل يمكن للدولة أن تبرر شرعيتها؟ العبء الذي تتحمله الدولة على مواطنيها يؤدي إلى فساد النظام وإخلاله. هل للمواطنين القدرة على إزالة الدولة غير الشرعية والإطاحة بنظام سياسي واجتماعي غير عادل؟ هل يتنازل الأفراد عن حقوقهم لصالح الدولة؟

ما إن يصل التفكير في السياسة إلى مرحلة ما بعد الفلسفات الكلاسيكية، والتي تمثل مرحلة التنوير للقيم والمبادئ التي تربط الإنسان بالدولة، تجاوز التفكير في الأشكال المختلفة لتنظيم المجتمع السياسي بما في

ذلك الملكية والأوليغارشية والأرستقراطية التي بدأت تفسيراتها وتحليلاتها في أن تكون جزءاً من كتابات أرسطو (384-322 ق.م)، *Aristotle* حول السياسة، فضلاً إلى دمج مجال الأخلاق مع السياسة لإعادة التوازن بين شرائح المجتمع، تم تجسيد دوائر القضاء والقانون في التقاليد الرومانية لشيشرون (106 ق.م - 43 ق.م) *Cicero*. لا ينفصل معنى السياسة دائماً عن الاستقرار والتوازن بين القوى والنفور العام من شبح الأقلية الحاكمة، الأمر الذي يعطي للسياسة محورين، الأول بالمكائد والمؤامرات لمنعها، يصفه المعلم كونفوشيوس (552 ق.م - 479 ق.م)، *Confucius*، بأنه محور الشر، بينما الثاني عبارة عن تجمع لتعاليم ومبادئ السياسة الجيدة بين الطاعة والأخلاق الاجتماعية، مع الميل إلى الثورة لمن تولى فن السياسة من بعده، مثل منشيوس (372-289 ق.م) *Munchos*، وموزين (470-391 ق.م) *Mozzie*.

وفي هذا السياق، ظنا من العقل البشري بأن السياسة خلص دورها في إدارة المنطق وقيم سلوك الحيوان الناطق بطبعه ليكون اجتماعياً وسياسياً مع أرسطو، الذي وضع السياسة مرة أخرى في نقطة اصطدام السياسة بالدين، إذ فتَحَ أفق فصل قضايا ومشكلات السياسة في نظام الحكم. هل يكون الناس حكماً منتدبين من السماء؟ هل الحكم بالقوانين والقرارات من الإرادة الإلهية السامية أم من الإرادة البشرية؟ ولئن استلهمت السياسة مفاهيم الجدة، مثل (مدينة الله)، (الحرب العادلة)، (حضارة المسيح)، لأوغسطين (354م-430م) *Augustine*، وتوما الإكويني (1225-1226م) *Thomas Aquinas*، فإن الواقع بدأ يمنح السياسة أفكار التدخل والتقابل بسياسات العالم الإسلامي مع الكندي (805-873 م)، والفارابي (874-950 م)، وابن رشد (1126-1198م) وابن خلدون (1332-1406م)، بحيث استحوذت السياسة على كل من الغرب والشرق بذور الصراع الحضاري التي يعود نموها فيما بعد مع صامويل هنتنجتون (1927 - 2008م) *Samuel Huntington*.

الحقيقة هي أن طبيعة السياسة قد عرفت جوانب من الواقعية مع ظهور العقل الحديث، بدءاً من الثورة الكوبرنيكية وإسهاماتها العلمية مع كل من كيبلر (1571 - 1630م)، *Johannes Kepler*، وغاليليو (1564-1642م) *Galileo*، ونيوتن (1642-1727م) *Isaac Newton*، مما أفاد السياسة من حيث طريقة تفسير الظواهر الميكانيكا السياسية وديناميكيات الأجسام وفيزياء الكون وإعادة رؤية العالم المسيس بقوانين

ومعادلات الكم والزمان والمكان. فضلا عن ذلك، يفتح ديكارت (1596-1650م) *René Descartes*، حقلا في الميكانيكا السياسية، أي الأنثروبولوجيا الميكانيكية في ثنائية الروح والجسد، ويقدم للسياسة الإنسان الحقيقي بالروح والعواطف لا بالجسد كونه يمثل الآلة (*Machine*) والطريقة التي تؤثر عليه في نهج "المراسلات"، وربما يكون هذا إخفاء في آرائه عن السياسة، والتي ظلت سارية المفعول في الأناركية، مع ظهورها من الفردية كنتاج لمبدأ الكوجيتو. لهذا يأتي التحول والميل الآخر في "السياسة" من سياسة تلامذة ديكارت كباروخ سبينوزا (1632-1677م)؛ *Baruch Spinoza*، نيكولا مالبرانش (1638-1715م) *Nicolas Malebranch* والتي تمثل الأمير "الاحترام والأخلاق" إلى الأمير "القوة أو الخديعة" لنيكولو مكيافيلي (1469-1527م) *Niccol Machiavelli* الأمر الذي حول الفكر السياسي الغربي إلى الكولونيالية وأساليب الحفاظ على الدولة وكذلك فن ردع رعايا الأمير.

ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن السياسة بدأت تدخل حيز التنفيذ بشكل أكثر صرامة لتوسيع معانيها ومصطلحاتها من أقوى ثلاث ثورات في العالم، وهي مرحلة رسم الأقطاب الأولى، الثورة الإنجليزية (1688-1689). كانت السياسة ثورة ضد الأمير المستبد. لم تكتف السياسة بهذه الثورة، إلا بظهور الثورة الأمريكية (1773-1778). بدأت السياسة تنتج نوعا من الاقتصاد السياسي، تتمثل فيه السياسة في جوانب مثل التجارة والسلع والضرائب وإبادة المستعمرات. جاءت الثورة الفرنسية (1789-1791) لإعادة السياسة إلى قيم التنوير والحرية مع فولتير (1694-1778 م) *Voltaire*، والإقصاء واستبداد البرجوازية وإثارة الموقف مع الحركة العمالية وإلغاء الفساد والعنف مع نابليون بوناپرت (1769-1821م) *Napoléon Bonaparte*، ودعوة السياسة إلى مفاهيم الديمقراطية والليبرالية، وبناء الدولة على أفكار العقد الاجتماعي مع توماس هوبز (1588-1679م) *Thomas Hobbes*، جون لوك (1632 - 1704م) *John Locke* وجان جاك روسو (1712-1778م)، *Jean-Jacques Rousseau*، وكذلك مفاهيم سياسة المؤسسة والصناعة ومشروع إيمانويل كانط (1724 - 1804م)، *Immanuel Kant* للسلام والعقلانية.

من هنا يمكننا أن نقول إن السياسة بأسسها ومفاهيمها بدأت تظهر الانقسامات في الفروع، وكيف تتطور الدول، ومدى تنظيم العلاقات الدبلوماسية والأيديولوجية، وكيف يتم اختزال الأقطاب إلى ثنائية القطبية لقيادة

العالم والحفاظ على الجنس البشري في فضاء التكنولوجيا والصحافة، وربما هذه المرحلة في السياسة استفادت من بناء وتطوير النظرية الماركسية من كارل ماركس (1818-1883م) و*Karl Marx* وفريدريك إنجلز (1820-1895م)، *Frederick Engels* إلى فلاديمير لينين (1870-1924م) و*Vladimir Lenin* وجوزيف ستالين (1878-1953م) *Joseph Stalin*، وماوتسي تونغ (1893-1976م) *Mao Zedong* وليون تروتسكي (1879-1940م) *Leon Trotsky*. اكتمل قطب الشيوعية المروج للاشتراكية بقوة اتحاد الجمهوريات السوفيتية التي ميزت السياسة من ناحية أخرى، من نفس القطع التجميعية التي تحتوي على أفكار من ديالكتيك فريدريش هيغل (1770-1831م) *Hegel Friedrich*، والاقتصاد السياسي الليبرالي من آدم سميث (1723-1790م) *Adam Smith* وأجزاء من الثورة الفرنسية الاشتراكية عن الآباء المؤسسين. كما اكتمل القطب الغربي المروج للرأسمالية بقوة من الولايات المتحدة الأمريكية.

في خضم أحداث الحرب العالمية الأولى (1914-1918) أضفت على السياسة مفهوما جديدا أضافه إيمانويل كانط وهو إنشاء عصبة الأمم التي تهدف إلى نشر السلام الدائم وحماية الإنسانية بهدف احترام القانون الدولي للسياسة العالمية. وبعدها اشتد الصراع بين الأطراف التي تحاول الحصول على عمل قوي لمعنى السياسة، ومنها تحول العالم إلى الحرب العالمية الثانية (1939-1945). استفادت السياسة من صعود المجالات التي تحمل معاني الإنسانية، مثل إنشاء منظمة السلام والأمن الدولية والهولوكوست، والتي كانت بمثابة أزمة لهؤلاء الفلاسفة، حنة أرنت (1906-1975م) *Hannah Arendt*، وجان بول سارتر (1905-1980م)، *Jean Paul Sartre*، وإدوارد سعيد (1935-2003م) *Edward Said*، ونعوم تشومسكي، وجاك دريدا (1930 - 2004م) *Jacques Derrida*، وبيرتراند راسل (1872 - 1970م) *Bertrand Russell* وآخرون. وكذلك حرب فيتنام والقنابل الذرية على هيروشيما وناجازاكي، والحقيقة أن السياسة استفادت من المفكر الوحيد ألبرت أينشتاين (1879-1955م)، *Albert Einstein* الذي يحارب جميع الفلاسفة خطأه، وهذا ما وضع الولايات المتحدة في مواجهة الإنسانية.

عندما دخلت السياسة مرحلة أكثر معاصرة، انهارت قيم التنوير الكلاسيكية والليبرالية وتصادعت توترات العنف مما أدى إلى إنفاق رأس المال على التسلح النووي. وساد التفاوت في العالم عن الإجابة عن التساؤل

عن كيفية إنقاذ البشرية من الوقوع في الهاوية، حينها بدأت الأشواك في المنطق الديمقراطي وفضاء التكنولوجيا والصحافة والإعلام، بأن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية سوف تفيد الدول العالم من بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتنتهي الحرب الباردة. بمجرد أن تبدأ السياسة في التعود على النظام العالمي الجديد، فإنها ستفتخر بالديمقراطية والإمبراطورية، إلى أن تأتي الخدعة أو الصدمة الرهيبة للعقل السياسي الأمريكي، في 11 سبتمبر 2001 "أحداث إعدام الديمقراطية" ولهذا جاءت كتابات الفلاسفة، مثل كارل بوبر (1902-1994م)، *Karl Popper*، ويورغن هابرماس (1929-م) *Jürgen Habermas*، وجون رولز (1921-2002م) *John Rawls*، في مجال حماية البشر والحفاظ على الديمقراطية. إن هذه الحلول السياسة لم تظهر أي تفسيرات في الواقع السياسي إلا في نظريات دون نطاق الممارسة الفعلية لأنها تعاملت مع الفروع البسيطة للديمقراطية والعدالة الاجتماعية التي تسلط الضوء على أنظمة مثل الفاشية والديكتاتورية النازية.

والأهم من ذلك، أن عمل هؤلاء الفلاسفة غير مرتبط بما يعيد إحياء سياسة ماركس، التي لها أبعاد تفسيرية وتحليلية أكثر للمجتمع الأمريكي من حيث البنية الفوقية والبنية التحتية. هذا الاهتمام بماركس تقبله فيلسوفنا المعاصر نعوم تشومسكي، لأنه يتفق معه اتفاقا وثيقا، من حيث أفكار الأناركيين مثل ميخائيل باكونين (1814 - 1876م) *Mikhail Bakunin* ورودولف روكر (1873 - 1958م) *Rudolf Rocker*، وجورج أورويل (1903م - 1950م) *George Orwell*. ومن حيث الموقع، إنها تجربة الاستجابة التي تمارس على المجتمع، وهو ما يعني شيء من هوية انتمائه إلى هذا المجتمع الأمريكي. إن ظهور تشومسكي في هذه المرحلة التي شهد فيها الفكر الغربي وكذلك الفكر العربي تراجيديا الإنسانية وتدمير قيم التنوير.

فضلا عن تقاليد الاشتراكية التحررية، حيث تتدفق أفكارها بصخب ضد تراجيديا التي خلقتها السياسة الخارجية الأمريكية في مجتمعه وفي كل دول هذا العالم، التي تتميز بالحرية والاستقلال والموارد والثروة، التي تجعل البقاء في هذا الوجود فقط للنخبة المختارة وأن تكون أمريكا بمثابة (الرب) من ناحية الثروة أو الجبروت لا وجود لغيرها في تحريك هذه السياسة وهذا العالم، وهذا هو السبب في أن تشومسكي يرى إلى أي مدى يظل الوجود البشري مهددا بالفناء. إن توليها للمسؤولية فيه تحد للقوة وتغيير العالم من هذا الفساد والجرائم التي ترتكبها السياسة الأمريكية، بحثا عن بذور فنائها وزوالها.

من هذا المنطلق، يصبح من الضروري أن نرى مع تشومسكي حصون السياسة الأمريكية تنهار على الأفكار التي تحركها الأناركية لتحرير هذا المجتمع من أغلال الصناعة والشركات الإعلامية والتفاهة الديمقراطية. إن انتقال الأناركية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لم تطور أي لحظة من حركة اليسار التحرري مع جوزيف برودون (1809-1865م)، *Joseph Proudhon*، بل بدلا من ذلك، استبعدت السياسة مبادئ الحرية من خلال وضع مبادئ الرأسمالية الفردية، التي جردت العمل من قيمه، والسوق من قواعدها، والإنتاج من عموميته، وحولت البشر إلى آلات للاستهلاك، بغض النظر عن الأمور الأخرى التي ستتناولها هذه الدراسة.

في بداية فلسفة تشومسكي السياسية، يكون فهم طبيعة الدولة الأمريكية شرطا لإيجاد بديل لهذه السياسة. واعترافه بصفته يساريا وكواحد من أبناء عصر التنوير ومشبعا بالأفكار الراديكالية من وليم شكسبير (1564-1616م)، *William Shakespeare* إلى سيغموند فرويد (1856-1939م) *Sigmund Freud*، وما قدمه في مجال الكتابة والممارسة النقدية لسياسة الدولة الأمريكية، من ناحية إعلامها المعارض واستمرار إرهابها على حرية الإنسان، يعد السبب في أن كتاباته عن السياسة الغربية والمجتمع الأمريكي خاصة كانت مليئة بالإنسانية وقيم التنوير الحقيقية كرد فعل ضد اليمين المحافظ وأعداء العقلانية والنقابات العمالية.

✓ أسباب اختيار الموضوع للدراسة:

يعود اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ: إشكالية السياسة في الفكر الغربي المعاصر نعوم تشومسكي أنموذجا، إلى كون هذا المشروع يمثل أو يفسر الواقع الغربي الحالي. كما يعد ذلك من أهم نقاط التقاطع بين النظريات الفلسفية والسياسية والتاريخية في الأفق الفلسفي الذي يتحدث لغة التنوير في القرن العشرين. والذي يهدف إلى أن تطلع الفلسفة المعاصرة إلى رؤية إنسانية ومستقبلية للواقع أكثر موضوعية من أجل الحفاظ على الجنس البشري والعالم من السقوط في العدم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لجدية القضية المتعلقة بالسياسة وربما هي وشك التغيير نحو مجتمع حر قائم على الطبيعة البشرية بدلاً من الطبيعة البربرية. يشعرا تشومسكي بأننا مسئولون، وعلى كل إنسان أن ينظر من رؤية مثالية للوجود وأبعاده الكونية والأخلاقية.

ذلك ما يحدد الترافق مع دوافعنا الذاتية في مرحلة تأثرت فيها السياسة في الجزائر، وهي مرحلة تعكس ثقافتنا وهويتنا من أجل استقلال هذا البلد. إن معرفتنا بنعوم تشومسكي في تنويره ومساعدته الفكرية لتجاوز نظام الطبقة الحاكمة في الدولة الجزائرية في حال انتخاب عبد العزيز بوتفليقة (1937 - 2021م)، لولاية خامسة، ستتأثر القيم التي تحمي حرية مجتمعنا، وكذلك حلوله حول الحركة المنتظمة التي أعجبنا، في ظل الأزمة الإنسانية والاجتماعية في فترة أزمة جائحة كورونا (Covid-19)، كل هذه الجوانب دفعتنا إلى تبني منهجه ومعرفته وأفكاره كموضوع للبحث في مساره السياسي. لذلك فقد اشتمل على جانبين، الأول بناء على دوافع ذاتية والآخر على دوافع موضوعية نلخصها فيما يلي.

الدوافع الذاتية التي تسمح لنا بدراسة نعوم تشومسكي والاهتمام بالإشكالية السياسية لديه يعود إلى رغبتنا في معرفة من نحن؟ إلى أي درجة نصنف أنفسنا في المجتمع ونعرف حتى القليل عن كيفية حدوث هذه الأحداث في العالم ومن ورائها؟ ومعرفة متى يتغير المجتمع والدولة ومن أي جانب بالضبط، ومعرفة ما إذا كان ما نمارسه ونتعلمه من أفكار الفلاسفة يمكن أن يكون جزءا من تغيير الواقع المعاش، وشغفنا بآرائه وأفكاره ووفرة كتاباته، هل قنوات كل من له مهنة في السياسة ترضي السعي وراء ممارساتها بمعايير إنسانية وأخلاقية؟ محور اهتمامنا يعود إلى زخم أفكاره الفلسفية المعاصرة الموجودة في كل مجال، لكن نقص البحث فيها شبه معدوم. إن ما أثار تفكيرنا هو، إذا كان العقل الداعي للحقيقة وحماية الإنسانية من الانقراض لا يكون محل انشغال فكرنا، فما الذي يشغل الفكر الإنساني إذن؟

من بين الدوافع الموضوعية التي تسمح للتعلم في إشكالية السياسة لدى نعوم تشومسكي، لمعرفة ما إذا كان انتقاده للسياسة الخارجية الأمريكية هو دفاع صريح عن حقوق الإنسان وسلامتها في الممارسة العملية دون أي غايات نفعية، لأن التفكير في القضايا السياسية المتعلقة بحاضر الولايات المتحدة الأمريكية يختلف عن مرحلة التنوير الكلاسيكية، كما أثبت تشومسكي نفسه أن أي دولة تعرف ماضيها وتتنبأ بمستقبلها إذا كانت تنطبق في ممارستها للسياسة على نظرية التطور الداروينية. من الواضح أن هذا يثير الدهشة، وهو ما يدفع العقل الذي يقرؤه بكل موضوعية إلى البحث في أسلوبه ونهجه في السياسة لمعرفة ما إذا كان سر التغيير إلى المجتمع المثالي يأتي من جوانب القوة أو من جوانب المعرفة والوعي الفلسفي.

نظراً لكون هذا الموضوع لم يحتل حيزاً كبيراً من حيث البحث، ونظراً لارتباطه بين العديد من المعارف، بما في ذلك الفلسفة واللغة والسياسة وعلم النفس والتاريخ والاقتصاد، فكل هذه الموسوعة والثقافة لا يستطيع أحد أن يكن على دراية بها ويتعرف على حقيقتها، دفعة واحدة. إن التركيز على أعمال نعوم تشومسكي، من الناحية الموضوعية، لم يبدأ أي فيلسوف في شرح قضايا مجتمعه والمجتمعات الأخرى والاهتمام بها من حيث قول الحقيقة ومساعدة الإنسانية دون أي تحيز مثل نعوم تشومسكي. وهذا ما يدفعنا بموضوعية إلى أخذ توصياته الفكرية والأخلاقية في الوعي بالممارسات السياسية وفهم أهم القضايا الاجتماعية والإنسانية التي يصعب حلها في مجتمعنا الحالي.

✓ إشكالية الدراسة

وفي خضم ما يعانيه المجتمع الأمريكي المعاصر من تطور تكنوقراطي مذهل يواكب بدوره تراجعاً لقضايا الإنسانية وتآزماً للقيم الأخلاقية مما ظل السؤال فيه ملحا حول مصير الإنسان في عالم يغيب فيه تحقيق السلم والأمن العالميين، هذا من جهة ومن جهة أخرى دور الهيمنة الأمريكية التي ظلت تعيق حركة المجتمعات الديمقراطية نحو تحقيق استقلالها وحريتها جراء ممارساتها السياسية الداخلية والخارجية. في هذا الصدد سيحاول هذا البحث الفلسفي التعرّيج عن موقف أحد أكبر الفلاسفة والمتفكرين المعاصرين في القرن العشرين الذي اتسمت ممارساته النقدية طابعاً فوضوياً في دفاعه عن مبادئ الإنسانية والقيم الأخلاقية والحرية والديمقراطية والسلم العالمي، وهو عالم لغويات أمريكي ومنظر سياسي وناشط.

يشار إليه كثيراً باسم "أب اللغويات الحديثة" نعوم تشومسكي (1928)، *Noam Chomsky* الذي استوحى أفكاره النقدية من مفارقات تضمنتها الممارسة السياسية الأمريكية كاشفاً عن أدوارها المتمثلة بكل موضوعية في انتهاكات إنسانية واجتماعية تبدو في جوهرها ممارسة أكثر إنسانية للرأي العام، هذا ما أثار جدلاً بين طبيعة الممارسة السياسية الأمريكية التي تديرها النخبة والممارسة السياسية النقدية لنعوم تشومسكي حول الأحقية التمثيلية للقيم الإنسانية والحقوق العالمية ومبادئ الديمقراطية، لهذا يطرح الإشكال العام: ما هو معيار الممارسة السياسية عند نعوم تشومسكي؟ هل يتعلق هذا المعيار بالضرورة العملية والبراغماتية لسياسة الولايات المتحدة؟ أم أنها مستقلة عنها بالنقد والتعدي إلى الرؤى الأخلاقية والمثالية التي ترفعها

إلى مستوى النظرية السياسية؟ بناءً على هذه الإشكالية القادرة على إثراء الهيكل العام للبحث، يمكن تقسيمها إلى مجموعة من التساؤلات، باعتبارها مفصلاً لهذا الإشكال العام، وأهمها:

- 1- ما هي نظرية الواقعية؟ هل لها علاقة بنظرية الدولة في موقف تشومسكي ونهجه لماركس؟
- 2- هل السياسة الأمريكية سياسة استبدادية؟ وما هي دواعي ممارستها للإرهاب والدعاية السياسية؟
- 3- ما هي طبيعة قراءة نعوم تشومسكي لقضايا الشرق الأوسط ومنها القضية الفلسطينية؟ وثورات الربيع العربي؟
- 4- ماهي السياسة الأناركية؟ ما هو الفرق بين الاشتراكية والليبرالية ورأسمالية الدولة بالنسبة لتشومسكي، وما هي أهم الاتجاهات الليبرالية الكلاسيكية وقواعدها؟
- 5- هل من الممكن تحويل الواقع البشري الحالي إلى النموذج المأمول الذي دعا إليه نعوم تشومسكي؟

✓ مناهج الدراسة

للإجابة على هذه الإشكالية الأساسية في البحث، يجب أن نمضي قدماً في اتباع ثلاثة مناهج، وهي كالتالي:

أولاً: المنهج النقدي: نستعمل هذا النهج لشرح أخطاء السياسة الخارجية الأمريكية وإبراز النقاط الحاسمة لتشومسكي من حيث الديمقراطية والدعاية والمؤسسات الإعلامية، بالإضافة إلى انتقاده لممارسة الطبيعة غير البشرية من حيث تدخل الدولة والفساد. كذلك انتقاده للقيم المشوهة للحقيقة الفلسفية باسم التنوير، وكذلك تزيف القوانين والمواثيق الدولية وتلفيق الواقع الإنساني وانتقاد جوانب سوء فهم الماركسية وعبء رأسمالية الدولة الأمريكية وتحديد المواقف الكونية وغير الأخلاقية الأخرى في السياسة الأمريكية التي تستحق النقد لتتجاوز إلى الحل البديل.

ثانياً: المنهج الاستقرائي: نستعمل هذا المنهج للاستدلال بأفكار وآراء تشومسكي الفلسفية كظاهرة الإرهاب، ولمعرفة بعض السجلات والوثائق السرية والأزمات الإنسانية مثل أحداث الواقعة العسكرية على

أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط، ومعرفة تدخلات السياسة الأمريكية عبر تاريخ البشرية في وكالة المخابرات المركزية (CIA) في السودان وأفغانستان والعراق، ودعم قضايا إسرائيل بالسياسة الأمريكية.

تم تدمير نجاح القضية الفلسطينية ودعم الاغتيالات في العالم العربي والإسلامي من قبل الحكومات الديكتاتورية ذات الجذور التاريخية والمالية للسياسة الأمريكية. كما ذكرت صحف تحمل أسماء شركاء رأسماليين وشخصيات تاريخية قدمها تشومسكي كدليل على فساد السياسة الأمريكية ومكانتها منذ أحداث الثورة الإسبانية في جرائم الإنسانية. نستخدم هذا المنهج مع العلم أن الأدلة والحقائق السرية للأحداث التاريخية المتعلقة بالدولة الأمريكية وعلاقاتها الدولية محفوظة تاريخيا في أرشيف البنتاغون الذي يخفي جزءا كبيرا من التاريخ. قد يساهم ذلك في تسجيل مثل هذه الأحداث أو التحقيق في أبحاث أخرى لتأسيس القاعدة للحد من هذا التلاعب بالديمقراطية والحد من امتدادها بهذه السياسة الوحشية والاستبدادية في المستقبل.

ثالثا: المنهج التحليلي: نستعمل هذه الطريقة لتحليل أهم الأفكار والآراء الفلسفية المتعلقة بعلاقة تشومسكي ببعض الفلاسفة الآخرين، على سبيل المثال في قضية اللاسلطوية، نقوم بتحليل بعض أفكار الانقسام في اللاسلطوية، بالإضافة إلى معرفة الأسباب اليسارية، وموقف تشومسكي التقدمي، وتحليل أفكار اليمين المعادي للسياسة الأمريكية. نقوم بتحليل الطرق والأساليب التي تتبناها السياسة الأمريكية بالإضافة إلى المواقف والأفكار التي توحى بوظيفة الدولة واستقلاليتها وآلياتها. كما نحلل الأفكار التي لها دور في الرقابة والقمع وقوة رأس المال وقضايا تتعلق بموضوع السياسة ومشاكلها في الفكر الغربي المعاصر بالإضافة إلى تحليل مقاربات التشابه والصراع في الأفكار بين فلاسفة التنوير والديمقراطية والحرية والقانون الدولي في مناخ هذه السياسة الغربية لأنها كلها معقدة وغامضة. كما تم تحليل مساهمات بعض أفكار الفلاسفة بغرض فهم ما يريده نهج تشومسكي من نقده للسياسة الأمريكية.

✓ أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذا البحث في تقديم قدر جديد من المعرفة إلى فضاء العلوم الإنسانية والاجتماعية المتعلقة بإشكالية السياسة في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال عمل نعوم تشومسكي. واهتمامنا بدراسة أفكار نعوم تشومسكي لها قيمة إذا نظر المرء من وجهة نظر دينية، على سبيل المثال، فإذا الإسلام يدعو إلى سياسة الوحدة والحرية وقيم العدل والتعايش والسلام والأخوة والتعاون. كما أدرج تشومسكي هذا في موقفه ضد الفساد والحرب وسفك الدماء ضد الشعب الفلسطيني، وهو يتحدى الطرق الإمبريالية الشريرة، أي سياسات الكولونيالية (أمريكا وإسرائيل) المعادية للبشرية. وتفكيره المستمر في المواقف الصعبة التي يمر بها المجتمع البشري العالمي، مثل الاستيطان، والفقر، والتهجير، والعمليات البيولوجية غير القانونية، والجرائم ضد الشعوب الضعيفة.

بناء على النظرية الفلسفية التي تسعى إلى وصف الإنسانية في شخصه وتدعو إلى العقلانية والعدالة والمساواة بين البشر في الحقيقة والكرامة والوجود وحرية الرأي. يمنح الشخص إحساسا بالمسؤولية للحفاظ على البيئة والكون وأبعادها الفنية والجمالية. كما أنه يربط بين العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية واللغوية. إن تفكيره الشامل هو أكثر من مجرد علما في مجال الفلسفة، حيث إن هذا التكامل المعرفي يفيد في حل أهم المشاكل الكبرى التي تهدد الوجود الإنساني المتمثلة في السياسة، لأن عالمنا الحالي يحتاج إلى فن لتنظيم السلوك أكثر، على الأمن والأخلاق للحفاظ على البقاء.

تكمن أهميته أيضا من الناحية الإبستمولوجية في كشف حقيقة الدعاية والإعلام والمصطلحات المفبركة لتوعية القارئ والعامة من الناس من خطر وفساد الرؤساء والنخب الغربية في هذه السياسة الطاغية التي تتنادى بالثقافة الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان والمجتمع الحر كلها أوهام وضلال الحقيقة في الواقع إنها تعمل لصالح هيئات براغماتية معينة بين رأس المال والسلطة. بحيث أن قضايا الوجود الإنساني والمشاكل التي تهدد الشعوب في حالة متنامية. وبفضل أهمية هذا البحث، يسلح تشومسكي أي دولة، عن طريق متفقيها، المهتمين بنقد هذه الجوانب اللاأخلاقية للسياسة، بما في ذلك سكان المجتمع الأمريكي بوضعه خطوات الثورة والممارسة الفعالة في التعليم وإدارة مؤسساتها، وإعطائه نهج التغيير الصحيح لواقع إلى مجتمع

عالمي إنساني أفضل مع تحميل جميع المثقفين المسؤولية، نحو العداء للممارسات البيروقراطية في السياسة والسلطة لعدم شرعيتها.

كوننا مثقفون، فإن ما يمثل وعي المثقف أو المفكر هو روح المعارضة وعدم الانخراط في جرائم هذه السياسة، ولهذا فإن أهميته بالنسبة لنا تقتصر على الدقة والتحقيق في الأدلة والتوعية بما يبني الإنسانية، وممارسة السلطة الشرعية والعقلانية بتعليم الأجيال قيم التنوير الأخلاقي والإنساني ودحض أي سياسة إذا كانت غير قادرة على تبرير العبء في أي مجتمع على الإطلاق.

✓ أهداف الدراسة

ما من فكرة في هذا الوجود إلا ولها غاية معينة، وهذا ينطبق على بحثنا الذي يتضمن عددا من الأفكار المتعلقة بانتقاد نعوم تشومسكي للسياسة الأمريكية وطرحها، يرمي إلى أهداف وغايات تحققت معظمها، ونلخص أهمها فيما يلي:

✚ محاولة لتصحيح الرؤية الفلسفية للنظرية الواقعية البراغماتية والماركسية والكشف عن نقاط الضعف في هذا التقليد التحرري الذي أساء الفهم عند تحليل كومة المعرفة التي جعلت ماركس ليس إنسانيا ليبرتاريا بل ماديا.

✚ توضيح ما إذا كان للسياسة، بقيادة النخب الغربية، وسيلة أو عدة وسائل للسيطرة على العقول البشرية وطمسها، وفقا لمبادئ البراغماتية والمصلحة الذاتية، بدلا من المصلحة العامة.

✚ محاولة لتبرير مزايا وأساليب اللاسلطوية في تعزيز السلام الدائم بين جميع دول العالم، وتحقيق التوازن استنادا القانون الإنساني والأخلاقي المشترك بين الأفراد، عكس الصورة السلبية عنها في دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية، التي تنفيها زور كوسيلة من وسائل العنف.

✚ إعطاء القارئ المتعلم نموذجا للأفكار الطليعية، ونهج ثورة التغيير إلى مجتمع عالمي جيد، وتنبية الجمهور إلى هفوات وسائل الإعلام والدعاية والديمقراطية.

✚ فضح الدول المارقة والفاشلة، بدءاً من تصنيف سياسة الدولة الأمريكية وتوجيه الدول إلى الحذر من خطر المثقفين الذين يعارضون السياسة والطبيعة البشرية، المرخص لهم من قبل الدولة الأمريكية، لأنها تمثل الصانع الحقيقي للإرهاب وأجنداته في الحركات الراديكالية والسلطوية.

✓ خطة الدراسة

بُغْيَة تحقيق هذه الأهداف التي تسعى الدراسة إلى الكشف عنها، في حقيقة جليلة وكاملة وفهم الرؤية الكلية والممارسنية لإشكالية السياسة في الفكر الغربي المعاصر، ومعياري التجاوز لدى نعوم تشومسكي للممارسة السياسية الأمريكية والبراغماتية، اقتضى طابع المعالجة لإشكالية البحث وما تم تحصيله من معلومات وأفكار حول طبيعة الموضوع الذي قيد التحليل والتعقل، تم تقسيم البحث في خطة متضمنة لمقدمة وأربعة فصول وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع.

حاولنا في المقدمة، وفقاً لتصورنا للسياسة عبر الفكر الفلسفي، أن نقارب القيمة التي اكتسبتها في مناهج معظم الفلاسفة، كغاية لحصر المجال في فلسفة نعوم تشومسكي وتمهيدا لإشكالية السياسة المطروحة بمعياري المراد الكشف والتحليل والبحث فيه، ألا وهو معيار "الممارسة للسياسة"، كما حاولنا أيضاً وضع نبذة فكرية للفيلسوف نعوم تشومسكي كمؤشر على توجهه السياسي من أجل إطلاع القارئ على تناسق الإشكالية مع هوية الفيلسوف، والتي تشكل جزءاً كبيراً في بلورة هذه الخطة على النحو التالي:

1. الفصل الأول: يتعلق بفهمنا لتوجه الأكثر تأزماً وإشكالاً في السياسة العالمية وعلى وجه الخصوص السياسة الخارجية الأمريكية، بحيث تتطلب الإشكالية منا فهم النظرية الواقعية التي تتعارض مع معياري الممارسة الإنسانية والأخلاقية في سياسة تشومسكي ومقاربتها إلى الفلسفة البراغماتية لتحديد توجه الهيمنة الأمريكية بمبادئ مكيافيلية من حيث الممارسة وتحديد النمط الغالب في سياسة الدولة الأمريكية من وجهة نظر تشومسكي ومقاربته لآراء ماركس والفلاسفة الآخرين باعتبارها إشكالية في المصالح الاقتصادية والبراغماتية لسلطة الدولة التي تركز عليها انتقادات تشومسكي وتحليلاته.

2. **الفصل الثاني :** عالجنا مسألة الممارسة الأمريكية للاستبداد اللامشروع على مستوى الداخلي الذي يظهر في ملامح تقويضها للديمقراطية وتعسفها الإجرامي ضد مواطنيها، ما يعتبره تشومسكي إشكالية لسياستها الفاشلة. وأخذنا مسألة الإرهاب والممارسة له كقوة مشروعة برؤية تشومسكي الذي حدد عبء السياسة في خرقها للقانون الدولي الإنساني بصناعتها للإرهاب ودعمه وممارسته في الداخل والخارج، كما نخرج على مقاربة بعض فلاسفة القطيعة ومن بينهم جاك دريدا و جان بودريار حول اختلاف الرؤى العالمية بين مفهوم الارهاب وممارسته في الواقع، ويعد مشكلاً امام الفلسفة المعاصرة. بالإضافة إلى تحليلاته السياسية لنموذج الدعاية والتصنيع الموافقة مع طرح نعوم تشومسكي الذي يبدأ بمشكلة جزئية من الإشكال العام، وذلك عندما يربط بين المعيار الاقتصادي والمعيار السياسي لينتهي بانتهاك المعيار الكلي الأخلاقي أي الحقيقة.

3. **الفصل الثالث:** تناولنا فيه طبيعة الممارسة التآمرية ضد العالم العربي ومنطقة الشرق الأوسط الذي ترجع أزمته، في نظر نعوم تشومسكي، إلى محرك في معيار الاقتصادي النيوليبرالي للسياسة الخارجية الأمريكية، كما عالج مسألة الدولة عند الأطراف المتصارعة حول السلام والدولة والحرية والديمقراطية وإشكالية العرقلة الدبلوماسية من طرف السياسة الرائدة للقيم وحقوق الإنسان العالمية تجاه القضية الفلسطينية. وتحديد للخطاب السياسي العربي الذي ينكر الاعتراف بثقافة الآخر المختلف، الذي يدعم ثقافة الحيلولة في ممارسة الديمقراطية ويؤجج الفوضى الخلاقة لتحقيق غاياتها ومصالحها الاستراتيجية، دعماً للفساد وللإسلام السياسي البراغماتي والأصولية بهدف تقويض أمل الثورة والتحرر والتقدم كما وصف تشومسكي ذلك في ثورات وأحداث الربيع العربي.

4. **الفصل الرابع:** يحدد طبيعة الممارسة الأخلاقية البديلة للسياسة الأمريكية البراغماتية المقترحة من خلال تحليل أفكار نعوم تشومسكي اليسارية والفوضوية والتي لها دور فاعل في تقوية البديل الممارستي للطبيعة البشرية دون إبقاء على سلطة الدولة. كما يفصح طبيعة "الاشتراكيات" التي لها رؤية للحرية والمساواة العالمية من فرض تدخل الدولة وهذه إشكالية تمثل تحدي تشومسكي للسياسة الأمريكية. كما يخرج عن قواعد التدخل بين الأناركية والليبرالية الكلاسيكية طبقاً لشروط تشومسكي لتجاوز المجتمع الصالح وهي نقطة حل الإشكال وإزالة مظاهر المعادية للإنسانية اقتضى معيار الممارسة الأخلاقية وتكليف الإرادة نيابة عن العقل

مقدمة

والتفكير ومعالجة المثقفين عن المسؤولية تجاه الصالح العام فيما توقف هذا الأساس على ازدواجية الأمل والتفاؤل نحو المستقبل الجيد.

نختم هذا البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات التي نأمل أن تكون اقتراحاً لتوسيع دائرة الفكر الفلسفي حول تشومسكي وتبسيط منهجه. كما نأمل في تفكيك الصعوبات التي واجهناها منها: الخلط بين الأيديولوجي والسياسي، ووفرة إنتاجه الفكري الذي يصعب الإلمام به.

(1) نبذة فكرية وفلسفية عن نعوم تشومسكي.

أفرايم نعوم تشومسكي (Noam Chomsky): ولد في مدينة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية 7 ديسمبر 1928، في أسرة روسية إسرائيلية متطرفة في أفكارها السياسية، تميز في اللسانيات وعلم الفونيمات الصرفي في اللغة العبرية الحديثة في عام 1955 وأدرج أستاذا في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا.

تعد فلسفة نعوم تشومسكي معنى جديداً "لكلمة شاقة". كما يمكن القول بأنه من أهم المفكرين لهذا العصر. لقد وصف بأنه الفيلسوف الذي سيكون للأجيال المستقبلية. من الواضح أيضاً أن أفكاره مشابهة لأفكار أهم عظماء الفكر البشري، أمثال: جاليليو (1564-1642)، Galileo Galilei، وديكارت (1596-1650) René Descartes، ونيوتن (1642 - 1727) Isaac Newton. حتى يكون الفيلسوف الحي هو الأكثر تدليلاً في مجالات الفكر السياسي والاجتماعي والفلسفي. تتضمن أفكاره وأعماله نقطة مرجعية حيوية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، (1980-1992) وكذلك في العلوم والتكنولوجيا (1974-1992) حصل على جائزة كيوتو (1988) Kyoto، والتي تعادل وفقاً للتقدير الياباني جائزة نوبل⁽¹⁾.

ما يعرف عن حياة نعوم تشومسكي وأعماله "بحية المنشق" وهذا لأسباب سياسية وشخصية، ولكونه مرجعية فكرية في كل العلوم، الفلسفة، الأدب، علم النفس والرياضيات. تميز الشق الأول من حياته في دراسة اللغة ودراسة العقل وانطوى نقده للمذهب التجريبي في مجال اللسانيات. أعاد إحياء الأفكار الفطرية بحجج تثبت أن كل معارفنا تحدد وراثياً. وكذلك قدرتنا على الفهم والكلام، تقوم على معارف لا واعية. إضافة إلى نقده للأفكار المدرسية السلوكية المهيمنة على علم النفس، قاصداً إعادة العقل إلى مكانه في دراسة الجنس البشري⁽²⁾، وأهم كتاباته في هذا المجال: مقال حول نظرية النحو (1965)، البنية النحوية في اللغة العبرية (1957)، مشاكل النظرية اللغوية (1977)، نمط صوتي في اللغة الإنجليزية (1968)، اللغة والتعليم. جدل بياجييه (1979)، المعرفة اللغوية (1993).

(1) Robert F. Barsky, the Chomsky Effect, A Radical Work Outside the Ivory Tower, États-Unis. Library of Congress Publishing, Volume I, 2007, p. 3

(2) Neil Smith, Chomsky, Ideas and Proverbs, New York, USA, Cambridge University Press, Second Edition, Year 2004, p 1

نبذة فكرية وفلسفية عن نعوم تشومسكي

أما الشق الثاني، تميز بدراسة الفكر السياسي وتأثره بمناهج الفلسفة الفوضوية ونظريات الراديكالية اليسارية، أشتهر بنقده ومعارضته للسياسة الأمريكية وأبرز المثقفين السياسيين الأمريكيين أمثال: توماس فريدمان (1953)، Thomas Loren Friedman، ومايكل إيجناتيف (1947)، كريستوفر هيتشنز (1949-2011) Christopher Hitchens، موضحاً دور الممارسة السياسية الأمريكية في توثيق الأكاذيب والدعاية الإعلامية وفضح تأثير الشركات الخفية الكبرى في تمويل أعمال السلطة المستبدة⁽¹⁾. وأهم كتاباته في هذا الجانب: مسؤولية المثقفين (1967)، القوة الأمريكية والماندرين الجدد (1969)، مقال تحكم في الوسائط (1991)، الأزمة والأوهام (1989). إضافة إلى غزارة إنتاجه الفكري صنف كمثقف عام بعد الفيلسوف البريطاني بيرتراند راسل (1872-1970) Bertrand Russell.

كانت خطواته الأولى في الممارسة السياسية تعبر عن ميوله نحو الليبرترارية عبر خطاب سياسي ألقاه حول "الإبداع والثقافة"، أوضح فيه للجمهور أن إرادته لها ميل فوضوية تميز فكره بسقوط برشلونة لأنه كتب مقالاً توقع فيه (قبل أربعة أعوام) كارثة برشلونة على يقينه السياسي والأخلاقي، لذلك، يقول، لقد أحدثت (الكارثة) تغييرات جذرية في تفكيري وفهمي وشعوري وتوقعاتي للأشياء⁽²⁾.

تبدأ جهود تشومسكي في الليبرترارية نتيجة الاشمئزاز السياسي من النخبوية عند المثقفين الأمريكيين، والذي يتجلى في المجتمع الأمريكي واحتلالها مكانة كبيرة في الدولة بسبب الفساد السياسي والذكاء الليبرالي للسيطرة على عقول الجمهور وتحقيق الربح وممارستها للتقليد القوي البراغماتي في النظام الرأسمالي. بهذه الطريقة نتجت فرضيته في التحليل والنقد السياسي من الولايات المتحدة في قوله "واحدة من أكثر المجتمعات تلقينا وتسييسا في العالم، وواحدة من أكثر المجتمعات المثقفة امتثالا في العالم"⁽³⁾.

تتمثل مهمة تشومسكي التحررية والسياسية بالدرجة الأولى في الدفاع عن الطبقة العاملة والتحرير البشري لغالبية شعوب العالم، هذه النقطة هي مبدأ لجميع أعمال تشومسكي المعاصرة. إنها أساسية في تحليلاته لمشكلة

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، مداخلات، تر: محمود برهوم ونوال القمار سرياني، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2007 ص 8.

⁽²⁾ Robert F. Barsky, Noam Chomsky, A Dissenting Life, p. 17

⁽³⁾ Edgley A. The Social and Political Thought of Noam Chomsky New York: Library of Congress Publishing, Volume I, 2000, p3.

نبذة فكرية وفلسفية عن نعوم تشومسكي

السياسة، في الفكر الغربي، على الرغم من أنها مليئة باليوتوبيا الظاهرة في مثل هذا المشروع السياسي. لم يكن تأثيره على ماركس سوى بديلاً إيجابياً لتحليل السياسة الحالية في الكشف عن فئات اللينينية والمدرسة الواقعية ضد الطبيعة البشرية في الغالب، وإغراء عدد كبير من الناس لتحقيق البراغمية والقوة الرأسمالية. فيما يصف تشومسكي اهتمامه المبكر بالفوضوية على أنه "الصدفة المحظوظة" لنقد السياسة الخارجية الأمريكية⁽¹⁾.

⁽¹⁾ Robert F. Barsky, Noam Chomsky, A Dissenting Life, p. 19.

الفصل الأول

نعم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

تمهيد

المبحث الأول : مدخل مفاهيمي حول النظرية الواقعية والبراغماتية

- 1- النظرية الواقعية.
- 2- الواقعية في انسجام مع السياسة الخارجية الأمريكية (البراغماتية) .

المبحث الثاني : نظرية الدولة عند تشومسكي

- 1- مفهوم الدولة ووظيفتها.
- 2- استقلالية الدولة ورأسماليتها .
- 3- مقارنة الدولة بين ماركس وتشومسكي .
- 4- أشكال الدولة الأمريكية المارقة والفاشلة.

تعقيب نقدي.

تمهيد :

في خضم القرن العشرين، شهدت السياسة تحولات وتغيرات على مستوى الممارسة والنظرية، بحيث كان للسياسة مسارات توازن بين القوى العالمية. إذ كان للنظام العالمي بنية مزدوجة تحكمه في تمثيل القيم والأخلاق والعدالة والديمقراطية، بينما كان العقل والطبيعة البشرية على دراية بالحقيقة ولها الحرية في تفضيل طبيعة الممارسة للسياسة على نمط من الانتماء والطاعة للقوى التي تحقق الرفاهية وتحافظ على وجود الإنسان. بينما كان لدى معظم الدول نمط من الاستقلالية من حيث الوظائف الاقتصادية والسياسية، وفقاً لما يعزز الاستقرار والسلام لطبيعة الجنس البشري وحسب ميوله، أيا كان نوع الأيديولوجية التي يختارها، فإن سياساته هي الاشتراكية بقيم الاتحاد السوفيتي أو الرأسمالية بقيم الولايات المتحدة.

مع تراجع القوى السوفييتية المتنافسة مع السياسة الأمريكية وتشردم أفكارها ومعتقداتها على الساحة السياسية العالمية، أخذ اهتمام المفكرين في تفسير التصورات الكلاسيكية للحرب الباردة لتشكيل رؤية جديدة للسياسة العالمية والعلاقات الدولية التي تخدم مصالح الدول والطبيعة البشرية، وإعادة خلق القطيعة بين النظام العالمي القديم والجديد. بحيث تفسر للقوى والعلاقات الدولية والسياسية التي نشأت كامتداد للمدرسة الواقعية الميكيايلية، كمرجع وحيد في خدمة مصالح الدول والشعوب دون غلبة المثالية، وهي منهج لتحقيق الحكم على سياسيات للدول لكل دولة وتقييم طبيعة هذه الممارسة.

وبينما تأثر العالم بخطابات السياسة الأمريكية لهذا النظام الجديد وتفرد كنموذج للحرية والديمقراطية، فقد تواعد على نشر السلام والأمن والمساواة الاقتصادية بين الدول وتعزيز الاستقرار والتنمية التقدمية للمجتمعات. رغم ما تجده في كتابات تشومسكي تشير إلى أن طبيعة ممارسة السياسة مرتبطة بطبيعة الدولة وفهم واقعها وأنماط الأغلبية فيها، فهل هو سياسي براغماتي؟ أم إنساني أخلاقي؟ كما ذكر تشومسكي في كتاباته، "الدولة المارقة" و "الدولة الفاشلة" لذلك سيتناول، هذا الفصل مقدمة لفهم الواقعية والبراغماتية، ونقاط الانسجام التي تظهر على السياسة الخارجية الأمريكية. كما يقوم بتحليل نظرية الدولة للكشف عن واقع ممارسة السياسة كعامل اقتصادي براغماتي لخدمة الأقلية والمؤسسة بدون مجتمع مدني، مع الإشارة إلى وظيفة الدولة واستقلاليتها ورأسماليتها، ومقاربتها من ماركس لفهم التقاطع بين السلطة والمنفعة وتحديد أشكال الدولة.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي حول الواقعية والبراغماتية

أولاً : النظرية الواقعية

إن الحديث عن النظرية الواقعية وفلسفتها في المسار السياسي وعلاقتها بفهم السلوك البشري هو جوهر أساسي في المقاربة الإستراتيجية في فهم رؤية نعوم تشومسكي للسياسة الخارجية الأمريكية وانتقادات لفلسفة الممارسة للقوة وأخلاقية الفعل من ناحية الطبيعة البشرية ولهذا تكون منطلقات الفلسفة الواقعية مع المؤرخ اليوناني ثيوسيديدس (460 ق.م – 395 ق.م) *Thucydides*.

وهذا ليس بغريب في إرجاع مجريات الواقع الغربي المعاصر إلى المرحلة اليونانية لأنها جوهر التأصيل للفكر السياسي الغربي بينما تمتد جذور الفكر الواقعي إلى فكر النهضة الأوروبية مع نيكولو مكيافيلي (1469-1527) *Niccolo Machiavelli*، الذي مثلت فلسفته ونظرياته الواقعية الحجر الأساس في القرن السادس عشر لما هو راهن من حيث الممارسة السياسية في واقعنا المعاصر فيما تمثل جزء من تأسيس للطبيعة البشرية والتي تمثل محور أساسي لدى كل من توماس هوبز (1588-1679) *Thomas Hobbes*، ومكيافيلي.

ولهذا لم يكن الإنسان السياسي المعاصر متشعباً بثقافة القدماء والمحدثين في التنظير للسياسة الخارجية الأمريكية من المركزية الأوروبية الغربية الكلاسيكية بل صيغت الفلسفة الواقعية مع مطلع القرن العشرين وبتحديد في النصف الأول من قبل المثقفين وعلماء أمثال: بول إتش كار (1935) *Paul. H. Carr*، ورينهولد نيبور، (1892-1971) *Reinhold Niebuhr*، هانز يواخيم مورغنثاو (1904م – 1980م) *Hans- Joachim Morgenthau*، لذلك، يمثل هؤلاء اتجاهات فلسفية تشاركية في وضع السياسة الحيوية على وجهة النظر التشاؤمية القائلة بأنه لا يوجد هروب نهائي من الحالة الإنسانية المتضاربة وغير الآمنة بطبيعتها. ⁽¹⁾

(1) M. Sekiguchi, and editors: P Bilgin, P.D. Williams, J.K.; Murphy, Global Security and International Political Economy, United States of America, UNESCO and Euless Publishing Company, Volume VI, Edition 1, 2010, p. 148.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

فإن مثل هذا الوصف للسياسة والحالة الإنسانية يقتضي جانبا من النظام وجانبا من الفوضى الخلاقة في الجدلية المتبادلة بين الرعايا والدولة والأمير ولهذا تعرف بالواقعية الكلاسيكية الجديدة (*Neoclassical Realism*)، لأنها لا تزال في حدود الممارسة للسياسة بنفس الاعتقاد الذي يستدعي من الأمير جهداً صارماً ومهاباً ووعياً بفن الحكم وإدارة شؤون الرعايا، وهذا من بين الأهداف النظرية في إنجاح السياسة الدولية.⁽¹⁾

1. ثيوسيديديس: (السياسة / القوة)

في هذا السياق، ينظر إلى الفكر اليوناني مرحلة الإنتاج الفلسفي والتحليلي للمفكرين والمتقنين الأمريكيين على صعيد السياسة الخارجية الأمريكية بشكل خاص، وأما بشكل عام تفهم فكرة القوة على أنها حبيسة مجال الفعل والممارسة بين البشر في السياسة، ولهذا يمثل ثيوسيديديس (460 ق.م - 395 ق.م) *Thucydides*، على أنه الركيزة الأنطولوجية لما يدعي به المثقفون المتحمسون الفكريون الأمريكيون للسياسة الواقعية بل بالأحرى أن يكون نموذج الولايات المتحدة الأمريكية في العلاقات الدولية حاسم على النمط العلاقات الذي ساد بين الأمم كما في المرحلة التاريخية التي سبقت العقل الأمريكي في التشكل والظهور، والتي تفهم على أنها "عقدة ثيوسيديديس" بين (سبارتا) البيلوبونيسية و (دليان) في أثينا. بحيث إنها عقدة حول السلطة والاعتراف وتنظيم الدولة وحمايتها.⁽²⁾

لذلك تبنى فكر ليو شتراوس، مثل هذه النظرة لثيوسيديديس في "الاستقرار" على أنه يأتي بالقوة ويستند للقوة وهو ليس القوة، لهذا جاءت كتابات ثيوسيديديس في السياسة بمثابة عزل ما هو لاهوتي عما هو طبيعي بشري انعكس ذلك "في محاورات ميليان" التي تمثل خطابات في السياسة بين التأثير خيالي الدرامي والممارستين في فهم "عملية السلام" وقواعد التمويل بين الأطراف المعادية مثل هذا التفكير العقلاني. لثيوسيديديس منعطف آخر تأسيس للقوة وفقا لاعتبارات قراءة الأبعاد العسكرية وجيوسياسية. فيما كان مجال،

(1) Ibid, p 148.

(2) Tangguh Chairil, 26 Sep 2013 Historical Precedents of Realist IR Theory Thucydides, Pinos University International Relations, Views in, 4/3/2023 Website. Link: <https://ir.binus.ac.id/2013/09/26/historic-antecedents-of-realist-ir-theories-1-thucydides>

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

"السياسة" يتقاطع في الأخلاق وآليات الممارسة واعتبارات "الخير" و "الشر"، لهذا تمنح فلسفة ثيوسيديديس معايير إدراج الفعل والعقل والرغبة في مجال السياسة. (1)

لذلك ما ينتج في السياسة الخارجية الأمريكية له إرث يوناني ثقافي لا يتعدى أبعاد ثيوسيديديس في استخدم مفهوم "التاريخ العلمي" بمعنى أن القوة والإكراه وما شابهها من ممارسات للسياسة تنحصر في تحقيق "الإمبريالية" فيما تمثل أيضا فلسفة القوة لثيوسيديديس البنية الصارمة التي سياسات الواقعية في عصرنا معاصر على أنها من طبيعة تقوض ما هو ميتافيزيقي وما له من أبعاد غيبية مثل (دور الآلهة).

فيما يجسد ثيوسيديديس فهم السلوك السياسي الواقعي عكس فلسفات القدماء أمثال "هيرودوت" (484 ق.م - 425 ق.م) Herodotus ، تجده يعلق السياسة بمبدأ القوة هذا، من جهة الممارسة من وجهة التنظير الفكري لها يقوم بجمع الأدلة وتحليل الأحداث السياسة والحروب من منطق مشابه لديفيد هيوم (السبب والنتيجة) والدافع والمنعكس الفعلي. لذلك يعد ثيوسيديديس من أسس لأفكار الطبيعة البشرية الأنانية والحالة الفوضوية للسياسة الخارجية في هذا العالم وللمصطلح "النظام الدولي" ولكن ما نحن عليه سياسي يختلف فقط بشيء طفيف وفقا لإبستمية العصر ونظام المعرفة الراهنة. (2)

فضلا عن ذلك، تكون واقعية ثيوسيديديس أساس السياسة الخارجية الأمريكية، نظرا لدور الذي يحدد فيه العدالة والسلطة على أنهما مترادفان في صنع القرار السياسي والعسكري والأمني بغض النظر عن الوسائل وآليات الممارسة في القوة. ولطالما أسس للعدالة مصطنعة وعلى أخلاق القوة تاريخيا، جعل منها أدوات وضروريات تؤدي بالحاكم إلى بلوغ السلطة، فيما تضع قدرا ممكنا من القيم الانتقام والخداع والقوة وهذا بطبيعة الحال متجذر في ممارسة السياسية الراهنة.

وكذا تتبع منه أفعال الظلم والاحتلال والرقابة والسيطرة عبر الأجناس البشرية ودورات التعاقب الدولة والتاريخ كما في النظرية ابن خلدون (1332-1406)، ولهذا كثيرا ما اعتبرت نظرية ثيوسيديديس (السياسة/ والقوة)، مرجعية لما نحن عليه في السياسة، ولتكن "السياسة الخارجية الأمريكية" التي تمثل إشكالية العصر،

(1) Tanguh Chairil, 26 Sep 2013 Historical Precedents of Realist IR Theory Thucydides - Ibid

(2) Tanguh Chairil,- Ibid.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

لهذا السبب تصنف كتابات ثوسيديس التاريخية على الخطوة الأساسية التي تقدم الافتراضات السياسية الواقعية. فيما تكون قيد الممارسة إلى غاية أن تطرأ عليها مستجدات القراءة الحديثة من الفيلسوف الإيطالي نيقولا مكيافيلي.

2. نيقولا مكيافيلي (السياسة / الأخلاق)

في خضم التطور المبكر للفكر الأوروبي الغربي، ظهر الاهتمام بثقافة عصر النهضة والسياسة تحديداً في القرن الرابع عشر من مفكر الإيطالي نيكولو مكيافيلي (1469-1527) *Niccolo Machiavelli*، الذي أعاد قراءة للواقعية مطوراً لمبادئ التي وضع قوانينها ثوسيديس، فيما أكد عن السياسة تمارس بما هو كائن وواقعي وليس ما ينبغي أن يكون فالأمير البارع في أمور السياسة يستبعد الفضيلة في ممارسة القوة وبلوغ السلطة بمقدراته للحاجة دون مراعاة الوسيلة مهما تكن أخطارها على الناس لأنهم أنانيون بطبيعتهم البشرية.⁽¹⁾

على هذا الأساس، تؤخذ السياسة الواقعية في الاعتبار في كتابات ملكها، مكيافيلي، مع المبادئ التي تعطي الأولوية للسياسة على الأخلاق. ما يختلف عن واقعية ثوسيديس هو تلك السمات التي تعطي لأساليب الحكم جوهر الذكاء والممارسة في تكييف الواقع والشعوب والسيطرة على الوسائل التي يتم بها تعزيز المصالح السياسية وتأثير الدول على الآخرين بسبب التباين التفكير وعقلانية تخطيط السياسات والتنبؤ بالمخاطر التي يمكن بفضلها اختيار الفرص البديلة للسياسة لتوسيع سلطتها. بينما تقدم الواقعية صورة للمزلق التي يجب على المثقفين والحكام السياسيين تجنبها، مثل "الأمير"، مما يؤدي إلى انقلابه أو الإطاحة به، وهذا جزء من المقاييس العالمية الفكرية والسياسية.

فيما يبدو ذلك جوهر الممارسة السياسية الخارجية الأمريكية، حالياً، وتلك الأشياء مثل (توازن القوى والمصلحة، الأنانية والقوة نقيض الأخلاق) التي نظر لها مكيافيلي كمبادئ في السياسة الناجحة لأمير

⁽¹⁾ ميثاق مناحي دشر جناح العيساوي 2013/5/1. النظرية الواقعية: دراسة في الاصول والاتجاهات الفكرية الواقعية المعاصرة، جامعة أهل البيت، تم الاطلاع عليه في 2023/03/4م. رابط الموقع:

<https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:ih9AOKOuzZUJ:https://www.iasj.net/iasj/pdf/68e8921377b6ecab&cd=1&hl=ar&ct=clnk&gl=dz>

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

وفصلها عن الميول الدينية والقيم الأخلاقية والاعتبارات الاجتماعية، هذا يمثل صلابة البناء الواقعي في رأيه، ولذلك يشترط أن يكون للسياسة دائماً الحفاظ على قوة كغرض الأساسي فإن السياسة التي تحقق المصالح البراغماتية تأخذ نفسها كإرادة فعالة في فرض القوة وزيادتها، ولهذا يضع مكيافيلي شروط النجاح في الحكم وإنماء الثروة تتم إلا بالسياسة وأولوية القوة دون الأخذ بعين الاعتبار ما إذا ألحقت الرذائل بالآخرين أو مهددة للطبيعة البشرية أو أنها السياسة قاسية خائنة مثل (السياسة الخارجية الأمريكية) أو غير مسموح بها شرعاً في القانون الدولي.⁽¹⁾

غالبا ما يلاحظ بأن السياسة كما يناقشها مكيافيلي تعني الواقعية اللاأخلاقية، والتي تستخدم بذكاء في تحقيق غايات الحكومة، وهنا تكمن السمة المميزة لسياسته المسؤولة عن سمعته اللإنسانية المطبوعة على الغرائز الشريرة بإعلائها لمبدأ صريح ("الغاية" تبرر "الوسيلة"). إنه ببساطة يضيف على الواقعية طابع الجدة بتفرد بالسياسة وإقصاء الاعتبارات الأخرى التي تحبط الأمير في الحكم من إفشاء القوة، ولهذا تجده يقنن لها كما لو كانت هدفا في حد ذاته.⁽²⁾

3. النظرية الواقعية الجديدة (البنوية):

بناء على ما تقدم، ظهر اتجاه جديد مع نهاية السبعينيات يدعى بالنظرية الواقعية الجديدة (البنوية) والتي كان لها استيعاب كامل للنظريات والأفكار الواقعية الكلاسيكية. مما يعني أن فلسفتها تبنى على أنقاض فهم السلوك وتفسير الخارجي للسياسة، وتبدى ذلك بشكل واضح في أعمال فلاسفتها أمثال: جورج موديلاتسكي (1926-2014) George Modelski، كينيث والتز (1924-2013) Kenneth Waltz، جون ميرشايمر (1947م) John J. Mearsheimer. تمت إعادة اختبار ثغرات الفشل في تفسير السلطة بشكل حاسم، و

⁽¹⁾ أنور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية، العراق - السليمانية، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية للنشر، ط1، 2007، ص192.

⁽²⁾ مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، مصر - القاهرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1990، ص 24.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

منهجيتها وممارساتها السلوكية من قبل (هوبز ومكيافيلي وهانز، وهيجل) ' للتأكيد على النواة الصلبة للنظرية، وتنفرد تحليلاتها لسلوك الدولة ، من حيث الجوهر. مثل: الفهم الأساسي للنظام وسياسته الدولية.⁽¹⁾

وعلى هذا الأساس ينقسم " الواقعيين " البنويين "أو" الجدد "في تحليل سلوك السياسات الخارجية للدولة بحيث يعتقدون بأن الطبيعة البشرية ليست النقطة المحورية لتفسير سلوك الدولة لأن لديهم وجهة نظر بأن المثقفين السياسيين والقادة يمثلون فقط عناصر نشطة في تحديد مسار التطور القومي للدولة في حين أن تفسيراتهم لبنية النظام الدولي تشير إلى أنه حالة من الفوضى السياسية، فإن الدول تعيش في نظامها الخاص الذي يفترض وجود هجوم بين الدول في أي لحظة يمكن وصف هذا النمط:

أ- الواقعية هجومية (جون ميرشايمر):

وهي حالة في نظام سياسي يدفع الدول إلى الاستعداد والحذر دائما ضد أي عدوان خارجي، على افتراض توقع الأسوأ من الآخرين، وتحمل المسؤولية والتدابير اللازمة لحماية نفسها. لأن الدول لا تعتمد بالدرجة الأولى على الآخرين في توفير الأمن لها والدفاع عنها من العدوان، في دائم تخشى من تقرب من بعضها البعض الدول سوى كانت قوية أو أقل لأنها تراعي إلى سقوطها في مأزق أمني وهو الذي يجعل استحالة التعاون الإنساني لأنها تدرك جيدا بأن ما دون منفعتها المتبادلة يفضي إلى حتمية مأساوية من الصراع والفوضى.⁽²⁾

ولهذا يعتقد جون ميرشايمر أن المنافسة الأمنية ضرورة حتمية في النظام العالمي بين الدول، وقد تكون قدرات الدولة نوايا هجومية وعدوانية، وهذا منطق لا بأس به في نظام فوضوي وهجومي. بينما الدول الأخرى

⁽¹⁾ رمضان غيث، "الواقعية الجديدة" Neorealism - Structural Realism - ، الموسوعة السياسية، 2020-12-09، تاريخ آخر دخول: 2023-

07-11-07:34، متاح على الرابط التالي: https://political-encyclopedia.org/dictionary/الواقعية_الجديدة/

⁽²⁾ بول روبنسون، قاموس الأمن الدولي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية للترجمة والنشر، ط1، 2009، ص 248 249 .

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

لديها موقف مخالف لنظرية الهجوم، كما عبر عنها لويس ديكنسون (1925-2008) Louis Dickinson، وهي الواقعية الدفاعية في السياسة أو موقف السلوك للدفاع عن التوازن الدولي.⁽¹⁾

⁽¹⁾ جون ميرشايمر، مأساة سياسة القوة العظمى. تر: مصطفى محمد قاسم، السعودية - الرياض، جامعة الملك سعود للنشر، الطبعة الأولى، 2012، ص. 419.

ب- الواقعية الدفاعية (كينيث والتز):

وهي اتجاه له وجهة نظر مقابلة في "السياسة الدولية" وتفسر أن نمط الدول لا يستمر مع الصراع والعنف في النظام الفوضوي لأن هناك نوعاً من ممارسة القوة من قبل الدول التي تفقد بطبيعتها تعظيم حصصها من المكانة العالمية. ولهذا تسعى إلى تأقلم على المسرح السياسي بتعزيز التحالفات، والتوازن بسياسات معتدلة من حيث القوة من أجل المحافظة على تحقيق الأمن واستمراره. تمثل ذلك مع العقلانية الألمانية أوتو فون بسمارك (1815-1898) *Otto von Bismarck*، الذي أكد بأن المبالغة في القوة على تفسيرات (جون ميرشايمر) لم ينفذ الألمان في الحرب البروسية، (1870 - 1871). لأن الدفاع هو الذي يحقق حتماً التحالف وتوازن بين الدول ضد النقيض. فالهجومية تجلب دوماً العداً وكبح الرغبة في تعظيم القوة.⁽¹⁾

وبالتالي تلاحظ الدفاعية أن الدول لا تعيش في حالة تهديد خارجي دائم، وأن المأزق الأمني نادراً ما يحدث فيها. لذلك، ليست هناك حاجة لأن تكون المنافسة العنيفة بين الدول جوهرًا متأصلاً في السياسة الدولية.⁽²⁾

في هذا السياق، أشار أنصار الواقعية الدفاعية، مثل مايكل ماستانديرونوف (1991 م)، إلى أن مبدأ الدفاع بين الواقعيين يفهم على أن دول العالم تتجنب تلك الفجوات من أجل إفادة شركاتها الرأسمالية، ولكن ليس إلى الدرجة تعظيم المتعاضد للوضع، إلا في الفجوات التي يمكن للدول أن تلبي مصالحها. أولئك الذين لا يمارسون التوازن بين القوة والمنفعة، لا يبالغون في الفجوات، ولا يتمسكون بموقف دفاعي في مواجهة الحياة الدولية المليئة بالريبة. لهذا تسعى هذه الدول إلى البقاء في حالة من الفوضى عن طريق تعظيم البراغماتية والتحالف في قوتها مع الدول الأخرى.⁽³⁾

(1) أحمد محمد وهبان، النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية من مورجنثاؤ إلى ميرشايمر، دراسة تقويمية، جامعة الإسكندرية، كلية الدراسات

الاقتصادية والعلوم السياسية، مصر - القاهرة، 2016، ص 35 36.

(2) بول روبنسون، قاموس الأمن الدولي، المرجع السابق، ص 249.

(3) سكوت بورتشيل وآخرون، نظريات العلاقات الدولية، تر: محمد صفار، مصر - القاهرة، المركز القومي للترجمة والنشر، ط1، 2014، ص 71.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

وهكذا، فإن الواقعيين البنيويين يصنعون أفكار "هانز مورجنثاؤ" بأن الدور عبارة عن هجوم نفعي على مسيرة الدولة عبر التاريخ. كونهم أقرب إلى هيجل في تفسير مفاده أن الدول ككيانات مستقلة مدفوعة لتحقيق مصالحها الخاصة، فإن أفضل طريقة للهجوم من قبل الدولة هي تعزيز قوتها النسبية لتحقيق الإمبريالية والهيمنة. لذلك، فإن التكتيك الهجومى يكاد يكون تحدياً غير محدد في الساحة العالمية، وبالتالي فإن النهج الدفاعي والمثالي أقرب إلى السياسة الجامدة. إذ ما سعى المثقفون الأمريكيون إلى تحقيق هيمنة على العالم يعني كسر قيود الدول الدفاعية والمثالية، لكن من المستحيل تخيل ذلك لأن تحدي القدرة على التوسع اللامحدود يخل بمبدأ التوازن الداخلي للدولة أو تكون عرضة للهجوم الآخرين. ولهذا تأمل الدول في الوصول إلى الحفاظ على سياساتها الإقليمية واستقلالها، وتأثيرها الدائم بالحروب على منطقتها الجغرافية ومستعمراتها.⁽¹⁾

بالإضافة إلى ذلك، يرسي كينيث والتز مبدأ الدفاع لغرض فهم كل صفة وأبعادها على القدرة والمقاومة والوسائل بفعل تجريدي يعزلها عن باقي سمات الدولة بقدراتها المختلفة. لهذا تجد أنه حدد الفكر والقدرات والوسائل. إذا ضاعت من الدولة، رغم قوتها، فإنها تفقد طابعها الوطني. لذلك فإن حقيقة أن المدافعين يبنون الدولة في نظرهم على تلك الوحدات التي توفر الاستقرار والمصالح البراغماتية مع الاعتراف بالدوافع المفترضة للدول. وهذا يعني أن الدفاعية لا تعزل القيم والتجرد من جميع الخصوصيات فلها طابع متوازن في تحقيق المصالح على قيم الواقعية ولذلك تفسر نظرة هوبز "حرب كل ضد الكل" على أنها دافع ليس للفوضى فقط كما يعتقد الهجوميون ولكن تنتج أيضاً من المساواة بين الأفراد تدفعهم إلى التفاوت بالمنافسة وتحقيق المجد وعدم الثقة بالآخرين وهي نفسها طبيعة فوضوية.⁽²⁾

من الواضح أن النظرية الواقعية متشائمة في تفسير النظام العالمي، فهي تتضمن السلام والعداء الذي ينكر كل ما هو إنسانياً ومثالياً، لأن ما هو جيد ومثالي هو ساذج في تصور الفرد الواقعي، وهو ما. يشكو

⁽¹⁾ رمضان غيث، "الواقعية الجديدة" Neorealism - Structural Realism - ، الموسوعة السياسية، 2020-12-09، تاريخ آخر دخول: 2023-

07-11-07، متاح على الرابط التالي: https://political-encyclopedia.org/dictionary/الواقعية_الجديدة/.

⁽²⁾ سكوت بورتشيل وآخرون، المرجع السابق ، ص 69.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

منتقدو الواقعية من العواقب السلبية على الجبهة الأمنية أيضا، وهي ممارسة بحد ذاتها براغماتية، وكذا من ناحية الاتفاقيات الدولية، وفقا لمنطق الواقعية، فهي لا تهتم بمبدأ الأمن الدولي والسلام العالمي.⁽¹⁾

فضلا عن ذلك، يوجد نوعين من الواقعيين ذوي الشهرة والخلود والحفاظ على البقاء في ظل نظام الفوضى، الذين يحققون مكاسب المجد والأعمال، ويطلق عليهم والتز "أبطال هوميروس" (850 ق. م) *Homer*، هناك واقعيون يفهمون الإنسان على أنه براغماتي واقتصادي ويفهم نفسه على عكس الآخرين، مدفوعا بإرادة القوة كما يصفهم بمثال فريدريك نيتشه (1844 - 1900)، *Friedrich Nietzsche*، كما يؤكد العقلاني هربرت بترفيلد (1900-1979م) *Herbert Butterfield*، إلى أنه لا يمكن تصور النظام الدولي والفوضى كمبادئ للواقعية إذا كان المثقفون السياسيون والقادة الدول كلهم يتحلون بأخلاق القديسين المسيحيين فالقديسين في ما بينهم توجد سلوكيات النقد والتنافس وكينيث والتر ذاته مخلص لطبيعة هذا الوضع الذي يبرر رد فعل الدول واستجابتها، لكن تنبؤا متى؟ وكيف؟ لا يعرف ذلك لأن السياسة الداخلية والطبيعة البشرية وثقافتهم الاجتماعية تتحكم في ذلك.⁽²⁾

ثانيا: الواقعية في انسجام مع السياسة الخارجية الأمريكية (البراغماتية)

أ - مفهوم البراغماتية :

البراغماتية هي كلمة يونانية اصطلاحية مشتقة من (*Pragma*) وتعني الفعل والتطبيق. يشار إلى أن ما هو "فعلي" هو واقعي وحقيقي، والحقيقة لا تقاس إلا بمعيار "الصدق" والعمل والممارسة في برامج التطبيقية والعملية.⁽³⁾

ولمعنى البراغماتية أيضا بأن العقل البشري لا يحكم على نتائج الممارسة على أنها يقينية وصادقة ما لم يُنَوَّج بعد شوط من العمل والتطبيق والإنتاج. فإن تمرسًا على السلوك معين يمنح المرء القدرة على إيجاد النتائج

(1) بول روبنسون، قاموس الأمن الدولي، المرجع السابق، ص 249.

(2) سكوت بوريتشيل وآخرون، المرجع السابق، ص 69.

(3) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دمشق، دار الكتاب اللبناني للنشر، ط1، ج1، 1982. ص 203.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

فيما تأخذ مكانها في العقل كالخبرة بعدما كان يفقد للمعارف الأولية التي يحاول بفعلها قطع وتجاوز مرحلة الشك.⁽¹⁾

ونتيجة ذلك أن الزمان والمكان هما إحدائيات المعرفة حسب معطيات عصر الأشياء. والأشياء في حد ذاتها تفرض على العقل استغلالها من طبيعتها الراهنة بما تخول له الافتراضات التي تنعكس عن الاستقراء المباشر، للأشياء. لذلك معرفة الأشياء في البراغماتية غير ضرورية، بقدر ما طريقة إخضاعها للتأثير والاستغلال والاستخراج مما تحتويه في جوهرها من منفعة وإستفاد بها في مرحلة الممارسة أي المرحلة التي تعين فيها ذلك العمل.

على هذا الأساس، فإن أنطولوجيا الإنسان لا تزال غير مثبتة إذا فهمنا أن ديكارت يمنح المعرفة بالعقل والتفكير في الوجود كأساس لتأكيد الذات، بينما البراغماتية تمنح فكرة بأن الحقائق اليقينية والعلمية في مرحلة الإنتاج تكون صادقة وبعد مدة من الزمن تكون غير صادقة، فهي مرهونة الذات المفكرة وفقا لإبستمية العصر.⁽²⁾ وبالتالي فإن الممارسة الصحيحة في الفكر البراغماتي ولتكن مثل، حقائق في السياسة والمعرفة بها في (عصر نابليون) هي لا يمكن أن تفيد مرحلة القرن العشرين أو مستقبلا بمنطق البراغماتية.

ويلاحظ أن النظرية البراغماتية أنتجها الفكر الأمريكي على يد كبار الفلاسفة الأمريكيين، أمثال تشارلز ساندروز برس (1839-1914) Charles Sanders Peirce ، و ويليام جيمس (1842-1910) William James، جون ديوي (1859-1952) John Dewey ، و لها قطيعة معرفية مع الفكر الفرنسي من حيث الممارسة والعمل العقلاني. يتم تمثيل هذا في فلسفة هنري برجسون (1859-1941) Henri Bergson ، والذي يجادل بأن ما من أداة إلا في العقل حضورا كلياً لها. وَالْمَنْفَعَةُ الَّتِي تُحَقِّقُ رَفَاهِيَّةَ الْإِنْسَانِ تَصْنَعُ بِفَضْلِ الْقُدْرَةِ اللَّامَحْدُودَةِ لِلْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ، وبهذا تكون محددة الاتجاه في الممارسة وقصدية الفعل. لا يوجد من

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق ص 203.

(2) المرجع نفسه، ص 204.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

ورائها أثر مادي يمكن أن ينتفع به الآخرون ولهذا تكون عبارة هنري برجسون: «العقل هو القدرة على صنع الأدوات»⁽¹⁾؛ تعني براغماتية ملكها في ممارسته لها بما تعود عليه بالنفع.

ما من قيمة اجتماعية أو سياسية أو دينية تجرد من الحقائق المنطوقة والخطابات التي تصفها فالسياسة مثلاً من منطق براغماتي تقاس قيمتها بالقواعد السلوكية التي تحتويها الممارسة ونتائجها تأخذ كأفعال تسبق الفكر وهي على تطلع داخلي في الذات دائم يرصد تحركات العقل أو يمثل جزءاً من البنية التي تتجاوز المنطق البشري بعد تهيئة مجال وقواعد وإحداثيات التصور للممارسة كما أشار، الفرنسي أندريه بلونديل (1938-1863) *André Blondel* بقوله: «الفعل هو ما يحيط بالعقل، فهو يسبق الفكر ويهيئه ويتبعه ويتجاوزه، وهو بنية داخلية».⁽²⁾

ب- جذر البراغماتية:

على هذا الأساس لا بد من الإشارة للقارئ إلى أن البراغماتية الأمريكية لم تكن إبداعاً عقلياً أمريكياً محضاً بل غالباً ما تجد حضوراً أساسياً للفكر الألماني وهذا بدأ بارز في السياسة الخارجية الأمريكية مع المحافظين الجدد ، بحيث تمثل ممارساتهم تقليداً للفكر النازي الألماني، وكخلفية لذلك، لم يقع أصل فكرة البراغماتية في ذهن تشارلز ساندرز بيرس إلا بعد تحليل أفكار "إيمانويل كانط"، (1804 - 1724) *Immanuel Kant*، في كتابه بعنوان "الأنثروبولوجيا" وهي تحليلات عقلانية للفعل والسلوك وآليات العقل الإنساني من وجهة نظر براغماتية، ولكن من ناحية الممارسة نلاحظ بأن بيرس لم يضع أساسيات وشروطاً للعقل الأمريكي أن يأخذ بأخلاقياتها كبراغماتية متجذرة وأصيلة لإنسان الأمريكي.⁽³⁾

ولهذا تجد أن السياسة الخارجية الأمريكية تفقد أخلاقيات الممارسة البراغماتية لم تكن براغماتية "إيمانويل كانط" المثالية والمهذبة للفعل المحكمة بشروط العقل. ولكن من ناحية الممارسة نلاحظ بأن بيرس لم يضع أساسيات وشروطاً للعقل الأمريكي أن يأخذ بأخلاقياتها كبراغماتية متجذرة وأصيلة لإنسان الأمريكي ولهذا

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 204 .

(2) المرجع نفسه، و الصفحة نفسها.

(3) علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراغماتية أصولها ومبادئها. لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية للنشر، ط 1، 2008، ص 20.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

تجد أن السياسة الخارجية الأمريكية تفقد أخلاقيات الممارسة البراغماتية لم تكن براغماتية إيمانويل كانط المثالية والمهذبة للفعل المحكمة بشروط العقل.⁽¹⁾

لهذا فإن "بيرس" يقيد حرية العقل الأمريكي بأن يجعل المثقفين الأمريكيين يتصورونه كما ينقل هو ذاته عن "كانط" قائلا: "بأنها فلسفة أخلاقية شاملة، والأفق البراغماتي هو تكيف لمعرفتنا العامة في التأثير على أخلاقنا"، فمثل هذا النظير للبراغماتية لم يعمل به على مستوى الداخلي والخارجي في ممارسة السياسة على أنها أخلاق ولكن يعود ذلك لطريقة التفكير في العمل والفعل (*Practical*)، لدى كل من الفيلسوفين، لهذا السبب تكون الممارسة عند كانط بأن ينتفع السياسي أو الأمير من كل ما هو عملي وبرغماتي، بشرط أن ينطبق ذلك مع قوانينه الأخلاقية في العقل والتي يعدها أولياته في الواقع، فلو انطبق ذلك في السياسة الخارجية الأمريكية لكان حال المجتمع الأمريكي له ميولات أخلاقية تستبعد حكم النخبة (الأقلية)،⁽²⁾ وهذه غاية تشومسكي .

بينما تفسر العلمي والممارسات في براغماتية بيرس على أنه "الفن" أو "الحرفة" المشروطة من حيث التطبيق على القواعد تعتمد على أسس "الخبرة" وتكون بضرورة متممة "للفعل" "بالتجربة" يبدو هذا المنطق يمارس في السياسة الأمريكية الخارجية من قبل المثقفين الأمريكيين "التكنوقراطيين" في تحقيق المنفعة دون المراعاة لأثار الجانبية على الطبيعة والإنسان، لذلك، كان هدف بيرس من البراغماتية كأداة أو آلة للتأثير وفقا لإملاءات العقل، لأن النتائج تم تحديدها وجوديا، في الواقع، بطريقة واضحة تتوافق مع ما يريده الشخص نفسه.⁽³⁾

(1) علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراجماتية ، المرجع السابق، ص 20.

(2) المرجع نفسه، و الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، و الصفحة نفسها.

ت - نقاط الانسجام البراغماتية والواقعية في السياسة الأمريكية

تجذر الفكر البراغماتي الواقعي في ثلاثة اتجاهات داخل المجتمع السياسي الأمريكي ، والمتمثلة فيما يلي:

- الاتجاه الأول: الأفكار الفرنسية

يكن دور الأفكار الفرنسية في تفسير الحرية الفردية والوجودية البشرية، والتي تتعارض مع مبدأ الفلاحين وطبقة الملاك الذين يربطون البراغماتية بإقامة الأرض وزراعتها، فإن ذلك ينبع من حرية الفرد إذا أخضع ممتلكاته للممارسة والعمل والاستثمار والاستغلال لمصلحته ومنفعته ورفاهه وسعادته، بقدر ما ينكر الفلاحون الأمريكيون قبول التصورات الرومانسية التي طرحها الفكر الفرنسي (1830م).⁽¹⁾

- الاتجاه الثاني: الليبرالية الإنجليزية

هو شكل البراغماتية الأمريكية، من الاشتقاق البريطاني، الذي يقوض الأفكار الطوباوية في السياسة، وأخذ يتجذر في المجتمع الأمريكي بتأثيراته الاجتماعية التي تقوم على أسس الليبرالية الإنجليزية المناقضة للمثالية. ظهر تحديدا في (القرن الثامن عشر) كممارسة للسياسة تسن قوانين الواقعية والمادية الاقتصادية، تسعى إلى تطوير البنية الفوقية للمجتمع الأمريكي باستغلال البنية التحتية وتحقيق المنفعة والقوة الرأسمالية بمبدأ حرية العمل والاستغلال وإنتاج وحركة رأس المال لتنمية الإنسان بصفته كائنا اقتصاديا . وإعادة صياغة العدالة ومبادئ حقوق الإنسان بنموذج البراغماتية وبما ينفع الأفراد واعتبرتها فلسفة.⁽²⁾

لهذا بدأ تأثيرها وضحا في سياسة الخارجية الأمريكية من استغلال محافظي مناطق جغرافيا لحماية هذه البراغماتية والعقلانية الاقتصادية من انهيار. فيما كرس ذلك، رأسمالية الدولة وعدم التدخل السياسة في مصالح الأفراد، بقدر ما تكون ذات علاقة في تحقيق الأمن والحماية الطبقات والنخب المالكة على تحقيق الرفاهية وإشباع للغريزة بأكبر قدرا من المنفعة.

⁽¹⁾ فهمي، عبد القادر، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية؛ دراسة في الأفكار والعقائد ووسائل البناء الإمبراطوري، الأردن- عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2009 ص 64 .

⁽²⁾ المرجع نفسه، و الصفحة نفسها.

- الاتجاه الثالث: النظرية الداروينية

في تفسيراتها للوجود الإنساني والحياة من منظور مادي لذلك، فإن الإنسان هو مصدر بقائه في الطبيعة، لأنها تشكل جزءا من النظام الإشباع وإفراغ لطاقاته بينما تخلو مما هو كائن لدى الإنسان من ناحية الهدف والغاية كونها ذات سمة مادية فهي تكمل الإنسان نحو التطور نظرا لما تحتويه من قوانين تتحكم البنية وحركة وسلوك والإنسان نظام كغيره من الأصناف التي تحتكم للطبيعة و لمبدأ الحتمية.

بينما كانت فكرتها أن الإنسان حيوان كامل، وأن الفرق بين الإنسان والحيوان هو اختلاف في الدرجة وليس في النوع، وهو الأمر الذي قبله المثقفون الأمريكيون في ممارسة النضال والانتخاب والانتقاء للجنس الأبيض في القوة والبقاء بحيث تمنح للإنسان بعدا بيولوجيا وتأثيره الواقعي "الجيوسياسي". وقد ترسخت في الثقافة السياسية الأمريكية في استغلالها للجغرافيا، حيث إن الدولة هي كائن تمثيلي للجماعات البشرية مدفوعة بالطبيعة نحو الاستمرارية والتطور.⁽¹⁾

على هذا الأساس، ترجع ثقافة القوة الأمريكية في سياساتها الخارجية إلى التأثير الكبير للأفكار الداروينية حول «البقاء للأصلح». فيما امتزجت البراغماتية والواقعية ببعضها البعض مكونة من أفكار نيتشه وهيجل وكتابات الجيوبولتيكيين أمثال ألفريد ثايرماهان (1840م - 1914م) *Alfred Thayer Mahan*، فون كلاوزفيتز (1780-1831) *von Clausewitz*، في ربط الحرب بتقدم الحضارة الإنسانية على النهج الدارويني تكون للسياسة الخارجية الأمريكية دوافع المنافسة ممكنة بين الأمم في تحقيق المصلحة الوطنية وحماية مواطنيها في لجوئها إلى الحرب كوسيلة أساسية لبناء وتطوير المؤسسات الاقتصادية، لهذا السبب في أن تأثير الأفكار الداروينية على الولايات المتحدة أدى في الواقع إلى انفتاح على الموارد والأسواق، بحيث أثر ذلك على السياسة الأمريكية ووظيفتها كدولة عالمية.⁽²⁾

(1) أنور محمد فرح، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية، العراق - السليمانية، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية للنشر، ط1، 2007، ص211.
(2) جيمس دورتي، روبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، تر: وليد عبد الحي، بيروت - لبنان، مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 1985، ص160.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

كما أن هذا الجانب لا ينفي أن العلاقة بين السياسة والعقل البشري تقوم على التطور والتقدم، بالنظر إلى بنية التحليل الخطابى السياسى، وفقاً لتشومسكى، هى التى تحرك إملاءات وإمكانات وقدرات البشر فى تفاوت نحو التقدم وتحقيق السعادة الرفاهية، فإنها البنية كامنة فى الإنسان.

لذلك، فهى تتحكم فى إرادة الفعل والسلوك، وبذلك ينمى العقل البشرى الوعى بمصالحه السياسية والاجتماعية داخل الدولة والمجتمع. كونها تفسر الوعى البشرى بفعل البعد المادى الذى يهيمن على الممارسة البراغماتية للسياسة الخارجية، لهذا تعتبر الداروينية جزء، من افتراض تشومسكى، أسلوباً فى فهم الناس للطبيعة البشرية، وهو أساس بديل تشومسكى السياسى تجاه مجتمع جيد وتقويض سلطة الدولة.

هل كشف ملامح التطور المادى لسياسات الدولة (الأمريكية) يمثل، بالنسبة لتشومسكى، صلة بالبديل الأخلاقى والسياسى الذى يأمل فى تحقيقه؟

المبحث الثاني: نظرية الدولة عند تشومسكي

لا يخلو الحديث في السياسة دون الدولة كونها الهيكل الأعظم الذي تتفاعل فيه معظم العلاقات الإنسانية والاجتماعية وهي المعنى الجوهرى للسياسة فيما تمثل السلطة التنظيمية للجنس البشري وفق أنماط وأفكار قانونية وفلسفية وأخلاقية ضمن المجتمع فلا يمكن تصور شكل للدولة دون تفكير إنساني، يقتضي ضرورة العمل والممارسة والتتظير من المثقفين والخبراء والفلاسفة في آليات وأدوات الرقابة والتنظيم والحماية في السلوك البشري، غالبًا ما تأخذ دورًا كبيرًا في مؤسساتها في شكل علاقات دولية وإقليمية. بينما يُمارس وفق ضوابط متناسقة للقيم الإنسانية والكونية الرئيسية مثل العدالة والحرية والديمقراطية والمساواة. ما يستلزم ضرورة نشر مثل هذه القيم الإنسانية ذات الطبيعة الخيرية وتجاوز الفساد الأخلاقي والإنساني والقانوني، بالنظر إلى عبء تبرير الشرعية في الممارسة السياسية البراغمية الأمريكية، من هذه الرؤية نقوم بتحليل أدبيات الدولة، فماهي ووظائفها؟ وممارساتها الاستقلالية للقوة؟ وماهي أشكالها؟، وتحديد موقف تشومسكي من سياسة الدولة الأمريكية باعتبارها انتهاكًا للقانون الدولي الإنساني بمقارنتها من ماركس ؟.

1- مفهوم الدولة:

يستخدم مفهوم الدولة على نطاق واسع في مجال السياسة، في حين يتم استخدامه بحذر في مجال علم الاجتماع، بينما يقترح بعض المثقفين إزالته من الوجود، معتبرين أنه مصطلح غير واضح أو ببساطة يصعب ملاحظته على الواقع، لأنه عقبة لا يمكن التغلب عليها بالكامل في مجال التحليل الفلسفي. ⁽¹⁾

بينما جاء مفهوم الدولة في الأدبيات السياسية بلننتشلي (*Bluntshli*) على أنها « مجموعة مستقلة من الأفراد الذين يعيشون باستمرار في أرض معينة، بما في ذلك هناك طبقة حاكمة من السلطة، وأخرى محكومة». ⁽²⁾

⁽¹⁾ فيليب برو، علم الاجتماع السياسي، تر: محمد عرب صاصيلا بيروت - لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص، 75.

⁽²⁾ براق زكريا، الدولة والشرعية في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت - لبنان دار النشر : مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2013، ص 73.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

بحيث تمثل رؤية بلنتشلي للدولة نقطة اتفاق مع تعريف ديفيد هيوم للدولة على أنها « السلطة التي تحكم بين الحكام والمحكومين، باعتبارها ركيزة السياسة وحكومة الرأي العام ».⁽¹⁾

وعليه يعرف هوبز الدولة بأنها « القوة الدافعة للبشر »، وهي مفهوم للمجتمع المدني يقوم على عقد اجتماعي مع الدولة ككيان متفوق في حد ذاته على الأفراد، ويمنحهم الاعتدال والانتماء إليها.⁽²⁾

وفقا لهيجل، فإن الدولة هي الكائن أو الوجود الذي خلقته الروح المطلقة لنفسها. بمعنى أنه يشمل الأفراد على الأرض الذين يعيشون من أجلها، وليس أنها تعيش من أجلهم فالدولة تمثل المثل الأعلى في تجسيد الخير والتمتية بحيث يعبر بشكل كامل عن الشيء الأسمى الذي يمثل العقل وما هو. عقل يمثل الواقع والحقيقة.⁽³⁾

لهذا السبب، ترتبط الدولة ارتباطاً وثيقاً بالبشر كسلطة حيوية وفعالة وذات سيادة تُعرف بالشرعية، منذ تطور مرحلة الفكر الفلسفي البشري، تغلغل مفهوم الدولة في التاريخ، والسلوك، والمادة، والعقل، حتى أن أفلاطون يعرفها على أنها العنصر الذي يقوم بممارسات وأفعال أكثر مما تستطيع إقناع الأفراد به، و تفرض السلطة دائماً قدرتها على الإكراه، على الرغم من أن الإكراه غالباً ما يكون غير ضروري.⁽⁴⁾

على النقيض من هذه النظرة الأفلاطونية للدولة كونها وجهة نظر قديمة ومع ذلك، لم تكن هناك تغييرات في المعنى الأساسي للدولة، من أرسطو "Aristotle" إلى القرن العشرين، والدولة ككيان يجب أن يعيش فيه الأفراد ويخضعون لها لأنها تمنح الإنسان خاصية المكان والوجود، وهما من بين مقولات المنطق البشري، للعمل والممارسة. هذا هو السبب في أن روبرت ماكيفر "Robert McIver" يعرفها على أنها الكائن الحي الكامل الذي

(1) جاك دوه نيدويه دي فابر، الدولة، تر: أحمد حسيب عباس، مصر - القاهرة، دار النشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، 1958، ص 5.

(2) عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز، رؤية المعرفة ودعوة للاجتهاد، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي للنشر، ط1، 1995، ص 211.

(3) براق زكريا، الدولة والشرعية في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت - لبنان دار النشر : مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1،

2013، ص 73 74 .

(4) جاك دواه نيدويه دي فابر، المرجع نفسه، و الصفحة نفسها.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

يمثله المجتمع البشري، لكنها تتحكم في سلوكهم بجاذبيتها الغامضة، لأنها ظاهرة الإله على العالم وهي التي تحقق الحرية المطلقة وممارستها. ليس للإنسان مكان أو وظائف ما لم يذوب فيها.⁽¹⁾

مما لا شك فيه أن الدولة هي أحد أسس العقل ومبادئه التي تنظم تصور الوجود، لذلك عرّف الفلاسفة والمفكرون الأوائل الدولة على أنها الأساس الذي يحمي البشر من بعضهم البعض من العودة إلى حالة الطبيعة والهمجية، ولهذا يحددها ماكس ووبر "Max Weber" الدولة على أنها « منظمة ومشروع سياسي ذو طبيعة مؤسسية يتطلب، بنجاح، قيادتها الإدارية في تطبيقها للأنظمة لاحتكار الإكراه المادي المشروع. ».⁽²⁾

الذي يغلب على مفهوم الدولة هو أنها الفكرة المجردة التي تنظم غالبية الناس بطريقة معينة، فهي أشبه بالرعاية والإشراف الشمولي على الأرض وما تملكه وما تحمله من الأفراد. لهذا السبب تم ذكر جزء من هذه الرؤية للدولة في أفكار الفرنسي كاريه دو ملبيير "Carret de mailbag" بأنها « مجموعة من الأفراد. مستقرة على إقليم معين ولها من التنظيم ما يجعل للجماعة في مواجهة الأفراد وسلطة عليا أمر وقاهرة ».⁽³⁾

وبهذه الطريقة تختلف مفاهيم الدولة، لكنها مشتركة ومتفق عليها في معنى واحد، يُفهم من خلاله أن جوهر الدولة كلي في المجتمع ولديها كل الوسائل والآليات للتنظيم والسيطرة، التشريع والتبادل الحر بين الناس، لكن ما يكمن داخل الدولة لا يظهر للأفراد في الواقع .

لهذا يغطي مفهوم الدولة الذي يروج له حقائق مختلفة إلى أقصى حد ويسعى بشكل تعسفي إلى التقريب بينها، حتى لتحقيق الانسجام فيما بينها. ما هو شائع حقا في الولايات المتحدة من حيث أداء الجهاز الإداري والعسكري والبوليسي. تشير الدولة، من حيث استخدام التعبير، إلى أنها تعتبر كائناً اجتماعياً يختلف عن الاختلاف في المجتمع المدني. يتم تشغيلها من قبل مجموعة من الأفراد والرؤساء بطريقة قانونية ومنظمة في

(1) روبرت ماكيفر، تكوين الدولة، تر: حسين صعب لبنان - بيروت، دار العلم للملايين للنشر، ط1، 1996. ص 483

(2) فيليب برو، علم الاجتماع السياسي ، المرجع السابق، ص 77.

(3) براق زكريا، الدولة والشرعية ، المرجع السابق، ص 73.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

علاقات على شكل دساتير وقوانين ومعاهدات وما إلى ذلك، وهي تمثل قوة شاملة تتضمن التماسك وإرادة واحدة، لأنها مجموعة من المنظمات والعقود التي تمنع الصراع بين المجتمع المدني ضد الدولة⁽¹⁾

أولاً : وظيفة الدولة (تشومسكي)

نشأت فكرة الدولة في الفلسفات الكلاسيكية قبل تشومسكي وتكهناته حول مزايا هذا المصطلح السياسي، والذي وضع أفلاطون اختزالاته على أساس تحقيق العقل البشري للعدالة الاجتماعية، وهذا يكرس لممارسة السلطة في الهيكل العام للدولة الذي ينظم النسيج الاجتماعي وفق أهداف وغايات رفاهية الإنسان، كالحرية، والمساواة، والأمن، بحيث توسع من طابعها الخاص إلى المنظمات العامة والحكومية يستمد الفرد منها قدراته التكاملية وحرية إبداعاته، ومشاركته فيها في شكل سلوكيات تجارية واقتصادية وسياسية واجتماعية.⁽²⁾

وبشأن الدولة المعاصرة فهي لم توجد للبناء المؤسسات فقط وإنما وجدت لأشكال أخرى لهذه الهيئة ((الدولة)) كالتقويض والاستثمار للرأس المال ودعم المؤسسات على البيروقراطية والتسليط الجيش على المجتمع المدني وتوزيع الهرمية على المنطقة أو إقليم معين يتوفر فيه الشعب وإرادة تنظيم نفسه على صعيد الدستور والتسلسل التشريعي والتنفيذي والقضائي؛ ونتيجة لهذا الإلماح عن مفهوم الدولة فإن تشومسكي لم يضع أي تحديث أو تعديل أو تعريف جديد للدولة، هذا في الواقع يتحول إلى نزعتة الأناركية، وهذا الفشل في إضافة مصطلح الدولة ربما يكون إدراكه أنه يقلل من أهداف التحرر، وهو ما يتفق مع آراء باكونين وبقية الأناركيين، وهذا التمييز يحافظ على إبعاده عن إعطاء خصومه فرصة للنقد والجدال.⁽³⁾

ومما هو مثير للدهشة بأن أليسون إدجلي عاب تشومسكي على أنه من النادر أن تجد فيلسوفاً لغوياً تحليلياً يغفل في ديباجة نظرياته السياسية عن الدولة الأمريكية على تصويره لمعنى معاصر للدولة كما فعل " فريدريش

(1) فيليب برو، علم الاجتماع السياسي، المرجع السابق ، ص 75.

(2) هارولد ج. لا سكي، الدولة نظرياً وعملياً، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 2012، ص 11 12.

(3) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky, ibid, p79.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

هيجل (1770 -1831) *Georg Wilhelm Friedrich Hegel* في مقولة مشهورة على هذا السياق: « الدولة هي الفكرة المقدسة التي تعيش على الأرض. »⁽¹⁾

وفي مقابل من هذا الحكم لا تعتبر مفهومية الدولة محورية لصياغة التصور الاشتراكية العالمية بقدر ذي أهمية لأن منطق تفكير علمي لممارستي على نقيض النظري الذي رأى مدى فعاليته في التشويش وخلق الادعاءات مع الماركسية الزائفة ومن مؤكد أنه كلما كان المرء أكثر عقلانية لن يستنزف طاقاته الإبداعية والفكرية في مفاهيم ولما سبقه من فلاسفة ومفكري ظل الحديث عن مفهوم الدولة صفة استثنائية وهذا يؤكد أنه يرفض فكرة الدولة كونه لا سلطوياً فيما تقتصر رؤيته لهذا المبدأ السياسي على مثالية محضة لأن الممارسة أخذت طابعا سقراطياً وديكارتيّاً عند تحليله لفكرة الطبيعة البشرية والحس السليم والعدالة الإنسانية ووظائف أخرى تمارسها الدولة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.⁽²⁾

من الملاحظ أن لدى تشومسكي تبريراً فوضوياً للدولة، حيث يحلل الدولة والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية من وجهة نظر معادية ويعارض أفعال وأفكار الرأسماليين البراغماتيين. الذين يديرون بنية النظام العالمي الجديد وينطبق هذا بطبيعة الحال على المحافظين الجدد وتيار الواقعية الكلاسيكية والجديدة كون أن وجود الدولة وسياستها في تنظيم الأفراد لأساس له من الاعتقاد، لأن الممارسة هي في الواقع مظهر سياسي يعكس حقيقة أن الدولة الأمريكية ضد الأفراد، والغرض الواضح بالنسبة له هو أنها سياسة براغماتية لتحقيق المصالح الرأسمالية.

فإن تشومسكي ينظر من ناحية الأناركيين على أن الخطأ في الدولة هو القيود الهرمية ومصالحها الأنانية في احتقار لسياسة أقلية حاكمة كما وصفها "باكونين" *Bakunin* ، لهذا يتبنى تشومسكي رؤية مماثلة لماكس شتيرنر بقول: « نحن الاثنان أعداء الدولة"، وكل دولة هي طغيان "سواء كان طغياناً فردياً أو جماعياً وكل دولة هي حتماً توتاليتارية تعمل على إذلال الفرد وإخضاعه للقمع والرقابة لتحقيق مصالحها".⁽³⁾ وهذا بطبيعة

(1) هارولد ج. لاسكي، المرجع السابق ، ص 11 12.

(2) Alison Edgeley, ibid. p79.

(3) دانييل غورين، اللاسلطوية، من النظرية إلى التطبيق، تر: مزاحم الطائي بنغازي - ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع و الاعلان، ط1، 1992، ص 42 .

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

الحال لدى. تشومسكي ينطبق على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، ومن الملاحظ أن تشومسكي لم يعمم هذا الفكر الذي يرفض الدولة على بقية الدول الأخرى.

وعلى هذا الأساس يؤكد تشومسكي بأن الدولة بطبيعتها القمعية لا يمكن أن تعزز الحرية الإنسانية وللديمقراطية العالمية فهمه لها كوظيفة تعكس، إلى حد ما، تهميش مصالح الأغلبية، في العالم ولضمان الأدوات التي يستخدمها الأغنياء وتحميهم بشكل كبير في ترويضها واقعيًا للمنظمات التي تسعى إلى موازنة أسعار السلع لاستفادة الجميع من التنمية الاجتماعية ولهذا يرى أن الدولة وظيفتها في السياسة لا تختلف عن أنها أحد المبادئ الجوهرية "للتاريخ الاقتصادي" الحديث فيما تمثل الولايات المتحدة انتهاك للقوانين لمنع الاشتراكية العالمية بقمع "منظمة الأونكتاد" (UNCTAD) التي وظيفتها في الدولة تحقيق العدالة وتنظيم السياسات الإنسانية.⁽¹⁾

لهذا يجد المرء نفسه مجبراً على التغلغل في آرائه اليسارية مفيداً إياه بمفهوم الحقيقي عن ((الدولة)) وحيادي عن المفاهيم السياسية التقليدية والمتداولة من طرف اليمين السياسي الأمريكي؛ ولهذا يشير أليسون إدجلي إلى الجدل هذه العقلانية التي يتميز بها تشومسكي في إيضاحاته للفكرة دون إضافة التعاريف القبلية، وهي غاية يتم منها وضع مفهوم الدولة تحت العقل لإظهار أدق التفاصيل عن نوعها المثالي، ما أسماه توني سكيلن (1972) *Tony Skillen*، بفكرة الحد من أن تكون فلسفته السياسية فلسفة إمبريقية وإنما تكون ممارسات لها نزعة للتعامل مع المبادئ الخالدة والقيم الفلسفية المجردة.⁽²⁾

فضلا عن ذلك، يبرر تشومسكي على أن الحالة مفردة (الولايات المتحدة الأمريكية) في وظيفة الدولة والاختلافات حول السياسة كممارسة، فإن المفهوم الدولة لا إشكال فيه بقدر ما يظهر المشكلة في الصراع التمثيلي للقيم والحقوق الإنسانية والديمقراطية والحرية والعدالة هي من بين قيم دعاة "مثالية ويلسون"، التي تؤكد على أخلاق الدولة إذا تم تأسيس وظيفتها في هذا الاتجاه الذي يعكس وظيفتها التقليدية المتمثلة في الإخلاص

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، الدولة المارقة، تر: أسامة إسبر السعودية، مكتبة العبيكان للنشر، ط1، 2004. ص 172.

⁽²⁾ Alison Edgeley, ibid. p79 .

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

البشري لبقاء الغرب من الانهيار، لذلك، يرد البراغماتيون الواقعيون على أن وظيفة الدولة تقتصر إلى الوسائل القوية لتحسين مبادئ التحكم وتسخير الطبيعة والنسبية للتقدم في النظام الكوني.⁽¹⁾

وعليه يتبين للمرء بأن طريقة تشومسكي في الممارسة لا تقتصر على الطابع الأخلاقي السياسي للدولة أو التقنيات العقلانية التي يمارسونها الأفراد في غالبية مؤسسات الدولة ويتم بذلك توجيه النظام والسلطة بما يناسب حيزا، لحكومة الدولة؛ ولكن التحليل لديه يساهم فيما ينعكس في داخل وخارج الدولة (الأمريكية) من أشكال الاستغلال الاجتماعي، القمع والإرهاب، والرقابة الأفراد والتحكم الرأسمالي الاقتصادي؛ ومثل هذه الآليات استقرت في الجانب الواقعي والفعلي للدولة بقدر ما لها طابعها البراغماتي الذي تهيمن به على الواقع الإنساني، وهذا لا يمت بصلة للقيم "الحكومة الرشيدة" ومعانيها التنظيمية في الدولة؛ مثل "الأداء" و "التوجيه" و "القصدية" و "التأثير"، ولكن لا يمنع ذلك في أن يجزم المرء على أن تشومسكي غير معترف بأن الدولة مصدر مركزي في ممارسة الحكم والسلطة؛ كما لا ينفي الحقيقة الدولة وممارستها الاستبدادية المثبتة للنفوذ والسيطرة على أرض الواقع. فأى من هذين المنعطفين؟ يأخذ بعقل تشومسكي كأولوية في الممارسة السياسية على مواطنين؟؟⁽²⁾

من الواضح أن تشومسكي كان مهتما في البداية بتشخيص بعض السمات المثالية والإيجابية البارزة في مركزية الدولة، مشيرا إلى أن وظيفتها أخذت تقليد وخبرة الأمريكيين الأوائل، العباقرة الأقرب لقيم التنوير مثل جون آدامز (1735-1826)، John Adams، وبنجامين فرانكلين (1706-1790) Benjamin Franklin، في نشر المبادئ والمثل العليا التي جعلت الولايات المتحدة تؤدي دورها كدولة عظمى وبطريقة أكثر أخلاقية وإنسانية، يصفها تشومسكي بأنها طريقة للتأمل الموضوعي والوظيفي في معاناة الشعب الأمريكي وخصوصية الدولة، وهذه نقطة التحول التي قوضها المؤسسون الواقعيون إلى تأسيس للسياسة الرأسمالية.⁽³⁾ ولهذا يقول بأن « الدولة في بعض جوانب الحياة الإنسانية، ... نوع من أنواع القيد الأوتوقراطي. »⁽⁴⁾

(1) نعوم تشومسكي، الدولة المارقة، المصدر السابق. ص 276 277.

(2) Alison Edgeley, ibid. p79 80.

(3) تشومسكي نعوم، إعاقة الديمقراطية، الولايات المتحدة والديمقراطية، د.ت بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1998، ص 29.

(4) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، ترجمة: أمير زكي، مصر - القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2015 م. ص 57 .

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

ما يعنيه تشومسكي هو أن السياسة الأمريكية أكثر استبدادية في الممارسة من الدولة من أجل الحفاظ على التقاليد المحافظة للعنف وأشكال الاستبداد، ووضع الأفراد تحت سلطة الدولة ومسؤوليتها لما يخدم السياسة من حيث تحريك الصراع والمنافسة الرأسمالية لأن استبداد الدولة الأمريكية لا يعتمد على سياسة المشاركة الشعبية في الديمقراطية، وصناعة القرار والرأي العام أو تنظيم الأفراد وفقاً لنظم أخلاقية والحرية والعدالة فيما تكون القوانين معمولاً بها لتغطية جرائم الواقعيين ضد المجتمع الأمريكي وهذا يظهر في الدولة كسياسة رأسمالية.

لهذا يفضل تشومسكي الانتقال في المنعطف الرأسمالي للدولة وتعرية عن أشكالها الطبقية داخل المجتمع البشري لتبرير عبء الدولة الأمريكية، فأولوية الممارسة بدأت معه من نقد الدولة الاشتراكية التي لم تقف إلى الحرية الإنسانية التي تحدث عنها كل من الفوضويين والماركسيين الاشتراكيين، والتي تعددت في الأطياف السياسية لكل منها شكله الخاص في تغير المجتمع وتفسير سلطة الدولة؛ ووضح أن الماركسية افترقت ملامح "الإنسان الحر" الذي وصفه ماركس بعيداً عن هذا المنعطف الذي يمكن وصفه بالرجوع إلى مرحلة القصور العقلي وصراع السياسي الطبقي. لهذا ينتهج تشومسكي تحليلاً موازياً لكل طبقات الموجودة داخل المجتمع الأمريكي بتوصيف يختص بكل طبقة وحدودها الاقتصادية والسياسية. ومنه يشير أليسون إدجلي بأن توظيفه لعبارة "الطبقة في السياسة" نادراً ما تغلب على تفكيره التحليلي.⁽¹⁾

وعلى هذا الأساس، « فإن الطبقة القائمة على السلطة والاستيلاء على السلطة نفسها، هي بالضبط قمع لسلطة الطبقة بشكل عام »⁽²⁾، وهذا هو تصور ميشال فوكو (1926 - 1984) Michel Foucault، لأن الطبقة لا يعترف بها تشومسكي لأنها تبرر السياسة والسيطرة على الحريات في شروط العدالة، لكن الواقعيين يمارسونها لتحقيق العدالة، وهذا يمثل مفارقة من وجهة نظر تشومسكي لأن الأفراد لديهم تصور. من الفطري أن تكون الأشكال الطبقية والعنيفة في السياسة عادلة وخيرة في حد ذاتها.

(1) Alison Edgeley. Ibid. p.80

(2) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق. ص 74 .

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

ما يعني أن تركيز تشومسكي يميل إلى تقويض السياسة الهرمية السلطوية للدولة "المسيئة" للناس الضعفاء في العالم دون انحياز إلى السكان الأمريكيين فقط . فمسحه السياسي يشمل معاملة السكان الأجانب الذين خارج سلطة الدولة، فتأثير السلطة "وأيدولوجياتها" جزءاً المجتمعات الغربية الرأسمالية إلى الأقليات سياسية ذات امتيازات تسمى النخب وتحل مكانة عليا في الدولة وهي على عكس الأغلبية التي يصفها تشومسكي بـ "الجموع الأوغاد" ما يعني، الميل الإمبريالية الأمريكية إلى النظام الجديد الذي يحتذى به الأفراد من النخبة منذ (501) عام على الاستهانة بالناس العاديين وأولئك الذين تم إخضاعهم في النظام القديم إلى متفرجين مهتمين بسياسة الدولة لا من المشاركين في صنع القرار.⁽¹⁾

ومن ناحية أخرى يستطيع أعضاء الطبقة القيادية التأثير والتوجيه بفعل الرقابة للرعاع والغوءاء والجهلة من عامة السكان المحليين الذين يأملون في الحرية بلا منازع، نظرا لدوائر التي يعطونها دعما، فهي من النخب الفضوليين القاصرين عقليا يصفهم تشومسكي "بالنواظم السادة" أو "الدخلاء" التي تضعهم النخبة الحاكمة في سياسة مؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية بكيفيات ترعى الطبقة الرأسمالية المركزية في الدولة الأمريكية، وهذا العطب وفقا لتشومسكي لا ينحصر فقط في الدولة الأمريكية بل يوجد في كل من الدول التي تتبنى الأنظمة الهرمية.⁽²⁾

وعلى هذا الأساس، فإن الدولة كما هي عند تشومسكي لا تعمل لصالح "الملكية العامة" ولكنها تعمل بهم في شكل مغاير للمبادئ الحرية والقيم الإنسانية وهذا يظهر إذ ما كان للمجتمع من الأفراد يفقد وخصوصياته ومهارته في الطبيعة البشرية ومغتربا تماما عن الوعي والإرادة اللذين يربطهما تشومسكي ارتباطا جوهريا "بالمصلحة الوطنية" والتي يعدها في أي حال من الأحوال أداة من "السياسة" لتمويه الأفراد وتفكيكهم من النخب الحاكمة بالطريقة من التلاعب "والتحكم الذكي" بالعقل العام الذي غالبا ما يتم تزيف له الواقع بسيطرة الدولة على وسائل الإنتاج والعلاقات الاجتماعية في مراكز العمل فهذا يكبح جماح الأفراد من التمرد على السلطة المركزية للدولة أو بطريقة أخرى يلبي "التعديون" ضروريات الاجتماعية للأفراد "بالثقافة الرأسمالية" مع الترويج

(1) نعوم تشومسكي، سنة 501 الغزو مستمر، تر: مي النبهان، سوريا، دار المدى للثقافة والنشر، ط 1، 1996م، ص 32 33.

(2) نعوم تشومسكي، المصدر نفسه، ص 33.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

لفكرة السوق الحرة المنافسة على كسب المصالح وهذا يبقى على العامة ملازمة للنظام الرأسمالي للدولة نتيجة لإحكام ذواتهم على إشباع الرغبة والاستهلاك السلع. (1)

على هذا الأساس، يؤكد تشومسكي أن هذا هو المنطق الذي تبناه "الواقعيين" الأمريكيون "وايدولوجيو" رأسمالية الدولة يمكن للمتقف أن يلاحظ وظيفة الدولة ببراعة في تشويه السياسة العامة والقيم المثالية والاشتراكية، بحجة أنها معادية للمصالح "السياسية الأمريكية"، فيما يستطيع الأفراد النخبة الحاكمة الاستفادة أيضاً من مصلحة السلطة الحالية والتلاعب بالأكاذيب الشائنة لتخويف المجتمع بفعل الإدانة الشعائرية للاشتراكية باعتبارها عنفاً غربياً يهدد المجتمع الأمريكي. بينما تتركز وظيفة الدولة على "المصلحة السياسية" في الواقع، وعلى مواطنيها عن طريق مجموعة من الخطوات الدعائية ضد القيم المثالية والإنسانية، وهذا يضمن احتفاظ الواقعيين الأمريكيين بموقفهم السلطوي كنخبة حاكمة تقود الدولة لتحقيق الإمبراطورية ومصالحها الخاصة. (2)

على هذا الصعيد، تعزز الدولة "حماية الأثرياء" والأقوياء الذين يعتبرون أنفسهم من بين الفئات التي تراعي مصلحة الدولة والمحافظة على "المقاليد السياسية" دون إعاقة "المصلحة الوطنية" إلا أن تشومسكي يرى، بأن هذه الطبقة الحاكمة الأمريكية مهمة للغاية في خلق الصراعات والأكاذيب على المستويين المحلي والأجنبي، حيث تمتلك آليات خفية تعمل بسرية تامة على مستوى الجيش بتدخلاته العسكرية وفي المحاكم الدولية بفعل تلفيقها، القوانين وحقوق الإنسان وكذلك الإعلام في تأثير على المواقف والمصطلحات "السياسية" والمعلومات المعرفية إلى عقول الناس بطريقة مختلفة. حقيقة تأثيرها تجعلها مستدامة بالنسبة للسلطة، وتهتم الدولة بمصالحها وتحميها على أنقاض الناس، بينما الواقعيين لديهم اقتران يمكن الدولة من تبرير "السياسة" وعملية السيطرة والتحكم بشكل طبيعي. (3)

(1) Alison Edgeley، ibid، p 80.

(2) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية، مقالات في الفلسفة والفوضوية والطبيعة البشرية، تر: عدي الزعبي ومؤيد نشار، سوريا - دمشق، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، ط1، 2017م، ص.108.

(3) Alison Edgeley، ibid، p 80.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

في الواقع، هذا ما كان يشير إليه تشومسكي هو ممارسة الأسلوب الديمقراطي للدولة الذي يربط استقلالية السيطرة والملكية للرأسماليين المتحالفين "سياسياً" ضد المجتمع المدني والتشبث بالبنية الاقتصادية التي تتحكم في الجنس البشري بطريقة تتناسب مع الحركة التقدمية للتاريخ، وهذا يتفق إلى حد ما مع فرضية هيغل (1770-1831) *Friedrich Hegel* حول وجودية الدولة بأنها من مستحيل أن تظهر إلى الوجود دون أن يكون بين الأفراد المجتمع "استلاباً" لحياتهم أو استغلالاً لإمكاناتهم أو التفاوت بين الطبقات الاجتماعية لأن التعاقب التاريخي مبني على التباين الطبقي وهذه ميزة تبين فعالية "الدولة المحضة"، والحكومة الحقبة للناس تؤدي الدولة وظيفة إخضاع وترويض القيم والفوائد لأغراض السياسة، بما في ذلك الاحتياجات البيولوجية والضرورات المادية والاقتصادية.⁽¹⁾

وعلى هذا النحو، يؤكد تشومسكي بأن ما هو غالب على وظيفة الدولة هو نابع من « "السياسة"، وهي أساس مهمة سلبية أي أنها تتشكل من مقاومة الدولة لأعدائها الداخليين والخارجيين ولكن لا تعبر عن مهمة إيجابية، فواجب أن تنمي كلا من حيوات المواطنين وقوة الدولة »⁽²⁾، مما يعني أنه لا يمكن عزل السياسة عن ممارسة ووظيفة الدولة، لأنه لا يوجد سلوكاً من قبل الدولة ولم يكن يعبر عن ضرورة السياسة حتماً، في تعزيز المنفعة المادية.

ثم يأتي المدى السياسي الذي يؤدي إلى تراجع "مستوى الطبقات" غير المهمة إلى أن يمتلك فاحشو الثراء الثروة "الفاحشة" التي تهيمن على عامة الناس، مما يؤدي إلى تفاقم الفقر في المجتمع بشكل متطرف. ثم يتطور هذا "التهميش" حتى يجد الأفراد أنه من الضروري إرضاء أنفسهم بالقيم بطريقة عادية كان لها دور من إشباعها في الماضي؛ بحيث يستدعي مثل هذا التأزم الإنساني تدخل الدولة كونها الخير الأسمى - من جوهر طبيعتها - لأنها لا تستطيع أن تتجاوز هذه الفوارق "والعوائق" الموجودة بين الطبقات المجتمع؛ فبدلاً أن يكون من المحتمل

(1) هارولد ج. لا سكي، المرجع السابق ، ص 338.

(2) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 239 .

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

تحقيقها "للعدالة الاجتماعية" يكون دفاعها عن الجانب الحماية الذي يعمل على حضورها ووجودها ورجعية تدخلها بصفة مستمرة في وظيفة حماية الأغنياء ودعمهم ضد الفقراء.⁽¹⁾

ثانياً : استقلالية الدولة

يتضح مما سبق أن الغرض من تحليل تشومسكي للوظيفة الدولة هو التركيز على الآليات التي تستمد منها شرعيتها في استنادها للطبقة الغنية على الرغم من أن التكفل بالمسؤولية تقع على جميع الأفراد دون استثناء وحمايتهم من قبل الدولة يكون وجوبه طبيعياً، ففي أكثر الحالات التعاسة للسكان عندما يفقدون استقلالية ذاتهم على تنبؤ للواقع الخطأ وشديد الارتباك، الواقع الذي يضع آمالهم في اللجوء إلى القيم الإنسانية والاشتراكية التحررية التي تغدو بعيدة المنال.

وعلى هذا الأساس، فإن استقلالية الدولة هي معيار أساسي في فلسفة تشومسكي، وهي معرفة وقياس التركيز المهيمن للسياسة الأمريكية، لذلك يصفها غرامشي « على أنها "تحديد موقع مجموعة سياسية واجتماعية في الدولة، ويتجلى ذلك في شكلين. داخل الدولة ليكون لها تأثير شامل على الأفراد، وتتأثر السياسة به على المجتمع المدني»⁽²⁾. بحيث ينظر المفكرون الغربيون مثل مكيايلي ورالف ميليباند (1924 - 1994) *Ralph Miliband*، بولانتزاس (1939-1979) *Poultzas*، ثيدا سكوكبول (1947) *Theda Skocpol*، وماركس (1818-1883) *Marx*، في تحديد فكرة استقلالية الدولة بأنها تصف نمط علاقة بين السياسة والشعب والمجتمع. لهذا السبب اهتم الأمريكيون بها في ممارستها للنظام السياسي منذ القرن "التاسع عشر" في حين أن استقلالية الدولة في السياسة الأمريكية تتضمن معايير تؤثر على سياسة الدولة في تشكيل نظام معياري متكامل للقيم العامة للمجتمع ومؤسساته فيما تعمل على تجسيد البيروقراطية تكون متجانسة بشكل عام وأن يكون استقلال الدولة سلطة سياسية في قيادة النخبة الحاكمة، بينما السياسة في الدولة تعتبر قائمة على تحقيق المصالح البراغماتية للطبقة المسيطرة.⁽³⁾

(1) هارولد ج. لا سكي، الدولة نظرياً وعملياً، المرجع سابق، ص 339.

(2) أنطونيو جرامشي، كراسات السجن، تر: عادل غنيم، القاهرة، مصر، دار المستقبل العربي للنشر، ط1، 1994، ص 279.

(3) سعد الدين إبراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي، بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، 1988، ص 64.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

بحكم هذه المعايير السياسية، يساهم رأس المال وآليات الإنتاج التي يسيطر عليها الأغنياء في ذلك. بحيث يلاحظ المرء بأن الحماية التي تمنحها الدولة غير علنية لذوي السادة والأثرياء من النخب السياسية، يمكن للمرء أن يحكم على أن الدولة لها حدود في المجال السياسي الرأسمالي حتى يتم وصفها بأنها "الملاك الحارس" للأقلية الملكية دون أن يحكم الأفراد على المجتمع بين المواقف التي تمارسها الدولة لهم من الاستقلالية وتلك التي لا تتمتع بالاستقلالية حالما تتحاز إلى الأوليغارشية المتطرفة وفقا لتشومسكي بأنه لم يسبق لأي دولة على مدى التاريخ أن تخلو قطاعاً من الأغنياء والأقوياء لأن تنظيم المجتمع مشروط بتقسيم الثروة وحل الأزمات ومشاكل الاجتماعية والاقتصادية.⁽¹⁾

لكن غرامشي (1891-1937) Antonio Gramsci، في تعريفه للممارسة الاستقلالية في سياسة الدولة ، التي تَخْلُو مِنْ الْأَنْحِيَاذِ إِلَى الْأُولِيْغَارْشِيَةِ الْمُتَطَرِّفَةِ، فيما يعتبرها شكلاً من أشكال حركة الدولة، في مجتمع سياسي قائم على ثقافة أو عرف معين لبناء مجتمع مثالي وموحد ومتماصك. يحدد استقلالية الدولة من الفئات الاجتماعية والمؤسسات التي تحترمها الدولة في طبقات بحيث لا يكون التعصب السياسي ممكناً. لأنه أداة لتقويض التطور الأخلاقي والإنساني للدولة.⁽²⁾

فضلا عن ذلك، تهيمن الشركات والمؤسسات على الجانب السياسي للمجتمع الأمريكي، بحيث تتم ممارسة هذا الشعور باستقلال الدولة لتحديد مواقف معينة للأقلية الحاكمة في السياسة. من الوظائف الحقيقية في المجتمع السياسي. بحيث تكون هناك ممارسة سياسية فاعلة في استغلال الطبقة العاملة لتطوير النخب السياسية البراغماتية من اكتسابها للسلطة والقوة وأدوات الإنتاج ورأس المال. السياسة الأمريكية لديها فاعلية في دعم الواقعيين للرقابة الاجتماعية الوحشية والديمقراطية باستقلالية، لهذا السبب يؤكد تشومسكي أن السياسة تعمل على تحرير تدفقات رأس المال كآلية قوية ضد العدالة بقوله إن استقلالية الدولة هي: « قرارات السياسة الأخيرة هي خيارات قام بها الأقوياء، وتستند إلى فائدة ذاتية متصورة»⁽³⁾ وبراغماتية .

(1) Alison Edgeley، ibid، p 80.

(2) أونطونيو غرامشي ، المرجع السابق ، ص 279.

(3) نعوم تشومسكي، الدولة المارقة ، المصدر السابق ، ص 380.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

حينما يتعلق الأمر "بالسياسة الأمريكية" فإن النخبة "السياسية" تعمل فقط مع أصحاب المصالح التجارية والعملاء الذين يؤثرون على الأغلبية باحتواء مؤسسات الإدارية والبنكية تفوق مردودية إنتاجها وامتيازاتها الدولة في مجال المنافسة الرأسمالية، والواقع أن القانون يحمي بصورة ضمنية الربح الفردي الذي ينقذ الدولة من الانهيار، والحقيقة أن المعرفة تظل مقيدة من طرف المادة التي في قبضة أولئك الذين يكتسبون ذلك الربح الفاحش، التي شكلتها شعوب المقايضة لاقتصادها "السياسي" مقابل حرية مصيرها وحقوقها الإنسانية، وهذا يقوي بانتظام تأثير الدولة على المستوى السياسي العالمي.⁽¹⁾

لأن ذلك، من وجهة نظر تشومسكي، هناك دول تأخذ في الاعتبار مصالح الشركات التي لديها القدرة على إدارة الدولة وتحسين بنيتها الاقتصادية والاجتماعية ويتم إغواؤها لتمكين من هم في مواقع السلطة السياسية من الانخراط في مشاريع إصلاحية، وهو العملية الأولية لأساس الإنتاج الصناعي والمالي، الذي يخلق لدى الشعوب فكرة بناء المجتمع المدني عبر الإرادة الحثيثة للعمل، كونها الأداة التي يتم ترويضها من قبل أصحاب المصالح التجارية الخاصة، وهذه مبادئ استقلالية الدولة المرتبطة بالتدخل الذي يكسب منه هؤلاء الرأسماليون بفعل حيل السياسة، نصف ثروة المجتمع ويوزعون الأجور على شكل قروض خاصة للدول المحتاجة للمساعدة، وما يؤكد تشومسكي في عام (501) يمس علاقة الدولة بالأفراد الذين يسيطرون على مركزية تكوين الطبقات من خلال اختراق أعلى مواقع صنع القرار.⁽²⁾

على هذا الأساس، يؤكد تشومسكي أن هذا من بداية "السياسة الجيفرسونية"، التي تنبأت بأن رأسمالية الدولة سوف تتطور من استبداد الطبقة الصناعية. لذلك، كان استقلالية الدولة نتيجة أدبيات الطبقة العاملة احتراماً للحكام الفعليين وملاك الأراضي الذين كانوا جزءاً من تطوير ثقافة استقلالية الشركات أيضاً. على الرغم من أن القرن التاسع عشر كان مليئاً بأعظم مؤيدي الليبرالية التقليدية مثل: فون هومبولت (1769-1859) *von Humboldt*، وجون ستيوارت ميل (1806-1873)، *John Stuart Mill*، آدم سميث (1723-1790) *Adam Smith*، توماس جيفرسون (1743-1826) *Thomas Jefferson*، ومع ذلك، كان النظام الاجتماعي في الولايات المتحدة يتدهور وكان اقتصادها شكلاً من أشكال النسخة التجارية للقرن العشرين، والتي مثلت

(1) Alison Edgeley, ibid , p 80.

(2) Ibid, p, 80.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

السياسة إكراهاً ضد طبيعة البشرية. لأن استقلال طبقة الملاك الحقيقيين يخضع الناس لبناء مصلحة الدولة ونفس الاستغلال الممنوح لهم من قبل شركات الدولة ضد الدول التي تلغي العقود لمصلحة الولايات المتحدة.⁽¹⁾

وهذا يعني أن الأيديولوجيات الرئيسية مثل الدولة السوفيتية "والسياسة" الأمريكية لها نفس التصميم الاستبدادي الذي يُمكنُ البرجوازية كطبقة تنفيذية للسياسة الخارجية؛ وأظهر نفس الممارسة عام (1973م) لأسباب تهدد استقلال الدولة. وهذا يقتضي أن يكشف للأعداء مدى اهتمامه الخاص بالشؤون الدولية، لأن تشومسكي يرى أن (تقنيات الإنتاج والهيمنة) هي الأجزاء التي تحرك النظام. وتشكل تلك الشركات جزءاً كبيراً منها، ومن حيث تأثيرها على المواطنين، يقوم مسؤولو "السياسة الخارجية" الأمريكية بصياغة استراتيجيات لإنفاق "الثروة الاجتماعية"، بينما يوفر المسؤولون التنفيذيون تلك الإيرادات والمداخل المأخوذة من تبادل المصالح الدولية الكبرى، وهذا يظهر ببساطة أن تعمل الدولة بشكل مستقل عن المنظمات التعاونية والنقابية التي تحاول تغيير الواقع الاجتماعي للأفراد.⁽²⁾

من الواضح أن تشومسكي يعود لأسباب تحديد استقلالية الدولة الأمريكية كونها أسباباً تساهم بشكل آخر على فهم الممارسة المستقلة للدولة تجاه دول العالم، ومع ترعرع الماركسية إبان حرب فيتنام، بدأت آثارها في التطور بين الواقعيين التكنوقراطيين، بما في ذلك ما أطلق عليه تشومسكي الالتزام الأساسي "بالحفاظ على نظام دولي"، وهي "سياسة" كانت تخشى أن تمكن الشيوعية العالم الثالث وجنوب شرق آسيا من ضمان السيادة من خلال تحرير الطبقة العاملة، وهذا لم يكن لدى تشومسكي أي شك فيه، يبدو أن العمل هو الأداة الوحيدة، وأن ارتباطهم بالقوة والمنفعة في "السياسة" الخارجية الأمريكية ظل ضرورة للنخب التي جعلت التاريخ يدعم فعالية مسارها "السياسي". فمن جهة ممارساتها الداخلية لم تكن تجاه العمال الشيوعيين الأمريكيين المعادين لحركتها الرأسمالية فقط.⁽³⁾

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص 85 - 86.

(2) Alison Edgeley, . ibid, p 80.

(3) Gilfrey, JM, the Cambridge Companion to Chomsky New York: Cambridge University Press Publishing, 2nd Edition, 2017, p. 263.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

ومع ذلك، يكشف تشومسكي عن نتائج ما بعد الحرب بأن سياسات الدولة تعمل بشكل مستقل عن الأغلبية بينما يزعم ذلك في تلميحاته المتكررة بأن النخب تبرر شرعيتها في شكل أنماط ومبادئ تديم الديمقراطية وأفكارها الاقتصادية التي تغري المواطنين بقيمها التحسينية للأوضاع الاجتماعية؛ فتم الكشف عن الأدلة من الناحية النظرية على هذه الفجوة في (الاعتذارات والوثائق والمصادر) المصممة من تلك الطبقة الموجودة في السياسة الداخلية للولايات المتحدة، المتآمرة لردع الجماهير المتحمسة للتحرك الثوري ويقدم هذا من الناحية الحقيقية والعملية صدى الإدانة التي يتم تبريرها بطرق الأكاديمية، بالنسبة لتشومسكي، التوافق بين الاثنين لن يحدد وجوده للمرء، بل يمكن فهمه من التفاصيل المحيطة به، في دفاتر الشركات الإعلامية التي تخفي وراءها أي تأثير يفقد استقلالية الحكومة.⁽¹⁾

غالبا ما يتلقى تركيز السياسة الأمريكية على عواقب وأضرار الديمقراطية القليل من التغيير وبالطريقة التي يفضلها مسؤولو الطبقة الحاكمة لأنها أيديولوجية محددة تريد إنشاء عدو دائم من احتمالات الحرب السياسية دون القوة والتي يكون فيها الخطاب السياسي أكثر دعما للغة الثورية، فهذا يحدد مدى فعالية التقاليد الشعبوية اليسارية والليبرالية في التغيير نحو الأفضل، لهذا يركز هيربرت ماركوزه (1898-1979) *Herbert Marcuse*، على الأداء الناتج عن ضغوط من الواقعيين بلغة القمع والتهديد والمواقف الاستبدادية على مستوى الجماهير والشعوب المضطهدة هو لغة العداء لهذه الإمبريالية، مع نوع من الاهتمام بلغة الشأن العام إذا كانت نفعية ومربحة لمجتمع الأعمال الأمريكي.⁽²⁾

ودورها كسياسة رأسمالية تتعامل مع قضايا الشعوب الأخرى وسكانها بلغة خطاب خال من العقلانية النقدية من أجل استقلالية الدولة و الحفاظ على الامتيازات التي ترعاها الدولة، تحاول هذه الأقلية تدريجياً استبعاد أصوات المعارضة من اليسار لأن اللغة التي تمارس في السياسة الأمريكية في شكل تأثير أكثر استبدادية، بينما يتعامل الرؤساء بلغة الأطباء مع السلطة، وخطبهم موجهة للناس بنبرة "اللدغة السليمة" (*Sound- byte*)

(1) Gilfrey, JM, *ibid*, p. 263.

(2) آلن هاو، النظرية النقدية "مدرسة فرانكفورت"، تر: ثائر ديب، مصر، دار العين للنشر والتوزيع، ط1، 2012 م، ص127.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

كمعيار للسياسة الأمريكية في جعل الناس يتسترون بمناقشاتهم وحواراتهم على أرباح النخبة ومؤسساتها، وهي فبركة بمعيار الخطاب الشعبي ولغة التجارة بشكل عام.⁽¹⁾

والواقع أنه جراء هذه العلاقات تهافت النبض التحرري للشعوب الذين يحملون بين طبقات مجتمعاتهم الروابط الاجتماعية والأفكار العامة عن الاشتراكية؛ ما يعني ذلك أن صانعي السياسة الداخلية وكبار الطبقة العليا وزعماء البنس، يمارسون جزءا بسيطا من الاشتراكية كوسيلة للإقناع الزائف، مثل: "الاحترار العالمي من صنع الإنسان" (الأنثروبوجيني) لمن هم من فئة الأفراد ذوي رأس المال الذين ينتمون إلى الطبقات الوسطى، وبالنسبة إلى تشومسكي يعني هذا التحديد بناء العلاقة المتجانسة بين الطبقة الحاكمة وهؤلاء الأفراد يصفها تشومسكي "خدعة ليبرالية".⁽²⁾ عادة ما يكون من الطبقات الوسطى لديهم امتيازات تعمل لحاجة مؤسساتية الشركات التجارية تحت استقلالية الدولة وتمثل جوهر "الرأسمالية المعاصرة" على تجسيدها من أجل اكتساب كفاءتهم في دعم العمل السياسي لأنها تمثل أكبر مساحة للقدرة الإنتاجية والاستهلاكية.

ومع ذلك تشارك الطبقة العاملة في تعزيز الرأسمالية الاقتصادية وتلقن الحشود الاجتماعية شيئا من الديمقراطية ورفاهية اقتصادية ليكن بذلك "الدعامة المحافظة" على استقلالية الدولة ونفوذ النخبة فهي صراع الذي يحدث معقولة التوازن التاريخي بين الأسياد والعبيد، فما مدى معقولة هذه المنشأة "المتجانسة" بين الدولة والنخبة المتأثرة بالمصالح التجارية وظروف العملية "السياسية" للشركات الاقتصادية في مبدأ استقلال الدولة؟، إزاء ما يجري في المجتمع الأمريكي دون سائر مجتمعات الدول الأخرى أنه من حيث التبعية للشركات هي بالذات تحقيق الممارسة المزدوجة للدولة، فيما يتعلق بالسياسة الداخلية يفسح مسؤولو النخبة الطريق للمنافسة بين أصحاب الشركات ورجال الأعمال والبيروقراطيين الذين يديرون البنية الاجتماعية لجعل الأفراد يساهمون بمزايا أكثر من الحاجة. فيما يكون أثرها الخارجي "للسياسة" هي تقوية مشاريعها الإنمائية على حساب الشعوب.⁽³⁾ ومع ذلك تشارك الطبقة العاملة في تعزيز الرأسمالية الاقتصادية وتلقين الحشود الاجتماعية.

(1) آلن هاو، المرجع السابق، ص 127.

(2) نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2014. ص 227.

(3) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky, ibid., p 81.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

من الواضح أن تشومسكي يعتقد أن السياسة الأمريكية في الواقع يسيطر عليها رجال الأعمال وذلك لا يظهر بشكل مباشر للعامة من الناس فالحقيقة تكون غامضة مبهمة وهذا الجانب يعني أنها طبقة لها قوة براغماتية في المجتمع الأمريكي، لكنها غير مدعومة "باستقلاليتها"، وهذا واضح من وثائقها الداخلية. ولهذا كان لديهم مصلحة في أن يكون المواطنون هم الركن الذي يقودهم إلى السلطة السياسية بحيث يتم ذلك في نظر تشومسكي بتطبيق نظام الصحة والإفراط من الديمقراطية لأن نخبة المثقفين الواقعيين منشغلون بغرس "ثقافة المستهلك" في "عقول الجماهير" التي تقود أزمة الديمقراطية والتي يؤكد تشومسكي على أنها مخاطر تعترض الصناعيين الرأسمالية.⁽¹⁾

فيما يكون تلقين الرأي العام بعبارات الرأسمالية تكون نفعية المثقفين الواقعيين أكثر. فالشعب مرغم بقوة على أن يكون جسر للحكام في تحقيق لهدفهم البراغماتية وسند يدعمهم وهذا نقطة ذكرها ديفيد هيوم (1711 - 1776) *David Hume*، (في كتابه المبادئ) في أن الدولة الأكثر استقلالية وأكثر حرية يصبح أرباب الأعمال والحكام في قمة الهرم تقف من وراء دعمهم قوة أكثر شعبية وإذا كانت سلطة الشعب غائبة عن قدرة الدولة على الاستقلال، فإن سلوك المثقفين الواقعيين يكتف الصيغ الدعائية ضد النضالات الشعبية مع التقنيات الحديثة التي تحد من حرية الإنسان.⁽²⁾

يجادل تشومسكي بأن هذا النمط الاقتصادي الرأسمالي يسيطر على القيادة السياسية، في نوع من الاستقلال يشمل الانحلال البيروقراطي للمؤسسات والإدارات. وهذا ظهر في عهد ريغان (1911 - 2004)، *Ronald Reagan* وبوش (1946) *George W. Bush* خلفاً أمراضاً خطيرة تؤدي إلى ركود المجتمع الأمريكي، بسبب تفاقمها. من ممارسة الدولة العنيفة للسياسة الخارجية لتكون قادرة على تأمين احتياجات النخبة من السيطرة الاحتكارية لشركاتها في السوق الدولية وتوفير الأرباح حتى أدى ذلك إلى انتفاضة من قبل الأمريكيين ضدها، ونتيجة لهذا الانشطار في المجتمع، تحول المجتمع إلى مجتمع من طبقتين بحكم الطبقة السياسية في تعزيز الامتيازات بين دوائر الشركات التي تعمل مع العالم الثالث، لدرجة أن المجتمع الأمريكي أصبح منغمساً في

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، جون بريكمون، العقل ضد لسلطة رهان باسكال، تر: عبد الرحيم حزل، لبنان - بيروت، دار التنوير، ط1، 2014، ص 101 .

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص 102.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

تعاملاته مع شعوب العالم الثالث.⁽¹⁾ أكثر من اهتمامها بالمصالح الداخلية للقطاعات الكبيرة، وخاصة الطبقة الوسطى، وهو الأمر الذي أصبح الآن غير ضروري جراء ذلك التدخل والتصادم السياسي الذي سيزر بمصالح الأعمال.

بهذه الطريقة، يدين تشومسكي رجال الأعمال التقدميين غير الأكاديميين على أنهم أمراض في الحياة الاجتماعية يهيمنون لصالح إدارة ريغان ولكن لم تكن مصالحهم استقلالية فقد كانوا محافظين جدد لأفكار مارغريت تاتشر (Margaret Thatcher (2013-1925)، في تحويل بالديمقراطية والقوة المصالح الاجتماعية إلى حيز من الأرباح كان ذلك بإدخال مصطلح (النيوليبرالية) في السياسة والجماعات والمنظمات اليسارية، مما خلق عدم المساواة الطبقيّة ومع تغيير ثقافة الأثرياء، انجذب المستثمرون إلى حفنة من الشركات الخاصة التي شجعت اختيار الجمهور كمستهلك، وهو ما انعكس في تفكيك المشاركة الاجتماعية ونظام التعليم، كون أن استقلالية الشركات الدولة في المجتمع له حرية لا يمكن للقانون أن يتدخل في معارضة استغلالها للمصلحة العامة للسكان، لأن ذلك أمر مشبوه بشكل تلقائي.⁽²⁾

وقد يعني هذا "لتشومسكي" أن الدولة لها مدى واسع من النفوذ والهيمنة وتتمتع باستقلال الذاتي والكمال للتدخل باستراتيجيات غير مسبقة تأخذ طبيعتها بما يتماشى مع "المصالح التجارية". ويتخذ من طرف النخبة الحاكمة على أنه مظهر من مظاهر التبادل الحر والديمقراطي مع هذه الشعوب في إطار خدمة المصالح التجارية؛ أو أنها ترتكب عددا من الأخطاء "السياسية" حيث إخفاء الوسائل والآليات المهنية، مما يجعلها تتعارض مع تلك المصالح التجارية التي تقتصر على استقرار النخبة المشتركة مع الشعوب في مقايضة بعض تلك القيم الإنسانية "والليبرالية" بمصالح تجارية، وهذا إذا كانت أساليب الترويج "للسياسات" الحمائية بوسائل غير مشروعة ستضر بمصالح الأعمال في المجتمع الأمريكي. ولكن اختيار تشومسكي لهذه الازدواجية في بعض الممارسات يشبه الارتباط، عندما تقترح الدولة السيادة الاقتصادية، فإن نخبة الشركات تضمها بالتبعية من أجل المنفعة مما يوحي بأن الأخرى في "السياسة" ببساطة غير متجانسة.⁽³⁾

(1) Alison Edgeley, ibid, p 81.

(2) نعوم تشومسكي، الربح مقدماً على الشعب، تر: لمى نجيب، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، د ط، 2011، ص 9 و 10.

(3) Alison Edgeley, ibid , p 81.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

وإذا تمت مناقشة المسار "السياسي" ومبادئ القوة غير الشرعية فيما يرتبط بالحقائق المتعلقة "بالسياسة" الخارجية الأمريكية، فإن تشومسكي يثير الشعب الأمريكي بأنه قد تكون هناك إخفاقات تضر بعمق البنية الاقتصادية للمجتمع ولإثارة العداء ضد هذه الاعتبارات التي تمس العامة، على سبيل المثال، بالقوانين والإجراءات البيروقراطية للدولة فقد تكشف تضارب المصالح ويخل بالمعايير النخبة ومع ذلك سيتم تجاهل الديمقراطية ومن حيث التقريب أن الدولة بآلياتها المركزية توافق شعبها في آرائه على التفويض بشأن الديمقراطية عالمياً بينما يأتي التفويض من مساره بإزالة أي بيروقراطية تصديرية تقود النضال ضدها. من غير المحتمل أن يفكر عامة الشعب الأمريكي في معاداة "سياسة" النخبة لأنه يتم التحكم فيها عن كثب لمنع أي شيء غريب عن هذه الأوليغارشية في مجتمع سري.⁽¹⁾

فضلاً عن ذلك، ساهم جانب آخر في تعزيز استقلالية الدولة بخطط ذكية من سياسة المحافظين الجدد، والمسألة التي يعتقد تشومسكي أنها كانت صياغة تضمنت الخداع بمبدأ إغراء الطبقات المجتمع، على أن "الحرية والرفاهية" تأتي من ممارسة الصناعة والعمل، وأن طبقة "البروليتاريا"، التي قطع أعضاؤها التقاليد القديمة، ستمتلك مصانع بشكل طبيعي، وهذا تنبؤ غرامشي، "Gramsci" على أن الفلاحين والمزارعين والحرفيين اندفعوا في أواخر القرن التاسع عشر وقد تم تفكيك جهودهم التي كان لها دور حيوي للفوضوية والديمقراطية، هذا هو السبب في أن "حركة الفلاحين"، من وجهة نظر تشومسكي، كانت تمتلك بذور تطور الليبرالية الجديدة، لذلك ميزت استقلالية الدولة بالتححرر من عائق المزارعين، وهي الطبقة التي تمثل الجوهر لدى كارل ماركس "Karl Marx"، والتي كانت مهمشة من الطبقة النخبة الحاكمة.⁽²⁾

على هذا النحو، نادراً ما تجد "سياسة" الطبقة العليا معارضةً على الحكومات الأجنبية من الدرجة الثانية في البلدان الأخرى لأن مدحها للديمقراطية يستبعد أي شكل من أشكال القومية في حالة "الحمائية" والإنسانية، مما يتيح الاستثمار الأجنبي مقابل التبادل التجاري الحر ؛ ووسيلة تأمين اقتصادات هذه الدول يمكن أن تكون تحقيق المصالح التجارية الأمريكية في ظروف طوعية ومناسبة لتخفيف مخاوف تلك الدول التي لديها اتفاقيات أمنية. هذه النقطة التي قد يجادل فيها "الجمهور" بأن العمال والفلاحين هم ضد استثمار الشركات واحتكار

⁽¹⁾ Ibid ، p 81.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل، بيروت، دار الساقي، ط1، 2018 ، ص 223 224.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

الاقتصاد لمن هم في السلطة، فمن غير المرجح أن يمارسوا ثورة لتغيير المجتمع الذي يعاني من تدهور اجتماعي واقتصادي على مستوى الطبقة الوسطى وهذا من وجهة نظر تشومسكي يحدث في أي بلد ليس فقط في المجتمع الأمريكي، عندما تتصرف الدولة بدرجة من الاستقلالية، فإنها لن تتعارض مع سوق العمل والمصالح التجارية.⁽¹⁾

غالبا ما يجد المرء أن الواقعيين يحاولون عزل سلطة الأفراد الذين تكون أشكالهم زراعية تتماشى مع ممتلكاتهم وإنتاجهم الذاتي عن الدولة. لأن هذا يؤثر على السوق ومخاطر طبقة الفلاحين على النظام الرأسمالي والسلطة، حيث يتصورون أن التمرد والثورة يأتيان من الطبقة الحرة، في المجتمعات الديمقراطية، كما أشار ألكسندر هاميلتون (1757 - 1804) *Alexander Hamilton*،، على «النخب أن تحذر من خطر همجية الفلاحين للطبقة الكبيرة التي توشك على إيصالها إلى السلطة بقمعها وإعادةتها إلى" أقصائها بطريقة أو بأخرى».⁽²⁾ بينما هذا يعكس الموقف المناهض للفلاحين والمناهض للتعليم المثل الأعلى لبرتراند راسل (1872 - 1970) *Bertrand Russell*، بفعل تقويض الاشتراكية التحررية، التي تسعى إلى إنتاج، "رجال أحرار" وركزت تعاليمها بين أعضاء المجتمع الأمريكي من جون ديوي (1859 - 1952) *John Dewey*، لكن "سياسة" الواقعيين الرأسماليين قوضوا تلك التعاليم التي تقوض بدورها استقلالية الدولة وانحازوا بقيم آدم سميث (1723-1790) *Adam Smith*، لدعم النخب لرأسمالية الشركات.⁽³⁾

بدلا من ذلك، يؤكد تشومسكي أن "السياسة الأمريكية" تعمل في قطاعات تتخللها علاقة هرمية على مستويين في خدمة المصالح التجارية الأمريكية على المستوى القومي يوجد "درجتين" من الأسياد، في الدرجة الأولى أسياد النخبة غاياتهم صنع القرار والهيمنة على الدول الأخرى في العالم؛ بينما في الدرجة الثانية أسياد "رأس المال" منهم (التجار والمصنعين والمصرفيين) وغاياتهم تحقيق أكبر قدرا من الثروة؛ ومن ثمة يأتي المستوى الدولي يشترك فيه أسياد الدرجة الأولى أصحاب "الشركات وموظفي" الرأسماليين والمستثمرين من

⁽¹⁾ Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky, p 81.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص 91.

⁽³⁾ نعوم تشومسكي، المصدر نفسه، ص 91.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

الدرجة الثانية بينما هؤلاء جميعاً يمارسون سياسة مشتركة غايتها السيطرة على الجنس البشري، ولكنهم مستقلون في تحقيق غاياتهم الخاصة.⁽¹⁾

ولذلك على المرء أن يسأل تشومسكي لماذا هذه الأفكار والمعلومات والمصالح لا تساهم ولو راديكالياً في بناء المجتمع الأمريكي من الناحية الاجتماعية ومع ذلك يبدو العمل الخفي بها بطريقة مستقلة دون إفصاح عنها مباشرة؟، لكنه في الواقع يظهر تشومسكي أن تفسيره وكشفه لن يكوناً بأشكال مباشرة، إذ يدرك وجود ترتيبات أكثر تأثيراً على علاقاتها الدبلوماسية والتي تعرض الدولة إلى ضغوط خارجية و داخلية، إذ ينجم عنها في الداخل احتجاجات متطرفة من "اليمن السياسي" بشكل عام مع الضغط العامة من الشعب بالتمرد على سياسة الداخلية المسؤولة على المصالح العمالية.⁽²⁾ لهذا يقول تشومسكي: « فإننا نعرف الكثير عن التفكير الذي وجه السياسة... من تحذيرات وكالة المخابرات المركزية الأميركية من أن "السياسات الراديكالية... تعبئة للفلاحين». ».⁽³⁾

بينما تؤدي تلك الدول المتحيزة إلى الشيوعية (سابقاً) إلى اغتنام هذه الحركات الانفصالية في الجمهور ودعمها من الأطراف المتأمرة على العنف ضد الدولة، كما حدث ذلك إبان معارضة حرب فيتنام، وعلى هذا النحو يضطر مسؤولي النخبة من تحويل "سياسات" الأعمال الموجهة إلى الخارج للاستثمار وتحقيق الأرباح إلى موظفين من الدرجة الثانية في قطاعات "رأس المال" لإعطاء وظائف للعامة من الأمريكيين. وهذا يهدئ من قلقهم إزاء "السياسة" المتبعة من الدولة في حين يكون لديهم انطباع بأن جهودهم أحرزت تقدماً. بينما هي محاولة إعادة تأكيد النخبة على الوضع الراهن بنوع من الحيلولة. ترد بها على حالة عدم "الاستقرار" هذه. وتعيد للمصلحة "الأعمال" اعتباراتها التجارية. وهكذا لا ينبغي الاختيار الحر من النخبة للممارسة السلطة. وتبادل المصالح التجارية في وضع غير مستقر، لأنه يهدد إمكانية بقاء الدولة.⁽⁴⁾، ولهذا يلخص تشومسكي تلك

(1) Alison Edgeley , ibid. p 81

(2) Ibid: p 81.

(3) نعوم تشومسكي، الريح مقدماً على الشعب، تر: لمى نجيب، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، دط، 2011 ص 67.

(4) Alison Edgeley, ibid. p 81.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

المؤامرة في "السياسة" بقوله: «فإن انهماك الجمهور في تخطيط "السياسة" العامة أو تنفيذها كان هامشياً تماماً. إنه مجتمع يديره قطاع الأعمال لفترة طويلة». (1)

نتيجة لذلك، فإن مجتمعات متقدمة مثل المجتمع الأمريكي وفقاً لاعتقاد الذي طرحه ميشال فوكو (1926-1984) Michel Foucault، بأن "الاستقرار" يظل بفعل التقنية، ومشاركة بين العمال ذوي الكفاءة العالية لأن مجتمعا تحكمه الأشكال المختلفة المتنوعة من رأسمالية الدولة و"استقلالية" الدولة بطبيعة الحال تعمل مع الجانب الذي يوفر لها الحرية والتحكم الأكثر في المصالح وهو ما يصفه تشومسكي التحكم الأوتوقراطي من الواقعيين ورجال الأعمال في المجتمع الأمريكي وهذا له دور في إقصاء العدالة أو- إن صح القول- تصبح مجالس العمال والمنظمات الحرة وطبقة الكادحين مهمشة من المشاركة في اختيار "السياسة" المناسبة لما لا يؤثر هدم على حريتهم ولكن هذا لا يوجد في الولايات المتحدة لأن المثقفين "التكنوقراطيين الواقعيين" لديهم نفوذ واستقلالية وتجذر مركزي للمؤسسات الاقتصادية والتي تنظم الأفراد أنفسهم من أجل وجودهم الاجتماعي كأدوات وآلات للعمل لمصلحة واستقلالية الدولة، بينما تظل "العدالة الاجتماعية" من وجهة نظر تشومسكي أكثر "نسبية". (2)

وفي الحقيقة يقر تشومسكي بإمكانية وجود شيء من النسبية في الممارسة "السياسية" المستقلة التي تتمتع بها الدولة الأمريكية، وبالطبع فإنه يقارب الماركسية في تفسير العلاقات التي تحكم الدولة والجنس البشري فإذا ما كان هناك مرحلة انتقالية للإنسان من الرأسمالية إلى "الاشتراكية التحررية" فهذا يعني أن النظم والوسائل التي تهيمن بها الدولة ليست مستقلة بالشكل المطلق، وعليه يمكن للمرء أن يصف هذه العلاقة بأنها غير متساوية لكونها تضم "ثلاثة كيانات" متفاوتة فيما بينها "النخبة"، الدولة، "العمال" الذين يمثلون العامة في المجتمع الأمريكي، لهذا ربما يكون تنبؤ المرء في الوصول إلى أدنى حل "للاستقرار" هي طريقة التبادل الحر والدعم

(1) نعوم تشومسكي، ضبط الرعا، تر: هيثم علي الحجازي، عمان، دار الأهلية للنشر، ط1، 1998 . ص 222.

(2) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق. ص 58 .

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

الشراكة بين القطاعين الخاص والعام، بغض النظر عن كونها متفاوتة للغاية إلا أنها تؤدي لاحقاً إلى انهيار الرأسمالية.⁽¹⁾

على هذا الأساس، يؤكد تشومسكي بأن المشكلة المألوفة في "السياسة" ونمط الغالب في ممارستها من طرف الواقعيين وخبراء الولايات المتحدة ضد عدو، تدعي أنها يجب أن تغزو قوتها "السياسية" باستخدام ميزتها «النسبية، العنف».⁽²⁾

ثالثاً: الحاجة للدولة في ظل الرأسمالية

تعتبر معنى رأسمالية الدولة في الحقيقة "سياسة" ربما قد يدرك البعض أنها فلسفة اقتصادية وهي نظام "سياسي" للديمقراطية الحديثة يتم اقتراحها من غالبية الأفراد بمبدأ صوت واحد والفرد الواحد في مراحل الأولى من تأسيسه "سياسياً" في إنجلترا في عام (1884) لم يكن يمثل السياسة بأشكال قسرية واستبدادية من طرف الدولة. ولهذا فالسياسة "ممارسة بنوع من رأسمالية الدولة لأن الحكام الديمقراطيين في الدولة يتم إضفاء الشرعية لا يختلفون عن "السياسيين" الذين يتمتعون "بكاريزما" و"العنف". "والميراث" أو التقاليد لبلوغ السلطة. ولهذا رأسمالي الحرة لدولة تقل كلما تطور الأحزاب "السياسية" في الدولة لأنها تؤدي إلى ضغط الشركات واغتصاب الدولة "سياسياً" ولهذا السبب تكون الأغلبية الأفراد المجتمع المدني ليس محالها في السلطة وإنما أقلية حزبية تحركها طبقة حاكمة تغتنم من إنفاق الأفراد وشركات المصالح من وراء الشاشة.⁽³⁾

ولهذا يبرر المصطلح "رأسمالية الدولة" عن تراجع الديمقراطية في "السياسة الأمريكية" التي تمتد جذورها إلى "الليبرالية الكلاسيكية" والتي تمثل لدى "تشومسكي" ركيزة التحرر الإنساني من ناحية القيم الإنسانية بحيث تم تقويض أسسها في القرن (19) عشر بفعل الديمقراطيات الحزبية. فيما ظل الاقتراع "للسياسة" في بريطانيا يركز بطبيعة الحال تتوسع الدولة على استغلال حقوق الطبقات الأقل ثراء في حين تتحول هذه السياسة (1911) مع

(1) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky, p 81.

(2) نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2014، ص 74.

(3) Anthony B. Mueller: Beyond State and Politics، USA، New Millennium Copyright, First Edition, 2018، p.26.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

النخبة السياسية التي شدد جيمس ماديسون (1751 - 1836) *James Madison, Jr* زمامها السلطوي بممارسة "سياسة" حق النقض".(1)

كركيزة أساسية لتكوين سياسة مجلس الشيوخ الأمريكي لهذا تعتمد هذه "اللعبة السياسية" بشكل كبير توسيع الديمقراطية السياسية على نقيض الديمقراطية الاجتماعية من طرف سياسي ومسؤولي النخب وغالبا ما تكون "السياسة الحزبية". أكثر شمولية بفعل دعم الديمقراطي من الجماهير لها يعكس هذا التأثير على "السياسة" الاقتصادية العالمية التي تؤثر عليها السوق الحرة والتي في أيدي النخب الاحتكارية وشركات الرأسمالية ولهذا لا يوجد أصل الحقيقي للرأسمالية.(2)

يرتبط وجود الدولة الأمريكية بضرورة الاستمرارية للرأسمالية الديمقراطية التي تهتم بمصالح النخبة الحاكمة وتحافظ على "المسار السياسي" للدولة بطريقة أخرى، يلغي وجود المد الشيوعي أو الاشتراكي الذي يقضي بشكل أساسي على رأسمالية الدولة التي تحمي علاقات التبادل للمصالح التجارية وملكية الإنتاج من قبل الأقلية الحاكمة. والتي لها مخاوف من الشعب الذي يتربص بتغيير الديمقراطية الأمريكية ويحاول حُلَّتْها في كل مرة نحو التحرر، مما يهدد الدولة من إمكانية البقاء، وهذه الحجة مشار إليها من طرف تشومسكي هي الميزة الأكثر عقلانية في وصف التوافق بين الدولة والطبقة العاملة داخل المجتمعات الرأسمالية الغربية، وخاصة المجتمع الأمريكي، على أنه يشمل أولوية المنفعة وإمكانية قيام "النخبة السياسية" الأمريكية بفرض حرية الممارسة دون أي رادع أخلاقي وقانوني تم تكريسه لتدمير رأسمالية السوق الحرة مما دفع تشومسكي إلى الإنباء عن موتها.(3)

من الواضح أن الحاجة إلى رأسمالية الدولة ظهرت في عام (1981م) عندما أشاد بها تشومسكي باعتبارها تكهنات بين الليبراليين المحافظين الجدد وكتابات الفيلسوف المرموق صامويل هنتجتون (1927-2008) *Samuel Huntington*، في كتابه "السياسة الأمريكية"، والذي يمثل جزءا أساسيا في دعم قطاعات عالم الشركات وتحقيق الثروة التي يكرسها الجمهور، لكن هذا لا يتم إلا عن طريق كسب ثقة الجمهور، في تأسيس

(1) Ibid: p.26.

(2) Ibid: p.26

(3) Alison Edgeley, the Social and Political Thought of Noam Chomsky: p 81 82.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

لاتفاقية "ستار السرية" على أنها تمثل الخطاب الناجح في تنوير الجمهور دون أن يعلم ما تخفيه له الطبقة الحاكمة والمؤسسات الديمقراطية الرأسمالية في الدولة مما يضمن استقرار هذا الشكل في المجتمع الأمريكي وفي "سياسته" الخارجية في العالم، بشرط أن يعمل مهندسو سياسة الحكومة على فقدان إحساس الجمهور بالسلطة مع إبقاء عليها في الظلام، مما يخلق قوة الدولة من الشعب الأمريكي، ويدعمها ويشجعها.(1)

بحيث أدى تدخل "السياسة" الأمريكية إلى انتزاع الثقة في "نظام السوق" وهو أقل فاعلية في تحقيق الرخاء والازدهار للشعوب؛ فمن غير البديهي لدى تشومسكي أن يسلم بحجة "السياسة" الأمريكية الداعية للطبقة العاملة على أن غاية التخلي هو التقدم الديمقراطي وأن هذا الشكل الرأسمالي المحدود يعيق حركة الممارسة "السياسية" والاقتصادية في المجتمع الأمريكي. لأن هذا بطبيعة الحال لن يكون هفوة تصطدم عقلانية تشومسكي معها، بحيث يثبت بخلاف ذلك أنه لو كان من ضروري الاستفادة الخاصة بأفراد النخبة وسادة المصالح التجارية من السوق الحرة، لا تم استبدالها منذ بزدها بأداتية أخرى مُناسِبة؛ ما يعنيه تشومسكي بأن النظام رأسمالية السوق الحرة غير موجه لصالح الأعمال "السياسية" للدولة فمن المرجح أن تكون مهددة بالتناقض.(2)

إذ لا يخفى على المرء بأن الحرب الباردة هي عامل الأساسي الذي يكرس لهذا النمط الأمريكي من التفكير الذي أوجب على "السياسة الأمريكية" تغيير الوضع العالمي بمقابل التحكم في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بفكرة "السلام الساخن" في علاقتها مع الدول، نظرا إلى المفهوم من وجهة نصر حامد أبو زيد (1943-2010م) ومقاربتة الإيستمولوجية من المصطلح؛ باعتباره مرتبطا بالفلسفة الأمريكية، التي أظهرت لمعناه كآلية "لممارسة" المصالح وحل القضايا السياسية بطريقة نفعية، فهذه العقلانية البراغماتية التي طورها ويليام جيمس (1842-1910م) *William James*، وتشارلز برس *Charles Press (1839-1914)*، إلى حد ما يلزم غايات "النخبة" والبقاء للدولة، مثل أي معنى حالي، آخر له تأثيره النفعي والمباشر على "سياستها" بمعيار الذي تكون فيه الفكرة لها مدى من الصحة والفائدة العملية على العكس من أن تكون زائفة.(3)

(1) نعوم تشومسكي، الربح مقدما على الشعب، المصدر السابق ، ص 170.

(2) Alison Edgeley, ibid. p82.

(3) فاروق القاضي، آفاق التمرد: قراءة نقدية في التاريخ الأوروبي والعربي والإسلامي، مصر - القاهرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004، ص 35.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

وبدا هذا مألوفاً لتشومسكي في تحليله لعبارة "السوق الحرة"، كونها مستبعدة من "سياستها" لأنها عاجزة عن تحقيق المنفعة؛ فمن شأن الفلسفة "البراغماتية" الأمريكية أن تضع تكاملاً "سياسياً" بحثاً، ولها كل الحرية في المبالغة في ربط مفهوم الحقيقة مباشرة بالعمل والمنفعة، ولكن (ضمنياً) إذا كان لها حق تحقيق غايات نفعية للجنس البشري فما كان لها اختزال الإنسان إلى "آلة ميكانيكية" كامتداد للرأسمالية المادية، ومن وجهة نظر تشومسكي، تعتبر مفارقة للإنسان، فهي تصف حقائقها بأنها تحقق رفاهة الاجتماعي، وتستجيب بقمع القيم الإنسانية وأفكار التنوير والحرية وحقائق الديمقراطية في المجتمع. فالفلسفة "المثالية" التي تجعل الإنسان يؤمن بالحقائق المستقلة التي لها وجود موضوعي في تحقيق السلام والازدهار له، لكنها تصفها بأنها غير مجدية؛ في ظل نظامها "السياسي" و "الرأسمالي للدولة".⁽¹⁾

وعوضاً عن هذه المناورة في عبارة "السوق الحرة" إلا أنه يقدمها على نزعتها المثالية بأنها العبارة التي يحمل معناها الجمع بين "المنافسة" و "المستقلة عن الدولة" وتمثل في ممارسة واحدة ومشاركة في المعنى بغض النظر على أنها الكل المركب، إلا أنها تختص نحو اتجاه وجود الاحتكار لكونه لا يزال موالياً للرأسمالية الصناعية، وهذا يؤدي إلى ممارسة بناء أرباح احتكارية تتجاوز مستوى الأرباح الناتجة عن المنافسة الاقتصادية. إذ تجلب سيطرة النخبة عن نشوب صراعات طبقية داخل المجتمع الأمريكي مما ينجم عنه تدخل الدولة لتقويض "السياسات" الاحتكارية وتنظم الأفراد المجتمع وفق ضرورة التفاوت في الملكية وحرية الامتيازات للحفاظ على "مبدأ التنافسية" بصفة تشريعية في الأسواق الحرة، فمن غير المحتمل أن تقتضي الضرورة شيئاً كهذا، بالنسبة لتشومسكي فإنه يتصور وجوداً للعلاقة الديالكتيكية داخل المجتمعات بين بنيتها الاقتصادية وتركيباتها الاجتماعية، بحيث يتجاوز على الطريقة الماركسية بأن هذا التناقض وعدم التوافق داخل تلك المجتمعات الصناعية مع نمط السوق الحرة يؤدي بضرورة إلى ازدهارها ونجاحها.⁽²⁾

كما أوضح لينين (1870-1924) Vladimir Lenin، في دراسته "للامبريالية، أعلى مراحل الرأسمالية" عن استقرارات مماثلة لاتجاه الرأسمالية نحو السوق الحرة وسياساتها الاحتكارية والتي يتم تنفيذها على نمط التقليد الاستعماري القديم (روما، بريطانيا) من حيث الممارسة تكون الرأسمالية الاستعمارية تكرر "للسياسة" رأسمالية

(1) فاروق القاضي ، المرجع السابق ، ص 35.

(2) Alison Edgeley, ibid: p 82.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

المال" بأكثر وحشية وتؤدي بدورها للعبودية بين البنى والطبقات المتفاوتة من حيث التكوين الاقتصادي والاجتماعي، وخلافا للرأسمالية التي تمكن أصحاب العمل الكبار (النخبة) من الاستيلاء على وسائل الإنتاج المواد الخام عن طريق الانخراط في تنظيمات ونقابات وجمعيات تتوطد بشدة للممارسة الاحتكارية من أجل ردع الأعداء المنافسة للدولة، فقبضة المواد من الرأسمالية ينمي الشعور بالكفاح الثوري ويقلل من مصادرها على الدول أخرى من العالم.⁽¹⁾

وهذا مسار ضد مصالح النخبة والرأسمالية الصناعية، إذ يصفه "سيغموندشيلدر" (1872-1932م)، *Sigmund Schelder* بالانتكاسة الاقتصاد العالمي، ومن المرجح أن الاحتكار للمواد أثر على الواقع الغربي وبعض "السياسات" الاقتصادية كالاتحاد الأوروبي في الفترة (1904-1910م) بدا ذلك متناقضا للصناعية الغربية جراء عدم التوازن بين الصناعة والزراعة. ما يعني ذلك بأن "لينين" كشف عن الممارسات والألاعيب البرجوازية التي لا تتسجم في النقابات التثقيفية لتحسين الأوضاع الاجتماعية للجماهير بدلا من ذلك تأثر بدعم الدعاية من "كارل كاوتسكي" (1854-1938م). *Karl Kautsky*، وحفنة من الإصلاحيين ضد العامة بأن تغيير المجتمع مرتبط بتحسين الأوضاع في (الصناعة والزراعة) ، ولكن مثل هذه مجرد افتراءات من وجهة نظر لينين فهي السياسة رأسمالية عن الإمبريالية لها السمة الاحتكارية فضلا عن التغيير تؤدي بالعامة إلى دعم السوق المفتوحة والإلغاء للسوق الحرة لكونها شيئا من اشتراكية فهي من الماضي وتمكين الحاضر بالشركات التابعة "للسياسة" في خفض الأرباح ورفع الأجور للهيمنة على حرية العمال.⁽²⁾

لكن تشومسكي يشير إلى أن مجتمع الأعمال لديه نموذجان للدعم، ولا يمكنه الاعتماد على "الدعم السياسي" الذي تتحد فيه الدولة بأشكال من التدخل التشريعي و"القانوني" بطريقة بحتة، لكنها تعتمد بصفة رسمية إلى حد ما؛ على "الدعم الاقتصادي". وفقا لهذا البديل، يتبنى "مجتمع الأعمال" نهجا للوعي والمعقولة يعترف بوجود الدولة بين نموذجين لحل قضايا فقدان الحرية وانتشار العبثية الناتجة عن الصراع الاجتماعي والتي من شأنها أن تلعب دورا أساسيا في الحفاظ على الربح الخاص والتأكيد على مركزية نظام النخبة

(1) Vladimir Ilyich Lenin, Prabhat Patnaik, Imperialism, the Highest Stages of Capitalism. Moscow, Vol. 6, 2000 p.68.

(2) Ibid :p.69.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

الرأسمالية. لذلك فإن النقطة المُستَقَاءة من تفكير تشومسكي هي التفكير الصحيح للدولة الرأسمالية، وهذه قضية أساسية لا تتغاضى عن واقع الدولة الأمريكية. يبدأ التقويض والتفكيك بالشركات والمؤسسات التي تدعم دوراً اقتصادياً ضرورياً في تقدم الدولة وهذا يؤكد وجود علاقة مركزية بين الدولة والسوق الحر لتحسين النظام النخبوي القائم على السعي وراء الامتيازات والربح، بدعوى أنهم يسعون لتحقيق أهداف اجتماعية للجمهور.⁽¹⁾

يبدو أن تشومسكي يدعو إلى الاستثمار وإيجابيات تحفيز الأعمال بأسلوب الاشتراكية القائمة على الحرية، بحيث يلجأ مجتمع مثل المجتمع الأمريكي إلى ممارسة هذه الخاصية في ظروف تدهور الأوضاع الاجتماعية أو في حالة تهديد اقتصاد الدولة بالركود. ويأتي تفاعلها كحافز يوجه الأفراد تجاه السوق المؤتمنة أو دعم حكومي يساهم في تسيير تلك الجوانب من الأعمال، وهو ما يمثل اتجاهاً للوعي بالحقائق وحرية البحث والإبداع والتطوير.

وعلى الرغم من تفكير "تشومسكي" الحكيم، فإن المنافسة بالأساس هي التصور الوحيد في قيادة المجتمع الأمريكي نحو الجوانب التي تكون فيها الدولة قادرة على تحقيق اقتصاد الرفاه، وهو الأمر الذي يؤدي إلى التدخل الضروري لمنح الدعم العام والتركيز على التكنولوجيا المتقدمة في تطوير السوق المضمون والقطاعات الأخرى مثل الزراعة ورأس المال والأدوية. وهذا يعني أن للدولة الحرية المطلقة في ممارسة الوظائف التي تمكنها ببساطة من فرض الضرائب على الأفراد والمؤسسات بقوانين الجباية وتستغلها في إمكانية دعم للسياسات التجارية والاقتصادية وقطاعات الأعمال، وبالتالي تحافظ على دورها الحاسم في تحقيق الربح الخاص.⁽²⁾

أبلغ تشومسكي عن ذلك في حالة ركود شركة (IBM) في الانخراط مع أي "سياسة" اجتماعية ترفض استهلاك خدماتها من الجمهور دون تحقيق ربح. غالباً ما تكون الشركة شركة رأسمالية ترفض أي غرض لمصلحة الجمهور، فهي تضع الفرد تحت شروطها الاستغلالية في تنظيمها الاستثماري، على الرغم من أن المجتمع الأمريكي حر نسبياً، إلا أنه يجعل المشاركة العامة مستبعدة بتلقين أفرادها التأثير الأولي للصناعة في فضاءات حرة وأكثر كفاءة، مما يدفعهم إلى تطويرها في أشكال أخرى أكثر تنافسية مع تدخل "السياسة"

(1) Alison Edgeley: ibid. p 82.

(2) Ibid: , p 82.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

الفيدرالية في تأمين القروض وضرائب لدعم الصناعات والشركات التي يقتصر تعاملها مع الإنتاج العسكري في عام (1940) تم الاعتراف بشأن الأعمال التجارية الأمريكية على أنها تركز بصفة أساسية على السوق الخارجية للسلع لدعم النفوذ العسكري تماما.⁽¹⁾

وهذه النقطة تنطبق بشكل عام مع أفكار جون كينز (1883 - 1946م) John Keynes، في إنعاشه للاقتصاد البريطاني عن طريق تقديم الدعم الرأسمالي الأمريكي للمساعدة بشأن إدارة "السياسة النقدية لاستكمال الأعمال التجارية وتحقيق التوازن للاقتصاد الكلي وفق النموذج الكينزي ينبغي تعديل السياسة النقدية بحيث تتولى الدولة هذا الرأي في تحقيق الاستقرار والتناسب "وبفعل التحكم في الأفراد إلى درجة جعلهم يدخرون عندما تعلن الدولة أنه يجب عليهم الادخار، وكذلك جعلهم يحاولون إنفاقا أكبر قدرا ممكنا عندما تعلن الدولة أنه يجب عليهم الإنفاق".⁽²⁾

كما يرى تشومسكي أن السياسة الأمريكية تدعي لفكرة الدفاع عن النفس من أجل الحصول على ما تحتاجه من المشاركة العامة في الإنفاق والدعم المالي كبرنامج حرب النجوم الذي حظي بدعم الإنمائي التابع "للسلطة" التنفيذية للبنتاغون. لأنه لا توجد أي أداة أخرى لدى "السياسيين" لتفاوض مع الجمهور الذي بطبيعته يميل إلى الملكية العامة والاشتراكية الاجتماعية للإنتاج وإشباع رغباته غالبا ما يكون نفور لبعض الشركات الأمريكية التي لها وزنها الاقتصادي و"السياسي" على سبيل مثال (IBM) التي تدير فكرة العمل لصالح المجتمع بأهمية كبيرة لدرجة أنها تبحث عن الأسواق الحرة التي يرفع فيها مسؤولو الشركة لأسعار إنتاجها وزيادة عوائد الاستثمار بسيطرة على الآليات التقنية التي تؤدي إلى تقليص من أهمية الطبقة العاملة بخفض أدائها الاستهلاكي واستبدالها "بال تقنية" مما يأخذ الإنسان في شكل من "العبودية" المأجورة الرخيصة.⁽³⁾

(1) Noam Chomsky, David Barsamian, Chronicles of Dissent USA, Richmond Public Library, 1st ed., 1992. p181.

“Chomsky says: If politicians were to approach the public telling them, look, we’ve decided that next year you’re going to cut back on your consumption so that IBM will make more profit, the reaction in the United States would be a healthy reaction: Who are you to tell me to cut back so that IBM will make more profit?... back to the 1940s. “

(2) Roger Edward Backhouse, No Wealth but the Economics of Welfare of Life and the Welfare State in Britain 1880-1945, New York, Cambridge University Press, 1st ed., 2010, p82.

(3) Noam Chomsky, David Barsamian: ibid. p 181.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

ولهذا اعتبره هنري سيدجويك (1838-1900م) *Henry Sidgwick*، أن توليفه العميق للحرية الفردية والحرية "السياسية" في غاية مشتركة، وهي المساواة، قد يضر بالحوافز ويعيق طريق الرأسمالية، لأنها المرحلة التي تؤدي إلى الاشتراكية بالنسبة لها، لذا فهي بالنسبة للنخبة غير مرغوب فيها أخلاقيا. لذلك، كان من الصعب جدا على عامة الناس اعتبار تدخل الدولة تدخلا إيجابيا، بل أسيء فهمه على أنه تدخل شمولي من الدولة يقمع حرية الإنسان. وهكذا يعتبر موقفه دون جدوى فهو شرط أساسي لإنشاء نظام "سياسي" ليبرالي ناجح اقتصادي للدولة، بعيدا عن تحقيق المساواة كغاية في حد ذاتها. "فالسياسة" "الأمريكية فرضيتها الأساسية هي السعي وراء الضرائب الباهظة، وتلقين عقيدة الاستهلاك للناس، والتحكم في اختياراتهم مع الرقابة المعينة على السلع.⁽¹⁾

ومن وجهة نظر تشومسكي، فإن الدولة الأمريكية بدا لها أن منهج كينز لم يطرح أي مشكلة عندما توصل إلى حل لإزالة أي شكل من أشكال عدم الاستقرار لإنقاذ الرأسمالية البريطانية من خلال تطبيقه لفكرة "إدارة الطلب"، لم يكن مخطئا في الممارسة، بالنسبة للفكرة، بينما كان الخطأ هو أنها لم تفعل شيئا لتحسين الظروف العامة للأفراد والمجتمع، بل ركزت "سياستها على خلق فرص العمل وتشجيع الإنتاجية والرفاهية.⁽²⁾

بينما يمثل الخيارات الأولية لأرباب الشركات ووسادة التخطيط السرية للبنتاغون، وليس المقصود هنا منح الجمهور السيادة كاملة والحرية في ممارسة مصالحه الذاتية، وإنما يوفر سوقاً مضموناً قابلة للاستهلاك منه والتسويق إليه ما يدمره بشكل أساسي ويعزله عن إدراك حقيقة هذا التلاعب السياسي، فهو يعتقد منطقيا بأن (GDP) الناتج المحلي الإجمالي للاقتصاد الأمريكي نادرا ما تكون قيمه المئوية متكافئة منطقيا مع الإنفاق الحكومي على العامة الناس لهذا فهو بلا معنى، بمجرد النظر إلى وظيفة الدولة في توسيع "السياسة" النقدية، بدلا من تلبية احتياجات الجمهور، تقتصر في عملية الإنتاج على البحث والتطوير في جمع الأجزاء غير المربحة ما يصفها تشومسكي (بالنفايات) والتي يتم دفع تكاليفها من قبل الجمهور دون تحقيق أي نفع له، مما يعني أن الاقتصاد الصناعي هو الأساس لجني الأرباح للشركات التقنية.⁽³⁾

(1) Roger Edward Backhouse: ibid. p 82 83.

(2) Alison Edgeley: ibid. p 82.

(3) Noam Chomsky, David Barsamian, Chronicles of Dissent USA, Richmond Public Library, 1st ed., 1992, p179.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

وعلى سبيل المثال، الفترة التاريخية (1950-1960) التي لم توفر فيها صناعة الكمبيوتر كفاءات متزايدة للتسويق بمحاولة من قبل البنتاغون و"السياسة" الفيدرالية لتوجيه وتنظيم الجمهور على أساس الحوافز الاشتراكية كوسيلة لدعم لهم في قدراتهم الإنتاجية وقدراتهم العقلانية والإبداعية في تنمية الموارد ورأس المال، بحيث زاد استغلالهم للجمهور بحجة أنها مشاركة "سياسية" لدعم المصالح الاقتصادية لتحسين الإنتاجية وظروفه الرفاهية التي تم إنفاقه على التكاليف بنسبة (100٪)، وتراجع دوره لأن نصيبه البالغ (50٪) من الإنفاق لا يرضي النخبة، في ظل اتساع نشاط النخبة في السوق التجاري وتدفق الثروات الفاحشة لأصحاب العمل ومسؤولي الشركات. هذا بد لتشومسكي أن مركزه "السياسي" مهم جدا في سداد القروض والتكاليف، والعمل في مكان الدولة، بينما امتلاك رأس المال والإيرادات للشركات. لهذا وصفها "تشومسكي" بأنها "دعم عام" و "ربح خاص"، وبعبارة أخرى، مشاركة في تجسير التكاليف والبراغماتية في حصرية الأرباح لصالح الأنانية.⁽¹⁾

في تحليل تشومسكي "السياسي" والاقتصادي، تجد أنه ينظر في الواقع إلى الأبعاد التاريخية "للسياسة" الأمريكية وتأثيراتها على البنية التحتية العامة للمجتمع الأمريكي في عام (1980) مما يدل على صعود التوظيف مع مساهمة الجمهور في توفير الثروة كشرط أساسي للتنمية. من شركة (IBM)، التي تتماشى بدورها مع "سياسة" البنتاغون الرأسمالية لأنها تضيي الشرعية على العملية ليست بلغة تنفر الجمهور لأنها لا تقود الحكومة إلى إيصال السكان إلى هدفها. أنسب ما يجب على الدولة أن تتبعه هو تهديدها للوضع السياسي، بشرط أن ينبهر الجمهور في المجتمع الأمريكي ويضطر إلى حماية مصالحه واستقراره الاجتماعي من الخطر الروسي أو النفوذ الشيوعي.⁽²⁾

ومن وجهة نظر تشومسكي، فإن الشعب الأمريكي ليس مطيعاً وخاضعاً "للسياسة" مثل اليابان، فهو مهتم بسرية الأعمال، وثقافة الاستثمارية المربحة، وتطوير الاقتصاد. بحيث تَنَمُّ تبرئة العمال من أي معلومات سرية

(1) Noam Chomsky: ibid., p179.

"Chomsky says: Take, say, the computer industry, in the 1950s, computers were not marketable, so the public paid 100 percent of the cost of research, development and production through the Pentagon. By the 1960s, they were beginning to be marketable in the commercial market, so the public participation declined to about 50 percent. The idea is that the public pays the costs, the corporations make the profits. Public subsidy, private profit 'that's' what we call. "

(2) Noam Chomsky, David Barsamian, Chronicles of Dissent USA, Richmond Public Library, 1st ed., 1992, p180.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

ذات صلة بالشركات أو النفقات الكبيرة المستلبة من الجمهور. وتأثير ذلك من الناحية "السياسية"، إذ تعمل ممارسات الدولة بنفس الطريقة التي تعمل بها أنظمة المعالجة الأنثوية الموازية، مما يسهل الاحتفاظ بالمعلومات السرية المتعلقة باستغلال الدولة للجمهور و"الرقابة" والتجسس من البنتاغون بالتوازي مع الاقتصاد في كسب الأموال وتتبع للمصالح الاستثمارية للشركات.⁽¹⁾

ومن جهة أخرى تعتقد أليسون إدجلي (Alison edgley) إزاء تحليلات تشومسكي على أنها مدعوة بالجمهور الأمريكي إلى النظر في "الممارسة السياسية" الواعية، والتي بطبيعة الحال أن يكتسب كل فرد من العامة دراية بالنواحي التي تتفقهها الدولة من أجل دعمها في إحراز الأرباح، مستندة إلى تشجيع فكرة زيادة الطلب التي بدورها تتطلب الدينامية تطوير الإنتاج، لذلك تنجذب الطبقة العاملة ("البروليتاريا") إلى الانخراط في الإنتاجية على أساس توقع أن الدولة تحمي مصالحها وصلاحياتها لتوفير الأمن للعمال أضفى مخالفة استغلالها بشغف وسعيا وراء الربح.⁽²⁾

وهذا ما يؤكد تشومسكي في سبب عدم ملاءمتها إزاء الانكماش الاقتصادي الذي بدأ غير مريح للصحافة التجارية بأن تباطؤ قدرة العامة من استهلاك السلع وتلبية حاجياتها الضرورية على الرغم من مستوى إنفاقها في تعزيز الديمقراطية، فقد أدى بالمجتمع الأمريكي إلى انزلاق نحو العمل من الناحية الفنية والاقتصادية فقط، بينما ترتبط التقنية بالإنتاجية التي توفرها. يتناقض هذا مع "سيطرة" الطبقة العاملة ويهدد بزوال اتحاداتها الاجتماعية بسبب التحول "الاستبدادي" الذي يدعم الطبقة الحاكمة من إدارة اقتصاديات البنية التحتية، ولكن هذا له آثاره الجانبية، وهو ما يعني تزويد الجمهور من الطبقة الوسطى بالبطالة والفقر والعنف، كل أنواع غير المرغوب فيها، بعد تأمين الثراء الفاحش لإثراء المصالح الخاصة للأقلية "السياسية" الحاكمة.⁽³⁾

مما يكشف تشومسكي عن أن "السياسة الأمريكية" تتعارض بصفة أولية مع ذاتها في تقليص من نشاطها الإنتاجي، وطبقا للعلاقة الماركسية بأن عدم المراعاة إلى احتياجات الطبقة العاملة من طرف "النخبة الحاكمة" ضمن حدود العمل وكذا بمعزل عنه يؤدي إلى تراجع القدرة التنافسية للدولة، التي أساسها الإنتاج لهذا يتطلب

(1) Noam Chomsky: ibid. p180.

(2) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid. p 82.

(3) Noam Chomsky, David Barsamian, Chronicles of Dissent: ibid, p181.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

مشاركة الدولة في عملية الإنتاج بتأثيرها على الوجود العام مما يعود مصدر للتراكم رأس المال. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنه دون الطبقة العاملة كونها المحركة الرئيسة لن تشارك الحكومة في أنشطة السوق الحرة، لذا يصف كل من إريك أولين رايت (1947-2019م) *Erik Olin Wright*، وكلاوس أوفي (1940م) *Claus Offe*، أن مثل هذا التناقض ينتج عن "سياسة" التراكم الرأسمالي.⁽¹⁾

لذلك يشير تشومسكي إلى أنها "سياسة" يغذيها وجود تقنيتين أساسيتين: "السلطة العسكرية"، "والإنفاق الاجتماعي المرسوم". من الضرائب والقروض الائتمانية من المستشفيات والخدمات العامة، وهذا بالنسبة له اغتراب عن القطاع العام. لدعم القطاع الخاص حالما تتدخل الدولة لإزالة الحواجز التي تؤثر على وجود الأعمال فإن المشاركة العامة وتنظيم إدارات البنية التحتية على وجه الخصوص (الנקابات العمالية والبيئية) بشكل مباشر وديمقراطي سيمكن الناس من دعم سياسات الواقعيين بدعمهم.⁽²⁾

لهذا غالباً، ما يحدث إذا ما كانت وظائف الدولة تخفي "ممارستها" الفعلية والتداولية للرأس المال عن طبقة العاملة لضمان استغلالها وإبقاء عليها تحت مظلة الدولة الرفاهية لذلك يقترح ("أوفي") تفويض تراكم رأس المال لأصحاب القطاعات الخاصة لأنه يمثل استلاب لمجموع فائض القيمة لطبقة العاملة كجزء لحل هذا التناقض فيما يضع ("رايت") فرضية تفويض الادخار والإنفاق الذي يؤدي إقصاء الدولة من عملية الإنتاج، لكن ("أليسون") يوضح أن مثل هذه الاقتراحات لا تؤدي إلى حلول دقيقة في الممارسة بالأسلوب الذي قدمه تشومسكي، لأن الادخار والإنفاق العام أساساً مصدر لتراكم رأس المال، ويتطلب التراكم الاستثمار الرأسمالي وتدخل الدولة في الإنتاج لاستعادة الإنتاج، وهو أن فائض القيمة يتوسع "بممارسة" من الدولة، في حين أن الأجور هي في الأساس حقوق الطبقة العاملة، يتم تداولها بين الجمهور والعاملين في المجتمع كشرط لبقاء "السياسة" الرأسمالية حيث تكون عملية التجارة مقايضة بين طاقة العامل من أجر العامل الآخر.⁽³⁾

⁽¹⁾ Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid. p 82.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، تواريخ الانشقاق، تر: محمد نجار، عمان، الأهلية، للنشر، ط1، 1998. ص 179.

⁽³⁾ Alison Edgeley: ibid. p 82.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

يلجأ تشومسكي إلى الكشف عن معايير النظام الرأسمالي التي تبدو سرية للغاية ولا يمكن إيصالها إلى الجمهور، والتي يتم تشويهها من كلا النظامين "السياسي" والاقتصادي المشاركين في تطوير الصناعة الرأسمالية، بينما تلعب الدولة دوراً في التواصل الناجح بين الشركات والبنية الاجتماعية بمعنى أنها تزود المجتمع بتقنيات التكنولوجيا الصناعية مثل "كمبيوتر" و"أشباه موصلات"، مما يصبح المجتمع متجانساً مع ثقافة العصر الإمبريالي، والذي يمثل "سياسات" القلق والتخويف التي تخلقها التقنية والصناعة؛ بحيث تفعل الولايات المتحدة ذلك الشكل "النيوكولونيالي" الذي يركز على "الممارسة" النقدية والمساعدات الاقتصادية ويتم ترويج له بتحكم في الفكر الإنساني ويكون ذلك بحرية من الذات استجابة للاحتياجات المادية، لذا فإن آليات الدعاية تتوسط بين رغبات الأفراد التي تمتلكها المخاوف وغاية الدولة في توفير الحماية.⁽¹⁾

ورؤية تشومسكي للمجتمع الأمريكي، الذي لدى ممثلي سياسته حل لهذا التناقض تبدأ بالتخلص من ثورة (البروليتاريا) ثم تركز هذا الدور الرأسمالي بالانخراط فيما يصفه تشومسكي بالممارسة الكينزية العسكرية التي يشارك فيها هؤلاء المحافظون داخل نظام البنتاغون والذي أعادوا أنظمتهم وصياغته على المنطق "البراغماتي" والذي لا يزال يضع قيود الاستغلال "السياسي" المتمثل في "الدعم العام" والاقتصادي المتمثل في "الربح الخاص"، مع ذلك يتمتع بتنفيذ سلطات الحكومة والدولة بأعلى قدر ممكن من إفادة وتمثيل "السياسة" مؤيدة للأقلية بدلاً من الرفاهية العامة الأغلبية الساحقة من سكان المجتمع الأمريكي، فهو شكل من النظام المتطرف يحتوي على القوة في صورتها المادية والإنتاجية للأدوات والمعدات والخدمات العسكرية، دعماً للدولة بما توفره من الحماية والإنتاج، وهذا يخلق التكامل "السياسي" والاقتصادي الضروري "للسياسة الأمريكية" في التحرك نحو الديمقراطية مع حيل الحرب الباردة لمراقبة باستمرار مدى قوة 'الأعداء' في المنافسة وهي الذريعة المثالية التي

⁽¹⁾ Noam Chomsky, David Barsamian, Chronicles of Dissent: ibid, p181.

“Chomsky says: said How you do it in the United States is you say, look, weVe got to defend ourselves, we need Star Wars, we need the Pentagon system, and the effect of that is to achieve what I just described with regard to the computer industry, or the semiconductor industry, or whatever. That is because this is a relatively free society“.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

تستند إليها الدولة في تثمين خبرتها البحثية ومنهجها في التطوير ومؤهلاتها الصناعية العالية للتكنولوجيا كشرط للحفاظ على مرحلة عسكرية كاملة ومتفوقة.⁽¹⁾

انصب تفكير تشومسكي على تحليل العلاقة بين البنتاغون والجمهور الأمريكي باعتبارها علاقة يطبقونها في شكل يرتكز على نموذج الكينزي في تطوير الصناعة الحديثة، إذ يجادل بأن الجمهور الأمريكي لديه ممارسة في تطوير الصناعة والأرباح تفوق الممارسة المتبادلة بين الشركات والدولة في حد ذاتها؛ وبهذا المعنى يعتقد تشومسكي بأن البديل المتعلق بتطبيق المثل التقليدية والديمقراطية الراديكالية لعصر التنوير، يبدو له سهل الممارسة ومنهجه صحيحاً لما قد يكون عليه المجتمع التحرري خلافاً لما هو عليه المجتمع الأمريكي، لهذا فإن الجمهور يمثل الدعامه الكبرى "للسياسة" الدولة وعمل أسواقها التجارية.⁽²⁾

هذا المبدأ جعله يتغلغل عملياً في الصناعات الخارجية الأخرى، فليس غريباً أن تأخذ الدولة في تحسينها المنتجات العسكرية ولكن الغريب شراء الدولة لهذه المنتجات والمغزى منه تأمينها لمركزية القطاع الخاص لدعمها وإبقائها في الحين الذي تكون معنية بأمور "الأقلية" أو ما يصفه تشومسكي "بالنخبة" في خياراتها لتحقيق الأرباح دون النظر للحقوق الإنسانية، لذلك كان دور الدولة متاحاً بفضل العطايا المقدمة لمديري الشركة يدفع العمالة الأمريكية لإنتاج بوفرة لنظام البنتاغون مغطاة حقيقة دوره الذي يمثل إمداده بفوائد لقطاعات الإلكترونيات والصناعات المتقدمة الأخرى للاقتصاد الدولة، لطالما كان البنتاغون قوة الجاذبية "السياسة الواقعية" التي تغري الطبقات العاملة بإفراط في استخدامها في كل شيء للحفاظ على تفوقه التكنولوجي ومكانته كمحرك للنمو الاقتصادي.⁽³⁾

في حين أن الطغاة من مخططي الأمن القومي وأصحاب الأعمال الخاصة "للسياسة" برفع الوعي بالمخاطر التي تهدد بقاء الدولة والتوازن الاقتصادي، بما في ذلك صواريخ "حرب النجوم"، فلا يمكن أن تخلق هشاشة الوعي لدى الجمهور سوى ازدياد في النفقات والتكاليف بشكل كبير جداً، ومن المرجح أن طريقة "السياسات" المالية والإنسانية يتم مداولتها لصالح الامتيازات النخبة الضخمة في شركات التمويل ذات الثقافة الاستهلاكية

(1) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid. p 82.

(2) Noam Chomsky, David Barsamian, Records of Dissent: USA, Richmond Public Library, 1st ed., 1992, p179.

(3) Alison Edgeley: ibid, p 83.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

للسلع في الداخل والخارج والتحكم في العمالة بتخفيض الأجور، يقتصر كل هذا في تأثيره على الشركات وطريقة ممارستها الاقتصادية والتجارية والمشار إليه في الناتج القومي الإجمالي (GDP)، وفقا لتشومسكي، لن يتم إتاحة أي شيء عن ممارسة القيم الحقيقية للجمهور لأنه إجراء سري "لسياسة" الدولة الحمائية للحفاظ على ميزتها الاقتصادية في المنافسة والتجارة، لأن النخبة الأمريكية تريد من الجمهور ممارسة العمل على نهج اليابان بجعلهم ينفقون طاقاتهم" حتى تتمكن من تحقيق المزيد من الأرباح.⁽¹⁾

وفقا لذلك، فإن منطق تشومسكي هو أن الحفاظ على الدولة لن يقتصر على الممارسة السياسية لعقلنة تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية "والسياسية" للمجتمع الأمريكي. بدلا من ذلك، تعد صيانتها ضرورية في نظام يديره ويدعمه رأس المال لتحقيق ربح خاص. في حين أن "الممارسة السياسية" للدولة لا تقتصر على إضفاء الشرعية على الاقتصاد الرأسمالي فقط، لكنها معتادة على أن "الممارسة الفعلية" للاقتصاد هي العامل الرئيسي الذي يدير اليد الخفية، والتي هي في النهاية ملكية الدولة. لهذا السبب يؤكد تشومسكي على مفارقة جديدة في تحليل "ماركس للدولة"، وافتقاره إلى الكشف عن عامل في ممارسات اقتصاديات الدولة في المجتمع الرأسمالي الغربي. على أنها هي العامل الاقتصادي للمجتمع البرجوازي، وليست فقط العقل المدبر لعلاقاته الاقتصادية؛ وفي ضوء التقارب بين ماركس وتشومسكي، تتطلب هذه المفارقة الخطيرة من المرء أن يبحث في التناقض لفهم الأسباب.⁽²⁾

رابعاً : مقارنة في فهم الدولة بين تشومسكي و ماركس:

ضمن هذا التقارب "السياسي" الذي يظهر في إطار الدولة الحديثة، ظهر تناقض بين الفلاسفة في موضوع الدولة (الرأسمالية) مما انتهجت أفكارهم في ممارسة الاستكشافية عن دواعي عدم وجود بناء كامل ومتماسك حول نظرية الدولة، مما أدى إلى الانكباب على كتابات ماركس "Marx" المبكرة، لهذا جاءت أفكار هنري

(1) Noam Chomsky, David Barsamian, Chronicles of Dissent :ibid, p180.

"Chomsky says: So the public's share in the costs went up very substantially through Stair Wars and the Pentagon, etc. That's the way it works. Percentage of GNP doesn't tell you anything relevant to this process."

(2) Alison Edgeley: ibid. p 83.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

لوفيفر (1901-1991م) *Henri Lefebvre*، مطابقة للواقع في فهمه لكتابات ماركس المبكرة على أنها تقتصر إلى بنية كاملة ودون مزيد من اللغط لأنها غير موجودة في نظرية متماسكة عن الدولة.⁽¹⁾

لذلك كان لدى تشومسكي مثل هذا التفسير فيما يتعلق بأفكار ماركس الشاب حول حقيقة أنها لم تظهر بشكل بارز في مؤسساتها وعلاقاتها التي تهيمن عليها رأسمالية الدولة تبعا لذلك، فإنها لا تعني له شيئا سوى المعتقدات الفضفاضة التي يستخدمها هؤلاء لأغراض الحماية والتشويش.⁽²⁾

ومع ذلك، يؤكد لوفيفر أنه لا ينتقد مبادئ ماركس باعتبارها تتجاهل معرفته بقضايا الدولة. بدلا من ذلك، من وجهة نظره "السياسية"، لم يتجاهل "ماركس الدولة"، التي كانت دائما الشغل الشاغل لفلسفته، لكن اتضح أنه، كما هو الحال مع تشومسكي، لم يتم اعتبارها ممارسة خالية من الانحراف. يصف تشومسكي الخطاب الماركسي وممارسة الفكر الاشتراكي التحرري الذي يرى نفس تأكيد "لوفيفر" على أن نقطة القطيعة مع فريدريش "هيجل" *Friedrich Hegel (1770 — 1831)*، هي قضية الدولة؛ غالبا ما يكون توجه العديد من الماركسيين في التفكير في الافتراضات المتعلقة بتطور النظرية، لكن محددا جيدا أنه من غير المعقول أن تكون الماركسية العلمية في دوائر العمل "السياسي"، ما يعنيه "لوفيفر" هو نقطة الاصطدام بين تفكير "الماركسيين" وهذا في الواقع يحدده النقد الذي يوجهه ماركس إلى كتابات "هيجل" حول فلسفة الحق.⁽³⁾

ما يتبدى ذلك ظاهريا في كتاباته المبكرة. الأمر نفسه وفقا لتشومسكي هو أن المجتمع الأمريكي لم يشهد توسعا في أساليب ومبادئ النظرية "الماركسية"، والتي يكاد يكون الإصلاح مستحيلا، نظرا لأنه ينظر إليه في "الولايات المتحدة" على أنه عداء صريح للدولة، الأمر الذي يحول تفكير "لوفيفر" إلى أنه مكمل لمواقف لم يذكرها تشومسكي، من أن الدولة هي جوهر التفكير الماركسي - إذا كان هذا صحيحا - فقد ذهب تشومسكي إلى

(1) Stuart Elden, *Understanding Henri Lefebvre: Theory and the Possible*, New York, Publishing in the British Library, 1st ed., 2004.p214.

(2) نعوم تشومسكي، تواريخ الانشقاق، تر: محمد نجار، عمان، الأهلية، للنشر، ط1، 1998، ص 107.

(3) Stuart Elden: *ibid.* p214.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

أبعد من نظرية الدولة وحجبها العاطفية، التي لم يزعم أي منها أنه يمثل ماركس في ظل العصر الحديث. "الدولة الرأسمالية" أو الدولة ضمن "التقليد الكلاسيكي".⁽¹⁾

على وجه الخصوص، كان انطباع لوفيفر، بالطبع، في رأيه، متشككا في نظرية الدولة باعتبارها جوهر الفكر الماركسي، مستنتجا أن أفكار ماركس وتأثيرها فيما يتعلق "بالطبيعة البشرية" والدولة قد تم كسرها وتشويهها وتعريفها، بينما ليس هناك وجه آخر للفكر الماركسي لوجود الدولة إلا في شكل علاقات الملكية ووسائل الإنتاج. وبهذه الطريقة، يتفق تشومسكي مع حجج لوفيفر القائلة بأن غياب ممارسة الدولة الفعلية ضمن البراديغم التحرري بشكل واضح الذي وضع أصوله ماركس. لم يكن سوى طلب لملء الفجوات من جانب الماركسيين، ومع ذلك لم يتم تصميم نسخته على غرار "الليبرالية" الكلاسيكية.⁽²⁾

بدلا من ذلك، اتخذ هذا الشكل الأنسب للديمقراطية والهيمنة الرأسمالية للحفاظ على السلطة وهذا غالبا ما يكون حشوا وظل معروفا على أنه خدعة لينين في ممارسته "للخطاب الثوري" والدولة. "ومشار إليه من طرف تشومسكي" إلى أن "النموذج اللينيني" يمكن أن يجزم المرء بأن جذوره لها أثر مدمر في الغرب للمبادئ والمثل الاشتراكية، وهذا بلا شك، يمكن أن تجد بعضا منه عند ماركس، بحيث إن غايته دائما ما يبحث عن طريقة لتحقيق مركزية السلطة وحفاظ عليها من أتباعه في العالم الذين يدمرون الحرية باسم التحرر ليكونوا مسؤولي المجتمع أو "كهنة الدولة".⁽³⁾

مما يجعل الأمر صعباً، من وجهة نظر لوفيفر، على الأفراد في المجتمع تحديد الشكل الحقيقي للدولة المناسب لتلبية احتياجاتهم الاقتصادية وحل مشاكلهم الاجتماعية فإن الفكر الماركسي دائماً ضروري للمجتمع لمعرفة كيفية إيجاد طريقة لتحقيق المساواة والتوازن بين مبادئ الحرية والقيم الاجتماعية، وكذا الرفاهية الاقتصادية والبيئ، أنه، في الفترة من (1960-1969)، لم تتلق الدولة سوى القليل من الممارسة والتحليل، إلا أنها لم تتطور بمعزل عن "الأيديولوجية اللينينية"، باستثناء ممارسة الدولة من قبل أنطونيو غرامشي (1891-

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص 178.

(2) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية، مقالات في الفلسفة والفوضوية والطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 112.

(3) نعوم تشومسكي، المصدر نفسه، ص 113.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

(1937)، والتي أنشأها بطريقة أخرى، مما يعكس معرفته الأساسية بالماركسية الحقيقية؛ وهي قفزة غير مسبوقة عن بقية الأعمال المتساوية للماركسيين مثل: لوي بيير ألتوسير (1918 - 1990م) *Louis-Pierre Althusser* وميشال فوكو (1926 - 1984م) *Michel Foucault*، والتي لا تقل أهمية عن خسارة الدولة في ظل البيروقراطية الحمراء التي أدرجها لينين في الفكر الماركسي إلى ما بعد اقتراح المناظرة الشهيرة "Miliband-Poulantzas"، (1).

لقد عرف اليسار السياسي الجديد طريقه في ممارسة غرامشي وتحليل تشومسكي وتطويره للاشتراكية الصحيحة في الولايات المتحدة باستبدال الدولة بمجالس عمالية، وبالتالي لم يكن لليساار الأوروبي أي تأثير، كما هو الحال مع اليسار الأمريكي الجديد، منذ أواخر السبعينيات عادت فكرة ظهور الدولة الحديثة لأسباب سياسية وفلسفية تم التخلي عنها قبل مرحلة "غرامشي"، وهي أن الأفكار الشيوعية لها دور في انقسام وتشردم النظرية الماركسية حول الدولة مع وجود مفاهيم من الغموض والسريانية المخفية بين الكوادر والأحزاب والدوائر الشيوعية المرتبطة بالأيدي العاملة لمصالح السلطة الرأسمالية الغربية، مثل: فترة ليون تروتسكي (1879-1940م) *Leon Trotsky*، وهذا الأمر الذي حجب العامة عن الوعي بالتفاصيل عن الدولة أو طريقة إنشائها للمجتمع يعالج بعض القضايا واهتماماتها الخاصة، فمن هيجل إلى ماو (1893-1976) *Mao Zedong*، مروراً بـ "لينين" وروزا لوكسمبورغ (1871-1919م) *Rosa Luxemburg*، وستالين (1878-1953) *Stalin*، لم تمارس الماركسية في فضائها البشري التحرري بدلا من ذلك يركزون على وضع الاستبداد واحتكار الإنتاج وتغريب العمل، وممارسة فكرة الدولة ضمن النسق الهيغلية القديمة. (2)

لهذا أشار تشومسكي إلى أن الخلل يكمن في حقيقة أن بعض الماركسيين قد اتخذوا وجهة نظر مختلفة عن "الطبيعة البشرية" في الاعتقاد بأن ماركس يشير إلى الدولة التي لا يمكن أن تحتوي على الكائن البشري الأساسي بصرف النظر عن وجوده التاريخي والمادي بحجة أن ظهور الدولة البروليتارية، التي تحول الحالة الإنسانية وتؤسس "الاشتراكية العالمية"، لا يحتاج إلى "الطبيعة البشرية" لتجسيدها لأنها شيء خاص بالفرد وأفعاله داخل الدولة مثل أي صناعة أخرى تتبع من "الذات البشرية"، في حين أن التعالي عنها يكمن بالطبع،

(1) Stuart Elden, Understanding Henri Lefebvre, Theory and the Possible: ibid. p214

(2) Ibid: p214.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

لكونه كائناً طبيعياً؛ ومع ذلك، يؤكد تشومسكي أن صحة هذا الاعتقاد دقيقة ومستمدة من الفكر الحقيقي لماركس في استدلاله عن تأسيس المجتمع البشري الأولي في التاريخ قبل ظهور الدولة والذي نتج عن الطبيعة الحقيقية في التاريخ الإنسان.⁽¹⁾

لذا يتبنى تشومسكي الرأي لأنه يأمل في تغيير الاجتماعي نحو الاشتراكية بتوظيف "للطبيعة الحقيقية" من أفراد المجتمع، غالباً ما يؤمن بمرحلة معينة من التطور الثقافي والتاريخي؛ وإذا كان الأمر يتعلق بممارسة مستمرة من هذا النوع في المجال "السياسي" للدولة الرأسمالية الحديثة، فإن هذا لا يصاحب تطور المجتمع مع تحوله نحو الاشتراكية، لأنه من وجهة نظر ممارسة الماركسية الحديثة، كممارسة أنطونيو غرامشي "Antonio Gramsci"، يتحول التفسير الماركسي لعلاقات الإنتاج وطبيعة الاجتماعية لهذه العلاقات إلى الشكل المحدد تاريخياً بينما يمارس البشر هذه العلاقات في شكل تطوري لوظائف إعادة الإنتاج والاستمرارية، فإن هذا في الأصل هو الابتكار الأساسي الذي ينبع من ميزة العلم التطوري للنظرية "الداروينية" والتي تضيف أسلوباً ماركسياً على علم التاريخ و"السياسة" للتجديد حركة التاريخ.⁽²⁾

بهذا المعنى، فإن توقع الماركسيين الدوغماتيين من فهم تصرفات الناس وآرائهم بمعزل عن الواقع وإهمال ما يصفونه بالبنية الفوقية باعتباره وهماً يتعارض مع المعرفة العلمية المستقلة والموضوعية يؤدي إلى حدوث "ثورة اشتراكية" تغير الوضع الاجتماعي، ينفي "غرامشي" هذا التأكيد الحتمي على قيام الثورة في وضع تنعكس فيه الفلسفة والعلم بشكل مستقل عن حياة الفرد وبطريقة أخرى يرى أن الواقع القائم بذاته ومستقل عن الحياة الاجتماعية والثقافية لأن "مفسري ماركس" لم يفهموا العلاقة المتبادلة بين الهيمنة الثقافية على حياة الناس ومسارات الممارسة التاريخية، لقد جمعوا بين "نسبية" العلم والحتمية التاريخية مع استخدام الطبقة العاملة

(1) Noam Chomsky, Democracy and Education: New York and London, British Routledge Falmer Publishing Corporation, first edition, 2003. p113.

"Chomsky says: Some Marxists have taken the view that "man has no essence apart from his historical existence," that "human nature is not something fixed by nature, but, on the contrary, a 'nature' which is made by man in his acts of self-transcendence' as a natural being. "

(2) Noam Chomsky, Democracy and Education: Ibid, p113 114.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

للسيطرة "السياسية" على أدوات السلطة ما بعد الثورة، مما أدى إلى إدامة الأيديولوجية البرجوازية، كما كان اعتقاد الماركسيين الأرثوذكس بأنها لا تحقق الثورة الاشتراكية.⁽¹⁾

بل هو خطأ الذي قسم الماركسية، وإزاء ذلك تتضمن "الممارسة السياسية" (*practice*) التي يقترحها "غرامشي" مواكبة إرادة ورغبات الشعب. بدلاً من إعطاء الأولوية لعملية التغيير باعتبارها مجرد انعكاس للبنية التحتية، تسيطر النخب على المصالح الاقتصادية بفضل الإرهاب العضلي للطبقة العاملة، مما يؤدي إلى إنشاء طبقة رأسمالية تهيمن على الدولة. هذا لا يعكس جوهر "الممارسة الواقعية"، يجادل غرامشي بأنه من الأنسب استخدام الطبقة العاملة في تشكيل البنية الفوقية وهي العامل المؤثر. لذلك يتم ذلك عن طريق الضغط على نفسها لإنتاج ثقافة فكرية وأخلاقية، حتى لو نتج عنها تحالفات متنافسة بين "النخب السياسية" على شكل قوى وكتل اجتماعية مختلفة، والتي تأخذ في النهاية شكل "الطليعة الثقافية" والتاريخية" للدولة "وتعمل لصالح تغيير المجتمع إلى الاشتراكية.⁽²⁾

ومن المثير للاهتمام أن موقف غرامشي ليس هو الوحيد الذي يجسد الممارسة الحقيقية أو كيف تمارس الطبقة العاملة الضغط والانسجام رداً على البرجوازية. ومع ذلك، فإن تشومسكي يظهر شيء مشابه من تجربة ميخائيل باكونين (1814-1876م) *Mikhail Bakunin*، التي تنكر أن تحرير الشعب هو تدخل مجموعة من الأفراد في ممارسة سياسية أو حكومة برلمانية، حتى لو كانوا بحسن نية وذكاء ينظمون مؤسسات المجتمع ويدعمونها؛ في الواقع، هي تحت الطبقة "السياسية" القوية التي تديرها الدولة بفرضها "الوصاية" مباشرة على جماهير الشعب ويتكون تكوينها من "الأقلية المثقفة" داخل الحزب الشيوعي من خلال "السيطرة" على مراكز السلطة الإدارية للدولة ومنظماتها الاقتصادية.⁽³⁾

(1) قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، بيروت - لبنان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013، ص 189.

(2) المرجع نفسه، ص 190.

(3) Gilvray, J. M. The Cambridge Companion to Chomsky: New York: Cambridge University Press Publishing, Vol. 2, 2017. p293.

"Chomsky says: "The organization and the rule of society by socialist savants," As [Bakunin] wrote, "Is the worst of all despotic governments." [...] in their own strong hands, because the ignorant people are in need of a strong guardianship . . . [the mass of the people will be] under the direct political-scientific class." [...] "Will, in reality, be nothing but a barracks" under the control of a Red bureaucracy. "

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

التي تظهر للشعب على أنها "حكومة تمثيلية" بعد أن اتحد أفرادها عقلياً وروحياً في توجيه المجتمع وفقاً للإرادة الثورية، ودفعوا "البروليتاريا" إلى أن تكون بدعة زائفة تتناقض مع التجربة التاريخية والمبادئ الأخلاقية "لفطرة السليمة". لكن من المؤكد أن هذا ناتج عن "الاشتراكية العلمية" إذا تولى مفكروها وعلمائها تنظيم حكم المجتمع وفقاً لمنهج العقلانية المادية والتطورية، وهو الأمر الذي غالباً ما يخفيه مهندسو الدولة في الثكنات المهيمنة على الإدارات العامة في أسوأ أشكال "الاستبداد" التي تديرها الحكومات "البيروقراطية" للحفاظ على تنمية المصالح الاقتصادية والامتيازات لحفنة من أعضاء "النخبة".⁽¹⁾

بناء على هذا الفهم المعقد للدولة الحديثة وفقاً لاختلافات تشومسكي بينه وبين المواقف "السياسية" التي لها اتجاهان للاشتراكية، أحدهما نحو "اليوتوبيا" والآخر في "العلم"، وكلاهما بعيدان عن النسق الحقيقي لماركس، مما أوجد تعدد الآراء حول آليات تنظيم البروليتاريا وحل مشاكلها وتنمية الوعي الاجتماعي لدى الأفراد يستنتج ماجواير (1865 - 1895) Maguire، بأن تفكير ماركس له سمة جوهرية وغالباً ما يكون لها أثر من المثالية على كتاباته المبكرة وهي التقليل من "السياسة" ورفضه من أن تكون الممارسة تابعة لمكانة في كوادرات السلطة والأحزاب الممثلة للمجتمع، مؤكداً بعقلانية تكريسه لهذا التقليل على أنه انتقال من المجتمع البرجوازي إلى مجتمع أكثر ليبرالية واشتراكية، وهذه هي غاية تشومسكي في "الممارسة للسياسة"، لهذا يرفض ماركس أي عداء من قبل أفراد المجتمع الحديث ضد الطبقة البرجوازية بأن يكون في شكل من السياسة المجردة والممارسة للآراء والأفكار والنداءات عموماً يلعبها الطوباويون والرومانسيون ضد الطبقة البرجوازية".⁽²⁾

يستاء ماركس من المواقف التي يتمسك بها معظم أعضائه بالهراء الديني أو "السياسي" لأنه لا يمثل عاملاً في زوال البرجوازية، لأن ماركس يدعي أن عامل تطور وتقدم المجتمع المدني البرجوازي هو حركته المادية والاقتصادية ذاتية التنظيم "في كل لحظة تاريخية انتقالية لذلك، قرر أن يمر الأفراد ببناء علاقات التنظيم الاجتماعي، والتي يتمثل جوهرها في العمل كجوهر الوجود الإنساني "للمجتمع". وهكذا، يدرك أعضاؤها أن من غاياته الوجودية وضرورة الانفصال عن الدولة لأنها أداة للهيمنة والتدخل دون الحماية، وهذا الوعي ينظم

(1) Ibid :p. 293.

(2) John. M. Maguire, Marx's theory of politics, New York, Published by the Syndics of the Cambridge University Press, first edition, 1978, p 20.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

المجتمع على أساس "علاقاته الإنتاجية". في الثورة العمالية، كل "جنس بشري" يتطور من الآخر. لن تكون هناك حاجة للدولة، لأن الثورة العمالية هي خلية التطور في تأسيس العمال المحررين، وبعد زوال الدولة، لن تكون الطبقة البرجوازية أو "السياسة" عنصرا أساسيا لبناء المجتمع لأن الوعي الإنساني اكتسب فكرة العمل كمصدر للوجود وغاية في تحقيق الذات.⁽¹⁾

في ذات السياق يشير رالف ميليباند (1924-1994م) *Ralph Miliband*، إلى هذه الحقيقة التي ادعى بها ماجواير في استبعاد كارل ماركس لأي مزاولة "سياسية" وهي غاية في إزالة الخيارات أمام الرؤساء للأحزاب الشيوعية في المجتمع والذين لم يفقهوا تعاليم ماركس بمعنى الكلمة لذلك، فإن موقفهم الدعائي يصرح بذلك من أجل تحريض الجمهور ضد الموقف الشرعي غير المبرر للدولة في خضوعها للطبقة البرجوازية، والغرض من هذا الارتداد الطبيعي هو تمكين الجمهور من دفع الثورة للاستيلاء على هذه السلطة حتى تعمل الدولة في ظلها، لأنه بمجرد امتلاكها لآليات ووسائل الإنتاج.⁽²⁾

بالنسبة لهذه القوى، يعني ذلك إخضاع الدولة كأداة لإدارة مصالحها، لكونها مجرد انعكاس ضروري للقاعدة الاقتصادية ولكن استنادا "لحجة ميليباند"، التي تعتبر أن الدولة معزولة عن تلبية احتياجات المجتمع المدني، فهي مجرد وسيلة تستخدم نيابة عن الطبقات المهيمنة، دون النظر إلى المفهوم الضيق بأن الدولة مؤهلة لتنفيذ الأوامر التي تملئها عليها طبقة الأقلية تلك، لكنها تعمل ضمن أيديولوجية رجعية ومتبادلة للعلاقات الاقتصادية مع "الطبقة المهيمنة" التي يؤدي وجودها إلى تجذير الفروع "السلطوية" للطبقة الحاكمة في المجتمع على مستوى "البنية الفوقية"، مما يؤدي أيديولوجي إلى التعاون في إدارة "الشؤون المشتركة" في مقابل حماية شؤون مجموعة معينة.⁽³⁾

غالبا ما يحدد ماركس هذا العمل المتشابك بين "الدولة" والنخبة"، والذي لا يتعارض مع تشومسكي وهدفه "السياسي" فيما يتعلق بفكرة "إدارة الشؤون المشتركة" والتي يتم تفسيرها على أنها ضمان دفاع الدولة عن جميع

(1) Ibid :p 20.

(2) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky :ibid, p 83.

(3) Ibid: p.83.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

أشكال "السيطرة الاستبدادية" والحفاظ على أشكال تنظيم الطبقة الحاكمة في الدولة كضمان للسوق ودعم الإنتاج وحماية مؤسساتها ما قد يعني أن هذه "الممارسة" لها وجهان يفسران جانبا واحدا من الاقتصاد "السياسي" الرأسمالي، بحيث إن ماركس يهتم أكثر بالأدوار القانونية والدستورية للدولة لكنه لا يأخذ في الاعتبار هذا التحول "السياسي".⁽¹⁾

ينظر أليسون إلى طبيعة هذا التحول السياسي على أنه اعتراض ماركسي ضد أكاذيب الاقتصاديين وهذه حقيقة يقر بها ماجواير في توصيفه للاقتصاد الرأسمالي عند ماركس على أنه يفضل المبادئ "الليبرتارية" ويميل إلى ممارسة المثالية لأنه غالب ما ينظر إلى هذا التحول في المجتمع على أنه مرتبط بأفكار العقلانية والتنظيم الذاتي، وهي ديناميكيات الاقتصاد الرأسمالي الحديث التي تمثل ضغطا مستمرا على الطبقات الأضعف في المجتمع من قبل البرجوازية المستقلة، التي تميز الدولة باعتبارها الشكل الاجتماعي المنظم ذاتيا ومكونا للصناعة والإنتاج ورأس المال.⁽²⁾

بينما يظهر تصور ماركس وإنجلز أن المجتمع المنبوذ هو الذي يمنح فضاءه للطبقة العمالية من أن تستغل الاقتصاد على غرار "السياسة" لأن جوهر المادية التاريخية، الذي يكشف الحقيقة، هو أن جميع "الطبقات الضعيفة" ينبغي أن تصلح موقفها عن طريق الصراع العائلي الاقتصادي امتثالا للثورة البرجوازية، فإنها تقتقر إلى المنافسة الاقتصادية فقط، في حين يؤكد توني سيكيلن (1972) *Tony Skillen*، بالاشتراك مع ماجواير، أن الفكرة الأساسية لتمكين "الطبقة العاملة" هي الوعي بتجاوز خدماتها للدولة المتجذرة في العدوان. لأن العمال لم يفكروا في مستقبل علاقاتهم الاجتماعية، بل "انغمسوا" في الخضوع للطبقة البرجوازية (الرأسمالية). ما يصفه ماركس بالإكراه الباهت للعلاقات الاقتصادية والذي يكمل تبعية العامل، ويقيد حريته لصالح أرباح الطبقة الحاكمة الرأسمالية التي تتنافس ضد أعداء الصناعيين، ويسيطر على طاقاته الإنتاجية، ويخضعها للعبودية.⁽³⁾

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص 71.

(2) Alison Edgeley: Ibid ,p 83.

(3) Ibid :p 83.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

ومع هذا فإن تشومسكي يفتح مجال "سياسي" لإيضاح انشغافات الفكر الماركسي رداً على التساؤل ماجواير وتوني سكيلن لماذا بعد نهاية الثورة البرجوازية؟ أغلقت الماركسية أبوابها ولم يختفي دور ممارسة "السياسة"؟ بشكل ملحوظ، يستشهد تشومسكي بأن حقيقة أن هذه الأفكار "السياسية" تتطور داخل مجتمعات العالم، قد يكشف المرء عن بعض المظاهر الخادعة لتلك الديمقراطية البرجوازية ويعيق إلى حد ما تطور الأوهام (الرجعية) في جميع "الهياكل الاستبدادية" التي تساعد في الحفاظ على الدعاية والشمولية في الدولة.⁽¹⁾

بالإشارة إلى النظام الأمريكي، ساهم إلى حد ما في دعم هذا النظام العميل الذي شكله المثقفون الليبراليون الأمريكيون ليتوافقوا مع إجراءات "السلطة" والامتيازات والمصالح الطبقية وما إلى ذلك ضد نظرائهم المثقفين اليساريين معلنين استقلال شجاعة العقل في "البلطجة" و "التحريف" و "الأكاذيب" والذم والحرمان لتدمير روح الثورة والتغلب على إرادة الطبقة العاملة لضمان بقاء الديمقراطيات الصناعية. وهو الأكثر تأثيراً من بين المدافعين اليمينييين الرأسماليين عن التجارة والسوق الحرة، فقد تغلغل في الأحزاب الشيوعية التي تدافع عن المجتمعات الاشتراكية من تحرير البروليتاريا من العبودية والاعتراب، وتميل إلى استنزاف الجماهير بطريقة تتناقض بشدة مع حقوق الإنسان والحرية كهدف للاستيلاء على "السلطة".⁽²⁾

قد يعني هذا أن الدولة لها جذور الحصرية والشمولية، كتفسير دقيق للدولة من نهج الماركسية والممارسة عند تشومسكي، كما هو الحال في تحليلات نيكوس بولانتزاس (1936 – 1979م) Nikos Poulantzas، للدولة بأن مشكلة تكمن في المفاهيم التي تحدد الممارسة الثنائية والشمولية بين تطبيق السلطة وفرض آلياتها التقنية على الجسد الاجتماعي مما تخلق "سياسات" لها طابعاً فردياً وخصوصاً كما في الطبقة النخبة (البرجوازية أو الرأسمالية) ويدمج نفوذ سلطتها في علاقات الإنتاج وبناء مؤسساتها وتقسيمها للعمل الاجتماعي، وتكوينها للعوام من جموع مراكز التفرّد، وهكذا يبقى القطاع الخاص نسخة مجردة من العام، مما يضيف جوهر شامل

⁽¹⁾ Noam Chomsky, Language and Politics: Canada, Black Rose Box Publisher, first edition, 2017, p.312 313.

"Chomsky says: I give many examples .full-scale invasion in support of a client regime that Washington knew had no legitimacy.[...] system operates through a complex of much of the intelligentsia to conform to power while proclaiming their courageous independence of mind , and the unwillingness to endure vilification, lies, and denial of the opportunity to work" .

⁽²⁾ Ibid :p 313.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

لهذه الشعوب الفردية، والانتماء إلى الدولة كتطور لحركة واحدة من التاريخ، بدلا من ذلك، تعتبر " حقوق الإنسان" و"الحريات" جزءا من "تركيبية الدولة".⁽¹⁾

لذلك وصف بعض فلاسفة فرانكفورت ثيودور أدورنو (1903-1969 م) *Theodore Adorno*، هيربرت ماركوزه (1898-1979) *Herbert Marcuse*، بإضافة إلى حنة أرنت (1906-1975 م) *Hannah Arendt*، كارل شميت (1888-1985 م) *Carl Schmidt*، ميشال فوكو (1926 - 1984) *Michel Foucault*، كارل بوبر (1902-1994 م) *Karl Popper*، إلخ، على أنها تأخذ في ممارساتها شكل الجسد المثالي، أو ما يصفه بولانتزاس الأسرة للدولة (المعلمين والجنود والموظفين والتجار والسياسيين). وطبقا لتشومسكي فإن مادية الدولة في مجتمع الغربي المعاصر (أمريكا، أوروبا) تمثل النخب فيها "الديمقراطية التمثيلية" وهي إلى حد ما تتلاءم مع امتيازات هذه الطبقات الحاكمة.⁽²⁾

على نمط الرأسمالية تُكْمُنُ جذور هذه النخب في الدولة إلى السيطرة على البنية المادية للدولة المتمثلة في علاقات الإنتاج وتقسيم العمل الاجتماعي، وتظهر هذه الأشكال المعروفة في المجتمعات الغربية والتي عندها تعاضم للشمولية الدولة، بخصوص "السياسة الأمريكية" فهي تعد تقليدا "للبنوابرنية" في هيمنتها لفرض السلطة السياسية ومعاداة الشيوعية، والتي لها تأثير مثل الديكتاتوريات الأخرى، (الفاشية والنازية)، كما أنها لا تستثني "الستالينية"، في ممارساتها الخانقة للماركسية ونقطة ركود للأمية العمالية المناهضة للتسلسل الهرمي في المجتمعات الرأسمالية التي تعزل فيها البرجوازية البروليتاريا عن علاقات الإنتاج، احتكاراً للوسائل لبناء مادية الدولة.⁽³⁾

علاوة على ذلك، فإن ممارسة الماركسيين الجدد ومعظم مفكري مدرسة فرانكفورت للنظرية "السياسية" تضع أسلوبا مختلفا عن المثالية في تفسير الدولة. من المؤكد أن ممارسة لوي ألتوسير (1918-1990 م) *Louis Althusser*، تحلل العلاقة بين وظائف الدولة واستقلال ممارسة السلطة، بحيث يحدد بأن (البنية الفوقية) بدورها

⁽¹⁾ نيكوس بولانتزاس، نظرية الدولة، تر: ميشيل كيلو، بيروت - لبنان، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط2، 2010، ص 68.

⁽²⁾ المرجع نفسه، ص 69.

⁽³⁾ المرجع السابق، الصفحة نفسها .

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

تتمتع بدرجة من الاستقلال في الدولة على المجال الاقتصادي، بينما تكون (البنية التحتية) تخضع للمجالات السياسية والأيدولوجية التي تحدد طبيعة المجتمع في كل مركب.⁽¹⁾

ومن ثم يحدد التوسير علاقة جديدة في الممارسة المادية للدولة على أنقاض تفنيد الأيدولوجيا من خلال كونها أحادية وخاضعة للبنية التحتية، كما يدعي ماركس، واصفاً إياها "بالأجهزة الأيدولوجية للدولة"، بشكل عام، يميز التوسير "الممارسة السياسية" في فصل جهاز الدولة إلى نوعين، كما هو الحال مع الدولة الأمريكية مع "تشومسكي" الذي لديه مثل هذا الانقسام إلى درجة أن "التوسير" يعرف جهاز الدولة الأيدولوجي بأنه نسخة من اللاوعي الاجتماعي الذي يظهر في المجتمع، بما في ذلك (المؤسسات الإعلامية، النقابات العمالية، الكنيسة، الأسرة، الأحزاب، المدرسة).

على عكس النمط "القمعي" الذي يظهر في المجتمع في شكل القوانين التي تفرضها الدولة بالعنف والقوة على الأفراد والمجتمعات من قبل (الجيش والشرطة). لذلك، فإن احتواء النخبة أو الطبقة البرجوازية على ممارسة هذه الأجهزة، فهذا يعني أنها تعيد إنتاج سيطرتها ويضمن استمرارية "سياستها". وعليه فإن، ممارسة الدولة للأدوات القمعية "الناعمة" والعلنية تشبه دور الأسرة في ممارستها لهذه العلاقات المعقدة.⁽²⁾

لذلك، يعتبر أليسون أن الدولة هي علاقة محددة مع بقية الأنماط الأخرى الموجودة، وهي نقطة التناقض بين حجة سيكيلين في تحليله لممارسة ماركس للدولة على أنها موجودة فقط للتأثير على الواقع الأصلي للأفراد والمجتمع مع "السياسة"، بحيث تميل آراؤه إلى تعريف "السياسة" في ظل رأسمالية الدولة بنفس التعريف الماركسي الذي يعترف بأن السياسة لا يمكن تخيلها إلا في الصراع الطبقي والاجتماعي بين أعضاء مجتمع معقد وشمولي في علاقاته، إلا في وجود الدولة المنبثقة عن العامة والتي تمثلها البرجوازية بفرض مبادئها وقوانينها داخل المجتمع. يمكن أن يكون للحجة "سيكيلين" تفسيراً غير حقيقي للماركسية لأنها تحد من الديالكتيك

(1) نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004، ص36.

(2) المرجع نفسه، ص37.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

المادي، كما لو أن "السياسة" لها ميزة إنشاء الدولة ومعنية بها، والدولة موجودة من التفاعل العلاقات "السياسية".⁽¹⁾

وعلى هذا الأساس، تجد مثل ذلك الوصف للدولة لدى تشومسكي ومع ذلك، فهي لا تختلف من حيث وصفها بأنها "الطبقة المهيمنة" على الإنسان، ليس فقط في مجالها "السياسي"، بل في كل نشاط ومكان تظهر أشكالها. والتي تهيمن على الأفراد من الناحية "السياسية" وتعبّر عن إرادتها الرأسمالية من طبقة أحادية الجانب في السياسة، لاستغلال النطاق الأوسع للنشاط الاقتصادي. غالبا ما تكون الدولة نقاط دعم "سلطة" الطبقة النخبة، وهذا الأمر، الذي لم تكن هناك "جهود فاشلة" في الولايات المتحدة للتعبير عن الوعي العام بهذه "السياسة"، فإنه لم يجازف المثقفون بأن يمنعوا لها الاستمرار في الوجود؛ وإذا فعل الشعب هذا لتقويض سلطة تلك الطبقة النخبة "السياسية"، فإنه سيعيد تشكيل نفسها حتى بعد العملية الثورية الظاهرة، لأنها بصفتها الدولة.⁽²⁾

هذا لا يعني أن "أليسون" ينفي دور "السياسة" عن "ماركس" واتهامه "سكيلن" بأنه يجادل من منظور الشرعية "السياسية" ويستبعد جوهر الماركسية المادية للدولة، بعدم الاعتراف بأن للعامل الاقتصادي دورا حاسما في بناء المادية للدولة، لكن من الواضح من تحليلات "تشومسكي" للدولة الأمريكية أن علاقات تبرير شرعية "السياسة" بين الدولة والنخبة غالبا ما ينظر إليها "التحليل الأناركي" على أنها تمارس من قبل الأسرة الواحدة وفي المؤسسات.. مما يعني أن حجة سكيلن حول الدولة كما وصفها "بولانتزاس" والتوسير في شكلها "السياسي" الموجود في كل مكان في المجتمع.. لكن الخطأ الذي قدمه سكيلن هو اعترافه بأن الحفاظ على النظام الاقتصادي للدولة - على حد فهمه لماركس - هو نتيجة "للسياسة" التي تمارسها "طبقة النخبة" بغض النظر عما إذا كانت جائرة أو "سلطوية".⁽³⁾

(1) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid, p.83 84.

(2) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، ترجمة: أمير زكي، مصر-القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2015 م. ص61.

(3) Alison Edgeley: ibid, p 84.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

يكون أمر بديهي لا يحتاج إلى نقاش، في نظر تشومسكي على أولئك "الواقعيين" الرأسماليين الذين يتلاعبون بمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية في المجتمع الأمريكي وببساطة يحمون الدولة بالمنطق الذي يكون أكثر تطرفاً ضد الأفراد وحرية التعبير تم ذلك بفعل "ممارسة السياسة" على مبادئ جيريمي بنتام: *Jeremy Bentham* (1748-1832)، كان لها "غاية براغماتية" في الولايات المتحدة تسخير "المؤسسات" والمحاكم العليا للطبقة النخبوية لاستعادة حقوقها "الاستبدادية" على الرغم من أن التجربة التي أخذها هؤلاء "الواقعيون" تمثل مبدأ فلسفة "التنوير" وتقاليد العام (1969)، والتي في التقليد الكلاسيكي تعزز حرية التعبير والحق في دعم أي وجهة نظر "سياسية" من الجمهور. بينما تم استبدالها لأغراض اقتصادية ودعائية في "الولايات المتحدة"، لتكون الوسيطة بين النخبة وسلطات الدولة، لم تكن هذه الرؤية لدى ماركس، وإنما ظهرت بعده مع الستالينية. لهذا يفترض تشومسكي أن طبقة "الواقعيين" في الدولة تمنع الأفكار الأكثر تطرفاً وبغضاً ضدها ولكن في طبقة المثقفين للدولة لدى ماركس لا يوجد تخويل أفراد يمكن وصفهم بحماة الدولة.⁽¹⁾

ومن ثم، يؤكد "أليسون" أن الدولة التي تأخذ في الاعتبار مصالح المجتمع الرأسمالي سيكون لها "سياسة" راديكالية منفتحة بدورها على المجالات الاجتماعية والاقتصادية، وهذا على وجه التحديد يقتصر على الطبقة البرجوازية التي تتولى العمل إلى جانب وظيفة الدولة في تكوين مصالحها على أنقاض المصلحة المجتمعية وهذا بدوره يبقي على "السياسة" من التلاشي، بحيث تظهر في الواقع على أنها تخدم مصالح العامة والمشاركة بين الأفراد؛ على هذا الأساس يؤكد ماجواير وماركس أن النظام الاجتماعي الرأسمالي أنه نتيجة "لمصلحة عامة" خادعة أقامت الدولة لحماية الأقلية المهيمنة اقتصادياً داخل التسلسل الهرمي والتي تهدئ دور العمال في منحهم الحرية والمساواة بطريقة "سياسية" بدلاً من الثورة.⁽²⁾

في هذا الشكل من الدولة وفقاً لماركس، تكون طبقات المجتمع غير متساوية اقتصادياً ومسيسة "برغبة النخب الحاكمة، لكنها تتمتع بميزة الفردية و"الخصوصية" دون أن تنفصل عن الجانب "السياسي". ولذلك تكون فكرة الانفصال الدولة "سياسياً" عن الشعب كما يلاحظ تشومسكي في "الولايات المتحدة" فكرة غير قابلة لتعميم

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، جون بريكمون، العقل ضد لسلطة رهان باسكال، تر: عبد الرحيم حزل، لبنان - بيروت، دار التنوير، ط1، 2014..ص 109

⁽²⁾ Alison Edgeley :ibid, p 84.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

لأنها نشأة حديثاً ولربما أن ماركس يحلل الدولة والبرجوازية وعلاقتها "بسياسة" مجتمع المدني من الحقبة ما بعد القرون الوسطى وهي المرحلة التي تعزز مكانة الدولة بوصفها امتداداً للمجتمع المدني من حيث الحقوق والمنافع الاجتماعية والاقتصادية التي تمنحها لأفراد لا سيما في "السياسة" ولكن الآن في المجتمع الأمريكي يفترض تشومسكي أن يقع توزيع الملكية بين البشر خارج إطار الدولة وسلطة الدستور التي تحمي النخب والقوة "السياسية" وهذا ما كان مميزاً في فلسفة كارل ماركس. لكن في الواقع تظل "السياسة" تمنح للمشاركة في حياة القوة والملكية عكسا مجتمع الذي وصفه ماركس.⁽¹⁾

وفقاً لمبادئ القانون، يساهم العمال في الولاء لأصحاب عملهم بطريقة غير واعية للطبقة العاملة المنتمية إلى المجتمع، لذلك، فإن مجال تقسيم العمل في أساسه غير الواقعي يساهم في إكراه الطبقة العاملة في الإنتاج من أجل بقاء المجتمع البرجوازي. تعمل الدولة على تبديد المفاهيم "القسرية" بعبارات أخرى، كامنّة ومقموعة، ما يصفها ماجواير بـ: "الأيدولوجية المكبوتة للدولة" وهي وظيفة تطبقها الطبقة الرأسمالية على الطبقة العمالية لضمان ولائها للصالح العام داخل هذا الجسم المثالي الذي "تهيمن" عليه الدولة، وإذا ما فشلت وظيفة الطبقة الحاكمة، تسارع الدولة إلى استبدالها بهذه الأداة "الأيدولوجية" المتمثلة في "سياسة" الاغتراب والقمع والإكراه.⁽²⁾

فضلاً عن ذلك، يؤكد دوركايم (1858-1917) *Émile Durkheim*، مثل ماركس بأن "الدولة" لم تكن المعيار الذي يعبر عن حرية الأفراد فحضورها تجريبياً يظهر دون وازع أخلاقي، وذلك أشبه بنظام الأسرة كونها تقرض "الأبوة" وهو القانون الكلي الذي يطبقه الأب (فرويد)، ولهذا تكون عادات وقيم الأب في التعبير عن القانون بحسب رغباته فيما تكون "سياسته" كما وصفها ماكس فيبر (1864-1920) *Max Weber*، مبنية على الروتين السلوكي "الاستعمال" وشرعية الواجب من بقية الأفراد مستجابة له دون خروج عن النسق، لأنه المانع الأخلاقي مندمج مع القوة. ولكن في الدولة تنشأ القسرية من الروادع الأخرى التي تعزز احترام قانونية "أبوة الدولة" مثل الأجهزة الشرطة والمحاكم، لهذا السبب، في "سياسة الأبوة"، لا تستطيع الدولة إظهار "سلطانها

⁽¹⁾ أنطوني جندرك، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، تر: أديب يوسف شيش، دمشق-سوريا، الهيئة العامة السورية للكتاب للنشر، دط، 2012،

ص 36.

⁽²⁾ Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky :ibid, p 84.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

القسرية" بطريقة واضحة للأفراد باستثناء أولئك الذين مارسوا المقاومة والاعتراض على سلوكها الطبيعي حسب العرف والقانون.⁽¹⁾

وعليه، فإن الدولة ليست مسؤولة عن تنظيم أفراد المجتمع في وجود يضمن لهم حقوقهم المادية، لأنها بفعلها ذلك تفقد دورها المهم في حماية الطبقة البرجوازية؛ غالبا ما يكون لها جانب من جوانب المسؤولية "السياسية" إلى حد كبير لردع الأفراد من "الجنس البشري" بجعلهم مثل الآلات والأدوات لخدمة البرجوازية، وهي تفعل ذلك وفقا لشئونها الخاصة. والدولة هنا "سياسية" أكثر - على عكس حجة سكيلن - وهدفها هو المشاركة في مثل هذه المصالح المدارة للربح مع إعادة تأسيس وجودها "السياسي" والاقتصادي. لذلك، فهي تستند إلى تنظيمها لقوانين وتشريعات مكافحة الاحتكار، وهي أساس مناسب للبرجوازية في تحقيق رأس المال من إنتاجها، مما يضمن استمراريته. وفقا لـ ماجواير، لن يكون الأمر مماثلا للرأسمالية لوضع بعض مصالحها في بيئة تنافسية بشكل متزايد؛ ولكن استغلال الطبقة العاملة ببقائها على المنافسة البينية التي تحافظ على دخل رأس المال من إنتاجها الاقتصادي، وهذه المنفعة للبرجوازية لها جانبها. (سياسيا)، وبالتالي لن تتعرض لأي إغراء في "سلطانها" أو في عملية الإنتاج يتعارض مع مصالحها أو مخالفا لقوانينها.⁽²⁾

في الواقع، فإن الدولة ومصدر شرعيتها، لم تكن مُعَابَةً في تأملات فلاسفة عصر النهضة، أمثال ميكافيلي (1469-1527) Niccolo Machiavel li، وهوبز (1588-1679) Thomas Hobbes، وجون لوك (1632-1704) John Locke، وفولتير (1694-1778م)، Voltaire، وروسو (1712 - 1788) Rousseau، ومونتسكيو (1689-1755) Montesquieu، إلى حماية الحقوق "والديمقراطية" والمساواة الطبيعية والإرادة العامة، من طرف الدولة إلا أن هذا لا ينفي حقيقة الدولة بمنطق "ماركس" وتشومسكي" هي التي تجرد الإنسان من إنسانيته وتخضعه "للسلطة السياسية" التي يمثلها عدد قليل من الأفراد. فهذا العبء ينتج عن "الفردانية" التي تؤكد على ضرورة تدخل الدولة في عالم العنف والصراعات ويمثل غيابها في تنظيم "العدالة" بين الأفراد في

⁽¹⁾ أنطوني جدنزك، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، تر: أديب يوسف شيش، دمشق - سوريا، الهيئة العامة السورية للكتاب للنشر، دط، 2012، ص 216-217.

⁽²⁾ Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid. p84.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

المجتمع. مما يعني ذلك، أن "الفردية" والتعاقدية "ظهرت كنتاج للسوق الحرة، والمصالح الرأسمالية، ودون العوامل التي لا تساعد في صعود الطبقة البرجوازية، يكون للدولة دور محايد بالنسبة لغالبية السكان.⁽¹⁾

ولكن غالبا ما يجد المرء أن هذه السمة مؤثرة بشكل متعاضد من جانب الرأسمالية المتوحشة، لأنه بصرف النظر عن الأداء الصناعي والطبيعية التنافسية لشركاتها الربحية، فإنها تميل إلى "سياسة" التآمر وتكليف العملاء "بالحرب" ضد أعدائها من أجل الحفاظ على مساحتها التنافسية الاقتصادية. ما ينطبق ذلك على دولة مثل (الدولة الأمريكية) التي تكون رأسماليتها المفردة مقارنة بالوصف الذي قدمه لينين على أن طبيعتها الإمبريالية تغري أعداءها للتفرد بالوجه العالمي، بينما مجتمعاتها الرأسمالية لن يكون لها أي هدف في تنظيم وحماية أفرادها؛ بدلا من ذلك، تجبرهم "السياسة" على دفع الضرائب لحماية بقائهم على قيد الحياة.⁽²⁾

ويشمل ذلك في نظر تشومسكي المؤسسات التي تدير "السياسة الداخلية" وهي التي تخلق الحدث الذي يحصد رأس المال من الخارج، ويدمر ما تبقى من الإصلاح الاجتماعي والزراعي والانحياز برأسمالية الدولة، إلى الإمبرياليين الذين وصفهم لينين يتقاضون رواتبهم من الفقراء نتيجة العوامل الاجتماعية التي تسببها "المؤسسات" المالية العالمية، لهذا تجد "تشومسكي" وماركس" يفسران ذلك بأنه التحيز الطبقي لأولئك الذين يحكمون قمة الهرم وبأفكارهم الموجهة نحو الدين والبحث والسياسة بعامه الناس، والغرض من ذلك هو تقديم خدمات الضرائب، لإصلاح أثارها المدمرة والعسكرية. فيما تجادل الطبقة الحاكمة بأنها (إرادة إلهية)، أو (لعنة أسطورية)، وهي نتيجة عوامل اقتصادية ملموسة للغاية من الدولة.⁽³⁾

لذلك، تستند فكرة ماركس إلى بناء الطبقة الاقتصادية للمجتمع البرجوازي على أنها تعتمد على القوة الإنتاجية واحتكار وسائل المنافسة الداخلية، لذلك في بداية أعماله المبكرة تجده يدافع بقوة عن تأثير السوق الذي يقوم بذلك. عدم الإضرار بمصالح الطبقة وتدخل الدولة لحمايتها. في حين أن الجزء الكامن الذي أشار فيه ماركس إلى أن للبرجوازية تأثيرا آخر على المجتمع يتجاوز مجالها الاقتصادي لا يزال قائما، فإنها تسيطر على

(1) فهمي، عبد القادر، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية؛ دراسة في الأفكار والعقائد ووسائل البناء الإمبراطوري، الأردن- عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 53 54.

(2) Alison Edgeley :ibid, p84.

(3) نعوم تشومسكي، الدولة المارقة، تر: أسامة إسبر السعودية، مكتبة العبيكان، ط1، 2004، ص 244.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

مؤسسات الدولة ومراكزها "سياسياً". بدأ هذا الدور في البيان الشيوعي بالتهميش "السياسي" من قبل الطبقة البرجوازية، التي هي في حد ذاتها أعداء الدولة.⁽¹⁾

يظهر هذا في شكل خاص تسيطر الدولة على "السياسة" عن طريق الاقتراع العام لصالح الحماية الاقتصادية للطبقة، كونها مالكة الوسائل لتسخير العامل المأجور وضمان ثقتها في إدارة حرياتها ومصالحها، على الرغم من أن الأقلية من أعضائها، وفقاً لما يؤكد إنجلز (1848)، يدير الدولة بطريقة يمكن مقارنتها بالسلطة "البونابرتية" عند تنصيبها ويظهر دعمها للحكومات الديكتاتورية على المجتمع المدني بشكل واضح في أعقاب الأحداث (فرنسا وألمانيا)، والسبب في ذلك هو "الفساد السياسي" وزخم التمثيل البرلماني غير العادل.⁽²⁾

بالإضافة إلى ذلك، فإن جوهر الفساد في نظرة كارل ماركس للدولة يعود إلى الجهاز شبه الطفيلي، أي البرجوازية، ويشكل هيجل مفهومها كنموذج للدولة "المهيمنة" التي أخذت حيزاً في "الممارسة الواقعية" منذ عهد لويس نابليون بونابرت (1848-1852) *Napoléon Bonaparte*، بحيث أثرت على "السياسة" في تقسيم المجتمع إلى مجموعات "متسلطة" يصفها ماركس أيادي الدولة وهي على خدمة للطبقة المهيمنة تتحكم في جزء من الهياكل الفوقية، لهذا فإن نقداً ماركس لفلسفة الحق عند هيجل يأمل في تجاوز الدولة ومؤسستها الطبقيّة المهيمنة للانتقال إلى مجتمع الاشتراكي اللاتبقي، هذه هي إحدى نقاط نقد تشومسكي للنظام الطبقي "للدولة الأمريكية"، الذي أنشأه "متقفون وتكنوقراط واقعيون"، وهو نوع من التوازن النسبي بين القوى الاجتماعية ونظامها الرأسمالي المستبد.⁽³⁾

لطالما بدأ ظهور مبدأ تنفيذ "النظام الجديد" من قبل الولايات المتحدة، وهذا مصدر قلق لكارل ماركس، بشأن التحول الذي يحافظ فيه المخططون الرأسماليون الجدد على "سيطرتهم" الكاملة على الدولة لذلك، يأخذ الجمهور في الاعتبار مصالحهم باتباع هذا النوع من النظام، رغبة منهم في التغيير الاجتماعي والاقتصادي.

(1) Alison Edgeley: ibid, p84.

(2) Ibid: p84.

(3) سميد الدين إبراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي بيروت-لبنان مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، 1988، ص 67.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

من الواضح في أفكار "ماجووير" أن التخلي عن النظام التقليدي لن يكون سهلاً لأن الهيمنة "السياسية" بقدر ما هي عامل ركود وفقاً لتحليل ماركس للأزمات البرجوازية في (فرنسا وألمانيا) في عام (1848). كان مرتبطاً بازدياد الوضع الاقتصادي لأن الدولة الرأسمالية واكبت النظام بسبب حاجة النظام للمنافسة والاحتكار، وهو طابع مستقل للدولة الرأسمالية؛ في حين أن البرجوازية فشلت في مواكبة ذلك لأن الاعتراف بها يشير إلى درجة تدخل الدولة لحمايتها حتى تكون إمكاناتها كقوة "سياسية" أقل مقارنة بالرأسمالية، فإن شكل الدولة يبقيا في إطار استقلال كامل، بدأ ذلك من عهد بوناپرت الثاني، بينما يجادل ماركس بأن الدولة داخل النظام يجب أن تدرك بأن سر رفاهها يقع على العامل الاقتصادي، ولذا فإن تقويته وتعزيزه ضرورية في تضمين العملاء الذين لديهم مصلحة رجعية إلى النظام القديم حيال ما يتصرف الجمهور بناء على هذا العامل بخيارات تضمن له أسلوب حياته.⁽¹⁾

من هنا، تظل فلسفة ماركس حول الدولة وظاهرة "السياسة" تجربة لا تقل عن "الإمبريالية" التي تنتشر حربها في كل مكان لأن فهمه للدولة هو يقوي العلاقات الدولية والرأسمالية بحيث لا يدرك ما سيحل بالأفراد نتاج تلك القوى الاقتصادية التي في عصر "تشومسكي" تخضع جميع العوامل الاجتماعية و"السياسية" لها ما يتبقى في العالم عوامل أخرى تنظم "السياسة" والدولة على الأخلاق والقيم والإنسانية والمساواة والعدالة إلا وأن تكون طبقة مأجورة من طبقة برجوازية أعلى منها فيما تكون الدوافع والثقافة والأديان هي محرك لتلك العلاقات الاستراتيجية "السياسية" والعسكرية في الدولة على أساس المصلحة الذاتية الاقتصادية بحيث وصف ذلك إنجلز (1820-1895) *Frederick Engels*، في بيان الشيوعي أن ماركس لم يؤسس "للسياسة" واضحة بل وضع الدولة على شروط السعي الرأسمالي للحصول على المواد الخام والأسواق، وهذا يعري الإنسان من قيمه لأن البرجوازية لم تترك بين الأفراد سوء نزاع على المصلحة "الذاتية والأناية".⁽²⁾

يتضح من النظام ما إذا كان قديماً أم جديداً بالنسبة لماركس، وأن تفسير الدولة لن يكون خارج التفسير المادي التاريخي، بينما تحول الوضع الاجتماعي والاقتصادي للجماهير في المرحلة البرجوازية وفي ظل

(1) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid. p 85.

(2) جيمس دورتي، روبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، تر: وليد عبد الحي، بيروت-لبنان، مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 1985، ص 172 173.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

الرأسمالية إلى ازدياد. أدت نتيجة الخيارات "السياسية" الأخرى إلى خلق هذه الأزمات، والتي أوضح ماكلياند (1917 - 1998) *David C. McClelland*، أن الدولة لم تتصرف بشكل مستقل، بل بالأحرى أن التشكيلات "السياسية" الواسعة وسيطرتها على العلاقات الاقتصادية على مستوى البنية التحتية أظهرت أن الدولة بدت أكثر استقلالية من الناحية العملية. من وجهة نظر ماركس، لا يمكن للدولة أن تكون مستقلة دون عامل اقتصادي، وهذا ما يجعل البرجوازية جوهر الدولة الحديثة؛ هو اعتمادها الفعلي على نمط إنتاج واستغلال الطبقة العاملة.⁽¹⁾

بمجرد أن يتعلق الأمر بالحفاظ على "هيمنتها" داخل المجتمع المدني، فإنها تعتمد بشكل أساسي على الدولة إلى حد كبير، لذلك تجد في الكتابات الناضجة لكارل ماركس أن الدولة تعتمد إلى حد كبير على البرجوازية، وبفعل المشاركة المتبادلة بين صانعي "السياسات" ووكلاء الإنتاج تساهم في الانتقال من مرحلة إلى أخرى. لأن ممارسة الدولة في المجال "السياسي" مهمة في اتخاذ الإجراءات القانونية والعسكرية التي تحمي مصالح الطبقة البرجوازية بشكل كامل مع استجابة استباقية في توفير إنتاجية أكبر لضمان حمايتها. وهذه الصورة، بحسب "تشومسكي"، هي طبيعة الدولة، حيث لا ينظر أي فرد أو شخص إلى الدولة التي توفر له الاحتياجات الضرورية. لذلك، يعتمد سلوكهم كوكلاء على الترتيبات "السياسية" والاجتماعية لأن البشر كائنات اجتماعية. لها تطلعات أساسية مثل الحاجة إلى الغذاء والمأوى والحماية من التهديدات الخارجية ما يدعوها ماركس (الحاجات الحيوانية).⁽²⁾

وعلى نهج التقريب، التحليل الماركسي للدولة الأمريكية فإن ما يبدو بشكل ملحوظ منه بأن هناك روابط منطقية تحكم الأنظمة "السياسية" وهي ما يسميها ماركس الضروريات الاقتصادية، التي هي أساس ديناميكيات الطبقة الحاكمة، في سياق أي تحول "سياسي"، تعتمد إلى حد كبير على العلاقات الاقتصادية، بمقارنة هذا مع تشومسكي، يرى المرء أن تحليله يكمن في هذا التقليد الاشتراكي، لكنه لن يجد أي عرض لمقترحاته التي تنص على عمل الدولة في المصلحة المشتركة مع الإنتاج والأعمال بتفاصيل دقيقة مثل تلك الروابط التي قدمها ماركس حول الحكومة البرجوازية وتأثير اقتصادها على الدولة. ما يعني ذلك بأن تفسيره إزاء الدولة يقتصر

⁽¹⁾ Alison Edgeley: *ibid.* p 85.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل بيروت، دار الساقي، ط1، 2018، ص 245.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

بشكل كبير على الممارسات "الاستباقية" وغير "الشرعية" التي تديرها النخبة في المجتمع، ومن طبيعتها توفير درجة ممكنة من "الشرعية" لتجنب الأزمات الاقتصادية.⁽¹⁾

ما يدركه تشومسكي هنا هو أولوية المؤسسة، على عكس التحليل الماركسي، الذي يعترف بأولوية المصلحة المادية على المؤسسة. وبالتالي فإن كليهما، يسلم بأن الدولة مؤثرة في هذه التحولات "السياسية"، بينما تشومسكي هو الأقرب إلى الواقع الفعلي، لأن النظام الذي يقوم على المصالح الاقتصادية دون المؤسسة سواء كانت (سياسية أو قانونية) لن يقدم أي شيء لصالح الدولة والنخبة، ومن أجل تطوير رؤية محددة لتقليد نهج تشومسكي لأفكار ماركس تحليل رودولف روكر (1873-1958م) *Johann Rudolf Roker*، أقرب إلى تشومسكي من وجهة نظر أناركية، حيث يرى المؤسسة كعامل في كل "حكم سياسي" مطلق أو "سلطوي"، بينما ينشأ معظم استغلال الوحدة الوطنية من الرأسمالية في إطار المؤسسة بسبب "البيروقراطية" الجامحة والمحسوبية ومع ظهور هذه الأشكال "المطلقة للسلطة" داخل مؤسسات الدولة تحول المجتمع من مجتمع يسعى إلى تحقيق التنمية الاجتماعية بفعل مؤسسات الدولة لمجتمع يرفض تدخل الدولة ومؤسساتها التي تميل إلى احتكار الاقتصاد والتأثير فيه بالأعمال التجارية التي تربط النخبة بطبقات أخرى من المجتمع، وفقا لروكر، لن يكون المجتمع الرأسمالي راجعا إلى تطور آليات وقوى الإنتاج، بل هو نتيجة لتأثير مؤسساتها المركزية، التي تحتوي في داخلها قوى الإنتاج.⁽²⁾

بالإضافة إلى ذلك، ووفقا لتشومسكي، فإن الدولة هي نمط رهيب تدفعه المؤسسات نحو "الهيمنة السياسية"، وهذا بالطبع يرجع إلى أصحابها. لهذا السبب أشار ماكس ويبر في كتابه "الأخلاق الرأسمالية" بين عامي (1894 و 1897) إلى التلاعب الاقتصادي بالمؤسسات (سوق الأوراق المالية) بينما شكلت مساحة للتأثير على المجتمع الألماني باستخدام الصفقات التجارية مع طبقة البروليتاريا الصناعية، وهي المؤامرة المؤسسية لرجال الأعمال بآلية ضد الفلاحين الذين يصفهم ماركس بأنهم طبقات الخلد وأن غالبية المجتمع الفقير حققوا

(1) Alison Edgeley: ibid. p 85.

(2) Ibid: p 85.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

أخلاق الثقة في " سياسة الدولة " وسوق للأوراق المالية والأرباح لأقلية رأسمالية دون مشاكل سوى " التخطيط السياسي " والاقتصادي العقلاني المتأمر ضد المجتمع.⁽¹⁾

وفقا لروكر، يؤكد تشومسكي أن التدخل غير العقلاني للنخب "السياسية" في المحاكم ومؤسسات صنع القرار في الدولة يؤدي بطبيعة الحال إلى تلك الحالة من البربرية (مجازفات ريغان) التي يعمل فيها توزيع "سلطة" الدولة المركزية في قطاعات الصناعة لصالح مؤسسات الدولة، بينما يعتقد روكر أن الرأسمالية لن تكون واعية لوجودها بمعزل عن الإدارة المركزية، وبقدر ما يعني تشومسكي، تلعب مؤسسات الدولة دورا حاسما في التأثير على الاقتصاد والمجتمع والفرد والثقافة، والشيء نفسه عند روكر في تحليله لثقافة الحروب في ظل الدولة القومية الرأسمالية التي يخضع فيها الجمهور لمؤسساته التي تؤدي بطبيعة الحال إلى إنهاء الجسد الاجتماعي بالمعارضة أي ممارسة تميل إلى إحداث تغيير "سياسي" واجتماعي.⁽²⁾ غالبا ما تميل إلى حروب التدمير الاقتصادي، مما يعني بالنسبة لروكر بأن العيوب التاريخية المادية للتاريخ تنفي ذاتها بذاتها دون إدارة عقلانية راجحة في "السياسة"، وكان هذا واضحا في تفكيك الرأسمالية الأوروبية إلى أعلى التقنيات الصناعية عن طريق احتكار المنافسة والتدخل الجشع في السوق الحرة لزيادة التنمية الاقتصادية بمعزل عن العقلانية وثقافة المؤسسات المتوازنة.

وعلى هذا الأساس يحلل بولانتزاس بأن العلاقة رأس المال غير الاحتكاري يضمن أيضا تدخلا الدولة "صالح" أفراد الصفوة. لا سيما في مجال الائتمان والتمويل، فإن استغلال الجمهور في تحصيل الضرائب، هو إجراء فعال لتخصيص رأس المال الاحتكاري. وإقامة تحالف برجوازي سيكون ملكية مشتركة، لرأس المال الاحتكاري، ينشأ عن الاستقلال النسبي للدولة بحيث يكون للدولة تدخل يمثل الطبقة المسؤولة عن "التنظيم السياسي" في المجتمع لدور محدد يؤدي إلى البيروقراطية في المؤسسات. كما وصفها، يبدو أن الدولة لم تفهم

(1) أنطوني جندرك، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، المرجع السابق، ص 287.

(2) Alison Edgeley :ibid. p 86.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

بعدا على أنها ذات، بل كشيء وأداة للقمع والنهب، مثل ماركس وتشومسكي، وهي نفسها تشمل "الذرائعية" وأشكال الاحتكار الرأسمالي.⁽¹⁾

وبهذه الطرق التي نلاحظها في "الإطار السياسي" للدولة، هناك عامل الاحتكار الذي يتغلغل في معظم مؤسسات الدولة المنتجة والمتعاقدة بأشكالها الأخرى في المجتمع (بالقمع والعنف والاستبداد) في إدارة أعمالها. ومع ذلك، فإن تركيز لينين في كتابه "مراحل الرأسمالية والإمبريالية" يرى أن الاحتكارات تنشأ داخل المجتمعات بحكم مؤسساتها وقوتها المتنامية في الإنتاج؛ بينما يرفض كاوتسكي أن مجموع هذه الاحتكارات هو عامل رئيسي في تطور الرأسمالية، على أساس أن الأداء العالي في الإنتاج يتطلب ضرورة تدمير السلع من أجل تحقيق تدفقات رأس المال الوفيرة ومواجهة العمال لمشكلة الأجور المنخفضة، وبالتالي، فإن التطور الأسرع والأكثر أماناً للرأسمالية يرجع إلى عائدات الإنتاج والنفقات الضريبية، وليس لجوء تلك المؤسسات في الدولة إلى هذا النوع من الممارسة. بينما يدحض لينين هذه الحجة التي ساقها كاوتسكي، مؤكداً أن الصناعة تؤدي إلى الإنتاج الذي يعطي الشركات الاحتكارية القدرة على تطوير أعمالها الرأسمالية عن طريق المنافسة الحرة استجابة للسوق؛ فيما يرى العامة أحياناً، بأن حجة رأس المال والدخل الناتج عن ندرة السلع هي خرق قانوني وعرقلة للاقتصاد الرأسمالي، يشدد لينين أنها ليست عذراً لأن المنافسة الحرة هي التي تميل إلى الاحتكار وهو الذي يحدد القيمة.⁽²⁾

لذلك تم تحليل تشومسكي لهذا النموذج الرأسمالي الذي في شأنه، يعتمد بشكل أساسي على "سياسة" الاحتكارات والقروض الرأسمالية كما وصفه لينين، وفي معارضة "السياسة" للوحدة الوطنية ومن طرف مؤسساته القومية، كما ورد في حجة روكر، إلا أن تشومسكي يؤكد بأن هذا لا يقف في حدوده على الدولة الأمريكية ولكن هناك "سياسات" دول أخرى لها مثل هذه الممارسة كما كان لإسبانيا وهولندا مثل هذا النظرير المحلي في عام (1492)، أثناء "هيمنتهم" البربرية على تحريف التعاليم الكلاسيكية، تمكنت هذه الشركة الهولندية ورأس

(1) Poulantzas, Nikos, Social Classes in Capitalism. Carlyle, London, Do Seoul Editions Publishing, 1st ed., 1974, p. 161.

(2) Alison Edgeley: ibid, p 86.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

مالها من قمع إسبانيا والبرتغال، لكن الشركة لم تكن متجانسة مع السلطات "السياسية" والاقتصادية وقرارات الدولة.⁽¹⁾

من الواضح أنه لا يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية مثل هذا التركيز على رأس المال دون الهيمنة الربعية، لذا فإن معاملاتها تميل إلى أن تكون قاصرة تماماً على الائتمان والاحتكار، فهي من وجهة على الاحتكارات، حيث ينخرط الدائنون من الدول الناشئة الأخرى في طور المنافسة لاقتراض رأس المال من الدول ذات البنوك المالية القوية لتراكم رأس المال وقطاعات الصناعة لاتخاذ قرارات المقايضة (للموارد مقابل قروض رأس المال) وهذا بدوره يصاحب عملية التنافس والتفاوت في تقسيم العالم على مستوى هذه الأوليغارشية المالية. بحيث لا يكون هناك هدف للدولة وهي تتطور من "سياستها" إلى أعلى مراحل "الإمبريالية" والرأسمالية بعامل "المحسوبية" داخل مؤسساتها، ولكن مع عامل الاحتكار الذي ظل السمة الأساسية المستبدلة في الصناعة والقطاعات الرأسمالية للبلدان الغربية بعامل المنافسة الحرة⁽²⁾. ففي نظر لينين (1916)، يسهل مشاركة المدينين في المؤسسات الائتمانية بطريقة جديدة تماماً تعتمد عليه كلياً.

لقد تجاوزت "السياسة" دورها الرقابي في شكل تسلسل هرمي محلي يشرف عليه موظفو ومديرو التجارة ومسؤولي أموال والبنوك الذين امتد تأثيرهم إلى حكم الحكومة المركزية في شكل قواعد خاصة تقوم على إطلاق الحروب والأرباح دون مراعاة مصالح الشعب. فيما يقول تشومسكي: «بطريقة مبسطة للغاية، نرى أن البنية وهي جوهر الاقتصاد "السياسي" الحديث، تهيمن عليها شبكة من المؤسسات المالية والصناعية عبر الوطنية والأعمال الاستثمار والتجارة داخلياً، وهي الآن تعمل على تنشيطها بفعل سيطرتها إلى حد كبير على الدولة وإثبات مدى ثروتها ونفوذ مؤسساتها، في استمرار هذه الممارسة الرأسمالية ضد الدولة». ⁽³⁾

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، الغزو مستمر سنة 501، تر: مي النبهان، بيروت، لبنان، دار المدى للثقافة والنشر، د. ط، 1996، ص 13.

⁽²⁾ Alison Edgeley: ibid. p 86.

⁽³⁾ نعوم تشومسكي، الغزو مستمر سنة 501، المصدر نفسه، ص 14.

خامساً : أشكال الدولة:

من الملاحظ في تفكير تشومسكي "السياسي" عن الدولة أنه متشائم. لهذا التشاؤم "السياسي" مبررات تتعلق برفضه "لسلطة" الدولة والأشكال الهرمية والقسرية التي تنتهك حقوق الإنسان والقيم الجوهرية للتتوير في ظل نظام العلاقات "السياسية الدولية"، وفي زمرة الديالكتيك الفلسفي والسياسي بين الواقعيين البراغماتيين والمحافظين الجدد اليمينيين، تم تكريس جوهر "سياسي" يمثل الديمقراطية البرجوازية والتي تحمل في طياتها أنموذجاً لينينياً إلى الولايات المتحدة الأمريكية بمعيارية من الممارسة البراغماتية والوحشية.

ذلك بدأ ظاهراً في الشكل الرأسمالي "النيوليبرالي" كهفوة سياسية تخفى عن إدراك الشعوب العالم بها أو لمسائلاتها لأنها شكل من أشكال الدولة التي تتقوى "سياشياً" بفعل الديمقراطية الانتخابية كونها لا تختلف عن التحريف الأولي من الديمقراطية البرجوازية من يدرك حقيقة هذه المفارقة في "السياسة"، هم التيار الأناركي ولهذا السبب أشارت كتابات تشومسكي إلى وجود شكلين للدولة. أولهما "الفاشلة" و"ثانيهما" "المارقة"، وهناك تباين "سياسي" من حيث الممارسة و الماهية.

1- الدولة الفاشلة: (Failed state)

ضمن تحليل تشومسكي "للسياسة" الخارجية الأمريكية في ظل الفوضى التي تتباين فيها "سياسات" دول العالم يلتمس معنى جديداً على حقل "السياسة" يتغلغل في جوهر الدولة كصفة أكثر تعقيداً من الدولة أو "كائن هوبز (1588 - 1679) Thomas Hobbes" وهي سمة الفشل بعد تنازل الأفراد لفلاسفة العقد الاجتماعي للدولة، تتحول "سياساتها" الحمائية للمصالح والقيم مع النظام "السياسي" الأمريكي إلى مصدر خطر على حقوق الأفراد. يُفهم مصطلح تشومسكي "الدولة الفاشلة" من "وجهة نظر سياسية"، لأنه وصف للممارسة يُظهر بعض خصائص الفشل على الدولة، يتم استخدام انتقائية هذا الشكل من "السياسة" كتعبير يروج له الواقعيون والتكنوقراط الأمريكيون من أجل الحفاظ على مصالحهم البراغماتية و"السياسية".

غالباً ما يوجه فلاسفة "السياسة" الواقعية المفهوم "الدولة الفاشلة" إلى أنه ينطبق (على العراق وهايتي) كونهما مصدراً للمكيافيلية والخطر الذي يهدد "سياسة" وأمن الواقعيين الأمريكيين تغاضي عن سياساتهم الأكثر

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

استبدادية بدعم حماية شعبها تمثل دور الممارسة "السياسة" والبراغماتية من الواقعيين الأمريكيين للتدخل "بسياسة" الحمائية وتقويض العدوان ولكن الحقيقة "السياسة الأمريكية" هي الركيزة العنف والقمع ضد أشكال الأمن والديمقراطية وحقوق الإنسان لهذا يؤكد تشومسكي: «مصدر خطر محتمل على أمننا''' مثل العراق،''' أو في حاجة إلى تدخلنا لإنقاذ شعبها من مخاطر داخلية جسيمة''' مثل هايتي''' .»⁽¹⁾

على هذا الأساس، يعطي تشومسكي طابعاً "سياسياً" لمفهوم غامض وغير دقيق من الناحية الإستمولوجية، خصائص تحدد جزئياً في الممارسة "السياسية"، من الشعور بالإحباط والقلق الذي قد يصادم الرغبات "السياسية" للفوضويين الجدد في التحرر من السلطة السياسية، وهي في الأصل، هي مفاهيم مبدئية حول ماهية، الدولة الفاشلة، وهي:⁽²⁾

- اللامقدورية في الممارسة "السياسية" وانعدام الرغبة في حماية أفرادها من الدمار والعنف الكوني.
- التعالي بذاتها "سياسياً" دولياً أو محلياً على مبادئ التشريع والقانوني الإنساني.
- الرغبة الجامحة في الممارسة للقمع والاستبداد وأعمال العنف والإرهاب "سياسياً".
- احتوائها أشكال "سياسية" للديمقراطية اللانفعالية.
- تعاني مؤسساتها من التفكك بسبب ممارساتها "السياسية" للديمقراطية، وعدم قدرتها على اختيار المسؤولية على أي مضمون حقيقي.

من الناحية الممارسة السياسية يصف تشومسكي بأن مشكلة المفهوم شاملة لسياسة أي دولة سوى كانت "إرهابية" أو "مارقة" يأخذ طبيعة فلسفية مدهشة ومراوغة إذا تم تطبيقه على الولايات المتحدة ينطوي على العديد من التأويلات. وهذا الأمر الذي ينجح فيه "الواقعيون" وخبراء القوة والعنف في السياسة من إخفاء الحقيقة الموضوعية، فإن "منهج" المعرفة والتمييز بين الدول يأخذ فقط من القرائن المتاحة في الواقع من خلال "الاستقراء"، "ومبدأ السببية" مثل تدخل كلينتون (1994) في هايتي بحجة استعادة السياسة وتحقيق الديمقراطية،

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة، إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية، تر: سامي الكعكي، لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، 2007، ص 7

8.

⁽²⁾ المصدر نفسه، ص 8 .

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

لكن الدوافع والنوايا تكشف الحقيقة السياسية المنشودة هي تقويض الديمقراطية ونشر الفوضى وتقييد الطبقة العاملة وجعلها أداة واشنطن في الصناعة والسلطة ورأس المال.⁽¹⁾

بينما يؤكد تشومسكي أن سياسة جون لويس غاديس (1941) *John Lewis Gaddis* لها تأثير على ممارسة مصطلح "الدولة الفاشلة"، فإن هذا يدل على تأثره مكيفيلي من مؤلفه الشهير "المشهد التاريخي" ويمارسها جون كوينسي آدامز (1848-1767) *John Quincy Adams* لحماية "السياسة" الخارجية الأمريكية واحتلال "فلوريدا" (*Florida*)، وهي "السياسة" في نظر تشومسكي فيما يتعلق بالممارسة ضد القانون الإنساني لهذا فإن "السياسة" في رؤية تشومسكي للممارسة ضد القانون الإنساني قد تكررت عبر التاريخ من حيث المفهوم والعادات والثقافة والممارسة. "الأمير" واحد، لكن آليات الدولة تتطور بنفس "مبدأ السببية". فإن تقرير بوش، المتعاطف مع الرأي العام، باستراتيجية اقتحام العراق "كدولة فاشلة" وحماية شعبها من ديكتاتورية صدام حسين (1937-2006) واجب ومسؤولية لنشر قيم الأمن القومي شبيهة بأسباب الاستراتيجية الكبرى لفتح القارة في حرب سيمينول.⁽²⁾

لذلك يمكن القول إن "الدولة الفاشلة" تستغل قيم شعبها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها لممارسة سياساتها البراغمية، وتقويض الديمقراطية وحقوق الإنسان في مجتمعها المدني، وتنتهك القانون الدولي بالعنف والاستبداد. لحماية النخبة الثرية دون الأغلبية.

2- الدولة المارقة (*Rogue state*):

ضمن استراتيجية بيل كلينتون (1994) *Bill Clinton* بالنسبة للدولة (الفاشلة)، أعاد الواقعيون بنية العلاقات "السياسية" للقانون الدولي بموقفين مختلفين، وفقاً لتشومسكي "الأول" يظهر مصداقية الولايات المتحدة الأمريكية وشرعيتها العقلانية في ممارسة "السياسة" لتضليل بقية الدول المتفائلة في تحقيق مصالحها الوطنية، عن طريق المنافسة "السياسية" والاقتصادية، وهذا جانب اهتم به أنصار الليبرالية المحافظة، بينما "الموقف الثاني" الذي يمثل «الدولة المارقة»، هو أحد عناصر الواقعية التي تقوض القانون الدولي من نفس الاستراتيجية

(1) نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة ، المصدر السابق ، ص 137 .

(2) نعوم تشومسكي، طموحات الإمبريالية، تر: عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2006، ص152.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

من أجل الحفاظ على "الأقلية الثرية" في السلطة، ومصدر تبرير عنفها وخروجها على القانون هو النموذج الواقعي الذي يفرض ممارسة القوة على تحقيق المصلحة الوطنية ويشمل هذا المبدأ الواقعية الهجومية اللاعقلانية للقوة، بشرط أن تتوافق السياسة مع الوثائق الداخلية لإدارة الأمن القومي.⁽¹⁾

يحظى مفهوم "الدولة المارقة" في كتابات نعوم تشومسكي مكانة جوهرية من حيث التخطيط والممارسة في السياسة البراغماتية الأمريكية، بحيث شكلت أزمة القيم الإنسانية والأخلاقية من "العراق" قوة ماروقالنيشوي كممارسة لاعتراف (العراق) بأنها جزء من "سياسة" العدا للحرية والقيم الكونية في القانون الدولي والسياسي المحلي انفرادية، ضد الدول المجاورة مع مبدأ "قابلية التكرار" في مسلمات الحق والقانون الطبيعي الإنساني، والتي تم منحها عن طريق عقلانية أدولف هتلر (1889-1945) *Adolf Hitler* غير المنضبطة، ووصفتها "واشنطن" ولندن" (1998) بأنها "دولة مارقة" وخارجة عن القانون السياسي العالمي. لتحقيق الغايات، وممارسة مفهوم «الدولة المارقة» من الواقعية البريطانية والعقلانية الأمريكية التقرد به في طريقة تثري مصالحهم السياسية والاقتصادية، وفق أدبيات آدم سميث (1723-1790) *Adam Smith* كونها سياسة تمثل الملاك الحارس للنظام العالمي.⁽²⁾

بهذه الطريقة، يحدد تشومسكي أهم النقاط التي تميز مفهوم «الدولة المارقة» في ممارستها من حيث السياسة، وهي خصائص موجودة بالفعل في "السياسة" الخارجية الأمريكية، وهي:⁽³⁾

- تمارس "سياسة" التدخل الدولي والانتهاك الجسيم للقانون الإنساني.
- تنتهج "سياسة" الاستبداد والعنف وتسعى لنشر ثقافة أسلحة الدمار الشامل والحكومات العدوانية.
- تعري الرأي العام بأنها "سياسة" مثالية وذات طبيعة متعالية من حيث القيم وأنها نموذج للفضيلة وإدراك جميع المبادئ الخيرية وتقود العالم لتحقيق الأهداف الإنسانية.

⁽¹⁾ Robert F. Barsky, The Chomsky Effect, A Radical Works Beyond the Ivory Tower, London, England , Cambridge Press MIT Publishing, First edition, 2007.P 167.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، الدولة المارقة، تر: أسامة إسبر السعودية، مكتبة العبيكان، ط1، 2004 . ص. 33 .

⁽³⁾ نعوم تشومسكي وآخرون، الدولة المارقة"، تقييم تشومسكي للسياسة الخارجية الأمريكية، 2023/2/12، قناة الجزيرة للنشر 2021/11/21، ربط

<https://youtu.be/T4eLGVaXaSY> :

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

- تقوض الديمقراطية بنهج واحد في نظر تشومسكي، وهو ما مارسه "سياسات" هتلر "وستالين"، ويمكن لأي دولة أن تفعل ذلك، ولكن بعد ذلك يفشل العقل في إدراك الحقيقة أو فهم أهداف هذه "السياسة" المارقة.

- إن "سياسة" الولايات المتحدة لا تقترب من النضالات في الواقع، لكنها تبرر نتائج النضالات على أنها عدوان على المعايير الدولية وتفرض "سياسة" عقابية على الدول الثورية المارقة مثل كوبا وفيتنام.

- مفاهيم مثل الإرهاب والسلام والدول المارقة تقوم على منطق "السياسة" التي تخدم مصالحها البراغماتية.

- المعايير واضحة جدا في "السياسة" إن «الدولة المارقة» ليست مجرد دولة إجرامية، ولكنها دولة تتحدى أوامر الأقوياء، المستبشرين بالطبع.⁽¹⁾

وعلى هذا الأساس فإن تشومسكي يقوض المبادئ والقيم الواقعية واستبعاد أفكار نيتشه (1844-1900)، *Friedrich Nietzsche* من تفكير العالم واندثار القيم الإنسانية والأخلاقية فغالبا ما تصر الولايات المتحدة بمبدأ الجريمة والعقاب. كنظرة دوستوفسكي (1821-1881) *Fyodor Dostoevsky*، في تأديب "السياسي" للعراق وتعزز "السياسة" الإرادة بمبدأ الاحتفاظ بحق المعاقبة لهذا يقول تشومسكي «الدولة المارقة» الولايات المتحدة تمتلك الحق من جانب واحد باستخدام القوة متى شاءت. نقطة⁽²⁾، وهذا غالبا ما يعني أن الحرية ليس مقيدة بمسؤولية الواجب والأخلاق بل دافعة إلى تقدمية "السياسة" على مبدأ القوة والمصلحة.

يحلل تشومسكي مصالح «الدولة المارقة» على نمط الممارسة "السياسة" الواقعية في الولايات المتحدة بأنه يطبق في مجال الدعاية "السياسية" ضد الأعداء المعينين لدى الواقعيين البراغماتيين بأنه ضد المصلحة الخاصة بينما **الدور الثاني**: لمصطلح الدولة المارقة يأخذ كبقية المفاهيم "السياسية" ويقتصر على توجيه العقاب والممارسة "سياسة القوة" ضد الدول الذي لا تعد سياستها إنسانية وأخلاقية أو حتى ليس لها مبدأ يتقيد بالأعراف الدولية. ولكن في نظر تشومسكي فإن الاعتراف بسياسة الولايات المتحدة منطقي بأنها «الدولة المارقة» ومن بين

(1) نعوم تشومسكي، الدولة المارقة، المصدر السابق، ص 71 72.

(2) نعوم تشومسكي، المصدر نفسه، ص 37.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

الدول الأكثر واقعية ساحقة في استعمال القوة ولكن لا تصنف بصفة موضوعية على أنها "سياسة" مارقة وهذا منطق حتمي ومؤكد ضمن التاريخ "للسياسة".⁽¹⁾

فإن لكل دولة نظرة خاصة للقانون الدولي ولا يمكن تحليل "السياسة" الكونية على أنها تمثل فيها الدول القوية مثل "الولايات المتحدة" و"إسرائيل" مواصفات "الدولة المارقة" فإن تشومسكي يؤكد أن "ليبيا" هي النموذج الأصغر والأضعف في "رؤية الأوغسطينية" ولكن لها "سياسة الممارسة" للعنف وخرق القيم والمبادئ الديمقراطية والإنسانية فهي خيار مفضل عن بقية الدول في الاعتراف "التي موس" "لها بأنها «الدولة المارقة» بحيث يتبادل المستشارون قيم "الليبرالية الكلاسيكية" والواقعية لما يخدم أغراضهم ومصالحهم الذاتية من "سياسة" الحق والدفاع عن الذات.⁽²⁾

على هذا الأساس، يؤكد جاك دريدا (1930 - 2004) Jacques Derrida التصور "السياسي" للدول "المارقة" بنفس المنطق والتوصيف الذي يقترحه تشومسكي للفكرة على أنها تنطبق على "سياسة" وسيادة الولايات المتحدة، لهذا السبب يضيف جاك دريدا منطق أقوى تمثيل "متزامن ومماثل" في ممارسة "السياسة" و "السيادة" إلى إدانة "الواقعيين" والولايات المتحدة كوصي على القانون الدولي، لكن لها سلوكًا وانحرافات غير طبيعية وارتكابها حفاظًا على "مبادرة شن الحرب" لأن لديها هذه القوة والمنفعة من أنها "سياسة للسلام العالمي"، لكنها تتمتع بالسيادة. وطليعة التعسف والعنف وخرق للقانون.⁽³⁾

وبهذه الطريقة فإن مجمل المظاهر الواضحة في السياسة الخارجية الأمريكية المتمثلة في الإرهاب واستبداد الديمقراطية وتقويض التحرر والاشتراكية وتلاعب بالرأي العام عبر وسائل الإعلام والدعاية ودعم الصراع العربي الإسرائيلي هذه مظاهر يراها تشومسكي نتيجة لسياسة الواقعيين في الولايات المتحدة، حيث تتخذ ممارساتهم أشكالًا لتحقيق المصلحة ورأس المال والتأثير على جعل دول العالم تصنف مصالحها على أنها تعاونية، دفاعية، فاشلة، أو دول مارقة وهجومية تهدف إلى الاستبداد وتحقيق الإمبريالية.

(1) نعوم تشومسكي، الدولة المارقة، المصدر السابق، ص 9.

(2) المصدر نفسه، ص 51 52.

(3) جان بودريار وآخرون، ذهنية الإرهاب.. لماذا يقاتلون بموتهم؟، تر: بسام حجار، بيروت - لبنان، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي للنشر، ط1،

2003، ص 77.

تعقيب نقدي:

✚ نستنتج أن السياسة الأمريكية، حسب نقد تشومسكي، كانت مرتبطة بالواقعية وفلسفتها في فهم السلوك البشري. وتستند أفكارها إلى ممارسة "ثيوسيديس" للقوة دون لا أخلاقية العمل من حيث الطبيعة البشرية. كما أن لها دورًا في ترتيب وتنظيم الدولة الأمريكية لتحقيق الطموحات الإمبريالية. لتحقيق المنفعة، يتبنى "الواقعيون" السياسة، على عكس ما يراه تشومسكي والمثاليون. نهج الأمير في السيطرة على شعوب العالم وتنظيم ممارستهم في العدوان والحروب وهو يقوم على مبدأ "الكينجيرية" الذي يعتبر مبدأ الميكافيلية (الغاية تبرر الوسيلة). هذا خلق مفكرين وسياسيين "تكنوقراطيين" بفكرة تحقيق مصالح براغماتية دون مراعاة طبيعة الشر الذي يرتكب ضد شعبها والعالم.

✚ يتضح من فكر تشومسكي أن سياسة الفوضى يمارسها منظرو العلاقات الدولية على رؤية أوروبية للعالم ومبدأ الفوضى لدى هوبز والواقعيين. لأنها تختلف عن الفوضى التي يمارسها اللاسلطويون، لأن هناك اختلافًا في فهم الطبيعة البشرية وعلاقة السياسة بالقوة والأنانية في الولايات المتحدة. لقد أفسدت الواقعية الرؤية الإنسانية والأخلاقية لمنظري الأناركية، في حين أن الرؤية السياسية المعاصرة للعالم تتسم بتقافة وطبيعة التشاؤم والعداء، وأن العلاقات الاجتماعية تحكمها حالة من عدم التناقص وعدم الثبات، ووجود الحرية والاستقرار فقط عن طريق تحقيق الدولة وزيادة القوة.

✚ يلاحظ أن الفكر السياسي الأمريكي يُنظرُ إليه مثقفون وخبراء براغماتيون مثل ليو شتراوس، الذين لديهم ثقافة ثيوسيديس وبديهياته النظرية والعملية في طريقة جعل كلمة "الاستقرار" نفسها أداة للقوة والهيمنة وهو ما أكدته تشومسكي باعتباره خداعًا سياسيًا واقعيًا، بينما كان لفلسفة ثيوسيديس حضور قوي في مقاربات السياسة الخارجية الأمريكية من حيث تمويل / تحديد قوى العداء / تحقيق العقل / التكتيكات الجيوسياسية / حالات الضرورة السلام / حالات الاعتراف بالعدو عندما يتزامن الفعل مع الرغبة / وحالات الانفصال اللاهوتي. الأخلاقي والسياسي عندما تكون سياسة الدولة في حاجة إلى مصلحة عملية ونفعية.

✚ السياسة المعاصرة غير مختلفة عن السياسة الكلاسيكية، فقط هناك اختلاف في الناحية الفنية للآليات والأدوات وطبيعة العصر، بينما ممارساتها علمية وتجريبية أكثر، هي ذاتها التي عملت بها الولايات المتحدة استمدت قواعدها من ثيوسيديس في وضعه للوضع السياسية إذا أرسى أوغست كونت قواعدها

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

الاجتماعية، فإن ثيوسيديس استبعد الميثافيزيقيا من التاريخ في السياسة نقده للرؤية المثالية والطوباوية لهيرودوت، خص السياسة بفعل الدولة، وهي كائن ينظم العلاقات ويفبرك العدالة يمارس نهجه في السلطة من مبدأ السببية. تركز السياسة على فلسفة هيوم، وتهدف دائماً إلى تجديد المصلحة الوطنية والسلطة وتوازن القوى.

✚ سنتج بأن السياسة الأمريكية من حيث الممارسة مكيافيلية تستبعد الأخلاق والأعراف والقوانين الاجتماعية ويتم الترويج لها والعمل بها في الحروب وتحقيق المصالح كما لو أنها غاية في حد ذاتها فما يجعل السياسة الأكثر حيوية وهيمنة هي تجريد أفراد طبقة النخبة من الأفكار الاجتماعية وخلفيات الأخلاقية التي تؤسس لخسارة الدولة فيما تعتبر فكرة الطبيعة البشرية ميزة للواقعيين في تحقيق المصالح في السياسة بأنانية، وهي إهانة لأفكار وأخلاقيات السياسة بين المثاليين والأخلاقين مثل تشومسكي.

✚ نفهم بأن السياسة الأمريكية أثرت عليها أفكار المثقفين واقعيين في (1970)، أمثال هانز مورغنثاو الذي يعتبره تشومسكي ركيزة السياسة المعاصرة أو البنيوية التي تعزل ممارسات الأفراد وتضع شروط فهم الدولة من أسس المصلحة والسلطة. لا توجد طبيعة بشرية تمارس السياسة وتحدد مسار الدولة وهي تحدد مسارها، لكن الدولة هي التي تحدد السياسة وتحدد طريقة نشاطها، وما يقصده الواقعيون بالسياسة هو الهدف بالأهداف وليس السلوكيات. فهمهم للسياسة كهيكل جوهر الدولة والفاعلون فيه مجرد أعراض من (المثقفون والحكام).

✚ نستنتج أن فكرة النظام العالمي الذي تهيمن عليه السياسة الأمريكية من حيث الممارسة هي فكرة مغلقة بطبيعتها، لذلك فهي فقط توفر للدولة العالمية السيطرة على مقاليدها وزمام أمنها السياسي فالدول لديها نوايا خادعة في السياسة، لذلك ليست هناك حاجة لأخلاقيات التعاون أو المشاركة، بل بالأحرى تكثيف ممارسة السلطة من أجل البقاء أكثر.

✚ معيار الممارسة في السياسة الدولية غير ثابت فالدول لها طبائع متعددة للقوة فمبدأ الواقعية الدفاعية يحاول جعل السياسة أكثر أمن وتحقيق السلام ومصالح بفعل الآليات مثل الديمقراطية والدعاية .ولا تجعل القوة وسيلة لتحقيق الغايات من وجهة نظر تشومسكي، هذا مبدأ تتحدد نواياه فقط عن طريق التناقض بين الشركاء المتحالفين معهم في السياسة.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

✚ تتكرر السياسة البراغماتية الأمريكية الملكية الجماعية لأنها تخدم مصالحها الخاصة. غالبًا ما يتم تصنيفها للعلاقات الخارجية على أنها أنانية. وممارسة الخبراء الأمريكيين في السياسة الأمريكية لها مقاربة الليبرالية البريطانية. لذلك تختلط العلاقات حسب رغبات الدولة ورغبات الأفراد. النخب الحاكمة تركز على أدوات الإنتاج والاقتصاد أكثر لتحقيق المصالح. لا توجد سياسة دون تحقيق المادية والمنفعة. التطور الدارويني هو أساس بقاء النخبة الحاكمة في السياسة، لأن المادة هي قوة النخب فيما يجعل الهيمنة معيارا لإشباع رغبة الدولة وتحقيق المصالح.

✚ نستنتج أن السياسة والدولة في علاقة ترابط وتزامن، لذا لا يمكن تخيل مظاهر السياسة وتأثيرها العالمي والداخلي، أو تخيل الطبقة الحاكمة والمحكومة التي تمثل معنى السياسة من دون الدولة فإشكالية الغموض في معنى الدولة سببها السياسة، لأنها علاقة تواصلية، أي أن الدولة هي الكائن والسياسة هي جوهر تحريك إرادة هذا الكائن.

✚ نفهم أن سياسة تشومسكي هي مجرد تصور وانتقاد لأفكار وسلوكيات اللإنسانية من الدولة الأمريكية وخبرائها لأنه لم يحدد تصنيف الدولة وتعريفها، وهذا يعني بأن السياسة هي الدولة لأن ذلك يضعه في تناقض مع الحرية كونه أناركي فإذا وصف الدولة بمفهوم محدد يقتضي معناه إلزامية اعترافه بالسلطة وهذا بدوره يؤثر على سياسات النظام الدولي التي لها تصور معادي للأناركية أو يبرر سياسة الولايات المتحدة ضده وضد العالم.

✚ نستنتج أن رؤية تشومسكي للدولة تسعى للتغلب على عقبات وآثار التأثير اللا أخلاقي من السياسة على الفرد والمجتمع، لأن تأثيره بالأناركية أثبت له أن الممارسة السياسية للدولة نادراً ما تحقق سعادة الإنسان وحرية، بينما حدد أشكالها الواقعية في السياسة ذات الطبيعة الهرمية والقمعية التي تخدم مصالح النخبة، ولكن تشومسكي أوضح سبب تعميم مثل هذا الاستقراء لسياسات الدول الأخرى والهدف من وراء ذلك هو خلق جمهور يدعم أيديولوجيته ويصارع ضد هيمنة الدولة الأمريكية أو ضد الاعتراف لسلطتها.

✚ نستنتج أن فكرة السياسة لدى تشومسكي تجذرت كوظيفة اقتصادية من الدولة الأمريكية في قمع منظمات المجتمع المدني بأدوات وآليات الدولة وبفعل الممارسة السياسية من أعضاء النخبة الحاكمة رغبة في تحقيق قوة المورد المادي وامتلاك على قوى الإنتاج لتحقيق السياسة الناجحة برفاهية الطبقة القيادية للدولة التي لها قراءة للواقع بنظرة مادية والسياسة هي التكتيك الذي يؤدي في نهاية الصراع إلى تمثيل القيم الحرية

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

والعدالة ومساواة ، فالسياسة لدى تشومسكي فكر وعقل مجرد وأكثر مثالية بينما السياسة لدى خبراء الواقعية الأمريكية هي ممارسة القوة لتحقيق فكرة الدولة ومصالحها الوطنية ترتكز بشكل أكثر على مجال الاقتصادي لأنه جوهر الصراع وحركة النظام العالمي نحو التقدمية.

✚ ما نفهمه من تشومسكي بأن السياسة التي تمثلها النخب والمؤسسات في الدولة الأمريكية تحقق مصالحها تحت نوع من القيم الحوكمة، فإن قرارات القمع والحرب والإرهاب لن تجد لها سياسيًا أي إثبات أو تعريفات في المستندات المعتمدة من قبل الرؤساء لكنها واقعية وتمارسها بفعل الأوتوقراطية التي تعبر عن سياسة النخبة في المؤسسات وتتلاعب بقيم القانون والشرعية.

✚ تعطي فلسفة تشومسكي تحليلًا للسياسة ضمن تحليله لنمط الغالب عن الدولة على أنها تحمي الأقلية الحاكمة وهذا تصورا مشابهًا بشكل أكثر جذرية لماركس ومع ذلك، فهو لا يزال عالقا في التأثير الأولي بماركس كونه جعل من ممارساته لفكرة النخبة في السياسة بدلاً من معنى الطبقة لإضفاء طابع من الفكر والعقلانية والأدبيات الساخرة التي تحرك المثقف بعواطفه إلى التحرر والوعي بطبيعته البشرية، لأن تفسير السياسة بإدخال الطبقة لدى تشومسكي يقوض العدالة الإنسانية وهو في الأصل بالنسبة للسياسة الولايات المتحدة توظيف الطبقة أو النخبة لها نفس المعنى من ناحية الممارسة السياسية والهرمية وفي تحقيق المصالح أيضاً .

✚ يفهم من تشومسكي بأن السياسة في الولايات المتحدة هي ممارسة للمنظرين الدخلاء أو المنحرفين عن أيديولوجية معارضة للاشتراكية، وقد مثل ذلك الألماني ليو شتراوس، وبعض المنوبين إلى ريغان وحركة المحافظين الجدد، بالتلاعب بالرأي العام وإدانة الدول للتدخل عن طريق سياسة التطوير والتحسين، والأمر الواضح هو استغلال الطبقة الحاكمة لعامة الشعب باسم المصلحة الوطنية.

✚ يتضح من تشومسكي أن السياسة التي تمارسها النخبة تتطلب ضرورة الحفاظ على نفسها في أشكال تظليل وخداع الرأي العام بفكرة مصلحة الدولة، لأن طبقة النخبة لن تستمر في السياسة إلا بشكل ما. من الملكية والاستغلال والإجرام والربح والإنجاز المادي وإشباع الرغبات وتحقيق المصالح، وهذا هو جوهر الدولة عند هيجل، فلا يمكن أن توجد السياسة دون دولة تستلج حريات أفرادها. ما لا يبدو واضحًا هو الحقائق المهمة والمعرفة والمعلومات والثقافة لأنها سر ممارسة الطبقة الحاكمة للسياسة وتفرد بفعلها عن بقية الطبقات الأخرى.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

✚ تفهم أفكار تشومسكي بأن السياسة الولايات المتحدة أكثر النسبية والأمر الذي يجعلها هو استقلالية الدولة يعني ذلك بممارسة الطغيان والعنف بحرية وانتهاك القانون وجعل الاشتراكية للنخب الغنية والرأسمالية لبقية الشعب الفقير .

✚ نستنتج أن السياسة هي ممارسة استقلالية ضد العدالة من وجهة نظر تشومسكي يهيمن عليها قطاع أكثر خصخصة وهيمنة من طبقة الأغنياء والأقوياء على تأثير وتوجيه البنية الفوقية بفعل سيطرة النخب السياسية والشركات على استغلال البنية التحتية لغايات التأثير في الثقافة الاجتماعية والوعي الشعوب كما أوضح جرامشي بأن الهيمنة في السياسة عن طريق التحكم في أدوات الفكر والإنتاج وتقييد حرية الطبقة العاملة.

✚ يعطي تشومسكي فكرة أن السياسة مقيدة بالمصلحة الوطنية وأن الاستغلال الحر للطبقة العاملة قائم على ديمقراطية الجيفرسونية ويعتقد أن البرجوازية تتكون من أصحاب الثروة الاجتماعية من خلال استبداد الطبقة العاملة، وهذا يرجع إلى سياسة طبقة النخبة، في ما أنها تمثل نموذج الشركات في هذا العصر المدعوم سياسيًا، بفعل مفارقة الليبرالية آدم سميث .

✚ يفهم من تشومسكي بأن السياسة الأمريكية لها ثقافة وأدبيات مشتركة فيما بينها كبنية التي تقود الدولة نحو التقدمية والإمبريالية تعمل على خداع والقمع من ناحية أخرى، وصفماركوزه ثقافة العنف في السياسة بين الرؤساء والذي تروج له النخبة في خطاباتهم السياسية لتحقيق الهيمنة ورأس المال.

✚ يعني تصور تشومسكي للسياسة إلى أن للنخبة غايات، وتستخدم الجمهور كجسر لتحقيق مصالح كونها غير متجانسة، بحيث يعمل أعضاؤها على الشركات وتعبئة الناس لمصلحتهم لتقوية أنفسهم في السلطة وصف هيوم ذلك أن هذا هو جهل المواطنين بطبيعتهم في فهم حقيقة هذه السياسة.

✚ يبين تشومسكي بأن شكل السياسة لم يؤثر في الولايات المتحدة إلى التحرر البشري في ظل الليبرالية التقليدية. لأن طبقة الفلاحين لها نفور واكتفاء ذاتي كما أشار ماركس. فالليبرالية الجديدة عملت على سياسة إغراء طبقات البروليتاريا إلى أن الارتقاء إلى المصانع وامتلاكها، وهذا هو وجه من وجوه بيروقراطية الدولة في تقييد الطبقة العاملة لتقويض التحرر من سلطة الدولة.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

✚ توضح أفكار تشومسكي بأن غايتها التحرر من السلطة المفروضة من طرف سياسة الواقعيين وأسياد رأس المال، أتباع سميث . إلى بناء المثل الاشتراكية والتصور الإنساني لبرتراند رسل فهي تسعى إلى الثورة ونضال حول "الإنسان الحر" من المادية الهرمية الرأسمالية.

✚ السياسة تحكم المجتمع الأمريكي، كما أوضح تشومسكي، من جهتين، الأولى، وكالة المخابرات المركزية، ومن جهة ثانية، مجتمع الأعمال، على الرغم من مشاركة الجمهور في اختيار السياسة العامة والاستقرار، إلا أنه مهمش. والأرباح تعود إلى النخبة، لأن فوضى الجماهير هي العصا التي تمكن البيروقراطيين من البقاء في السلطة.

✚ ما يفهم من تشومسكي أن رأسمالية الدولة هي الدعامة الأساسية للهيمنة الأمريكية. تعمل السياسة في مجلس الشيوخ بقوانين ماديسون الدستورية، وهو الاستغلال الذي يحافظ على التحيز تجاه العائلات السياسية والنخب الثرية من أجل الحفاظ على النمط القديم للبرجوازية التي لا تمثل تلك الرأسمالية وأسسها الحقيقية.

✚ يتبين من تشومسكي بأن السياسة نفعية براغماتية في ظل اللويثان (الدولة الأمريكية)، بحيث أن الديمقراطية صمويل هنتغتون والمحافظين تخلق انطباعات خاطئة عن السوق الحرة لدعم الجمهور بثروته نظامها العسكري .(البنتاغون)، وتضمن السياسة الأرباح للنخبة بفعل المنافسة في الأعمال التجارية.

✚ تستند أفكار تشومسكي في السياسة إلى دعم الأهداف الاجتماعية والاشتراكية عن طريق فهم الحقائق والوعي بتعقيدات السوق الحرة. من وجهة نظر اقتصادية، يتم توفير حل لهذه الأزمة عن طريق تحقيق سوق عادل وقطع الروابط الرأسمالية بين المجتمع السياسي ومجتمع الأعمال، لأن الأول هو يشرع للتدخل من الدولة، والثاني يعزز للثقافة النيوليبرالية وهي براديغم اليأس وحث الإرادة الحرة على استسلام.

✚ يلاحظ من تشومسكي إلى أن السياسة الأمريكية داخل المجتمع لها تأثير كنيزي يهيمن على السياسة النقدية الفيدرالية أكثر من تأثير العائلة المالكة التي تؤثر على الائتمان المالي الذي كان من المفترض أن يتم إنفاقه لتطوير الجمهور وحل مشاكله الاجتماعية والبيئية. يتم إنفاقه من قبل الواقعيين بقوة معادية وإثراء مصالح الأقلية للبقاء لفترة أطول.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

✚ السياسة بالنسبة لتشومسكي، مشكلتها أنها تؤثر على مبدأ التنظيم نفسه، للبشر، بدلاً من أن تكون دعماً للمنفعة الاجتماعية العامة. تكون طبيعتها تتعارض معها، بفعل: احتكار رأس المال، وعدم المساواة، ودعم قلة من سادة البشر، وتهيمن عليها طبيعة الاستعمار الجديد والتقنية.

✚ السياسة الأمريكية بها عداً وتشويه لفكر ماركس عن الدولة. هذا هو السبب في أن ممارسة السياسة تقوض مركز تحرر المجتمعات وتفرض قيوداً رأسمالية للحد من توسع فكر ماركس، التحرري.

✚ نفهم من تشومسكي أن فساد السياسة بسبب النموذج اللينيني الذي يستغل الجماهير بمبادئ الاشتراكية التحررية يصل إلى السلطة على حساب الشعب، يسميهما تشومسكي وباكونين "كهنة الدولة".

✚ يفهم أن ممارسة البراغماتية والهيمنة متجذرة قبل تشومسكي في السياسة، لذا فسر جرائم حقيقيّة السياسة بفائدة عدم فهم حقيقة التحرر البشري والطبيعة البشرية. لولا لينين والتحريفيون للماركسية لما وجدت انتقادات تشومسكي للسياسة التي تهيمن عليها الأقلية الحاكمة.

✚ إذا كان لسياسة تشومسكي رؤية لتحقيق المثالية، فإن ماركس لديه فهم عام للطبيعة البشرية وتحقيق المثالية عن طريق التقليل من السياسة، هذا يعني أنهما في نفس النتيجة في تحرير الإنسان المعاصر. لأن السياسة في المجتمع الأمريكي وفقاً للتحوّل الماركسي المتمحور حول عمل الطبقة العاملة وتحررها يعني اختفاء أشكال السياسة والتسلسل الهرمي لنخبة تشومسكي.

✚ نصل إلى نقطة مفادها أن تشومسكي ينكر مظاهر الإمبريالية في ممارسة السياسة الخارجية الأمريكية. لم تكن الرأسمالية مقصد ماركس، بل هو تظليل لواقع التحوّل السياسي إلى المثالية./ فهي تحريفات في فهم وتحليل العلاقات الاقتصادية الدولية، وكذلك خدعة "لينين" و"البلاشفة" في نقل نوايا النخب في قالب التحرر. ما وصفها تشومسكي، بأنها سياسة ديمقراطية برجوازية.

✚ السياسة الأمريكية، من وجهة نظر تشومسكي، تشبه الفاشية واليونانبرية من حيث التقاليد الهيغلية والاستبداد. تنقسم السياسة تشومسكي إلى نفس النموذج الألتوسيري لإيديولوجية الدولة بين جهاز القمع وأدوات ثقافة المجتمع، يستمر هذا التصنيف للهيمنة السياسية في كل دول، وخاصة الولايات المتحدة. لديها مثل هذا التصنيف بين البنتاغون ووكالة المخابرات المركزية للسيطرة على الرأي العام الأمريكي والعالمي.

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

✚ السياسة بالنسبة لتشومسكي، مرتبطة بتبرير الدولة لعبء الشرعية، المؤسسات بدلا من أن تكون نشاطا للحرية وممارسة العمل أو نشاطا للحكم الرشيد تظل أداة للسيطرة السياسية على الفرد والسيطرة عليه عملياً بالقوة ورأس المال = (الدولة + النخبة).

✚ السياسة هي خوصصة فردية للنخب. / يعمل القانون والدستور مع الحق في حماية وحياسة توزيع الثروة والممتلكات بين الناس بطريقة عادلة، وهذه هي رؤية ماركس القديمة ولكن تشومسكي يعتقد أن السياسة هي عقبة أمام المساواة، لأنها تقتصر على سلطة النخب في توزيع الممتلكات والثروة خارج حقوق الإنسان عن طريق اختلاق القوانين.

✚ السياسة الأمريكية مكرسة لسلطانها لدرجة أنها سياسة أبوية على العالم، وأن فلسفة تشومسكي هي تقضح مظاهرها القسرية في السيطرة على الغوغاء، وفي تعديل العرف والقانون لخدمة المصلحة الخاصة.

✚ في السياسة، ينتج الفساد عن الديمقراطية البرلمانية والنيابية، بدلاً من الإصلاح الاجتماعي. التمثيل السياسي للمجتمع يدعم النخب الحاكمة.

✚ السياسة في نقد تشومسكي للطبقة الواقعية التكنوقراطية باعتبارها الأيدي الخفية للدولة والهيمنة كما وصفها ماركس.

✚ السياسة وفقا لمفهوم تشومسكي، هناك طبقة مدفوعة ومعينة من أعلى التسلسل الهرمي الاستبدادي للسيطرة على دوائر حرية الفكر (أورويل) والدين والثقافة.

✚ العلاقة بين السياسة والدولة، حسب تشومسكي، هي علاقة إنتاج سياسي ومحلي تؤدي إلى رفاة الأقلية. والغاية من اندماج السياسة مع الدولة، خارجياً، غرضها بث الإرهاب والقوة العسكرية لتحقيق الإمبريالية.

✚ في السياسة، يركز تشومسكي على ثقافة المؤسسة التي تهيمن عليها مصالح البراغماتية والرأسمالية لتحقيق التقدمية وإجبار الجماهير على دعمها.

✚ يرى تشومسكي الدولة كأداة في أيدي أقلية أكثر عقلانية من حيث السياسة ولديها منظمة مستقلة نسبياً في فرض أشكال الاستبداد البيروقراطي التي تنمي ثقافة الإمبريالية والتسلسل الهرمي فالسياسة تقوم

على إعادة إحياء هيمنتها بالحرب والمنافسة، وينتج عن ذلك آثارها داخل المجتمع الأمريكي من انتهاك الشرعية والعدالة والبنوك، مثل قضية 'احتلوا'. مما يعني ثقافة الهيمنة واستبداد فكيف تحلل ممارسة

تشومسكي هذه الهيمنة

الفصل الثاني

نعم تشومسكي و السياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

تمهيد

المبحث الأول: السياسة الأمريكية سياسة استبدادية .

تعقيب نقدي.

المبحث الثاني: الإرهاب كقوة مشروعة في السياسة الأمريكية.

تعقيب نقدي.

المبحث الثالث: السياسة وهيمنة وسائل الإعلام.

تعقيب نقدي.

تمهيد:

إن الحديث عن الهيمنة والبقاء هو جوهر تم ممارسته بأكثر الطرق اعتيادية عبر تاريخ البشرية، فهي السمة التي تختبئ فيها نوايا البشر وطبيعتهم، إذا تعلق الأمر بالجاه والثروة، فإن موازين العلاقات الإنسانية والأخلاقية تتغير في ظل ممارسة السياسة، في حين الذي يكون الوضع فيه ذو طبيعة أنانية، فهذا الطابع للسلطة ليس للمرة الأولى قيد الدراسة من أجل الممارسة والتحليل، بل إنها ثقافة تكرر بوضوح 'بداياتها منذ فلسفة أرسطو' في الأوليغارشية المباغثة للجماهير، بإملاءات الحرية والمساواة والديمقراطية، هذا هو مبدأ تراجع السياسة العالمية المعاصرة، فمع ظهور الديمقراطية مع صامويل هنتجتون (1927-2008) *Samuel Huntington*، ظهر مبدأ الإخفاء الإجباري للحقيقة كوسيلة لتحقيق غايات براغماتية، تأخذ شكلاً الأدلجة الاقتصادية، التي تجذرت بين الليبراليين الأمريكيين المحافظين الجدد "باسم التنوير"، كما أنها لا تغيب على أنصار اليسار الأمريكي، مما يقلل من الهيمنة ويكشف الممارسات الداخلية والخارجية، ولربما ذلك يعكس سلامة الأقلية الحاكمة الأمريكية بسبب تداعيات الشيوعية، ويثير مخاوف الرأي العام العالمي من أجل تشجيع دعم السياسة الخارجية، بدون فهم الشعوب لمجرى التحرر، والديمقراطية كمساومة براغماتية في حدود موافقته اللاواعية، هذا الضمور في الوعي بالسياسة الخارجية من وجهة نظر تشومسكي له العديد من الإشكالات المترتبة، بما في ذلك ما هو جوهر هذه الدولة المارقة، ويظهر في ملامحه بوضوح في استبداد الديمقراطية والقانون الدولي، وهذا هو المفارق في المنعطف بين تطلعات الإمبريالية والممارسة النقدية لتشومسكي، والملاحظ أنها سياسة تقوم على مبدأ إطفاء نسبية القوة والتطور، كما هو الحال بالطبع لمنهج تشومسكي القائم على مبدأ الانتقاء لعيوب وآثار العنف والإرهاب والتطرف، وضعاً إياها تحت ميزان العقل للكشف عن أن الموازنة الميكافيلية هي جوهر تقدم الهيمنة الأمريكية باستراتيجيات مختلفة بعضها اقتصادي؟ بالنسبة للنخب وبعضها سلطوي؟، لهذا السبب سيحاول هذا الفصل الخوض في مظاهر الاستبداد؟ والهيمنة على السياسة الخارجية وعيوبها عالمية ونقد تشومسكي يفضح الحقيقة ويلومها برؤية أخلاقية وإنسانية

المبحث الأول: السياسة الأمريكية سياسة استبدادية ؟

بعد نهاية الحرب الباردة بدأت أفكار الديمقراطية الليبرالية تزدهر في المجتمع الأمريكي شيئاً فشيئاً وكانت لمؤسساته جوانب قيمة تتطلع إلى حرية الأفراد في ظل الأنظمة الاستبدادية والقمعية الخارجية ولكن مع صعود القوى النيوليبرالية تعرضت هذه المؤسسات والهيئات الديمقراطية إلى تهديد سلطوي محاول تعزيز الثروة على باقي الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

على هذا الأساس، شكل هذا هيمنة واستبداداً من وجهة نظر تشومسكي، مع تبني السياسة الأمريكية لإجراءات جديدة على مستوى العلاقات الدولية لها أهداف قسرية جديدة وواقعية للمنافسة العالمية، بحيث تبني مؤسسوها الجدد نبض البراغماتية، في الحركة دون أن تفقد اتجاه البوصلة نحو تحقيق درجة أكبر من الإمبريالية والمصالح، وبقي هذا واجباً أخلاقياً في النظرة الصناعية لسياستها مع هذه المرحلة، أكد تشومسكي أن الهيمنة تتطلب إخفاء السجل الأنثروبولوجي والتاريخي لمرحلة الحرب الباردة، وجرف ما يمتلكه الناس من سجلات فكرية أو مادية ومدونات تشهد على فظاعتهم في حوادث الإرهاب والعدوان والحروب الاقتصادية وغيرها من مظاهر الإرهاب وجرائم ضد حشود كبيرة من الناس للسيطرة على الشعوب.⁽¹⁾

فضلاً عن ذلك، أوضح نعوم تشومسكي أن هذا نوع من الاستبداد السياسي ونتاجه يعود بطبيعة الحال إلى البنية الداخلية للمجتمع التي أساسها يقوم على فكرة التفاوت الطبقي، يتألف عادة من تدرج هرمي في أعلى مستوياته طبقة النخبة أو السلطة، ثم تأتي الطبقة الوسطى التي يمثلها السياسيون والمتقنون والمهنيون، ثم الطبقة الأدنى والتي تتكون من عامة الشعب.⁽²⁾

(1) نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، تر: عاطف معتمد عبد الحميد، مصر، دار النهضة، ط1، 2007، ص 7.

(2) عرييد مسعد، أميركا الأخرى، في عيون مغترب عربي، عمان، دار فضاءات، ط1، 2014، ص 295.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

هذه الفكرة التي أشار إليها كارل ماركس (1818-1883) * *Karl Marx*، مفادها أن أي دولة لديها نظام طبقي تتحكم فيه طبقة النخبة (طبقة السلطة) التي يمثلها من هم في السلطة في مجال الأحزاب وأصحاب رؤوس الأموال في ما هو ممارسة سياسية واقتصادية ويكونون محايدون ومنفردين في استخدام أساليب القمع والقوة ضد الطبقتين الأخيرتين لمنع أي ثورة ضدتهما. هذه حجة لتراجع نشاط ممارسة الحريات الفردية وغياب الحركات الاجتماعية في الممارسة السياسية الأمريكية. لأن التمويل هو طغيان في مظاهره يقوض الديمقراطية ويتحكم في أشكال الليبرالية الجديدة في المجتمع. لهذا يقول تشومسكي: «يعتبر التمويل الخارجي للأحزاب السياسية الأمريكية عملاً غير شرعي وغير قانوني، بل عمل يشوبه العار لكونه يقمع العملية الديمقراطية.⁽¹⁾» كيف ذلك؟؟.

ملاحح الاستبداد الأمريكي في تقويض الديمقراطية

شهدت السياسة الخارجية الأمريكية مع نهاية الاتحاد السوفياتي، تشييدا لمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والترويج لها في دول العالم، وإدخال على سياستها جانبا من الحيلولة يسمح لها بتحقيق المصالح والغايات دون أن تتمتع هذه الدول باستقلالية تامة في إدارة شؤونها أو أن يتمتع أفرادها بحرياتهم، غالبا ما توارى السياسة الأمريكية مظاهر الاستبداد والعنف بالديمقراطية في الواقع، يكون له تأثير خارجي لاضطهاد أي دولة ديمقراطية بتبديد مظاهر قوتها، وأما تأثيرها الداخلي يكون فيه أغلبية أفراد المجتمع الأمريكي مستبعبدين من مصلحة الدولة "بفعل طبقة النخبة التي تراعي لمصلحة الحاكمين وأحوالهم الشخصية والاقتصادية والاجتماعية، وأكسبت المحكومين عادات الانقياد والخضوع للعبودية".⁽²⁾

مع النظام العالمي الجديد وفي أعقابه صارت مسؤولية ممارسة الدور الاستبدادي ملقاة كلياً على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحقبة شهدت تزايداً لنشاط الحركات الاشتراكية التي تقوم بطبيعتها على

*كارل ماركس 1818-1883 *Karl Marx*: فيلسوف ألماني وناقد للاقتصاد السياسي وعالم اجتماع وصحفي وثوري اشتراكي مؤلف من كتاباته "البيان الشيوعي" "ورأس المال". كان فكره السياسي والفلسفي يدور حول تطور المجتمعات البشرية في الصراع الطبقي بين البرجوازية الحاكمة للوسائل الإنتاج والطبقات العاملة المعروفة بالبروليتاريا. جورج طرابيشي، معجم فلاسفة، ص 618.

(1) نعوم تشومسكي، أوهم الشرق الأوسط، تر: شيرين فهمي، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 2002، ص 11 12.

(2) ألكسيس دي توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، تر: أمين مرسي قنديل، القاهرة، عالم الكتاب، دط، 1735، ص 15.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

مبادئ الديمقراطية والتنظيم الاقتصادي وفق مساواة اجتماعية وهذا جانب يخدم مصالح الطبقة العامة وبطبيعة الحال يعارض مسار النخبة السياسية في تحقيقها للإمبريالية* وتوسيع من سياستها الخارجية، كان سببا جوهريا في تجسيد للقوى الاستبدادية ضد العراق بحجة أنه مناهض لقيم العدالة الدولية والديمقراطية إضافة إلى حرب الخليج التي تكمن أهميتها في تفرد بالسلطة وحرية الممارسة للعلاقات الديمقراطية وتشريع للعدالة الدولية بطرق استبدادية مزيفة للحقيقة، ولعل هذين المثالين دعا بهما جورج بوش* في تأسيسه لفكرة النظام الجديد لأنه بمزاياه الإبقاء على السلطة وإقصاء لديمقراطية بأشكال استبدادية خفية.⁽¹⁾

والغرض من ذلك أن الدولة لم تجد ما يلبي احتياجات النخبة في ظل تراجع الظروف الاقتصادية، لهذا السبب أكد تشومسكي دائما على أن إحياء الجدوى الاقتصادية للدول الغربية، وكذلك السياسة الأمريكية، يقع على عاتق الدولة البريطانية، التي هي أصل علاقات النخبة الأمريكية في أوروبا الغربية، يرفع السرية عن الوثائق الرسمية التي تؤكد خرق النخبة للقانون لاستمرار الجدوى الاقتصادية لأوروبا الغربية، والتي تعتمد على النهب و الاحتمالية القانونية للموارد من أجل الاستيلاء على مصدر النفط في العالم الثالث والخليج الفارسي، لذلك كان إخفاءها بالطبع ضروريا لهذه الظاهرة الدولية غير الشرعية التي تتطور معها اقتصادات الدول الغربية.⁽²⁾

فيما أوضح، نعوم تشومسكي أن السعي وراء الأهداف وتحقيق المنفعة هي أولى مهام الممارسة السياسية الأمريكية ولكن هذا بطبيعة الحال يقتضي تأكيد قواها الاستبدادية العسكرية بذات متعالية ومناوئة لأي قوى

*الإمبريالية *Imperialism*: هي سياسة تتبعها الدولة لتحقيق الهيمنة الاقتصادية والسياسية والعسكرية وظهرت في عهد الإمبراطوريات ويتميز أصحابها بالقوة واستعلاء وأن من ليس فيها فهم عيب و يجب معاملتهم معاملة البهائم. صقر الجبالي، قاموس المصطلحات المدنية والسياسية، فلسطين، مركز حقوق الإنسان و الديمقراطية للنشر، ط1، 2014، ص 33.

*جورج بوش الأب *George Bush 1924 - 2018* : كان سياسيا أمريكيا و الرئيس الحادي والأربعين للولايات المتحدة الأمريكية من الحزب الجمهوري، مديراً المخابرات المركزية الأمريكية عمل في مجال النفط، "الحرب الخليج أدخل الوأف في الركود الاقتصادي و العجز في الميزانية بسبب دور السياسة الخارجية المعادية للديمقراطية في عمليات العسكرية ضد بنما كندا والمكسيك .

<https://www.britannica.com/biography/George-H-W-Bush>.

⁽¹⁾ مايكل هارت، الإمبراطورية العولمة الجديدة، تر: فاضل جتكر، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 2002، ص 269.

⁽²⁾ Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid. p95.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

أخرى في العالم، تحاول فرض سياستها في ممارسة الاستقلال وكافة أشكال الديمقراطية، حيث تكون مبررات هذه الأشكال الاستبدادية بطرق وقائية مزعومة للاستقرار وتحيل الديمقراطية.⁽¹⁾

لذلك يحدد تشومسكي أن الممارسة السياسية للديمقراطية والليبرالية تقوم على ترتيبات اقتصادية تضمن الحفاظ على نظام الدولة الأمريكية في ظروف عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي للنخبة الحاكمة والدول الحليفة في الغرب على موارد العالم الثالث، بالرغم من وجود تجاوزات اجتماعية ثورية تدل على عدم الرضا بين شعوبها، إلا أنه من السهل تحقيق أساليب غير مشروعة لاستمرار تراكم رأس المال في مثل هذه الظروف الملائمة، الأمر الذي أجبر الدولة على دعم الأغنياء والأثرياء، وكان من الممكن ضمان أن الدول المظلومة لن يكون لديها بديل أكثر عدوانية عن الدولة، بينما يختار شعبها الحرية والجاذبية والقدرة التنفيذية الدنيا لتحقيق الاستقرار السياسي مقابل الدفاع عن الوضع الراهن بمنح موارده الاقتصادية.⁽²⁾

ولهذا فإن تفسيرات نعوم تشومسكي لهذه السياسة الأمريكية الماضية نحو الاستبداد بشكل مطلق وممارسة لكافة أشكال الإكراه والعنف والتعسف ضد السياسات الأخرى التي تظهر استقلاليتها كدولة ديمقراطية، هو السبب الذي يخولها لفرض السلطة على النحو العالمي، وتقويض لأي نظام يعادي النخبة بممارسته المستقلة لأن أي استقلالية هي خطر على أهداف ومصالح السياسة الأمريكية، وهذا ببساطة مثال على تدمير نظام صدام حسين لأنه نظام ذو استقلالية تامة وتوسعها على دول العالم الثالث لما تحتويه من مخزون النفط⁽³⁾.

على الرغم من الهوس المتزايد بالمنفعة، فإن التزام السياسة الأمريكية بالديمقراطية جعل ذلك مستحيلاً، بينما لا تزال باقي الدول في العالم تكافح من أجل تقرير مصيرها، تضطر طبقة النخبة إلى دعم القوى الاستبدادية المعارضة لها، لذلك يستنتج نعوم تشومسكي أن الديمقراطية تقع في مأزق الاستبداد ناتج عن منع الوطنيين من ممارسة السلطة وتنصيب الحكومات التي تخدم مصالح النخبة التي تفضل الاستثمار بالأساليب الاستبدادية العنيفة ضد الحكومات التي تحاول استعادة الديمقراطية، على سبيل المثال، (غواتيمالا،

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، مداخلات، تر: محمود برهوم ونوال القمار سرياني، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص38.

⁽²⁾ Alison Edgeley :ibid. p95.

⁽³⁾ نعوم تشومسكي، تواريخ الانشقاق، تر: محمد نجار، عمان، الأهلية، للنشر، ط1، 1998، ص 281.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

السلفادور، تشيلي، ليبيا، نيكاراغوا، جمهورية الدومينيكان) لم تكن طبيعة القمع فيها طبيعية بل إنها تجرد جذور الديمقراطية الحقيقية من أي نزعة وطنية تدعو إلى فكرة الاستقلال. ((1).

لهذا السبب، يعتقد نعوم تشومسكي أنما يمكن النخبة الأمريكية من ممارسة الاستبداد مقابل الديمقراطية هو تكوين تصور يجمع بين متناقضين، الديمقراطية والرأسمالية، حيث تقوم الأولى على فكرة المساواة والسعي لتحقيق الإنتاج المشترك والتوزيع الاقتصادي بين أفراد المجتمع، بينما تقوم الأخرى على غياب المساواة، حيث إنها معنية بطبيعة استغلال الثروة والموارد الطبيعية وتسعى لفرض الملكية الفردية في جميع المجالات. ((2).

لذلك فإن الديمقراطية مجرد شعار زائف تستخدمه الرأسمالية لخدمة مصالح النخبة المعادية للجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من خلال دعمها للاستثمار المؤسسي وممارستها لكافة أشكال الاستبداد والأساليب المغرية ضد الحركات الشعبية. فهذا جانب من جوانب الفلسفة البراغمية التي تفضل المنفعة (الربح ورأس المال) على الشعب والديمقراطية.

في مجال الممارسة الحالية، لم يعد هناك أي احتمال لإحياء السيطرة الشعبية التي تدعم مبادئ الحرية والمساواة الاجتماعية والديمقراطية الراديكالية، لأنها اختفت مع توسع السياسة الأمريكية إلى عوائق على المسرح العالمي، بما في ذلك الإرهاب الدولي ورأسمالية الشركات، ولهذا يقول نعوم تشومسكي «إنه من المستحيل التنبؤ بالديمقراطية ما لم يكن ذلك ممكناً بإرادة إنسانية». ((3).

غالبا ما تعزى الديمقراطية الرسمية في المجتمع الأمريكي إلى غيابها كنتيجة للصراع بين المواطنين العاديين والأشخاص الذين يمثلون الإرادة العليا للسلطة (الأغنياء) مما يتسبب بشكل غير مباشر في ممارسة الولايات المتحدة لأساليب أكثر تطرفا لتشكيل ديمقراطيتها، والتي وصفها تشومسكي بالديموقراطية الزائفة المتجذرة في التصويت السياسي للأخلاقي الذي يستثني من المشاركة الشعبية الصحيحة، على غرار

(1) نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام، تر: عادل المعلم، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1998، ص 20 21.

(2) عرييد مسعد، أميركا الأخرى، المرجع السابق، ص 317.

(3) نعوم تشومسكي، إعاقة الديمقراطية، المصدر السابق، ص 83.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

السيطرة الرأسمالية التي تديرها الشركات الغنية والمدعومة من الدولة ولهذا السبب ينفي نعوم تشومسكي الحديث عن الحرية والديمقراطية في مجتمعه لأنه يتخذ قراراته بمعزل عن المشاركة الشعبية. واستبدالها بالتمويل الفردي الذي أكسب أعضاء النخبة الحكم والسلطة بسبب رؤى "الكونجرس" لفكرة التمويل الفردي باعتبارها جوهر اقتصاد الدولة وحمايتها من الركود الاقتصادي.⁽¹⁾

إن استبعاد القوى الشعبية من الحملة الرئاسية في عهد أوباما (Barack Obama 1961)، ما هو إلا ذريعة لوجود عجز ديمقراطي حاد لهذه الدولة الأقوى في العالم، مما يجعل عملية اختيار للشعب الأمريكي محجوبة تماماً وسرية من قبل الأثرياء النخبة التي من أهدافها السلطة السياسية دون الحاجة إلى الديمقراطية نفسها، كما يعد إحيائها في المجتمع الأمريكي خطراً يكتشف الفرد من خلاله مفارقة هذا العجز الذي تحمله هذه الدولة الرأسمالية. لأن هناك حقوقاً ومبادئ للفرد الأمريكي، مثل (الحق في الرعاية الصحية)، لكنه غائب وتعد إمكانية وجوده مستحيلة سياسياً بسبب الصراع بين شركات الأدوية والمؤسسات الصحية، وبالتالي اختفاء الثقافة الديمقراطية تكون متعمدة ومفتعلة من طرف الولايات المتحدة.⁽²⁾

لهذا يوضح تشومسكي أن عبقرية النظام السياسي في الولايات المتحدة هي التي تعمل على تقسيم الشعب الأمريكي إلى طبقات إلى درجة من التمييز وحرمان عامة الأفراد من حق التصويت وإلى الحد الذي تنعزل فيه الديمقراطية عن المجتمع، لأنه يعتقد أن حق التصويت للديمقراطية الخالصة في أيدي المواطنين والشعب، ومن الواضح أن الناس يدركون أن أساس الديمقراطية ينبع من الاقتراع العام، وفي هذا الصدد، فإن حجة تشومسكي هي على غرار فكرة مونتسكيو** بأن حق الاقتراع يقوم على قدرات وثروة أثرياء النخبة، والتي

(1) نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم، تر أسعد الحسين ، سوريا - دمشق، دار نينوى، ط1، 2014، ص 18.

(2) نعوم تشومسكي، مداخلات، تر: محمود برهوم ونوال القمار سرياني، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 93.

**شارل لوي مونتسكيو 1689 - 1755 Charles Louis Montesquieu: هو فيلسوف سياسي قاضي وأديب فرنسي أشهر بنظرية فصل السلطات من الدساتير عبر العالم نشر كتاباً عنوانه روح القوانين أثر في كل من بريطانيا والولايات المتحدة، وضع قواعد الدستور الأمريكي في عهد الآباء المؤسسين.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

يتم التصويت عليها من قبل السياسة الأمريكية وليس من قبل القوى الشعبية نفسها. الآن أصبح وسيلة غير إنسانية لضمان استمرارية نفوذ النخبة في المجتمع الأمريكي الغربي.⁽¹⁾

وتعود استمرارية النخبة الأمريكية، بالطبع، إلى عصر "الآباء المؤسسين" مثل جيمس ماديسون (1809-1817)***James Madison، الذي يصف أن منح حق الاقتراع للقوى الشعبية أمر خطير قد يسمح لأفراد الطبقة الدنيا (بشكل عام)، بما في ذلك الفقراء، للاستيلاء على ممتلكات وثروات النخبة، ولهذا السبب، يتم اتخاذ السياسة الأمريكية لمنع أو تقليص الديمقراطية بقرار من "مجلس الشيوخ"، الذي يعتقد أن تخفيضه يحافظ على التسلسل الهرمي لدولة وأصحاب الثروة لأنهم المجموعة التي تتحمل أكبر قدر من المسؤولية، موضحاً تشومسكي أن فكرة الولايات المتحدة لتقليص الديمقراطية تشبه الفكرة التي طرحها أرسطو (384 ق.م - 322 ق.م) "Aristotle" في كتابه السياسة "Politics" بأن أكبر نظاماً سياسياً هو الذي يحمي ممتلكات وثرثرة النخبة من الأغلبية الشعبية في المجتمع.⁽²⁾

يعتبر تشومسكي وجهة نظر جيمس ماديسون (1751-1836)، J. Madison، في إدارته لدولة الرفاهية مفارقة بحد ذاتها في إنشائه لمجتمع سياسي تغيب فيه المساواة الاجتماعية بحجة أن حمايته للأقلية القوية هي شكل من أشكال الديمقراطية الناجحة، ليس لأن هذا العيب يقتصر على تدخله الاقتصادي والسياسي الوحشي فقط، ولكن كيف تم استخدام الديمقراطية في شكلها الفعلي من قبل النخبة التي وصفها آدم سميث (1723 - 1790) "Adam Smith" بطبقة الأسياد البشر، وهي طبقة فساد العصر الجريء لأنه مجرد المصلحة العامة من المجتمع الحق في المشاركة في بناء سلطة ناجحة وقيم ديمقراطية سليمة.⁽¹⁾

(1) لوي ألنوسير، مونتيكيو السياسة والتاريخ، تر: نادر ذكرى، بيروت، دار التنوير، دط، 2006، ص 63 .
***جيمس ماديسون 1836-1751 James Madison: يعد رجل دولة ودبلوماسياً وتوسعياً وفيلسوفاً أمريكياً وأباً مؤسساً ورئيساً رابعاً للولايات المتحدة 1809-1817. وقد وُصف بأنه "أبو الدستور"، ومؤسس الولايات المتحدة و للحزب الجمهوري الديمقراطي - المالك لأثرياء الأمريكيين الأصليين من العبيد الذين يفتقرون إلى الحرية الأساسية للعمل في الولايات المتحدة.

<https://www.britannica.com/biography/James-Madison>.

(2) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل، بيروت، دار الساقي، دط، 2018، ص 199 .
*آدم سميث 1723 - 1790 Adam Smith: فيلسوف أخلاقي وعالم اقتصاد اسكتلندي. يُعدّ مؤسس علم الاقتصاد السياسي الكلاسيكي اشتهر بكتابه: "نظرية المشاعر الأخلاقية" 1759، وبحث في طبيعة ثروة الأمم وأسبابها" 1776 دعا إلى تعزيز المبادرة الفردية، والمنافسة، وحرية التجارة، بوصفها الوسيلة الفضلى لتحقيق أكبر قدر من الثروة والسعادة.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

مع وجود هذا الشكل الثاني من الديمقراطية في أمريكا، والذي عبر عنه تشومسكي على أنه ديمقراطية شكلية، والتي لا تزال جذورها موجودة، وهي الديمقراطية المنشودة بحسب تحليلات والتر ليبمان (1889 - 1974) *Walter Lippmann* للسياسة الأمريكية، فهي ديمقراطية يمثلها الجمهور. كمتفرجين وليس مشاركين، وقيادتهم إلى قرارات تفرضها قطاعات قوية دون أي تمثيل شعبي مفيد للغاية، الطبقة الحاكمة التي تتخذ قرارات المجتمع السياسي الأمريكي، وهي الطبقة الأرستقراطية التي ميزها توماس جيفرسون (1743 - 1826) *Thomas Jefferson* بأنها معادية للديمقراطية. التي تتبنى نوعاً من البراغمية في ممارسة الديمقراطية لضمان مصالحها، ولها بنية داخلية سلطوية تجدد عناصرها بالتأثير على الجمهور، فضلاً عن سيطرة المؤسسات المصرفية والكتل الثرية على النظام الاجتماعي، يجعل "الديمقراطية" أكثر محدودية في المجتمع. (2)

علاوة على ذلك، مرت الديمقراطية بتحولين وثيقي الصلة أديا إلى تقويضها في المجتمع الأمريكي، "الأول" هو الفشل الجماعي في المشاركة في السياسة العامة على الرغم من تجربتها الخاصة وتجربة جمهورها غير الواعي. أما "التحول الثاني"، فيعمل وسطاؤه على تقوية أواصر القرابة والروابط العرقية والدينية، وغرس الثقة العمياء لدى عامة الناس. أشار صموئيل بيلي (1791-1870 م) *Samuel Bailey* إلى

<https://www.britannica.com/biography/Adam-Smith>

(1) Noam Chomsky: Democracy and Power. Delhi Lectures United Kingdom, Cambridge, Open Book Publishers, no edition, 2014, p. 57 58

“Chomsky says: Well, he quickly discovered otherwise and apparently with some shock. Within a few years, he found that the opulent minority were abusing the power he had handed over to them, and that they were acting in the way that Adam Smith had described –namely by following what Smith called “the vile maxim of the masters of mankind, all for ourselves and nothing for other people.” ... Madison deplored what he called “the daring depravity.”

**** والتر ليبمان 1889 - 1974 : *Walter Lippmann* كاتب أمريكي ومراسل ومعلق سياسي مشهور ويعتبر من أوائل من أدخل مفهوم الحرب الباردة، تأثر به نعوم تشومسكي في ثقافة الجماهيرية .**

<https://www.britannica.com/biography/Walter-Lippmann>.

توماس جفرسون 1743 -1826 : *Thomas Jefferson، هو أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، أعلن الاستقلال 1776 وثالث رئيس للولايات المتحدة، نادى بمبادئ الديمقراطية الجمهورية وحقوق الإنسان، له تأثير عالمي على الثورة الأمريكية، اقترح إصلاحات في نظام العبودية مقترحاً حق تحرير العبيد في الحكم الملكي والحكم العام.

<https://www.britannica.com/biography/Thomas-Jefferson>.

(2) نعوم تشومسكي، ضبط الرعاع، تر: هيثم علي الحجازي، عمان، دار الأهلية للنشر، ط1، 1998 ص 228.

****صموئيل بيلي 1791-1870 م *Samuel Bailey*** :عالم اقتصاد وفيلسوف وكاتب من المملكة المتحدة لبريطانيا. تنتقد كتاباته الأكثر أهمية في تكوين ونشر الآراء 1821 الاقتصاد السياسي للمدرسة الرأسمالية التي أسسها الاقتصادي الإنجليزي ديفيد ريكاردو. رفض بيلي العلاقة المتبادلة بين

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الآليات التي نجح بها النظام السياسي في احتواء طبقة النخبة في "نيويورك" بحكم السياسة الأمريكية وتأسيسها. لفكرة التعاون الاجتماعي والاقتصادي، والتي كان الهدف منها احتواء "المهاجرين الكاثوليك"، وإبادة "السكان الأصليين"، وفرض العبودية على عامة الناس، حيث يضمن أعضاء الطبقة الحاكمة السلطة المطلقة من خلال هذه الآلية⁽¹⁾.

بحيث تهدد طبقات النخبة في الجنوب والشمال باحتواء المنظمات العمالية ومنع "السكان الأصليين" من المشاركة في الانتخابات الرئاسية، وتنص "ثيداسكوبول" (1947م) *Theda Skocpol* على أن الانتكاسات التي تسببت في "ضعف الديمقراطية" تتمثل في توطيد النخبة لقاعدة الاجتماعية والسياسية مع الحكومة، واستبعاد السود من "حق المشاركة"، وفرض جمعيات تجعل الفرد الأمريكي ينفر حتى من الانضمام إلى الحركات الاجتماعية. إن المواطن الأمريكي "الممثل" بشكل جيد يفنر إلى الثقة حتى في مساهمته في مكانة وطنية أو اجتماعية، وقد تسببت هذه العنصرية والعزلة في فقدان الديمقراطية⁽²⁾.

يفسر غابرييل أ尔蒙د (1911- 2002) *Gabriel Almond* فكرة العزل والتهميش الأمريكيين الغربيين على أنها تجعل "السياسة الخارجية الأمريكية" تسعى لتحقيق أهدافها الاقتصادية ولها سبب لتشجيع الجماهير على المشاركة في قراراتهم حول التغيير السياسي، لكن هذه المشاركة لا تخلق جوهر التمثيل الحقيقي للديمقراطية. إنها مجرد عملية تقويض لهم وتقويض ديمقراطيتهم "وحریتهم"، حيث يخلق هذا التلاعب بالديمقراطية والسياسة "استياء" لدى الإنسان الأمريكي وقتل ثقته في السياسة التي تديرها "النخبة

الأجور والأرباح، وسعى إلى القضاء على التشاؤم المتأصل، وعارض تدخل الدولة واعتبر نفسه متطرفاً منفعياً. من بين أعماله الأخرى مراجعة لنظرية الرؤية لبيركلي 1842 ورسائل في فلسفة العقل البشري.

<https://www.britannica.com/biography/Samuel-Bailey>.

(1) تشارلز تيللي، الديمقراطية، تر: محمد فاضل طباح، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، 2010، ص 173.
***ثيدا سكوبول 1947 *Theda Skocpol*: هي عالمة اجتماع وسياسة أمريكية، وتشغل حالياً منصب أستاذية فيكتور س. توماس في مجال الإدارة الحكومية في جامعة هارفارد. شخصية مؤثرة في كمناصرة للمقاربة المؤسساتية التاريخية والمنهج المُقازن، في نظرية الاستقلال الذاتي وأروها البنوية. كمثال، شرح الثورات الاجتماعية في الولايات المتحدة وأثرها على الديمقراطية الأمريكية والانخراط المدني .

<https://www.britannica.com/biography/Theda-Skocpol>.

(2) تشارلز تيللي، الديمقراطية، المرجع نفسه، ص 174

*غابرييل أ. أ尔蒙د 1911- 2002 *Gabriel A. Almond*: كان عالم سياسة أمريكي عُرف بعمله حول السياسة المقارنة و الثقافة السياسية.
<https://www.britannica.com/biography/Gabriel-Almond>.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الساخرة" والخبيثة، مدركين أن جوهر القيادة السياسية لا يخدم تلك القرارات الشعبية، بل يعطي النخبة بعدا في خدمة مصالحها. (1)

في حين يعتقد تشومسكي أن فكرة هذه العزلة وانعدام ثقة المواطن الأمريكي بالديمقراطية ناجم عن موقف الإدارة الأمريكية المشبوه في تصدير "القيم الديمقراطية"، لذا فإن جوهر الديمقراطية هو أساس ممارسة وتنفيذ إرادة الأغلبية ومنع استبداد الأقلية بغض النظر عما إذا كانت تلك "الأقلية حزبا أم ملكية"، لكن هذا التعظيم على البراغماتي ليس في خدمة المصالح الاجتماعية والاقتصادية التي تعود بالنفع على الشعب الأمريكي، بل بالأحرى نهج عملي لتقوية العلاقات الدبلوماسية مع حكومات الدول الأخرى وقيادتها لخدمة أهداف القائد الملهم (النخبة)، منه يؤكد تشومسكي على "العلاقة الطوباوية" بين الشعب الأمريكي والسياسة الحالية لتوظيفهم الحقيقي للديمقراطية الملطخة بالألوان، مستشهدا بانتقاده لهذه السياسة بمقولة "ألكسندر هاميلتون" (1755 - 1804) *Alexander Hamilton* « الشعب حيوان كبير مصاب بعمى الألوان فكيف نعهد له في اختيار اللون ؟. » (2).

لا تقتصر الديمقراطية، بحسب تشومسكي، على الأحزاب السياسية أو الانتخابات أو حرية التعبير فقط، بل هي مشاركة عامة تشمل أفراد المجتمع في حياة سياسية واحدة، مع الأخذ في الاعتبار أن الديمقراطية النقية التي عرفت "أثينا" في الماضي نادرا ما تصورها المجتمع الغربي أو السياسة الأمريكية كديمقراطية تتمتع بالفخر بماهية الديمقراطية العرقية. الذي يحتوي على مشاركة الأغلبية الشعبية في الانتخابات والحياة السياسية دون أي استبعاد "للعبيد أو "الرجال" والنساء" غير الأكفاء، على غرار الديمقراطية الولايات المتحدة

(1) Gabriel A. Almond, *The American People and Foreign Policy*: New York, Greenwood Publishing Press, first edition, 1977, p. 237.

**ألكسندر هاميلتون 1755-1804: *Alexander Hamilton* هو رجل دولة أمريكي وأحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة. وكان مفسرا وداعية للدستور الأمريكي و النظام المالي للبلاد، من الحزب الاتحادي شكل حزبا منافسا للحزب الجمهوري الديمقراطي يدعو بريطانيا للملكية الأعمال المصارف بشكل عام.

<https://www.britannica.com/biography/Alexander-Hamilton-United-States-statesman>.

(2) نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام، تر: عادل المعلم، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1998، ص 73 74

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

كونها مقبلة وحامية لها، فهي جوهر أساسي في استبدادها حيث يقول جون آدامز (1735 - 1826) *
John Adams « تبدأ ديمقراطيتنا بالانتخابات ما أن تنتهي تظهر العبودية». (1)

يبدو أن مضايقات السياسة الأمريكية مع الديمقراطية والصعوبات التي تواجهها توفر فهم لبنية هذا السخط المناهض للديمقراطية. حالما يتم تشجيع الأمريكيين فيها على "التصويت" لها بنجاح، يتم إطلاق ضدهم بحملة دعائية ضخمة لمحاولة إعادة الديمقراطية إلى الحجر الذي تنتمي إليه، والذي وصفه تشومسكي بأنه أصغر جزء من "السياسة" في التلاعب "بالعقول الناس" الذي يكون مصطنعاً من العقل الأمريكي ضد الشعب ولصالح الأشخاص الذين يرغبون في التصويت لهم بغض النظر عن مساهمهم السياسي الصحيح أو مدى ديمقراطيتهم، بحيث ينتهي الأمر بالناخبين باختيار الرعاية الاجتماعية على غرار الاضطرابات مثل الانتخابات (أيلول 2004) التي هزم فيها الحزب الديمقراطي نتيجة الضغط الذي فرضه جورج بوش على تحطيمه للمكاسب التي حققها النضال الشعبي وتقويض الرفاهية الاجتماعية. (2)

على هذا الأساس يقول تشومسكي: «وبقدر كبير جداً من النجاح، لكن الأيديولوجيين اختاروا اللجوء إلى القوة. لقد كانت دلالة هذه الحقائق على الديمقراطية الأمريكية بالغة الوضوح، وكان من الضروري طمسها، وهو ما حدث بالذات». (3)

على هذا النحو، فإن الديمقراطية في مراكز الفكر والمؤسسات والعلاقات الدولية وتخطيطها من قبل الخبراء والمتقنين والتكنوقراط الأمريكيين لا يحيد عن إملاءات النخبة الحاكمة، وهذا وباء الديمقراطية "يتغلغل في الهيكل الأعلى الذي يقود السياسة الأمريكية تجاه دول العالم، بينما يُخضع الكتاب والمؤلفين والطبقة الفكرية والاجتماعية لما يخدم المجتمع السياسي ويقيد حرية الرأي والتعبير للأفراد، لهذا يقول تشومسكي وفقاً

*جون آدامز 1735 - 1826 *John Adams*: هو سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس الثاني للولايات المتحدة و أحد الآباء المؤسسين من الحزب الفيدرالي و زعيم حركة الاستقلال الأمريكية دفاع عن دستور من عنف الأرستقراطية، واقترح فيها "بأن الأغنياء، يجب أن يفصلوا جانباً في مجلس الشيوخ.

<https://www.britannica.com/biography/John-Quincy-Adams>.

(1) نعوم تشومسكي، المصدر السابق، ص 74 .

(2) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 96 - 98 .

(3) نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم و الجديد، المصدر السابق ص 19.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

لفكرة توكفيل: «تقيم الأغلبية في أمريكا حواجز منيعة حول حرية الرأي، وفي نطاق هذه الحواجز يستطيع المؤلف أن يكتب ما يشاء، وويل له إن تجاوزها... يتعرض للفضيحة وللاضطهاد المستمرين، ويقضي على حياته السياسية بيده إلى الأبد.»⁽¹⁾

إلى هذا الحد، وصلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى مستوى مناهضة الديمقراطية الذي أكدّه الفيلسوف الفرنسي توكفيل بقوله إنه من النادر للسياسة الأمريكية: «أن تضع رجال من ذوي الكفاءات العالية والأخلاق النبيلة والعقول السليمة والمواهب المختارة، أو حتى رؤساء الحكومات لإدارة شؤونها العامة.»، يثبت تشومسكي هذه الفكرة بتطبيقها مرتين، الأولى في انتخابات بوش والثانية مع كلينتون والهدف ليس تحديد مثل الديمقراطية التي يفخر بها البيت الأبيض، ولكن الكشف عن العقلانية التي لا تنضب. والتي تستخدمها واشنطن في انتخاب الرؤساء الذين يستجيبون للمصالح الخاصة وغير مباليين بالمشاكل التي يعاني منها الناس لأنها الوسيلة التي تجعل الملايين من الناس يفقدون إيمانهم الديمقراطي مقابل النصر دائما أيضا للحزب الجمهوري في المقام الأول وللشعب في أدنى مستويات النظام.⁽²⁾

تحتوي هذه السياسة على نزعة فطرية عنيفة، تتميز بالعداء الشديد للديمقراطية في أي مكان في العالم، وهذا العداء يتم الحفاظ عليه من قبل العقل المدبر لواشنطن. ففي حقبة ريتشارد نيكسون (1913-1994) *Richard Nixon*، أشار تشومسكي إلى التقويض الذي ساهمت به واشنطن ضد الدول الموحدة في أمريكي اللاتينية، بهدف القضاء على الديمقراطية في تشيلي في عام (1971). والغرض الواضح منها هو دعم واشنطن للديمقراطية بالطريقة الثانية، والتي يصفها تشومسكي بالشكل العقلاني لنظرية الدومينو، والتي من الممكن فيها إزالة أي خطر ضد سياستها المستمرة بدعمها للديمقراطيات التي تخدمها اقتصاديا

(1) نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام، المصدر السابق، ص 77.

(2) المصدر نفسه، ص 74 - 76.

*ريتشارد نيكسون 1913-1994 : *Richard Nixon* هو الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية. لقد كان زعيماً للاتجاه العالمي المضاد للتيار الانغلاق في الحزب الجمهوري الذي أدانته الكونجرس في فضيحة ووترغيت معاداة الديمقراطية باعتباره جاسوساً مناهضاً للسوفييت والشيوعية .

<https://www.britannica.com/biography/Richard-Nixon>.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

واستراتيجياً، مع التركيز على المصالح الأكثر حيوية لمستثمري النخبة، وإبقاء مشاكل الناس تحت السيطرة من خلال فرض السلطة المتطرفة والانتخابات ملفقة.⁽¹⁾

في هذه الحالة، لقد تجاوز عقل الولايات المتحدة حدود الديمقراطية بتركيزها القوي على الرأسمالية وتمويلها للسلطة السياسية بطرق غير دستورية وغير قانونية من خلال الهندسة الانتخابية التي يعتبرها تشومسكي ممارسة سياسية من قبل السيناتور الأمريكي لتمزيق الديمقراطية، مستشهداً بحادثة (المواطنين المتحدين) التي تعكس صورة اضطهاد حقوق المواطنين وانتهاكها من قبل المحافظين للجنة الفيدرالية الأمريكية لتمويل حملتها الانتخابية، فإن هذا الهجوم لا يعتبره تشومسكي تقويضاً للديمقراطية في حد ذاتها، بل يتعارض مع القيم الأخلاقية ومبادئ الليبرالية الكلاسيكية.⁽²⁾

ربما لم يعد تدمير الديمقراطية هذا غاية مقصودة، بل وسيلة لإفساح المجال أمام ذوي الامتيازات الخاصة. حولت الولايات المتحدة الديمقراطية لتكون ثمرة انتصار في عدة مناطق من العالم، كان أهمها أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، معبرة بطريقة أكثر واقعية عن الديمقراطية الحقيقية، ومعها ولدت أشكال القتل والتخريب والاستعباد لحدود لا يمكن إصلاحها، مما أدى إلى تعميق بؤس الغالبية العظمى من الفئات الاجتماعية والتنظيمات الشعبية، بينما حظي أفراد النخبة بهذا التحول لديمقراطية بالاحترام والفخر، كمداغ عن مصالح الأثرياء ومُحدّثاً لتغير اجتماعي عادل ومع ذلك، يعتبر تشومسكي أن مثل هذا التغيير الخرافي يحصل نتيجة لتعريض تلك الشعوب لأفعال الولايات المتحدة التي تتسم بقسوة مفرطة ضد الديمقراطية وشعوب العالم، ولكن هذه الانتهاكات المتطرفة ضد الإنسانية والديمقراطية. لن تجد لها أثراً في الفكر

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، صناعة المستقبل، تر: Lingo office s.a.r.l، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 2013، ص 102 103.

⁽²⁾ Noam Chomsky, Requiem for the American Dream, New York, Library of Congress, 1st ed., 2017, p. 113.

“Chomsky says: *ENGINEER ELECTIONS: AS I have said, concentration of wealth yields concentration of political power, especially as the cost of elections continues to skyrocket. There is the shredding of the democratic system by the rapid increase in the ability to just buy elections. Take Citizens United. [...] This is a sharp attack on classical liberal principles.*”

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الأمريكي بحجة أنها قضايا تاريخية لا علاقة لها بما يمكن للولايات المتحدة أن تقود مواطنيها نحو عالم جديد.⁽¹⁾

ومن وجهة نظر تشومسكي، كربة للولايات المتحدة في تعزيز الديمقراطية التي لم تعد مقيدة بدوافع أخلاقية أو سياسية. بالنظر إلى هذه البلدان الفقيرة في العالم، فإنها مصدر قلق كبير يهدد الولايات المتحدة، مستشهدا تشومسكي بمنطقة لاوس (Laos) التي لا يمكن مقارنتها بقوتها أو تقدمها الحضاري بالولايات المتحدة الأمريكية، ولكنها ظلت في أواخر الستينيات. تهديدا لمصالح الرأسمالية والقطاعات الثروة الكبيرة بمجرد أن شرع مواطنوها في إصلاح اجتماعي معتدل. ردت الولايات المتحدة بكل مصداقية على تلك الديمقراطية بأكثر الطرق سرية وغير مألوفة للمواطنين المتحمسين عن طيب خاطر لهذا الشكل من الديمقراطية المغرقة في التعذيب السادي للنساء، وقطع أذنائهن، وقطع رؤوسهن، ولاطم أجساد الأطفال بالجدان إنها ديمقراطية لم تكن جيدة، بل هي ضغينة ضد الطبيعة البشرية والروح الوطنية التي قد تحقق الديمقراطية الحقيقية في مناطق أخرى من العالم.⁽²⁾

يعتقد نعوم تشومسكي أن ديمقراطية الولايات المتحدة، قبل أن تصبح بابا لتلك الدول لتحقيق الحريات الفردية والإصلاحات الاجتماعية، هي خطوة مفاجئة وفريدة من نوعها لمستثمريها نحو أهداف براغماتية بحتة تضمن لهم تأمين المصالح والاستقرار والتوسع في مقابل تلك الحكومات المنخرطة في هذا النوع من الديمقراطية القائمة على فكرة المفاضلة بين الوعي والواقع بين المنفعة والعيش الحر، لن يكون أمام تلك الحكومات الفقيرة خيار سوى الخضوع للولايات المتحدة للاستفادة من ديمقراطيتها المعتادة. يؤكد تشومسكي على أسرار هذه الديمقراطية بالإشارة إلى مذكرات المعهد الملكي للشؤون الدولية والعلاقات الأمريكية تقدم الولايات المتحدة خدمة "لسانية" للديمقراطية أم التزامها الحقيقي هو بـ "المشاريع الرأسمالية الخاصة". فإذا ما

(1) نعوم تشومسكي، إعاقة الديمقراطية، المصدر السابق، ص 247.

(2) نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام، المصدر السابق، ص 21.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

تعرض المستثمرون الأمريكيون إلى انتهاك أو تهديد. ترحل الديمقراطية ولا بأس أن يحل محلها حكام القتل والتعذيب. (1)

في هذا السياق، يشير تشومسكي إلى أن التوق في الولايات المتحدة للديمقراطية يلزم السياسيون والمستثمرون بإكمال المشروع المفتوح للديمقراطية تجاه بقية البلدان الأشد فقرا في العالم. فيما يتعلق بمبدأ الالتزام الذي دفع بماركوس (1917-1989) *Ferdinand Marcos* إلى نفس التزام سقراط (470 ق.م - 399 ق.م) *Socrate* بالديمقراطية، لكن الديمقراطية الاثنىة تختلف عما عليه ديمقراطية الولايات المتحدة، حيث الأولى يتم إنشاء الحكومات فيها لمثل الأخلاقية، ولكن الثانية تؤسس الحكومات لدعم العنف ضد الحركات الاجتماعية وإبادة الدولة الفلبينية بذريعة منع توسع شيوعية ماركوس وتمردا ولهذا السبب أوضح ويلسون (1856 - 1924) *Woodrow Wilson* موقف الولايات المتحدة من ترسيخ ديمقراطيتها بين شعوب جمهورية الدومينيكان وهايتي "نتعهد بشفاء الناس من عادة التمرد، وتثقيفهم، وإصلاحهم، وإرشادهم كيف يعملون ليعيشوا، وهذا الواجب الذي تقوم به الولايات المتحدة... لكن فطامهم عن عادة التمرد يستدعي منا اللجوء إلى القوة". (2)

وأيا كان الأمر، فإن تشومسكي يؤكد على أن العبيثية والفساد اللذان يتلازمان مع ديمقراطية المجتمع الأمريكي هو أساس الذي يمثل السلطة التنفيذية للسياسة الأمريكية، فالجرائم والانتهاكات والفظائع لم تكن

(1). نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام، المصدر السابق، ص 21 .

**فرديناند إيمانويل ماركوس*، الأب 1917 - 1989 *Ferdinand Emmanuel Marcos*: كان سياسيًا ورئيسًا فلبينيًا حكم جمهورية الفلبين بطريقة دكتاتورية في ظل الأحكام العرفية. أطلق نظامه مشاريع البنية التحتية باسم "مجمعات النصب التذكارية" التي تكلف دافعي الضرائب على الشعوب عرف بأنه الفساد والوحشية متطرفة مؤيدة للأمريكيين لقمع المعارضين السياسيين الشيوعيين .

<https://www.britannica.com/biography/Ferdinand-E-Marcos>.

***سقراط* : 470 ق.م - 399 ق.م *Socrates* : فيلسوف يوناني من أثينا يُنسب إليه الفضل في كونه مؤسس الفلسفة الغربية وأحد الفلاسفة الأوائل في التقليد الأخلاقي للفكر طريقته السخرية والتوليد تأثرت عقلانيته في المجتمع الأثيني باتهام الشباب بالخطيئة وفسادهم. لقد حكم عليه بالديمقراطية التي يصفها أفلاطون لطلابه بالسخافة والظلم ضده.

<https://www.britannica.com/biography/Socrates>.

****توماس وودرو ويلسون* 1856 - 1924 *Woodrow Wilson* : هو سياسي شغل منصب الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة من الحزب الديمقراطي منهجه السياسي تعزيز الديمقراطية يصفه سيغ蒙德 فرويد في دراسة نفسية، بكونه سياسيًا ساذجًا بأفكاره ذات التعصب الديني، تعرض محافظيه للهجوم بدوره في توسيع الحكومة الفدرالية .

<https://www.britannica.com/biography/Woodrow-Wilson>.

(2) نعوم تشومسكي، إعاقة الديمقراطية، المصدر السابق، ص 316 .

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

ضمن المجتمع الأمريكي إلا في شكلها الكامن للشعب الأمريكي لأن وكالة سي آي إيه تعتبر فكرة تعزيزها عداء للإنسانية وممارستها في حقيقة مستقلة من طرف النخبة ذاتها باستلاب فاعلية السلطة من الجمهور وتحل مكانها لتغير الواقع بشكل من اللاشعورية والسرية اللا قانونية لهذا يقول: «إن تتخيل مجتمعا ديمقراطيا مع منظمة (The CIA) تعمل وظائف المعلومات الاستخباراتية... والغرض الرئيسي منه هو القيام بأنشطة سرية غير قانونية عادة للسلطة التنفيذية هي الفرع الذي يريد الحفاظ على سرية هذه الأنشطة لأنها تعلم أن مرفوضة من قبل الجمهور الأمريكي فهي غير ديمقراطية إلى حد كبير.»⁽¹⁾.

فعليه تكون الطبقات العدائية وفقاً تشومسكي في المجتمع هي مسؤولة على تصنيع المؤسسات والآليات الممارسية داخل السياسة للحفاظ على البقاء والهيمنة منذ الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم والطبقة العدائية تروعاها جهود نيكسون وألفريد كيسنجر وجون كينيدي كأداة التي تقويض حركات الحرية والديمقراطية في المجتمع الأمريكي فتعمل بفعالية إنكار معقول في عزل الشعب وتحريك البنية السياسية بذاتها بطريقة لاشعورية وسرية.

يعتبر تشومسكي أن المنظمة الاستخباراتية (The CIA) ذي صلة بالرأسمالية الصناعية وطبيعتها الغربية مؤكداً على أن المجتمع الغربي والمجتمع الأمريكي من جنس واحد الذي يعتبره الناشئ ومتجذر في رأسمالية الديمقراطية التي تضع المجتمع بين موضعي التوتر والقوة، فنقتصر ديمقراطية حكم الشعب الأمريكي من حيث المبدأ المرغوب به في السياسة الأمريكية، ولكن دون أن تكون محركاً للطبيعة الإنسانية أو لمؤسسات وقطاعات المجتمع، فالديمقراطية المرغوبة كما تريدها مركزية النخبة الصانعة لقرارات السلطة للتغير البنية الداخلية للعامة وتحكم في مبادئها التحررية المؤثرة في النظام الاجتماعي بنوع من الإدراك والسيطرة على الفكر وتوجيه من وكالة الإعلام الداخلية والمخابرات المركزية وغاية حرمان الهياكل الديمقراطية منذ نشأتها

⁽¹⁾ Noam Chomsky, David Barsamian, Secrets, Lies, and Democracy, USA - London, Odonian Press Publishing, 1st ed., 2002.p32

“Chomsky says: What about the role of the CIA in a democratic society... imagines a democratic society with an organization that carries out intelligence-gathering functions? But that's a very minor part of what the CIA does. Its main purpose is to carry out secret and usually illegal activities for the executive branch, which wants to keep these activities secret because it knows that the public won't accept them. So even inside the US, it's highly undemocratic.”

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

في المجتمع السياسي الأمريكي - وفقا لتشومسكي - فإن تقويض وسحق الديمقراطية له معنى للسياسات الثورية في الدفاع عن الشعب والمجتمع بسبب الحرمان من نفوذه السياسي، فتدابير المؤسسة (كالمسي أي إيه) تخلق التمرد والعنف بمنع وتقويض الشعب الأمريكي من الخوض في غمرة السلطة؛ بتدخلاتها غير عادلة في الديمقراطية.⁽¹⁾

مما يعني أن أسلوبه له إحداثيات ضيقة في التفسير الفلسفي لطبيعة الدولة الأمريكية باستخدام النهج الفاشي. ربما يكون قصد ممارسة تشومسكي للمصطلح الفاشي بنهج أمريكي هو مقارنة لخطة الممارسة المشتركة للسياسة والسلطة بين الديكتاتور موسوليني والدولة الأمريكية، هناك اختلاف كبير كما يشير النقاد إلى تشومسكي وهو أن (الفاشية) سياسة قومية وعنصرية متطرفة يمكن تطبيقها على ديكتاتور أو حزب من حيث الممارسة المتبادلة كما في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي. بينما أن السمات الهيمنة الأمريكية لها تأثير مفتوح على العالم وليس فقط على دولة ما، كما يمكن للمرء أن يشير إلى أن تفسيره مفهوم بشكل ضيق وليس لديه أي محاولة للدفاع بالحجج عن استخدامه لمصطلح الفاشية، لأنه يوضح علاقات الاستبداد والقمع التي تمارسها الدولة الأمريكية بسكانها والشعوب المضطهدة الأخرى، ما ينبغي توقعه من اعتراف تشومسكي هو تحديد السلوك ضمن حدود القانون الدولي على أنه مقيد من قبل الدولة أو النخبة، لكن هذا لم يتم تفسيره بدقة.⁽²⁾

وفي الحقيقة فإن لديمقراطية الأمريكية سمة داخلية متشددة على عكس سماتها الخارجية، لأنها إحدى خصال الاتجاه الراديكالي، الذي يسعى إلى توطيد فكرة الأمة ومستقبلها وعظمتها المتميزة، إلا أن الأمريكيين لديهم ديمقراطية دون حرية ديمقراطية لا تقدر للقيم التنوير للرجوع بالممارسة السياسية عن الانحطاط وانهايار الاقتصادي واجتماعي فهي على ديمومة اللامتناهية تجاه التعالي بالقومية الأمريكية، إلا أن تشومسكي يؤكد أن الغلو الصاعد هي عجرة والشعور بمخاوف تفكيك القومية المثالية الأمريكية فإنها في أساس تقويض للديمقراطية العالم وتلاشيها، طالما النخبة المركزية للمحافظين الراديكاليين هي أكثر تنغمنا

(1) Noam Chomsky, Noam Necessary Illusions: Thought Control in Democratic Societies: Canada, Anansi Press, first edition, © 2003. p7.

(2) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky :ibid. p.91.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

مع السلطة اليمين الجمهوري المعادي للديمقراطية، تطغى عليه فكرة الاستعادة للمجتمع الأمريكي القديم الذي لا تشوبه شائبة، وثقافته المسيحية المحافظة والأكثر رفضاً للآخر فتأييد للديمقراطية يفقد السيطرة على السكان الأمريكيين الأصليين (*white Americans*) على الدوام يوجد قلق أنطولوجي ملازم لقلق اجتماعي واقتصادي والعنقي يدفع السياسة الأمريكية إلى النفوذ والسيطرة على المجتمع والسياسة بضبط الرعاع وبدعم العسكري لشركات الاقتصادية.⁽¹⁾

وعليه، يشير تشومسكي إلى أن هذا الفساد في المؤسسات الحكومية وهياكل تمويل الانتخابات يقود إلى سياسة أمريكية لمواجهة التمرد والعصيان المدني. وهو الأمر الذي لم يدركه ويلسون هو أن النظام البطريركي يقود الناس إلى الثورة ضد استراتيجيتها الاحتكارية لوسائل الملكية وفرضها للقوانين التي تعكس فعالية هذا النظام غير الديمقراطي واللاإنساني الذي يَسْلُبُ الدِيمُقْرَاطِيَّةَ للحفاظ على النظام الشركاء الذين يمثلون (1%) من الشعب الأمريكي الذي يحتفظ بالثروة في قبضته مع آليات العمل السياسي وتهميش النسق الكلي للمنظمات الداعمة للحركات الاجتماعية، فتوظيفها للأغلبية المهمشة (99%) في دعاية لتمويل الساسة بحيلولة الديمقراطية المعبرة عن الإرادة الجماعية، لذلك، يؤكد تشومسكي أن الحركات المناهضة للسياسة، مثل حركة احتلوا، لا تتحول إلى سمة التمرد والعصيان المذموم في المجتمع الأمريكي. بدلا من ذلك، فإن خطابات "احتلوا" الديمقراطية هي تطبيق لرغبة "نحن" التي تهدف إلى الانفتاح على الواقع والفك الارتباط من براثن السلطة عن طريق الحكم الذاتي غير الهرمي والتشاركي بشأن ممارسة الديمقراطية وتمثيل المجتمع أقل عرضة لفساد النخبة ولتأثير شركاتها.⁽²⁾

⁽¹⁾ أناتول ليفن، أمريكا بين الحق والباطل، تشريع القومية الأمريكية، تر: ناصرة السعدون، بيروت- لبنان، المنظمة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص 26.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، "احتلوا"، تأملات في الحرب الطبقيّة والتمرد والتضامن، تر: انطوان ياسيل، بيروت، لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 2014، ص 17.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

ومع ذلك، فإن الديمقراطية في المؤسسات الأمريكية قاصرة إلى حد ما، حيث فقدت السمات الجوهرية التي تأصلت صلابتها من فلسفة جون لوك ** (1632-1704) *John Locke* الليبرالية؛ كالحرية والدستور والقانون لم تعد مركزية في تمثيل الشعب فهي تُروَّج لها في دول أخرى كالبراديجم تحمله الشعوب غير الأمريكية المرتبطة بعقيدتها المزيفة مع ولائها للديمقراطية والحرية في شكلين استثنائيين، السياسة هي (المنفعة) والسياسة هي (قوة) استبدادية، لكونها الدولة الوحيدة التي تنظم للإيتيقا العالم، «فالديمقراطية الأمريكية تشكل جزءا من العالم السفلي للدول الغربية كما هي الرأسمالية الأمريكية بالرغم مما فيها من سمات خاصة جدا متلازمة بشكل وثيق مع النظام الرأسمالي العالمي كليا». (1)

من الطبيعي تمامًا أن يُظهر تشومسكي انعكاسات المصطلح "الفاشية" على السياسة الأمريكية، نظرًا لأنه يتعارض مع قيم التنوير الكلاسيكية والاشتراكية التحررية في ممارستها، كما أن للفاشية هذا الدور السياسي والموقف المعادي بشكل طبيعي لحركة التنوير التحررية بحيث اتخذت خصائصها وممارساتها اللاإنسانية شكلاً من أشكال القوة الحيوية في المجتمع لتقوية النظام الرأسمالي على الأفكار القائلة بأن الناس ليس لديهم حقوق طبيعية وقائمة على أنظمة السلطة التي تمارس العنصرية الطبقية، وتؤدي إلى إبادة عامة الناس في المجتمع، وتقوض العدالة المتساوية بشكل أساسي في الحقوق مع الآخرين. (2)

وعليه تكون العدائية والتوسع على ديمقراطيات الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية هي منحها هيئة مؤيدة لمصالح السياسة الأمريكية بحيث تتفادى النخب بها تلك الديمقراطية التي تحدث تناغم مع الإرث العامة. الذي يفسد عليها طبيعة استقلالها الذاتي للسلطة وطرحها للقرارات النفعية دون وعي العامة، لأن ما يركز عليه تشومسكي هو التعدي الجمهور للعوائق المرعبة التي أساسها التعاون مع الحكومات للعنف ضد الحركات الشعبية. لهذا فإن دولتين بمثل البرازيل وفنزويلا متخذتان الدور الديناميكي للبقاء على ذات استقلالية للسلطة بفعل وضعها للحركات الشعبية الشاملة كحجر أساس للديمقراطية والتغيير الاجتماعي

**جون لوك : 1632 - 1704 *John Locke*: هو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي لعب دوراً في الأحداث السياسية بنظرياته في الليبرالية والتربية نشر رسائل التسامح ومقالتان عن "الحكومة" و"إمكانات العقل البشري" أعرب عن الدولة هي حماية الثروة والحريّة الشعب تغيير الحكومة أو تبديلها إذا لم ترعي حقوقه وحريته وقد ساهمت آرائه في زيادة وعي الأمريكيين. جورج طرابيشي، معجم فلاسفة، ص 598.

(1) أناتول ليفن، المرجع السابق، ص 131.

(2) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid. p.91.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

اللازم،، قد كان مفعماً بالرقابة لأعمال الحكومة وتمثيلها لشعوبها، ما أدى بالسياسة الأمريكية إلى تمييز للحكومات الفاسدة من النافعة للدولتين للحفاظ على استثمارها وبث مخاوف على الدول المعادية لها بالفساد من دفع ديون أمنها الاقتصادي، لكونها السياسة الأكثر انتهاكا للقوانين الصندوق النقد الدولي. (IMF).⁽¹⁾

هذا ليس بجديد على ما تصبو إليه الديمقراطية الأمريكية منحدره إلى الوهم المتزايد وغياب الوعي بفعل الدوغمائية السياسية للمحافظين الدافعة بدورها للنظام الاجتماعي والاقتصادي مع إبقاء على المؤسسات المجتمع الأمريكي عائناً أمام التنمية في نواح عديدة، مع وعي الطبقة المهيمنة بترابط عناصر الديمقراطية بالتنمية. ولكن تشومسكي يؤكد أن هذا ينتج عن فقدان السيادة. وعليه، فإن مؤسسات الدولة، بالابتعاد عن المسؤولية الاجتماعية، تلجأ إلى الجشع نتيجة تدفق رأس المال⁽²⁾. فيما بين ألكسيس دو توكفيل* «أن الدولة وحدها التي تخلق ثقة الناس بها كونها الدوام والبقاء ومع ذلك فإن أفرادها ذوي السلطة، ويقتصر فسادهم في التدخل في شؤون الناس بإفلاس لإدارة المال العام.»⁽³⁾

فيما يعتقد تشومسكي أن المشاركة العامة هي مساهمة في بناء حكومات منتخبة دون أي هيمنة خارجية من السياسة الأمريكية، فإن واشنطن تقوم بإصلاحات خارجية لتقويض تلك الديمقراطية الفعالة أو مقابلتها وتقديمها بطريقة كارثية في موجة جديدة للدول التي تراجع إيمانها بالديمقراطية المؤسسات الأمريكية وأعلن شعبها حرية ممارسته سياسته دون تدخل لعناصر مستنفدة للبنى الاقتصادية له، كما ندد أتيليو بورون (1943) *Atilio Borón* عن تقاوم الوضع في أمريكا اللاتينية ما قبل الكولونيالية ما إن كان للتنمية آثار

(1) نعوم تشومسكي، المدخلات، المصدر السابق، ص 175.

(2) المصدر نفسه، ص 170.

* ألكسيس دي توكفيل 1805 – 1859 *Alexis de Tocqueville*: كان مؤرخاً فرنسياً ومنظراً سياسياً. مهتم بالبعد التاريخي للسياسة. اشتهر بكتاباتاته عن الديمقراطية الأمريكية والنظام القديم والثورة الفرنسية هي استمرار لعملية التنمية الوطنية في فرنسا التي بدأت في عهد الملك لويس الرابع عشر. فشلت الثورة بسبب قلة خبرة الممثلين الملتزمين بالمثل العليا غير الواقعية لعصر التنوير. كان توكفيل ليبرالياً كلاسيكياً دعا إلى حكومة برلمانية وكانت لديه شكوك حول الديمقراطية المفتوحة.

<https://www.britannica.com/biography/Alexis-de-Tocqueville>

(3) ألكسيس دو توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، المرجع السابق، ص 673.

** أتيليو بورون 1943 *Atilio Borón*: عالم اجتماع ماركسي أرجنتيني وصف الولايات المتحدة بأنها تهديد إرهابي للسلام العالمي كما انتقد عنصرية إسرائيل المنهجية رفضه للتعامل الأمريكي مع جوليان أسانج. كما أدان باراك أوباما لأنه أمر بقتل معمر القذافي، من أشهر مؤلفاته الدولة والرأسمالية والديمقراطية في أمريكا اللاتينية 1995.

https://en.wikipedia.org/wiki/Atilio_Borón

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

مشؤومة على الديمقراطية، تبعتها سياسات واشنطن بأنظمة دكتاتورية متعاقبة خانقة للاقتصاد. وتظل السيد الذي يدير الرعاع في الدول العالم بفعل إرساء نموذج سياسي مقارب لاحتياجاتهم وخلق الفجوة التي تفصل الوعي الشعبي عن آلية العمل السلطوي ومؤسساته حتى لا تكون فرصة سانحة يدرك منها العامة عبء الحكومات المقترعة من سياستهم أو للفساد والمصلحة اللذين يؤكد تشومسكي لا غنى عنهما على مدى التاريخ البشري، لأن الواقع السياسي للحزبين الديمقراطي والجمهوري غالبا ما يكون لهما تأثير على الأجندة السياسية والانتخابية بتفاوت دعائي تتجم عليه مظالم في حق السكان.⁽¹⁾

على هذا الأساس، يلغي "فرنسيس فوكوياما" تأثير فكرة تشومسكي التي تكشف عبء المؤسسات، خصوصا إدارة بوش ومحافظيه الجدد، على أن عائق الولايات المتحدة وتمثيلها لديمقراطيات المجتمعات الأخرى ناتج على ضعف الأداء واستقلالية الحكومة، أما تأكيده على عدم ثقة المواطنين الأمريكيين وتفاعلهم مع ديمقراطية الحكومة الأمريكية هو بالكاد جمود له ضوابط خارجية عن الماديسونية الداعية إلى سيادة الشعب للديمقراطية «النقية» فقناعة الجمهور هي الراغبة في النفور الأبدي من الضرائب، ومع ذلك، فقد حدث ببساطة في الثمانينيات من القرن التاسع عشر أن ظهر إصلاح يمثله الديمقراطيون في حركات سياسية شعبية معزولة عن الحكومة الأمريكية. بكل شفافية لكنها فشلت في نهاية المطاف.⁽²⁾

فالشكل الذي يستدل عليه فرنسيس فوكوياما على خلاف تشومسكي حول قناعة العامة بالسلطة التي يؤكد قوله بفكرة بروس كين* : «في أن السبب يرجع في ذلك إلى الجماهير الديمقراطية لأنها في الحقيقة ليست قادرة لا بخلفيتها ولا بمزاجها على اتخاذ خيارات معقدة في السياسة... والحل لا يكمن في التمثيل العامة الأمريكيون بل العودة إلى ما تحتاجه أمريكا بقدر قليل من المشاركة والشفافية.»⁽³⁾، أنها جعلت

(1) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 169 170.

(2) فرانسيس فوكوياما، النظام السياسي والانحطاط السياسي من الثورة الصناعية إلى عولمة الديمقراطية، تر: معين الإمام، مجاب الإمام، الدوحة- قطر، منتدى العلاقات العربية والدولية للنشر، ط1، 2016. ص 640.

*كين بروس 1951 Ken Bruce: مذيع أخبار وإعلامي في هيئة الإذاعة البريطانية BBC وهي هيئة إعلامية مستقلة مقرها المملكة المتحدة، تدعو إلى الديمقراطية للمشاهدين الذين يعتبر إحساسهم بالثقة والحكم أكثر أهمية بالنسبة له في تحقيق الوعي العام.

https://en.wikipedia.org/wiki/Ken_Bruce.

(3) فرانسيس فوكوياما، المرجع نفسه، ص 642.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الفساد والمصلحة في قطيعة متضمنة في كلا الحزبين لأن منطلقات أفكارهم نحو النظام يتخلله رأس المال يؤدي بضرورة إلى إتلاف لإصلاحات الداخلية على غرار الخارجية أو عكس بشكل عفوي.

لقد استطاع تشومسكي تحليل السلطة في النظام الماديسونية على أنها ذاتها تهمش لحزب الديمقراطيين ومؤسساته وتظليله بشعارات الأخوة والمساواة زائفة فإنها بطبيعتها المصلحة الدائمة لأمريكا التي يتوهم الشعب بأنها نموذج ديمقراطي إلا أنها في أصل رجعية ناتجة عن الحركة الشارتية بعد التطهير العرقي بحق المواطنين الأمريكيين، بحيث تؤكد جينيفر نيدلسكي (1990)** Jennifer Nedelsky أن الفساد الأساسي للدستور الولايات المتحدة قد تم تشكيله من خلال إرث ماديسون في مؤسساتها وقيود نظامها السياسي لتأمين حقوق الأفراد والأقليات واستبداد العامة فهو أكثر خطورة من الجيفرسونية الراديكالية التي تكشف عن ضعف التقاليد الديمقراطية الأمريكية، فالدولة لديها أدوات أخرى للقمع لخلق الجريمة والاتجاهات الدولية، فهم طغاة يغمرون الجمهور بالصخب والائتلافات والرشوة ومؤسساتهم السخية، يندد تشومسكي ذلك بخطورة بالغة في تنقيح الحاضر الأجيال من البريتورية للحكومة.⁽¹⁾

فإنه ليس من ضروري فهم تشومسكي بأنه مؤيد للديمقراطية الجيفرسونية، لم تكن هدفا يمكن له تقديمه للمجتمعات العالم وتطويرها في تمثيل السلطة، وإنما كان لها ميزة تفضح عن شلل الديمقراطية الأمريكية الماديسونية التي روجت لها في العالم، فإنه من الطبيعي تكون الحكومات التي ترعى مصالح الأمريكية مضادة للمجتمع الأعمال الأمريكي ولكل النقابات العمالية للدول بأخص دول الشرق الذي تتخلله المؤسسات الكبرى الأمريكية فهي لن تكون بمسؤولة على البنى الداخلية ولن تمنح الحرية والديمقراطية لأفراد فيكون

****جينيفر نيدلسكي 1970 Jennifer Nedelsky:** فيلسوفة أمريكية عالمة قانون من أشهر مؤلفات : كتاب إرث ماديسون تصف فلسفة جيمس ماديسون فيما يتعلق باستبداد الأغلبية و كتاب 'الحكم والخيال والسياسة: موضوعات عند كانط و حنة أرندت مقالات حول النظرية النسوية و الحكم المرأة في الفكر السياسي الغربي والقانون الإداري.

<https://www.newyorkencounter.org/jennifer-nedelsky>

⁽¹⁾ Noam Chomsky, Democracy and Power, The Delhi Lectures, Cambridge: Open Book Publishers, first edition, 2014, p. 58.

“Chomsky says:” Those are the guiding principles that we are taught to admire and revere, [...] as the “stockjobbers will become the praetorian band of the government – at once its tool and its tyrant; bribed by its largesse, and overawing it by clamors and combinations.” It’s pretty hard to improve on that description as we turn to the present... ”

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

إفلات المجتمع من قبضتها الرأسمالية ذا صلة بحرية الإرادة التي تحققها سيطرة العمال كما ظهر ذلك في القرن السابع عشر مع الاشتراكية الديمقراطية.⁽¹⁾

فضلا عن ذلك، يطرح تشومسكي التصور الماركسي الذي ساهم في كشف مزايا الديمقراطية الأمريكية ومخاوفها في صراع الحركات النقابية ضد الشركات المعادية للديمقراطية الاشتراكية بحيث يمثل الأمريكيون تبني أيديولوجية الثورة في (ويسكونسن) المتأثرة بالثورة المصرية التي تفرض نفسها على الطبقة الحاكمة والاستياء من ديكتاتورية حسني مبارك المعادية للحركة العمالية والتي ترعى مصالح الشركات الإمبريالية الأمريكية، وفقا لتشومسكي يعتبر ذلك تضامنا تقدميا ماركسيا يسعى العمال المصريون منه إلى تحقيق الديمقراطية الحقيقية واستعادة حقوقهم المستلبة بتقويض برجوازية حسني مبارك* التي تكمن وراءها السياسة الأمريكية.⁽²⁾

نتيجة لذلك، يؤكد تشومسكي أن الانتفاضة البروليتارية المصرية والطبقة المضطهدة في (ويسكونسن) بالولايات المتحدة الأمريكية، هما أصل تيار مستمر له سمات اتجاهه نحو الشيوعية بفعل أدوات تحرير الحركات العمالية في المصير من نتاج الثوريين الاشتراكيين الماركسيين مع ميل متحمس لنشر الديمقراطية وحقوق الإنسان وتوسيع مجال الديمقراطية. إلى أن يتم تحصيلها داخل المجتمع بكفاءة متساوية بين الأفراد بتحرير مبادئ الذاتية. ومع ذلك يظهر تشومسكي اختلافا أن المجتمع الأمريكي هدفه لم يحمل مزايا التحرر والتعبير الذي تطرحه الماركسية فهو يدافع بها وقت الاضطهاد والحاجة لها إذا ما تعرضت الطبقة الكادحة إلى اعتداء حقوقي غير قانوني من المؤسسات الرأسمالية المؤيدة للنخب اليمينية المحافظة، بينما الديمقراطية

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، ضبط الرعاع، المصدر السابق، ص 233.

*محمد حسني مبارك 1981-2011 Mohamed Hosni Mubarak : الرئيس الرابع لمصر والديكتاتور المتسلط للغرب والسياسة الأمريكية، مؤيد للحركات الإسلامية المتطرفة منذ حرب الخليج الثانية، وتسبب حكمه القمعي في زعزعة الأمن والاستقرار في البلاد تم فصله عن السلطة بضغط شعبي.

https://en.wikipedia.org/wiki/Hosni_Mubarak

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، صناعة المستقبل، المصدر السابق ص 198.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

في العالم الثالث (مصر) لم يظهر وجودها إلا في ازدواجية النظام المهيمن عليها من طرف الديكتاتورية والسياسة الأمريكية.⁽¹⁾

من هنا تعد الديمقراطية الأمريكية الجيفرسونية أكثر أماناً على الماديسونية ذاتها، لأنها تعمل على تقليص المؤسسات وتطوير الديكتاتوريات الغربية في دول العالم، وخاصة العالم الثالث، حيث يظل مصير الشعوب في أيدي الدولة وهيمنة شركاتها.، منذ تاريخ البشرية، استمرت الممارسة الأمريكية لحماية المصالح الواقعية الخاصة للنخبة الحاكمة في وضع تدابير لا تخضع لهدف العدالة الإنسانية. أما انتخابها لمؤسساتها فهي لا تمجد الحرية التشاركية. عادة ما يكون خزي مَقُونٍ وَمَرْقٍ بشكل منظم للشعوب التي ظلت خاضعة للرأسمالية وتعبيرها وخطاب النوايا النبيلة والحرية والديمقراطية بنهج زائف، ومع ذلك، ظل النهج الديمقراطي الجيفرسوني صحيحاً، وفقاً لتشومسكي، لكن لا يمكن تعميمه في الواقع لأن الوضع في العالم، لم يعد يؤمن به الأفراد حفاظاً على حرياتهم، وأغلبية الحكومة مستهدفة، لذا فإن النخبة لا تضمن لنفسها السلطة والثروة في أمريكا، ولكن تضمن وجودها في البلدان الأخرى.⁽²⁾

يشير تشومسكي إلى أن كلا النموذجين يحتاجان إلى فهم موقفهما تاريخياً، لأن الثورة الماركسية لديها دائماً رغبة في تقويض الأيديولوجيات القديمة التي فرضتها الديكتاتورية الاستبدادية على آليات الإنتاج والاقتصاد، فتكون الحركة البروليتارية في مصر وفقاً (تقرير ندى متى)، تشكل قوة مهمة لأنظمة السلطة العامة والخاصة، لأنها تهدد الرأسمالية الأمريكية بزوال الطبقة البرجوازية التي تحشد المجتمع بقوة ووحدة العمال والشباب المضطهدين بعنف وحكم الدولة، تستثمر الطبقة في أضعف أجورها، كونها أداة الدولة التي تنظم البنية الاقتصادية دون حل أزمة الوضع الاجتماعي. فإن هذا الاحتشاد الشعبي وفقاً لتشومسكي يقود المجتمع إلى الديمقراطية الاشتراكية ومساواة، والشيء ذاته في نظر المستشرق جويل بينين (1948) Joël Benin، بأن مخاوف الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط ظلت مضطربة، بدلاً من إجهاض

(1) نعوم تشومسكي، صناعة المستقبل المصدر السابق، ص 198 199.

(2) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 64.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

النضال الثوري الماركسي الذي يحاول تفويض ديكتاتورية مبارك يعني تحذير الرأسمالية في المستقبل من أن الشيوعية هي نموذج للجنس البشري وانتصار للديمقراطية الاجتماعية على الصعيدين الداخلي والخارجي.⁽¹⁾

وعلى هذا الأساس يؤكد تشومسكي أن العقوبات الخارجية التي تضعها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها لدعم الفساد في الحكومة بقمع الحركة البروليتارية في (مصر) أو انتفاضات شعبية أخرى في (ويسكونسن) الأمريكية، هذه خيارات تكتيكية، تجسدها واشنطن بين الحكومة والشعب لصالح الطبقة المهيمنة التي تخدم مصالحها الاستراتيجية. مع ضمان الفرض الدائم للقمع ضد المناورات الهادفة إلى تحقيق الديمقراطية في العالم العربي، لذلك، فإن الوعي الاجتماعي للحركات العمالية وعلاقتها بالنضال الشعبي يدرك أنها مقيدة بأغلال السيطرة الرأسمالية الأمريكية والسلطة التنفيذية للمثقفين الإسرائيليين لأهدافهم المتمثلة في قمع الثورة الاشتراكية دعماً للديكتاتورية المنصبة الأمر الذي خلق قلقاً ذاتياً لدى النخبة باحتواء (إيران) لمركزية الشرق يمكنها من القبضة النووية التي تمنحها حركات الثورية. لهذا واشنطن تخشى أن تكون الديمقراطية فعالة تعبر عن الشعب لأن ما تراه السياسة الأمريكية عائناً للمجتمعات المتحررة يصعب الاعتراف لها وإنما الاعتراف ضدها.⁽²⁾

لهذا يعتقد تشومسكي أن نطاق المؤسسات المالية تميل إلى تعبئة موقفها مع أفراد يتمتعون بالثقة أو التعاقد مع أفراد يتمتعون بالسلطة الرأسمالية في اختلاق معارضة الشعوب الأمريكية لانتخابها. لذلك، غالباً ما تعاني من تبرير حملها على الجماهير لأنه يمثلها بالإرادة الشعبية، وليس أمامها إلا منع الجماهير من حرية امتلاك القوة لاختيار أو تغيير النخبة الحاكمة. بينما تضع الأنظمة الملكية قوانين صارمة ضد الشعب، لذلك يتمتع أعضاء اللجنة الحاكمة بحرية كاملة للتحكم في آليات الإنتاج (الأرض ورأس المال والطبقة العاملة). يبدو أن هذا مفعّل كنظام في الدول العربية أيضاً، كما في الولايات المتحدة، في ضوء الأهداف والرغبات المختلفة، تشكل الجيوش ميليشيات في الوطن العربي لقمع الإرادة الشعبية تحت اسم الحرس الثوري، وإضعاف الحركة العمالية الشعبية، وجعل الشرطة المدنية عملية رقابة من قبل أجهزة المخابرات التي

(1) نعوم تشومسكي، صناعة المستقبل، المصدر السابق، ص 199.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

تضغط عليها. حرية الشعب من القيام بثورة أو أي انقلاب على النظام بقدر ما يراقب بعض الأفراد. داخل الأحزاب أو المؤسسات المتعاونة مع مثقفي اليسار الثوري.⁽¹⁾

وواضح من تشومسكي أن تقويض الديمقراطية التي تناضل من أجلها الشعوب ونقابات العمالية وتصدي لها هو استراتيجية نخبوية تتجم عن صراع الأضداد في السياسة الأمريكية بين "الصقور" و"الحمام" بداخل الحكومات المدعومة وفي الدكتاتوريات المعينة تساهم إلى حد ما في "تعزيز المصالح" الاقتصادية والسياسية، فيعتمد صانعو السياسة إلى تكتيكات وتخطيط لصد الدول الأخرى من انحدار نحو الديمقراطية الاشتراكية وحصرها بعقائد إعلامية وأصحاب القطاعات ومؤسسات الإنتاجية وهذا النمط الذي يعتبره الدبلوماسي "نيل لويس" (Neil Lewis) شيئاً فاشياً ومطلقاً يظل يكافح فيه للسلطة هو "التوق للديمقراطية" فهي رؤية ثابتة تخلقها السياسة الخارجية الأمريكية على نمط متكرر ودائم في جميع الدول دون استثناء لديمقراطيات ولايتها التي تتحدر إلى مسار الشيوعية.⁽²⁾

ومع ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها ضد الأنظمة الشيوعية لم يكن مبرر قانوني كاف لتدخل في حكومات العالم في الخارج أو حتى السيطرة على الداخل بنظم قمعية تكون أساسها وأفكارها التقنية الحديثة التي تشمل قطاع الصناعة والمؤسسات، وهدفها إخضاع الأفراد للحكومة بفكرة رفع الديمقراطية، يضمن قوة حفاظ الدولة على الطبقة الصغيرة التي عند "توكفيل" هي أساس الديمقراطية، والذي تستبق به السياسة الأمريكية الشعوب عندما تكون الأعمال ملقاة على عاتق الحكومات من سلطة الأمة، تظل الوسيلة إبقاء الشعوب العالم تحت قبضة حكامها المستبدين، فهذا يضعف القدرات لدى الأفراد الأمريكيين فما تعاني منه (ويسكونسن) من زيادة في الديمقراطية على عكس (مصر) التي أخذها تأثير اقتصاد والأزمة الكساد

⁽¹⁾ علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي، بيروت - لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، 2012 ص 26.

⁽²⁾ Noam Chomsky, Deterring Democracy, United States, South end Press, first edition, 1991, p. 690.

"Chomsky says:" This preference as an absolute passion. Thus, Neil Lewis writes that "The yearning to see American-style democracy duplicated throughout the world has been a persistent theme in American foreign policy. . ."

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

وأوضاع الاجتماعية الفقر والبطالة، إن حاجة السياسة الأمريكية وضع الشعب تحت هيمنة الحكومة لتنمية القطاع الصناعي ويغدو المجتمع معتمدا عليها. (1)

غالبًا ما ارتبطت السياسة الأمريكية بمعالم فكرية واضحة مع خطط المحافظين اليمينيين المتطرفين الذين انفصلوا عن الريحانية بعد الحرب العالمية. لذلك، لا الديموقراطيون ولا الجمهوريون ينتقدون النظام السياسي الأمريكي. تظهر معالم التبادل بين الجيفرسونية في المساواة والعدالة والماديسونية، في الاستفادة من الثروة على أعضائها. كان لدولة الديمقراطية تأثير ملحوظ على المجتمع الأمريكي في عهد نيكسون، مع تفكك عصر الليبرالية في الستينيات، وتغير الوضع الاجتماعي مع خيانة نيكسون، ما حول المجتمع من الديمقراطية إلى مجتمع تحكمه التشريعات دكتاتورية والقوانين، سلطوية ينظمها الوسط اليميني في الدولة من خلال الضغط على القوانين وتحويلها إلى مجال أيديولوجي وتدابير أخرى ملائمة في العملية الاقتصادية مثل العنصرية في احتواء الأموال وتحوط وتأمين عملية الإنتاج والتصدير في الداخل، حيث تدهور وضع الجمهور بسبب عدم المساواة وتفاقم الفقر والاستغناء عن العمالة بسبب التكنولوجيا السريعة، والتي تمثل المجتمع (1%) من السكان الذين اكتسبوا ثروتهم من قبل المديرين التنفيذيين ومديري السلطة. (2)

يعتقد تشومسكي أن حقبة السبعينيات ظهرت فيها ملامح شكلت أيديولوجية معادية للتغلب على المساواة بين الأفراد في ظل سنوات ريتشارد نيكسون. قوضت الحركات اليمينية مسيرة الديمقراطية الناجحة، فيما برز تحول من التيارات الليبرالية في دعم النخبة الأمريكية بهدف تضيق نطاق الحركات ومشاركة عموم السكان في الحملات وتهميشهم بوسائل الإعلام. لمزيد من المكاسب الخطيرة في المجالين السياسي والاقتصادي، زادت الأحزاب اليمينية من سيطرتها على قطاع التجارة والصناعة مع القهر الاقتصادي للشعب. ووفقًا لهذا فإن تشومسكي يعرض ما ورد في أفكار لويس باول جونيور* بأن العداء الاجتماعي للديمقراطية سببها

(1) ألكسيس دي توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، تر: أمين مرسي قنديل، القاهرة، عالم الكتاب، دط، 1735، ص 676.

(2) نعوم تشومسكي، صناعة المستقبل، المصدر السابق، ص 200.

*لويس إفاول جونيور 1907-1998 Lewis F. Powell Jr: محام وقانوني أمريكي من الحزب الديمقراطي عمل قاضي في المحكمة العليا للولايات المتحدة من عام 1971 تشمل غالبية آرائه مناقضة لحكم نيكسون قام بتجميع سجل محافظ بشكل عام ومتوافق مع الأعمال في المحكمة، مع التركيز على قانون شركات التبغ وتمثيل العملاء في حقبة رونالد ريغان.

https://upwikiar.top/wiki/lewis_f_powell_jr.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الرأسمالية وأصحاب الثروات الذين كانت الولايات المتحدة الأمريكية ترعاهم بقمعها الشديد ومعارضتها لليسار المذهب الذي ظهر مع هيربرت ماركيز (1898-1979) *Herbert Marcuse*، ورالف نادر (1934) *Ralph Nader*** داعياً إلى خدمة وسائل الإعلام والجامعات لتقويض حرية حقها في ممارسة اللا شرعية التي تضمن سيطرة النخبة على الديمقراطية العامة والموارد الشعب في اقتصادها سيطرة كاملة.⁽¹⁾

ظل تأثير النقابات العمالية أداة مكافحة الفساد في (ويسكونسن) من قبل مؤسسات السلطة، لهذا يؤكد تشومسكي عن إدانة دوغلاس فرايزر (1916-2008) *Douglas Andrew Fraser** رئيس أوتووركز (UAW)، للكونغرس الأمريكي (1978) عن عنصرية السلطة ضد الحزب الديمقراطي وعمالة السود التي تسلب حقوقها، مقارنة برؤساء المؤسسات وقطاعات الشركات ويسكونسن الأمريكية، لقد تبنا الماركسية لشن حرب ضد رأسمالية الشركات في نضال العمال العاطلين عن العمل، والفقراء، والأقليات، والشباب، حتى الطبقة الوسطى في المجتمع الأمريكي التي انتهكت موثيقها وحقوقها الشفوية، كما يعتقد تشومسكي، أن للحقوق لها وجودا في الثلاثينيات ولكن رجال الأعمال يواجهون استيلاء القوى السياسية على الحرية الصناعية، ودعواتهم إلى العمل للقضاء على مخاطر المؤسسات والشركات الرأسمالية. فيما وصفه أليكس كاري (1922-1988)، *Alex Carey*، بأنه خطر على الديمقراطية الحقيقية، لأن (قادة الأعمال)،

**رالف نادر: 1934 *Ralph Nader*، ناشط سياسي يساري محام أمريكي من أصل لبناني دأى إلى الديمقراطية يرى الخل الذي هي فيه نتيجة تعنت السلطة السياسية بسبب سيطرة الشركات على مفاصل الديمقراطية. فالثروة في المجتمع لا توزع بشكل منصف، ويضرب مثال بشركة وول مارت الذي يعكس ديمقراطية ضعيفة ومتداخلة، بقرارات واشنطن في وضع قوانين تؤثر على الكونجرس.

https://ar.wikipedia.org/wiki/Ralph_Nader.

(1) Noam Chomsky, *Requiem for the American Dream: Principles of Concentrated Wealth and Power* New York, Library of Congress, 1st ed., 2017, p. 35 36.

“Chomsky says: Everything’s been taken over by raving leftists—Herbert Marcuse, Ralph Nader, the media, the universities—but we have the money so we can fight back. And what we have to do is use our economic power to save what he would call “freedom”—meaning our power. Of course, he puts it in terms of a defense, “defending ourselves against an outside power.”

*دوغلز فرايزر 1916-2008 *Douglas Fraser*: زعيماً نقابياً أمريكياً اسكتلندياً و ناشط سياسي ديمقراطي ليبرالي ومؤيد لحركة الحقوق المدنية الاجتماعية تحدى معظم *UAW* في دعمه القوي لإلغاء العنصرية في المدارس العامة، وتجنيده المزيد من الأقليات والنساء في صناعة السيارات للتأمين الصحي الوطني.

https://en.wikipedia.org/wiki/Douglas_Fraser.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

مثل مبارك، يدرك أن النقابات العمالية هي القوة الدافعة للتقدم والحقوق والديمقراطية. أما الدولة المتضامنة معها فهي تكبح النقابات وقوتها مضادة لاستبداد الشركات الأمريكية. (1)

يؤكد تشومسكي أن الولايات المتحدة تمثل أكبر خطراً على الحركات العمالية التي تعتبرها القوة الأخرى المعارضة لأشكال الاستغلال والاستبداد. فمثلاً الإساءة التي خلقها بنك جولدمان ساكس (The Goldman Sachs Group) واستغلاله للقطاع المالي العام بمقدار (17.5) مليار دولار، في دعم وسائل الإعلام والشركات الفعالة للترويج للحملات الانتخابية لمحافظ (ويسكونسن) سكوت كيفن ووكر (1967) Scott Kevin Walker** كونه يعتمد على أقلية كبيرة لدعم جهوده المخزية للاستيلاء على السلطة وتدمير النقابات العمالية بحجة العجز الناتج عن الديمقراطية التي تجعل العمال وحقوقهم تهكماً بالوجود الحقيقي للطبقة البرجوازية المسيطرة على رأس المال وإجبارهم على ذلك. وإخضاع الأفراد والعمال للعبودية التي يفرضها عليهم الحزب الجمهوري. (2)

الأمر نفسه ينطبق على المجال الاجتماعي داخل المجتمع الأمريكي بشكل غريب أن هذا الفراغ في الممارسة السياسية للدولة الأمريكية تم ملؤه بالقوى الداخلية القائمة على البنتاغون ووكالة المخابرات المركزية. إنه يقاوم في معظم الحالات العامة فيه وبطريقة تأخذ النخبة المهيمنة شكل الدولة بأكملها إلى الحد الذي تُمارس فيه القوة غير المشروعة، والتي يؤكد تشومسكي أنها غير مبررة دولياً، فهي مستعدة دائماً للتمتع بها ضد شعوب العالم مثلها مثل الأممية الثورية التي اتخذت كل الوسائل لاستخدامها للحصول على الحرية، بينما هذا على مستوى الدولة الأمريكية، إلا أنها تعتمد بشكل أساسي على الأممية القمعية والاستبدادية لضمان الهيمنة والقوة الإمبريالية. (3)

(1) نعوم تشومسكي، صناعة المستقل، المصدر السابق، ص 200 - 201 .

** سكوت كيفن ووكر Scott Kevin Walker 1967: سياسي أمريكي، وحاكم الحزب الجمهوري في ولاية ويسكونسن وزعيم الكنيسة المسيحية الإنجيلية، قدم أسلحة لأوكرانيا لمحاربة الانفصاليين المدعومين من روسيا عمل على كبح الديمقراطية من خلال دعم تمويل المدارس الدينية والخاصة والمستقلة.

https://en.wikipedia.org/wiki/Scott_Walker_politician.

(2) نعوم تشومسكي، المصدر نفسه، ص 201 .

(3) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid. p.90.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

وتميل الدول إلى أن يكون لها زعيم يمنح الحرية والمُثل الأعلى للديمقراطية، إلا أن هذه الدول تتجاهل ذاتها في الكشف والوعي باستراتيجيتها المعروفة في الممارسة السياسية، والتي تعمل على خلق مشاكل وظروف اقتصادية على مستوى المجتمع وعلى مستوى دول الأخرى من العالم، ويظهر ضعف الديمقراطية الليبرالية بسبب تعاملات تلك الدول التي تمر بأزمات معها، وفقاً لتشومسكي، فإنها تقنع جميع الشعوب أن عالم الاشتراكية يعني تجاهل واقع الديمقراطية وسياستها في الواقع، والحرية المطلقة التي يتمتع بها كل إنسان هي أن دولته تحت سلطة الزعيم يحافظ على العالم الحر وعلى السياسات التي تعتمد بشكل معين على الطلب على مساعدته وتمويل اقتصاداته على المستوى الدولي.⁽¹⁾

تعقيب نقدي:

✚ تكمن أصالة مشروع تشومسكي السياسي في تحليل البنية الاجتماعية الداخلية للمجتمع الأمريكي، حيث يحكمه نمط من "التسلسل الهرمي" الرأسمالي الغاشم، والذي يخضع أعضائه لعدم المساواة الطبقية، وما يحدث داخل المجتمع الأمريكي تهيمن عليه "النخبة المثقفين" لتحقيق في المصالح. غالباً ما تدعو النخبة إلى الديمقراطية و "القيم الليبرالية" المحرفة لزعزعة "استقرار" دول أخرى في العالم عن طريق خلق ذرائع للتدخل اللا إنساني تحت مظلة الديمقراطية وحقوق الإنسان. السياسة الأمريكية، من وجهة نظر تشومسكي، مكرسة للحكومات الاستبدادية من أجل السيطرة على وعي الشعوب المحررة. لأنها تخشى من الشعوب ذوي "المصلحة الوطنية" التي تفضل اكتفاءها الذاتي السياسي والاجتماعي. وممارساتها للماركسية تعني معاداة مصالح للنخبة.

✚ يكشف تشومسكي عن نوايا ذات الغايات البراغماتية من ترويج للديمقراطية الأمريكية في الخارج هي كمظهر لحماية مجالها السياسي بحجة خطر الشيوعية الممتد فالدول التي تؤيد لليمين السياسي بناء على هراطقة. فإنها تعمل باستراتيجية تعزيز المصالح للغرب وإدخال عليها بذور فنائها إذا كانت دولة لا تتحلى بالقيم الليبرالية الجديدة كالتدخل في الانتخابات أو إدخال رأس المال كمبدأ أساسي في تمويل الحركات الانتخابية واستبعاد النقابات العمالية والشعب من النظم السياسية وتضييق الحريات للأغلبية بينما تقود الأقلية

⁽¹⁾ Ibid :، p.90.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

(1 %) آليات السلطة. فالصناعة والاستثمار في مجتمعات العالم أخذت حيزا كبيرا في عزل الحركات الشعبية المعادية وكذا القضاء على القوميات المستقلة.

✚ ما يميز تشومسكي نظرا في الديمقراطية اليونانية تحتكم لمبادئ يضعها الفلاسفة والحكماء والغايات كلها تنحو إلى تحقيق الخير الأسمى والسعادة بين الأفراد وأصلها على المساواة الاجتماعية الفاضلة بالمقارنة مع الديمقراطية الأمريكية التي ترعى إلى نظام الأرستقراطية الصناعية والتي يحذر منها فلاسفة أمثال جفرسون وآدم سميث وتوكفيل على أنها غير التي عرفها عصر التنوير بالعدالة الإنسانية التشاركية أو انتخابها يمثل الرفاهية الجماعية، على عكس صموئيل هنتنغتون، الديمقراطية غير عادلة في قوانينها واستبدادية في حكمها المطلق، لأن تشومسكي يأخذ منهجية فلاسفة عصر التنوير. ويضفي عليها طابع الماركسية كأداة نقد لمؤسساتها المصرفية وشركاتها الاستغلالية. ففوة رأس المال هي القضاء على الديمقراطية وتقليص القيم التقليدية للتنوير.

✚ يؤكد تشومسكي أن فساد الديمقراطية في المجتمعات له سببان (العزلة/ التهميش) و (العنصرية)

✚ يظهر على الديمقراطية الأمريكية عيب وهو عزلة الجمهور وتهميشه، وهو ما لا يمثل حضور وجودي في التغيير السياسي.

✚ التفرد السياسي والانحياز بعنصرية (تخدم المصالح/ بفعل إبادة الشعوب/ وفبركة الانتخابات/ وتغليب رأس المال/ على الطبيعة البشرية/ وعلى الشرعية العالمية). يظهر الصراع بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري نفوذه منذ إعلان الدستور الأمريكي، ومنح الأحقية القانونية والتمثيلية للجنس البشري الأبيض، وإبادة السكان الأصليين.

✚ مخاوف الولايات المتحدة من الديمقراطية الحقيقية والقلق منها، يستدعي وجودا كاملا للديمقراطية "الهننتغتونية" والتي تمارس السلوك السياسي في شروط (الهيمنة والبقاء) بشرط أن تنفرد السلطات الحاكمة العليا بالثروة من أيدي أصحابها إلى الأقلية الحكومية كما وصفها (ديفيد هيوم) والتي لديها الآليات والوسائل للتحكم في الأغلبية.

✚ يتضح بأن فكرة (الديمقراطية الكلاسيكية والديمقراطية الأمريكية) متناقضان في الممارسة ومتفقان من ناحية المفهوم مما يعني أن المفهوم هو فقط لمرأوخة شعوب العالم كما فعل السفستائيين إبان المرحلة السقراطية الديمقراطية ما بين (الحقيقة /التضليل) مثل هذا الإنكار للحقيقة ضد (سقراط أمريكا) ،تشومسكي

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

لأن ما يراه في عصرنا هو شكل من أشكال (الماديسونية) التي وصفها آدم سميث بأنها 'الأقلية الرأسمالية الحقيرة'، وهي النخبة المثقفة "التكنوقراطية" التي يمثلها السياسيون الأمريكيون (مثل جورج بوش ويليون ...) ورجال الأعمال والرأسماليين وغيرهم من القطاعات الدولة الذين يمارسونها لأغراض براغماتية ونفعية، في مناخ سياسي يدعي المثالية والأخلاق والقوانين، لكنه ينتهك "روح القوانين" كما يراها (مونتيكيو) فيما تكون (الديمقراطية/ الحقوق/ المساواة) مجرد شعارات زائفة في المجتمع الأمريكي هدفها التضليل للطبيعة البشرية والقيم الكونية بفرض سلطة الهندسة الانتخابية للحفاظ على الشعب أو (الوحش الكبير) بعيد عن المشاركة السياسية والحرية في تعبير عن الاشتراكية التحررية.

✚ أكد تشومسكي أن الطبيعة البشرية ليست أنانية بطبيعتها، حيث إن الأقلية المهيمنة، التي تمتلك أدوات القوة والإنتاج، تؤثر على المؤسسات بطرق لا حصر لها. فحرمان المواطن الأمريكي من حقوقه الاجتماعية كالرعاية الصحية ناجم عن التناقض بين الشركات ومؤسساتها العامة وظهور العبودية المأجورة بفعل الرقابة وانعدام العدالة الماركسية، بفضل عزلة النقابات وتخفيض أجور العمال مع زيادة (وقت العمل)، ينتج عن ذلك قمع السلطة لحياتهم وتجريدهم من إنسانيتهم، وكأنهم آلات في قبضة الرأسماليين والنخبة التكنوقراطية. وهذا، من وجهة نظر تشومسكي، بارز بشكل رهيب في بلدان أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط. لأن تعاطفهم مع الديمقراطية لم يكن إنجازاً لطبيعتهم البشرية، ولكن لحيثهم في انتخاب السلطة ديمقراطياً والتي تقيدهم بجهاز الدولة ومعظم الأنظمة الديكتاتورية المتحالفة مع الولايات المتحدة.

✚ إن ممارسة التصنيع اللغوي للديمقراطية في خطابات السياسيين الأمريكيين للمجتمعات العالمية، حسب تشومسكي، هي ثقافة "الاستثمار المفتوح" و"الالتزام الزائف". ظل الناس مرتبطين بالثقافة النخب في ترويج لشعارات "استقرار" والتي تعني دعم المشاريع الرأسمالية هو أساس ديمقراطيتها.

✚ يفصح تشومسكي إلى ما لا يمكن للمثقف أن يتصوره من وكالة استخباراتية (CIA)، لها تدخلات سرية وغير قانونية في جرائم بشرية واقتصادية وسياسية. إنها محتكرة من قبل الديمقراطية التي تضفي عليها الشرعية وتقرؤها من جواهرها التتويري الكلاسيكي، لكي لا تؤثر على المصالح النخب الحاكمة، تبقى على العامة تحت مظلة الحكومات الاستبدادية والتي تخلق من الديمقراطية فجوة سياسية براغماتية بين المجتمع المدني والسلطة.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

✚ إن مشكلة الديمقراطية تكمن في تحريف الحقيقة وممارسة السلطة (التنفيذية والتشريعية) دون مشاركة الأغلبية من الأمريكيين سياسياً في الانتخابات، وهذا جزء من النظام السياسي الواقعي الجديد، (التكنوقراطي والنيوليبرالي)، فَنَظَرَةُ أَلَكْسِيَسْتُونُكُفِيلْ للديمقراطية الأمريكية لم يتغير منها شيء. وهي لاتزال في عصرنا الراهن تعكس فقدان الثقة لدى المواطنين الأمريكيين والتلاعب النخبوي في الحملات الانتخابية، فكل فرد في هذا العالم وفقاً لتشومسكي، تكون لديه فكرة "التمثيل السياسي"، وهي لصالحه قيمة نفعية وحقوقية، ولكن سرعان ما يتفاجأ بتلاشي القيم الاجتماعية والاقتصادية بفعل اقتراعه للحرية والرفاهية وليس للشركات الاستغلالية والاستثمارية، فيما يفرض على ذاته الهيمنة والعبودية المأجورة من جديد. لأن فهم العالم يقتضي أسبقية الطبيعة البشرية والوعي على الثقافة الاستهلاكية والمادية لمعرفة ما يكمن وراء حقيقة الأشياء.

✚ لكن ما لم يؤكده تشومسكي، رغم تأثره بالماركسية". لا توجد ديمقراطية حقيقية دون التحرر من قيود الأنظمة الرأسمالية"، "ولا توجد أنظمة رأسمالية دون تحرر العقول البشرية". بدعم من النخبة الأمريكية للأنظمة الرأسمالية كخطوة أساسية لظهور فكرة التمرد والحركات الشعبية المطالبة بالديمقراطية. لأنكل المجتمعات البشرية تخضع للفكرة التعاقب التاريخي. لذلك لا يمكن أن يكون المجتمع الأمريكي ديمقراطياً تماماً وعادلاً دائماً، ولا يمكن أن يكون رأسمالياً ومستبداً، مثله مثل باقي المجتمعات الأخرى .

✚ وهذا هو السبب في أن النخبة الحاكمة الأمريكية وديمقراطيتها الفاسدة والاستبدادية تعطينا جانباً من جوانب إدراك جوهر طبيعتنا البشرية الإيجابية من حيث التناقض الذي يخلق حلولاً لمجتمع صالح أكثر أنموذج. فهي في قيمها وثقافتها تمثل بالضرورة صورة متعاقبة من حقبة إلى أخرى، ويؤكد كارل ماركس نفسه أن الثورة البروليتارية هي رد فعل للرأسمالية الظالمة وأنها مبنية على أنقاضها، لذا فهي لا تأتي من العدم. فإذا كانت دول العالم كلها ديمقراطية في سلطاتها ومؤسساتها وتنظيماتها، هذا يلغي بنية الجدل كما وصفها (هيراقليطس) والتي تدفع فلسفياً إلى التغيير من موضوع إلى آخر ومن ذات إلى أخرى، من ناحية التطور الأخلاقي، لمبدأ التوازن الدولي.

✚ لأن ما لا تريده دول العالم، فهو مسؤولية مجموعة من المثقفين ملقاة على عاتق السياسة الأمريكية، وما تريده الولايات المتحدة الأمريكية هو أنها يجب أن تتكيف مع الدول المعادية في حدود السلطة والحد من الديمقراطية. هذا هو السبب في أن تشومسكي يأخذ مبدأ الطبيعة البشرية في معرفة وشرح كل ما يتعلق

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

بالعنف والإرهاب والسلوك الإجرامي ضد الإنسانية. والواضح أنها دولة غاشمة ومستبدة، ولها مبدأ في تغيير القيم والأخلاق التنويرية في السياسة.

✚ يظهر هذا في إخفاء الحقائق وفي تلفيقها للقانون العالمي، من أجل تحقيق المصالح البراغماتية، جعل مثقفوها الإرهاب مصطلحا وممارسة ووسيلة من وسائل الفلسفة الأخلاقية "الغاية تبرر الوسيلة". لكننا لم نر من الأمير الحديث - إن صح القول - فقط الوسائل التي تنتهك الغايات، وهي مرحلة الممارسة كما وصفها جرامشي وتشومسكي، تدعي القيم والأخلاق العالمية، ولكنها تمثل المخالف الرسمي لها. ولهذا يطلق عليها السياسة الوحيدة التي تقوض الإرهاب أو تشن الحرب على الإرهاب (كيف ذلك؟؟؟) برغم أنها سياسة تنتهك المساواة والحقوق والقيم الديمقراطية الإنسانية والأخلاق ومبادئ الطبيعة البشرية.

المبحث الثاني: الإرهاب كقوة مشروعة في السياسة الأمريكية

يبدو أن ظاهرة الحادي عشر من سبتمبر هي المنعطف الخطير الذي غير مسار ممارسة السياسة الأمريكية وضرورتها الكاملة نحو القيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية السامية، مع انفتاح العالم بثقافة جديدة تسمى الإرهاب الذي تزامنت أحداثه مع غياب الأمن والسلم على الساحة العالمية وهذا الذي أعاد النظر والبحث في أسبابها الرجعية وقواها الخفية، نوعا من الارتباك والغموض الذي أثار جدلا بين مجموعة من مفكري الفلسفة السياسية في القرن العشرين، بمن فيهم نعوم تشومسكي، الذي تضيف مقالاته طابعا جديدا على الإرهاب وعلاقته بالسياسة الأمريكية. ولهذا نطرح السؤال: ما هو مفهوم الإرهاب؟ وما هي دواعي ممارسته في السياسة الأمريكية من وجهة نظر نعوم تشومسكي؟

مفهوم الإرهاب:

تعد كلمة (الإرهاب) هي كلمة سياسية معاصرة غامضة، فرضت وجودها كممارسة مع أحداث الحادي عشر من أيلول (2001)، لتكن العبارة المألوفة بين البشر، ويتم تداولها بين الألسنة.

لغة: ورد معناها في معجم لسان العرب لابن منظور ((رهب)) بمعنى أخافه و ((الرهبه)) وتعني الخوف والذعر. (1)

اصطلاحاً: معنى الإرهاب في المعجم الفلسفي هو مصطلح من أصل إفرنجي يؤخذ على أنه عبارة تعني "مملكة الإرهاب، *Reign of Terror*"، كما يعرف أيضا بأنه العنف الذي يهدف إلى قتل المدنيين على أيدي الجماعات المسلحة التي تحكمها الأصولية الدينية أو الرأسمالية الطفيلية بهدف محدد هو تدمير الحضارة، كما يعني أن الإرهاب هو بناء حضاري. (2)

(1) ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، ج3، ط1، 1981، ص 436.

(2) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار القباء الحديثة للنشر، ط5، 2007، ص 45.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

ويتم تعريف مفهوم الإرهاب في معجم المصطلحات القانونية وحقوق الإنسان على أنه: استخدام العنف أو التهديد به لإثارة الخوف والذعر. يعمل من الإرهابيين لقتل وخطف الناس مع ارتكاب جرائم خطيرة مثل الحرق العمد والتفجير دعماً لأهداف سياسية معينة. (1)

ويعرفه جميل صليبا بالعنف "Violet" على أنه استخدام القوة استخداماً غير مشروع، أو غير مطابق للقانون. (2)

مفهوم الإرهاب برؤية نعوم تشومسكي

يوضح تشومسكي أن الإرهاب ظل أكثر جرأة مع نهاية القرن الثامن عشر وأشار إليه على أنه: أعمال عنف وجرائم صممتها سياسات الحكومة لضمان إخضاع الشعب لها، مما يعني أنه الوسيلة التي تستخدمها السياسة الأمريكية. للحفاظ على النفوذ من أجل البقاء أثناء ممارسة السلطة والسيطرة والسعي وراء المصالح المرغوبة والأهداف النفعية، واستخدامه كقوة شرعية وسلاح تهديد وعنف، واتسمت مظاهره بنوع من الوحشية والقمع. (3)

ولهذا يعتقد تشومسكي بأن كلمة الإرهاب، من وجهة نظر لغوية هي من بين المصطلحات المستعصي على تحديد نطاقه، ولكن من حيث الممارسة الفعلية له تأثير على الواقع، إذ ورد على كتاتيب الجيوش الأمريكية والبريطانية، وكلاهما قريب إلى المجال السياسي بمعنى العبارة التي تدل على "استخدام العنف والتهديد والإكراه وبث الخوف من أجل تحقيق الأهداف والغايات" السياسية، الدينية والأيدولوجية"، وبناء على ذلك، يؤكد تشومسكي أنه من بين الأفكار التي تضيف عليها الشرعية الأمريكية، لذلك تتخذ السياسة كذرائع لحماية النفس من أي عدوان خارجي. (4)

(1) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، معجم المصطلحات القانونية وحقوق الإنسان، الأردن، دار أمواج للنشر، ط2، ج1، 2015، ص 51.

(2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دمشق، دار الكتاب اللبناني للنشر، ط1، ج1، 1982، ص 113.

(3) نعوم تشومسكي، قراصنة وأباطرة الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، سوريا، دار حوران للنشر والترجمة، ط1، 1996، ص 5 و6.

(4) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، تر: سامي الكعكي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2004، ص 222 .

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

يشير تشومسكي بأنه غالب ما يقع تداخل بين الإرهاب والعدوان بحسب التعريفات الأوروبية على أن العدوان "دعم الجماعات المسلحة في أراضي دولة ما للقيام بأعمال عنف ضد الدولة التي تتعرض للهجوم دون موافقة تلك الدولة" ولكن هذا مفهوم إذا ما تطبق عليه الحكم لمقاضاة مرتكبيه يظل معقدا وغامضا، لأن العدوان في مفهومه الفلسفي «يعني الظلم وتجاوز الحد من الإنسان ليعود على غيره برغبة السيطرة»⁽¹⁾. فإذا كان ما يعده روبرت جاكسون مستشار المحكمة العسكرية على أن حرب (1945) عدوانا من مجرمي النازيين بتصويت للحكم ومقاضاة مرتكبيه من طرف الجمعية العامة في أوروبا (1974) بحجة على أنه إرهاب وجرائم ضد الإنسانية، فإن تشومسكي يرى تعريف روبرت تتم فيه بضرورة محاكمة جميع الرؤساء والديمقراطيين الأمريكيين في إدارة ريغان الذين دعموا، الحروب في فيتنام والعراق كمجرمين⁽²⁾، لذا ينفي تشومسكي أي تعريف للإرهاب محتفظا بما ورد على كتاتيب الجيوش الأمريكية والبريطانية.

وعليه يكون تفكير تشومسكي فيما ورد في مفهوم الإرهاب ضمن الكتاتيب كحجة ضد نظرية الحرب العادلة (*Just war theory*) لأنها ممارسة مرفوضة بعد إخضاعها لأسلوبه في التحقيق نظرا لمفهوم الإرهاب ومشكلته المثيرة للجدل، مع ممارسة النظرية من طرف السياسة الأمريكية وتناقضها مع الواقع، حيث يظل الإرهاب ممارسة مطبقة على المدنيين بحجة الحفاظ على الذات، معتبرة من خلال مبدئين، الأول هو تصنيف ممارسة الفعل على أن يكون في زمرة الإرهاب، والآخر هو تعليق الحكم على الممارسة بما يترتب على ذلك من عقوبات قانونية وأخلاقية، لهذا يقول: «بعض الحقائق بسيطة أولى هذه الحقائق أن الأعمال تقيم بمدى التداعيات والمضاعفات المحتملة لها، ثانيتهما هي مبدأ العمومية (*The Generality Principle*) أي نطبق على أنفسنا المعايير ذاتها التي نطبقها على الآخرين إن لم نقل معايير أشد صرامة. وعدا عن كونهما من أبسط البديهيات فإن هذين المبدئين يشكلان أيضا أسسا لنظرية الحرب العادلة.»⁽³⁾

من الواضح أن تشومسكي يحلل مفهوم الإرهاب بمعقولة صارمة للتبرير عجز السياسة الأمريكية إزاء القيم الإنسانية والقانونية والأخلاقية، لأن تركيزه على مفهوم الإرهاب قد اقترن مع خطابات ريغان وجورج

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 67.

(2) نعوم تشومسكي، جليبر الأشقر، المصدر السابق، ص 16 و 17.

(3) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، المصدر السابق، ص 221.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

شولتز* عام (1981م)، على أنها السياسة الأكثر إنسانية وإسهامها بشكل كبير على أنها مركزة بصفة أساسية للمحاربة الإرهاب الذي يحدق بالبشرية إلا أنه يؤكد على أنها ضرب للبربرية الفاسدة التي تحرق بروج العصر وهي الداعي الجديد لمفهوم في شكله الدولي الشامل لهذا يقول: «منذ عام (1981م) الذي أعلنت إدارة ريغان على محاربة الإرهاب... وقد أسهب ريغان وجورج شولتز في خطاب عن "طاعون العصر" و "عودة إلى البربرية في عصرنا" و "وباء الإرهاب"... ما كان لأي امرئ من الإحاطة بالتاريخ يدرك أن ما سيحدث كان الأمر يتحول حرباً إرهابية، فأنت لا تعلن الحرب على إرهاب، ما لم تكن تعمل على إعداد نفسك لخوض إرهاب دولي شامل». (1)

ويقع التساؤل الرئيسي على المفهوم البريطاني للإرهاب: عما إذا كان لوجود تطابق ممارستي للإرهاب على الواقع برغم أنهما يشتركان في المدلول؟، يشير تشومسكي بأن مفهوم البريطاني للإرهاب تضيف عليه الشرعية القانونية وهو لا يزال قيد الممارسة وتطبيقه وفقاً لمبادئ أخلاقية برغم من أنه يتضمن ما جاء في المفهوم الأمريكي للعنف والإكراه والترهيب، القائم على الأهداف الثلاثة الدين والسياسة والأيدولوجيا، إلا أن العائق الكبير هو إخفاء الممارسة الأمريكية للمفهوم الإرهاب بشكل تام لأنه الثغرة التي تكشف بأن السياسة الأمريكية تقر بمشروعية الإرهاب ضد الدول العالم وهي أيضاً الطفرة الحاسمة التي تكشف عن الجرائم والفظائع الممارسة من قبل إدارة ريغان، لذلك يقول: «... إنه أيضاً بشكل أساسي نفس التعريف البريطاني الرسمي، في الوقت الحالي. ومع ذلك، تم إلغاء تعريف الولايات المتحدة في الممارسة العملية، ربما بسبب آثاره الواضحة. إذا أخذنا الأمر بالمعنى الحرفي، فقد اتضح، بشكل تافه تقريباً، أن الولايات المتحدة هي دولة إرهابية رائدة، وأن إدارة ريغان كانت في الواقع منخرطة في إرهاب دولي واسع النطاق. لذلك كان عليها تغيير التعريف، بشكل واضح، لأنه لا يمكن أن يسمح بهذه النتيجة. ومنذ ذلك الوقت ظهرت مشاكل أخرى.». (2)

*جورج برات شولتز 1920 – 2021 George Pratt Shultz: هو اقتصادي ورجل دولة أمريكي. عمل في إدارات ثلاثة رؤساء دوايت أيزنهاور، ريتشارد نيكسون، رونالد ريغان وعارض تقديم المعونة الأمريكية إلى الثوار الساندينينيين اعتزل السياسة تورطه في قضية إيران - كونيتر ساعد في صياغة مبدأ بوش عن الحرب الاستباقية.

https://en.wikipedia.org/wiki/George_Shultz.

(1) نعوم تشومسكي، جليبرت الاشقر: السلطان الخطير، المصدر السابق، ص 10.

(2) Noam Chomsky, Gilbert Achcar, Perilous Power: The Middle East and US Foreign Policy: Conversations on Terror, Democracy, and War, New York, Library of Congress Cataloging and Publishing Data, 1st ed., 2007, p. 2.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

والسياسة الأمريكية هي التي تصنع الإرهاب ثم تديره بين الداخل والخارج. أما الجانب الداخلي فهو يقتصر على كونه وسيلة لمحاربة التمرد لأن الداخلي تبوأ به لأول مرة إدارة ريغان بما يناسب أغراضها السياسية تجاه تمرد الشعب الأمريكي على السلطة الحاكمة، لكن الجانب الخارجي أشد قسوة، حيث يتم تنظيم الجماعات الإرهابية بدعم وحماية السياسة الأمريكية، ومع ذلك، فإن مقاربة الإرهاب وتشكيله كظاهرة مزودة بالدعم والحماية. فهو من وجهة نظر تشومسكي ليس سوى إرث من الفكر النازي والذي يعتبره الجوهر للمفهوم، أما عقيدة المكافحة والدعاية لها كمبدأ لحماية الشعوب من الإرهاب في السياسة الأمريكية، فهي العقيدة المأخوذة من الحركة النازية التي تتدخل بحجة الدفاع عن السكان في أوروبا المحتلة، وعليه يقول: «... ففي أوروبا المحتلة زعم النازيون أنهم يحامون عن السكان والحكومات... من دون أدنى ريب، وقد تورطوا في أعمال إرهابية ثم إن المؤسسة العسكرية الأمريكية كانت تكون شيئاً من التقدير للمنظور النازي فمذهبها في مكافحة التمرد صيغ على غرار ما تضمنته كتيبات النازي، التي جرى تحليلها بعين العطف وبمعاونة ضباط من القيادة العسكرية العليا النازية (الفيرماخت*).»⁽¹⁾

ولتوضيح مبررات التحايل في إخفاء للمفهوم الرسمي من طرف السياسة الأمريكية في نظر تشومسكي هي محايدة على ما يصدق عليه من أضرار، ولكي لا ينطبق عليها الحد من طرف الدول المنتهكة مع انفراد بالممارسة الذاتية، لذلك تم تغييره من طرف النخبة الأمريكية لمعنى الإرهاب من كل القطاعات سوى القانونية أم التربوية لكي لا يؤخذ بشكل الكلية السياسية من الناحية الممارسية، وأيضاً لتكون ممارسة الدول للمفهوم غير معيارية مقارنة بممارسة السياسة الأمريكية له، لهذا يؤكد: «ينبغي للتعريف الفعال للإرهاب أن يكون، في رأي صناع السياسة في الولايات المتحدة: الإرهاب إرهاباً بالمعنى المعياري إذا كنت تقوم به ضدنا؛ ولكن إذا كنا نحن نمارسه ضدك، فهو حميد، إنه تدخل إنساني، وله غاية حميدة. ذاك هو التعريف الذي يستخدم

“Chomsky says:”It’s also essentially the same as the official British definition, at present. However, the U.S. definition was rescinded in practice, presumably because of its obvious implications. If you take it literally, it turns out, almost trivially, that the United States is a leading terrorist state, and that the Reagan administration in fact was engaging in extensive International terrorism. So it had to change the definition, obviously, because it couldn’t allow that consequence. And since that time there have been other problems. ”

*الفيرماخت : *Wehrmacht* تترجم كلمة إلى «قوة الدفاع» وهي اسم القوات المسلحة الموحدة لألمانيا في العام 1935 - 1945، وتشمل القوات

البرية والبحرية والجوية. و يعتبر الفيرماخت القوة العسكرية الأعلى للنخبة النازية في العالم بفضل السياسة التصنيعية في عصر هتلر .

<https://www.britannica.com/topic/Wehrmacht>.

(1) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، المصدر السابق، ص 223 .

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

فعليا. ولو كانت القطاعات المتعلمة أمينة، لكان هذا ما ستقوله. ومن ثم تحل المشكلة برمتها في مسألة التعريف. ولكن بناء على الافتقار إلى هذا، ليس لدينا سوى خيارين: إما أن نستخدم التعريفات الرسمية، وهو ما أفعله، أو أن نقول: حسن، إنها مشكلة متعذرة الحل، عميقة جدا، وهكذا، ومن ثم ستستمر ما لم نكن قادرين على الاعتراف بالدلالة العَمَلِيَّة.». (1)

ولذلك تظل مشكلة التظليل للمفهوم هي ذاتها الإرهاب المرتكب ضد العقل، كما هو الحال في ممارسته الوحشية ضد الدول من طرف السياسة الأمريكية، بتجسيده من الناحية الاصطلاحية كوسيلة للدفاع عن النفس وإخضاع الآخر، الذي تعتبره تهديدا لمصالحها وأهدافها، لأن مقاومته ترفض مظاهر الاستعباد وتسعى نحو التحرر والديمقراطية، وهذا هو السبب الذي يتعارض مع مصالح النخبة، فهم يحصلون للمفهوم وفق جدلية (السيد والعبد) عند هيجل (1770 - 1831) *Friedrich Hegel*، مما يجعلها تدعم الإرهاب في ممارستها من أجل الحفاظ على استمراريته عبر مراحل مختلفة.

1- مقارنة فلسفية للإرهاب

لقد أثار تشومسكي قطيعة فلسفية حول الإرهاب مع فلاسفة أمثال جاك دريدا (1930 - 2004) *Jacques Derrida*، جان بودريارد (1929 - 2007) *Jean Baudrillard*، هيربرت ماركيز (1898 -

(1) نعوم تشومسكي، جليبر الأشقر: السلطان الخطير، المصدر السابق، ص 12.

****جورج فيلهلم فريدريش هيجل 1770 - 1831 Georg Wilhelm Friedrich Hegel**: فيلسوف ألماني، من أهم الفلاسفة، مؤسس المثالية الألمانية في أواخر القرن الثامن عشر، طور المنهج الديالكتيكي الذي أثبت مسار التاريخ والأفكار ولفلسفته أثر عميق على الفلسفات معاصرة في العصر الحديث.

https://en.wikipedia.org/wiki/Georg_Wilhelm_Friedrich_Hegel.

****جاك دريدا 1930 - 2004 Jacques Derrida**: هو فيلسوف وناقد أدب فرنسي يعد دريدا أول من وظفه التفكير فلسفياً بمعناه الجديد في نقد منهج الفلسفة الأوروبية التقليدية من أجل الفهم الحقيقي لمكانة الإنسان في العالم وصفه هابرماس . بالعبثية والغموض في نقد خصومه عالج القضايا اللغة، والأدب، وعلم الجمال، والتحليل النفسي، والدين، والسياسة والأخلاق.

https://en.wikipedia.org/wiki/Jacques_Derrida.

****جان بودريار 1929 - 2007 Jean Baudrillard**: هو فيلسوف فرنسي وعالم اجتماع ثقافي. يُشتهر بتحليلاته المتعلقة بوسائل الاتصال والثقافة المعاصرة والاتصالات التكنولوجية، كتب عن كالنزع الاستهلاكية والأدوار الجندرية والاقتصاد والتاريخ الاجتماعي والفن والسياسة الخارجية الغربية والثقافة الشعبية. من أكثر أعماله شهرة نجد الإغراء 1987 وأمريكا 1986 وحرب الخليج 1991. غالبا ما تُربط أعماله بفلسفة ما بعد الحداثة وتحديداً ما بعد البنيوية.

https://en.wikipedia.org/wiki/Jean_Baudrillard.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

Herbert Marcuse (1979)، فبموجب المبدأ القائل في الممارسة الشائعة «بأن الإرهاب هو سلاح الضعفاء»، يلغي تشومسكي هذا الشرط للمفهوم لأنه مقتصر على خدمة المصالح ومسار النخبة السياسية الأمريكية، في حين يشير أن غاية هذا المبدأ هي الشروع للإرهاب وفقا لمقتضاه الإنساني ويكون له مبررات خاصة أو إرهاب العدو دون المساس بحقوق الإنسانية، إلا أن المشكلة الرئيسة هي الولايات المتحدة التي تحله كمبدأ يتعدى على المبدأ التقاليد العادلة العالمية ليكون الإرهاب سلاحا يمارسه الأقوياء تجاه الضعفاء في معظم المجتمعات الإنسانية.⁽¹⁾

لهذا تكون صياغة المفهوم والمخالفة للمبدأ في نظر تشومسكي هي عجز العقل الأمريكي عن تقبل الصدمة الحادية عشرة من أيلول (2001م) ما أوقع له انشطار في التمييز بين «المقاومة» و «والعدوان» و «الإرهاب» برغم من اشتراكهما في حقل الحدث، إلا أن الغايات لها تبرير موضوعي، فالمقاومة في مشروعيتها أقرب للمبدأ التقليدي من حيث التبرير والممارسة لكونها ممارسة أخلاقية في إطار القوانين ومسارها نحو الفعل لديه مبرر سياسي لتحقيق التحرر والديمقراطية لا سيما الشعوب التي انتهكت حقوقها من طرف قوة أجنبية على سبيل المثال "المقاومات الإفريقية" لهذا فإن تشومسكي ينظر بمجرى تاريخي على أن السياسة الأمريكية تمتنع عن المبدأ وتعرض عن قرار الأمم المتحدة في القضاء على الممارسة الفعلية للإرهاب، وهو مبرر كفيل ينطوي على إجحاف الحق والتقويض لأطر الإنسانية المعهودة، لكونه لا يزال يبرر مجمل أعمالها العدوانية على أنها سياسة مشروعة وقانون للحرب العادلة.⁽²⁾

وعليه يحاول تشومسكي التعدي إلى ما وراء مفهوم الإرهاب وفهمه وتحليله من زاوية الممارسة الأمريكية لكونه مشكلة عصرية مهددة للإنسانية، وهي بنفس الطريقة التي يحاول بها جاك دريدا أن يتعدى بها فكرة التفكيكية كونه مفهوما عصيا غامضا ومراوغا للذات العارفة، ومتلاعبا به لغايات تصب في مصلحة السياسة الأمريكية. وهي نفس الغاية التي يطرحها جاك دريدا لتفكيك، إلا أن هناك تطابقا بينهما ولكن معنى الإرهاب

(1) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، المصدر السابق، ص 223.

(2) المصدر نفسه، ص 224.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

مقتل بمشكلات فليس الحرب التي تمارسها السياسة الأمريكية ضد المدنيين في الداخل والخارج إرهاباً، فهي جزء من الممارسة ووسيلة فقط لتهريب، لأن الإرهاب أنواعه متباينة.⁽¹⁾

لهذا يقارب تشومسكي هذا التباين للإرهاب بحجة أوغسطين (354 م - 430 م) *Augustine* والتي عبارة عن تدقيق للإرهاب في شكله ممارسة لفعل مزدوج بين الجبر وإرادة التسلط مبرراً لدرجات التفاوت ومعللاً بذلك وصفه بين ممارسة الإسكندر الأكبر (323-336 ق.م) *Alexander the Great* والقرصان على أنها تعكس الواقع السياسي الراهن لأثر الإرهاب على الصعيد الدولي تكون الولايات المتحدة بمثابة الإمبراطور للإرهاب أم بقية الدول الغربية والدول العالم الثالث فهي تمثل الممارسين الصغار للإرهاب، لهذا فإن الذين يمارسون الإرهاب الدولي كالسياسة الأمريكية لديها السيطرة والسلطة الأكثر في تفسير المجال الذي يمكنها من المطابقة بين التفكير والتجسيد للأعمال إرهابية بشكل قوي ومريع لرعايا.⁽²⁾

فعلى خلاف مفهوم الإرهاب وتباينه يتضح أن تشومسكي قد أحدث قطيعة مع فكرة جاك دريدا في تصنيف الإرهاب، فإذا تشومسكي يعد الإرهاب الدولي على أنه صدمة العقل الأمريكي، فإن جاك دريدا يبرهن على منهج تشومسكي في أن الإرهاب له علاقة بنظم العالم، فالولايات المتحدة هي علاقة اتصالية بالإرهاب بنفس العلاقة التي تشكل على المسرح الدولي منعطفاً يسارياً معادياً للمدنيين، فعادة ما يحاول الممارسون الصغار الظهور على المسرح الدولي لكي يطمئنوا أنفسهم بأنهم قادرون على تحمل الهجمات

⁽¹⁾ جيوفانا بورادوري، الفلسفة في زمن الإرهاب، حوارات جاك دريدا يورغن هابرماس، تر: خلدون النينواني، بيروت، المركز العربي، ط1، 2013، ص27.

^{*} القديس أوغسطين 354-430م *Augustine* : فيلسوف وعالم لاهوت من العصور الوسطى، ورائد في الفلسفة المسيحية في العصر الكنسي من القرن الثاني الميلادي إلى القرن السادس الميلادي، وامتد تأثير فكره على مصالحة القديس توما الإكويني وأنسلم. بين الإيمان والعقل أو الفلسفة واللاهوت الانفتاح على الفكر الأفلاطوني اليوناني ومن أبرز كتبه: 'الاعترافات' و 'مدينة الله'.

جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، بيروت، دار الطليعة، ط3، 2006 ص 117 118.

^{**} الإسكندر الأكبر: 356 ق م - 323 ق م *Alexander the Great*: المعروف أيضاً باسم الإسكندر الأكبر أطاح بالإمبراطورية الفارسية و استولى على كتب بطليموس الأول وأريستوبولوس، وتعلم الفلسفة والطب على يد أرسطو، وكان مهتماً في المقام الأول بالجانب العسكري من دوافعه الغزو عالم جعله موحداً ومثالي.

"<https://www.britannica.com/biography/Alexander-the-Great>".

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، قرصنة والأباطرة، المصدر السابق، ص 65.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الإرهابية، فتكون مضاعفة القوة المشروعة بالنسبة للسياسة الأمريكية، لأن العقل الأمريكي معتاد على الصدمة الكبرى التي تمخضت عليها فكرة الإرهاب والعدوانية.⁽¹⁾

في ظل المقاربة يختلف طرح تشومسكي في وصف الإرهاب على أنه يمارس ضمن غايات الدين والأيديولوجيا والسياسة وأنه كظاهرة وليدة الصدمة التي تعرض لها العقل الأمريكي في تلاحمه مع المفهوم ضمن استراتيجية مضمرة تؤكد وجودها على الساحة العالمية من كونها نظاما وقوة، فإن جان بودريارد على أنه لا يتقيد «بمعنى أو هدف ولا يخضع لغايات أو نتائج الحقيقة أو السياسية أو التاريخية»⁽²⁾، فالسياسة الأمريكية تصنع الحدث في العالم بشكل مشبع أكثر فأكثر بمعنى الغائية والفاعلية.

ولعل ما كان يراه جان بودريارد أن الإرهاب لا يخضع لأي غاية من غايات "الدين" و "الأيديولوجيا" و "السياسة"، فهو يميز الإرهاب على أنه يختلف عن حرب التحرير أو الثورة ولكن هذا قد صرح به تشومسكي في مفهومه للإرهاب على أنه «لم يعمد إلى تمييز الإرهاب عن الحرب التحرير الوطني والحرب الثورة».⁽³⁾

فإن جان بودريارد ميز بينهما بحيث أشار إلى أن "الخيال الثوري" عنفه يشكل تبادل بين ثقافتين للتحويل بالمجتمع إلى نظام آخر ومشكلة الثورة لديها حلاً في الواقع، ولكن الإرهاب غير ممكن للحل ووجوده لا متعين، ما وراء ذلك هو مجرد غايات لا تترك سوى تأثير رمزي في الواقع على عكس ثورة التحرير فهي تترك ابتهاجا وقعي.⁽⁴⁾

مما لا شك فيه، أن تشومسكي لم يعالج هذا التمييز الذي يصفه جان بودريارد ليتجاوز مفهومه البعد السيكلولوجي الرمزي طرحا إياه وفقا لمجريات النظرية الواقعية لتكملة مشروعه السياسي في تبرير عزز الولايات المتحدة على تبرير سلطتها غير مشروعة، ولقد ورد في تعريفات الاتحاد الأوروبي عام (2002م)، «الإرهاب على أنه أي تخريب أو انقلاب أو تسبب دمارا واسع النطاق للحكومة أو جمهور أو منشأة مثل

(1) جيوفانا بورادوري، الفلسفة في زمن الإرهاب، المرجع السابق، ص 28.

(2) جان بودريارد، إدغار موران، عنف العالم، تر: عزيز توما سوريا - دمشق، دار الحوار، ط1، 2005، ص 62.

(3) نعوم تشومسكي، قراصنة وأباطرة الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، سوريا، دار حوران للنشر والترجمة، ط1، 1996، ص 10.

(4) جان بودريارد، إدغار موران، المرجع نفسه، ص 65.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الذي ارتكابه متظاهرون ضد حقل زارعي تجريبي به كائنات حية معدلة وراثيا...»⁽¹⁾، لكن تشومسكي يرى بأن معانيه قريبة من الثورة وانقلابات التي أشار لها جان بودريارد ، وهي مجرد سلوك عنيف .أما الإرهاب في مفهومه الواسع والمنطقي يعارض القيم الأخلاقية ومبادئ الإنسانية ، ويتعدى على القوانين في جرائمه مثال ذلك "الهولوكوست"⁽²⁾ (1945م).

ومن ثمة، يضيف تشومسكي أن حقيقة الشرعية للإرهاب في الولايات المتحدة من بين الحقائق التي تسعى إلى إنكارها واستمرار بسياستها تجاه الدول مع تغيير المفهوم من حين إلى آخر، ولكن الوعي التاريخي بالإرهاب يظهر هذه الحقيقة في الواقع، لأن المجال التاريخي أبعد من سياستها في الفصل مفهومي الإرهاب عن المقاومة، يظهر لها الإرهاب الحقيقي في معاداة الدول لمصالح النخبة ولكن دعمها لحكوماتها بقصف دولة ليبيا مثلا أو تحطيم مساعدات للمدنيين في السودان مع تخريب مراكز الصحة والأدوية العلاجية، فهذه حجة يعكسها الواقع التاريخي. في مقابل تعبر عن هشاشة القوانين وفساد القيم الأخلاقية، ولكن بنظرها للمصالح البراغماتية تعدد مقاومة ضد العدوان خارجيا. فحين تظهر الحقيقة للعيان يتنازل عليها العقل الأمريكي في مبرراته إذا ما تهم متطرفون إسلاميون على نفس المنهج فإنها تعتبره إرهابا⁽²⁾.

وعليه يمكن القول، بأن مبررات العقل الأمريكي هي حقيقة أمامه لشرع في الإرهاب ولكن ما إذا انعكست عليه فإنه يفسرها باطلا وإرهابا تجاه ذاته، لهذا فإن تبريره للإرهاب ومكافحته للإرهاب ضمن أهداف مسبقة ليكون الفكر السياسي الغربي بما في ذلك العقل الأمريكي في الحقيقة كما يقول هيربرت ماركيز

⁽¹⁾ Noam Chomsky, Gilbert Achcar, Perilous Power: The Middle East and US Foreign Policy, New York, Library of Congress Cataloging and Publishing Data, 1st ed., 2007, p17 18.

“Chomsky says: "One might point also to attempts at expanding the concept: for instance, the European Union's definition of terrorism in June 2002,6 which included "causing extensive destruction to a Government or public facility... a public place or private property likely to... result in major economic loss," or even "threatening to commit" any such destruction. This could encompass acts of the kind that global justice or environmentalist or peasant protestors have committed against, say ... or an experimental agricultural field with genetically modified organisms or the like."

"الهولوكوست Holocaust: كلمة اليونانية مشتقة من أصل هولوكاستون، وهي المحرقة أم ترجمة الكلمة في العبرية إلى " الله "، والتي تعني ذبيحة محرقة تقدم كاملة إلى الله. تم اختيار هذه الكلمة واستخدمت على نطاق واسع، لأنه فيها ظهور نهائي لبرنامج القتل النازي في معسكرات الإبادة كانت جنث الضحايا تلتهم بالكامل في محارق الجثث أو النيران بطريقة مكشوفة.

<https://www.britannica.com/story/what-is-the-origin-of-the-term-holocaust>.

⁽²⁾Noam Chomsky, David Barsamian: Praise for Propaganda and the Public Mind, United States, Library of Congress Publishing, 2nd ed., 2015 p.49.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

(1898 – 1979) *Herbert Marcuse*: «على أنه يطور مصالحه في ظل التوتر بين الحقيقة والباطل»،⁽¹⁾، لأن دولة بمثل الولايات المتحدة تعتقد أن من شؤون العمل بالإرهاب مشروع وتواجه ما فيه الكفاية المنطق التقليدي لأن الأهداف قد تحققت سلفاً أما في ما يخص الإرهاب كممارسة في الواقع فهو مجرد تبرير لأعمالها ومصالحها وأهدافها.

2- ممارسة السياسة الأمريكية للإرهاب:

يظهر الحديث عن الممارسة الفعلية للإرهاب من جانب السياسة الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر (2001) بتحديد مع ظهور الاتجاه الجديد في الولايات المتحدة القائم على العقلانية الشرعية لفكرة "عزلة أمريكا" مع الفيلسوف الأمريكي ليو شتراوس (1899 – 1973) *Leo Strauss*، والذي يطور للممارسات السياسة الأمريكية في الداخل والخارج عن طريق مجموعة من المبادئ وسياسات تعرف "بالحرب على الإرهاب" والتي تتخذ شكلها في ممارسة الإرهاب ضد الدول مثل (العراق) و (أفغانستان) من تعاليم إدارة جورج بوش ومستخدمين للقوة الناعمة ضد الإنسانية مبررين لهذه الممارسة على أنها مبدأ من مبادئ السياسة الأمريكية، لذلك يصفها فرانسيس فوكوياما بقوله:

«كانت المحافظة الجديدة مستندة إلى مجموعة من المبادئ المنسجمة التي أنتجت في أثناء الحرب الباردة سياسات معقولة على وجه العموم في الوطن وفي الخارج على حد سواء... بطرق متنوعة... من 1990، استخدمت المبادئ لتبرير سياسة أمريكية خارجية أفرطت في التشديد على استخدام القوة، وأدى ذلك منطقياً إلى حرب العراق وقد صارت المحافظة الجديدة الآن متناهية بشكل لا رجعة فيه مع سياسات إدارة جورج

*هربرت ماركيز 1898-1979 *Herbert Marcuse*: فيلسوف ألماني معروف بتنظيره للسياسات الراديكالي الجديد، وتميز بنقده الحاد للأنظمة الرأسمالية. مشهور بـ التكنولوجيا والإعلام. أثنى الفلاسفة على يد مارتين هايدغر عمل على مختارات هيجل التاريخية وأنطولوجيا التحق بمعهد فرانكفورت للأبحاث الاجتماعية. خضر داهو قاسم، هيربرت ماركيز، موسوعة فلسفية غربية معاصرة، بيروت، دار ضفاف، ط1، ج1، 2013، ص 755.

(1) Herbert Marcuse، Soviet Marxism A Critical Analysis: New York، Library of Congress، first ed، 1958، p92.

*ليو شتراوس 1899-1973 *Leo Strauss*: أثر الفيلسوف السياسي الأمريكي الألماني أسس النظرية السياسية الكلاسيكية على أفكار كل من توماس هوبز و نيكولا مكيافيلي سبينوزا وسقراط. ومن أعماله: الطغيان 1991، 'الحق الطبيعي والتاريخ' 1950 لعب دوراً بارزاً في التاريخ الأمريكي في إحياء إرث النظرية السياسية الأمريكية في دوائر المحافظين الجدد في إدارة جورج دبليو بوش.

<https://www.britannica.com/biography/Leo-Strauss>.

الفصل الثاني:نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

دبليو بوش في فترتها الأولى، وإن أي لقد أرسلت جهدا يسعى إلى استصلاح... السياسة الخارجية الأمريكية بطريقة تتحرك إلى ما وراء تراث إدارة بوش وتراث مسانديها من المحافظين الجدد.». (1)

لهذا يكشف تشومسكي أن النخبة في بداياتها الأولى تبنت نوعا من الممارسة الذكية وتبنت المنهج الميكافيلي الكلاسيكي من أجل تدمير الدولتين العراق وإيران في آن واحد، لأنهما كانا الأقوى في مواجهة السياسة الأمريكية في المنطقة الشرقية، بهدف مواجهة القوة الإيرانية لقد دعموا العراق بقوة إرهابية دمرت الخطوط الجوية الإيرانية عندما ظل انسحاب آية الله الخميني** (1988 م) مكسبا براغماتيا لواشنطن في احتوائه لنفط المنطقة، استمر بذلك بوش والمحافظين في العمل بعقلانية وجعل العراق مجتمعا معسكرا رادعا للقوات الإيرانية وضعيفا أمام السياسة الأمريكية ومسالحة في المنطقة. (2)

ومما لا شك فيه، أن ممارسة العراق لمصالح النخبة الأمريكية منذ (البدايات) ظلت أكثر أهمية، لكن الصقور وإدارة بوش بعد هجمات 11 أيلول سعوا للإطاحة به بذريعة واهية، لكونه نظام ديكتاتوريا الذي يهدد بأسلحة الدمار الشامل الديمقراطية الأمريكية، لذلك يؤكد تشومسكي أن المخاوف السياسية الأمريكية اشتدت في (2003 م) بضغوط أكثر إلحاحا من مجلس العلاقات الخارجية الذي دعا إلى الحرب الوقائية ضد صدام حسين قبل أن يخاطر بتنظيم هجمات تفوق في آثارها هجمات 11 أيلول (2001م)، إلى أن تحول هذا القلق الأنطولوجي المفتعل إلى ذريعة لدى بوش والصقور لتبرير ممارسة الجرائم والانتهاكات ضد الإنسانية. (3)

ومن الواضح أن تشومسكي يكشف عن القلق الزائف الذي تمارسه سياسة بوش حول تقويض مبادئ الشرعية في حرب العراق بقصد المنع. لذلك، هناك حجج يحللها تشومسكي على أنها نهائية في ممارسة الإرهاب بشرعية الدفاع عن النفس، وهي الحجج التي خطط لها المحافظون الجدد:

(1) فرانسيس فوكوياما، أمريكا على مفترق الطرق، تر: محمد محمود التوبة القاهرة، دار العبيكان، ط1، 2007، ص 11 12 .
**روح الله الخميني 1902 - 1989: *Ruhollah Khomeini*: الزعيم الديني الإيراني ومعلم المذهب الشيعي كتب في الفلسفة الإسلامية والقانون والأخلاق، أسس الدولة الإسلامية الدينية في إيران. قام نظامه بقمع و الانتقام السياسي من نظام الشاه مع معارضته، للسياسة الأمريكية بعد كارثة كونترا .

<https://www.britannica.com/biography/Ruhollah-Khomeini>.

(2) نعوم تشومسكي، السلطان الخطير، المصدر السابق، ص 34.

(3) نعوم تشومسكي، مدخلات، المصدر السابق، 35.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الحجة الأولى: تقويض دينيس هاليداي* بإكراهية على ممارسة الإبادة العراق ضمن برنامج الإنسان لاق رفضه لهذه الرذيلة بعزل ذاته عن الأمم المتحدة وغايات المحافظين الجدد، إلا أن هانز فون شبونيك** لم تكن لديه رغبة باعتراف بمبدأ الطبيعة البشرية والإرادة الخيرة بالإنسانية في ممارسته لهذه الرذيلة (الإبادة العراق).

الحجة الثانية: مساءلة مادلين أولبرايت*** عن الإبادة الجماعية (1/2 مليون طفل عراقي) على أنها كرد فعل أخلاقي للمحافظين الجدد فهي تقويض للوجودية صدام حسين لأنه هو الآخر الذي يشكل تهديدا على وجودنا كذوات بشرية. (1)

الحجة الثالثة: إن دعمنا لصدام حسين في ممارساته اللاإنسانية ضد شعبه - حسب تشومسكي - لا تكتسي وحشيته غايتنا، لأن بوش لديه غاية للإرهاب أكثر وحشية (إسرائيل كحليف جديد في المنطقة)، لأن وجودية صدام ككيان مستقل بذاته يهدد غايته وغاية المحافظين الجدد، كما دعت الممارسة السابقة مع (أسامة بن لادن*) بعد دعمها كقوة إرهابية لكي ترعى المصالح البراغماتية سعت إلى تدمير للقومية الأمريكية. لأن قابلية تهديده جعلتنا نأخذ العراق مأخذ تهديد لوجودنا الذاتي.

الحجة الرابعة: يؤكد تشومسكي أن الممارسة اللاعقلانية لبوش ومحافظيه تقضي إلى تقويض صدام وانتقام من الحكومة الإسلامية (الحرب الشيطانية ضد الخميني) بضرورة وحتمية للوجود الإسرائيلي يكون مألوفاً لعقل البشري والرأي العام الدولي، فقابلية التهديد صدام بأسلحة الدمار الشامل ضد الذات الإنسانية

*دينيس هاليداي Denis Halliday 1941: منسق الأمم المتحدة الاقتصادي وخبير الشؤون الإنسانية في العراق 1997 مؤيد للعدالة الإنسانية استقال بسبب العنف الإبادة الجماعية المفروضة أمريكياً على العراق .

https://en.wikipedia.org/wiki/Denis_Halliday.

**هانز كريستوف جراف فون شبونيك Hans Christoph Graf von Sponeck 1939: دبلوماسي ألماني شغل منصب مساعد الأمين العام للأمم المتحدة ومنسق الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في العراق تولى برنامج عقوبات الشركات النفط مقابل الغذاء على العراق بعد استقالة دينيس هاليداي.

https://en.wikipedia.org/wiki/Hans-Christof_von_Sponeck.

***مادلين أولبرايت Madeleine Albright 1937، وزيرة الخارجية الأمريكية من الحزب الديمقراطي ودعاة التدخل العسكري أنها دافعت على الديمقراطية وحقوق الإنسان في عام 1999 بهدف وقف قصف حلف الناتو على يوغوسلافيا و وقف التطهير العرقي ضد ألبانيا وكوسوفو.

<https://www.britannica.com/biography/Madeleine-Albright>.

(1) نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، المصدر السابق، ص 51.

*أسامة بن لادن Osama bin Laden 1957-2011، مؤسس وزعيم تنظيم القاعدة الإسلامي المتشدد والعقل المدبر للعديد من الهجمات الإرهابية ضد الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى، بما في ذلك هجمات 11 سبتمبر 2001 على مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك والبنيتاغون .

<https://www.britannica.com/biography/Osama-bin-Laden>.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

بمعزل عن المنفعة لا يبقى على وجودنا لأن الحكومات العربية مؤيدة لذاته الوحشية فما يظل الوعي بإبقائه وإنمائته للمخزون النووي للآخر (إسرائيل) المغترب عن ذاته بحيث ممارسته البربرية لا تحدّها غاية. فممارسة صدام البربرية في حقبة دعمه لا تقل عنها ممارسة جورج بوش الحالية ضد العراق الذي يعدّه محور الشر ضد وجودها كقوة عظمى. (1)

وعليه فإن، تشومسكي يفسر نسق بوش ومحافظيه على أنه خطة عقلانية أساسها إقناع العالم وأمريكا ذاتها بأن الحرب لم تكن تكنها من ذات الاستخبارات الأمريكية (CIA)، ولكنها مغالطات تكشف عن خداع الممارسة السياسية من المحافظين في دعمهم للعبة بوش بحجج لا إنسانية والغاية منها انتهاك القانون الدولي وممارسة الإرهاب بأحقية يفهم بها بوش على أنه يمتلك رؤية أخلاقية للديمقراطية. إزاء ذلك فإن حرب العراق تقويض لكيانات إرهابية. لهذا يقول تشومسكي: « يعمل غزوه للعراق على مضاعفة الإرهاب وممارسته بذرائع تساعد من تسريع انتشاره للأسلحة ». (2) فإن فكرة العالم الحر التي يتحجج بها بوش هي غاية تؤكد عن مضاعفة الممارسة الإرهابية من السياسة الأمريكية في ميتافيزيقا داعية لها من المحافظين الجدد لكي لا يناقض الكونغرس بارتكابه لأعمال العنف غير مبررة في العراق.

ومن أجل ممارسة الإرهاب يؤكد فرانسيس فوكوياما بالحجة اللاأخلاقية أن إدانة بوش ومحافظي الجدد حول الشك الزائف الذي أحدث الدهشة لدى مراكز البحث في العراق والمخابرات الأمريكية (CIA) من عدم وجود للأسلحة الدمار الشامل بتبرير موقف بوش ليس من ضرورة فرض عقوبات على إدارة بوش وشكوك ديك تشيني لأن الشك يلزم العقل إلى أخذ تدبيره الوقائية مستقبلاً، فإن تشديد بوش على الحرب الوقائية حيطة من أي ممارسة إرهابية محتملة من العراق. (3)

ولكن تشومسكي مناقض للشكوك والتأويلات اللاديكارتيّة لأنها تخلق كارثة الشر المؤدي بالجنس البشري إلى العدم لذلك يحذر العقل من أي ممارسة على بنى المجازفة والغلو غير يقيني، بحيث يقول: « يحذر

(1) نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، المصدر السابق، ص 52.

(2) نعوم تشومسكي، الدولة الفاشلة، المصدر السابق، ص 35.

(3) فرانسيس فوكوياما، أمريكا على مفترق الطرق، المرجع السابق، ص 128 129.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

المحللان الاستراتيجيان: جون ستاينبرونر، ونانسي غالاغر، وبعيدا عن أي غلو، من أن البرامج العسكرية لإدارة بوش ومواقفها العدوانية تحمل في طياتها مخاطرة مقدرة بوقوع هلاك نهائي. والأسباب واضحة المعالم: فسعي دولة واحدة إلى الأمن الكامل، بما في ذلك حق شن الحرب ساعة تشاء، "إزالة الكوابح النووية...".
(1)

ومع ذلك، يرى تشومسكي أن المعارضة الشعبية الدولية وإدانة بوش لممارسة الحرب على العراق بعد توقع افتراضات ما قبل الحرب ميؤوس منها، باستثناء عودة جديدة إلى ما وصفه بوش بتبجيل الحرب، بعودة غير مسبوقة إلى الصراع بممارسة للفكرة أوغسطين «الحرب المقدسة والعادلة»، إذ إن محاربة أزمة الشر في العالم وكل من العراق وأفغانستان هي مراكزها كغاية لتوسيع الساحة للنفوذ والصراع مع ممارسة العنف على أساس جزء كبير من التأمل بغزو العراق. والمثير للدهشة أن الشر والعدو معا معضلة ناجمة عن الطموح الإمبراطوري وفقا لاستراتيجية الأمن القومي. (2)

إن وعي تشومسكي بما تُحوّل له إستراتيجية الأمن القومي في «المادة (51)» من القانون الأمريكي التي حظيت بتلاحم مع الفكرة الأوغسطينية حول شرعية الحق في التدخل لغاية تقويض النزوع الفطري نحو الشر، فيما تكون السياسة الأمريكية مُستثناة من كل شروطها في الأرض وفي العراق المضطهد، فيما أنها ممارسة تعسفية، والتي يصفها برنت سكوكروفت (1925 - 2020 م) *Brent Scowcroft* على أن «المادة (51)» صادقت عليها بقانون جماعي يسمح بفعل واحد من هذا القبيل السماح لكل الشيء ذاته، ومع ذلك، فإن مثل هذا المبدأ يقوض العقلانية غير العادلة حسب تفسيرات ليوشتراوس وبوش لنوع من الضرورة والقصدية للممارسة الإرهاب ، كهدف إلزامي في عالم مليء بالتهديدات من دول محور الشر إلى الديمقراطية الأمريكية. (3)

(1) نعوم تشومسكي، الدولة الفاشلة، المصدر السابق ، ص 16 .

(2) نعوم تشومسكي، التدخلات، المصدر السابق، ص 38 - 39 .

(3) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً ، تر: أسعد الحسين، دمشق، دار نينوى، د ط، 2010 ، ص 24 - 25.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

ومع ذلك تركز فلسفة الممارسة الأمريكية الرديفة لإدارة بوش العنصرية في شرعية المناهضة العرب في كل من (العراق)، (إيران) بالتمركز حول الذات التي تمجد للشر المطلق «محور الشر»، غالبا ما تحاول عبارة بوش «محور الشر» اختزال ممارسة الإرهاب وراء الرغبة في تخويف الناس وتحديثهم عن الشر، يصف تشومسكي هذا النوع من الرغبة بمركزية الإرهاب كقوة مشروعة ضد المسلمين، وهو ما يعني به «المحور» المفعملة بشرعية على أنها ضرورة لتحرير العالم من الشر ومحاربتها له وبذلك هو تجسد الإرث النازي على المسلمين، فإضافة كوريا الشمالية اللامسلة للمراوغة الرأي العام العالمي وإبعاد الشبهة على الممارسة ذات غايات قصدية لتقويض جوهر المرجعية الدينية لدى المسلمين واضطهادها لهم. (1)

ولعل عبقرية ليو شتراوس التي تقوم على مقارنة الإرث النازي كجوهر للممارسة الأمريكية للإرهاب بسن القانون الحرب على الإرهاب والحرب العادلة في نظر تشومسكي على أنها تقيد للمبادئ الممارسة بقصد التحايل على القانون الدولي وعدم الرغبة في تطبيقها على ذاتها لهذا تشومسكي يفصح نوايا الممارسة بقوله: «لسنا مستعدين بأن نسن قانونا للسلوك الإجرامي ضد الآخرين ولا نرغب في تطبيقه على أنفسنا وفي مكان آخر: لا يجب أن ننسى أبدا أن السجل الذي نحكم به على (العراق وأفغانستان) المدعى عليهم هو نفس السجل الذي سيحكم به التاريخ علينا غدا. إن تمرير كأس السم لهؤلاء المدعى عليهم (صدام حسين، أسامة بن لادن) هو أن نضعه على شفاطنا نحن أيضا (بوش ومحافظيه)». (2)

يبدو من الواضح أن تقديس بوش للحرب ملازمة أيديولوجيا بهذه العقلانية المتطرفة التي تجعل الرأي العام الدولي إزاء تلك الجرائم الإنسانية الفظيعة في العراق وأفغانستان غير مذهولا أمامها- وفقا لتشومسكي- «مئات الآلاف من العراقيين الذين ذبحوا بأسلحة الدمار الشامل بمجازر لا يمكن لأي شخص وصفها بدقة، بمن فيهم دونالد رامسفيلد*» (3)، وكأن بوش محافظة ليو شتراوس يجعلان من المعارضة الإجماع الدولي

(1) نعوم تشومسكي، القوة والإرهاب، تر: إبراهيم يحيى الشهاني، دمشق، دار الفكر، ط 1، 2003، ص 158.

(2) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبدا، المصدر السابق، ص 25.

*دونالد رامسفيلد: 1932 - 2021 Donald Rumsfeld، مسؤول حكومي أمريكي وزير الدفاع لإدارة جورج دبليو بوش الرقيب في وزارة الدفاع الأمريكية استخدام القوات المسلحة الأمريكية في تعامله مع الحروب أفغانستان والعراق وأيضا لتسوية الخلافات الانتخابية بين دونالد ترامب وجو بايدن .
<https://www.britannica.com/biography/Donald-Rumsfeld>.

(3) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 27.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

حول الجرائم الإنسانية الواقعية دون جدوى لأن أي إدراك للحاجة بوش للإرهاب يؤدي إلى تحقيق للحل في الواقع ضده، فالفضائح في العراق وأفغانستان لم يتم تجاهلها من الإجماع الدولي كما لم توصف حقيقتها بدقة فهو يتحجب بالحقيقة الزائفة الداعية إلى محاربة الشر ونشره للديمقراطية والحرية في العالم، والرأي العام يجهل حقيقة الممارسة للإرهاب وراءها إدارة بوش وما يحصل من انتهاكات للإنسانية ما هي إلا رد فعل على سياستها الفاسدة، إنه الموقف المشابه للحقيقة الزائفة التي يذكرنا بها أفلاطون في (أسطورة الكهف).

ومن ثمة فإن، هذه العنصرية والعدمية التي لا تزال المحور الأوثق ارتباطا بممارسات السياسة الأمريكية وعقلانية الحركة المحافظة المتطرفة، باعتبارها تقديسا للجانب المسيحي، بحجة «قدسية الحرب ممارسة أخلاقية»، التي تبرر بها أعمالها الوحشية واللاإنسانية على أنها أعمال مقدسة ولا تحقق لأي مكاسب استراتيجية، لكن تشومسكي يقترب من الجانب الأنثروبولوجي لطبيعة البشر الغربيين بحجة المؤرخ البريطاني «أن ممارسة القتل هي العبادة من أجل المتعة»⁽¹⁾، وهذا ما انعكس في جورج بوش في تعزيزه لروح الإمبريالية الأمريكية بقتل العديد من المدنيين ومعاناة الأطفال في العراق وأفغانستان، الأمر الذي يعكس حقيقة أن الذات الأمريكية هي نفسها الشر. ومع سخافة بوش، ترى المسيحية جانبا للحرية وتخليص نفسها من الشر الدولتين، وهي ما تعد انتهاكا للقيم الدولية سعيا وراء مصالح حقيقية في الشرق الأوسط، يقول تشومسكي: «ليس من المستغرب لوضع وشاح الشرف على مشروع كره ومخز كهذا»⁽²⁾.

ولذلك يعتبر مايكل والزر* بأن جوهر الممارسة الأمريكية مشروعية في تبرير مواقفها في الحرب على الإرهاب وهي بمثابة الدولة الداعية نحو السلام العالمي متضمنا لما جاءت به "نظرية الحرب العادلة" من حجج مدافع على الرأي النقيض لتشومسكي والفيلسوفة جين بنكي إيشتاين، على أن حربي العراق وأفغانستان نموذج حاسمين للوضع السياسي الراهن "المتأزم" من شر الدولتين، لكن نوايا بوش ومحافظيه تصوغ ممارسة

(1) نعوم تشومسكي، الدولة المارقة، المصدر السابق، ص 354.

(2) المصدر نفسه، ص 355.

* مايكل والزر: 1935 Michael Walzer، فيلسوف ومنظر اجتماعي أمريكي تأثر بفلاسفة مثل ألبير كامو، تشارلز تايلور، كارل ماركس، جون راولز، نيكولا مكيافيلي عمل على نطاق واسع وهو مؤلف كتاب الحروب العادلة والظالمة 1977 تميز في مجالات مثل السياسة والأخلاق والعدالة.
https://fr.wikipedia.org/wiki/Michael_Walzer.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

مبررة أخلاقيا للحرب وبشكل عادل لما ورد في التراث المسيحي. ما هو تقييم تشومسكي لهذه الممارسة، هل هي عادلة لكلا الطرفين أم لا؟

في هذا السياق، يرى تشومسكي بأن المفهوم بالمقارنة مع ممارسته، قد أثار جدلا في المرحلة الراهنة للحضارة الإنسانية وبأخص الممارسة السياسية بين كل من مايكل والزر وجين بنكي إبشتاين، في حين يؤكد تشومسكي بأن فيلسوف مايكل والزر يقدم الأنموذج أفغانستان على أنه انتصار للنظرية الحرب العادلة، ولكن نظريته مستساغة ضمن الحجج بعيدة كل البعد عن أخلاقية السياسة الأمريكية وممارستها في الواقع فهو لا يطرح الممارسة من منظور يقيني، ومع ذلك تبقى على أنواع مختلفة من الممارسات الأمريكية في موضع الشك.

ومع ذلك ينظر إلى أن الحرب وتعاليمها لا تقوم وفقا لمبدأ ثابت، فهي على جدل وتغير على مجرى الزمن أساسا لظروف الطبيعة ومعايير المتغيرة والمحتكمة فيها، لكونها تحوي إطارا متعاقدا ومتعارفا عليه ضمن المبادئ والتقاليد على استمرارية وديمومة الفكر الإنساني السياسي الفلسفي، يمكن الرجوع إلى أصولها النظرية وإلى التقاليد العقائدية ضمن اللاهوت الأخلاقي الكاثوليكي في القرون الوسطى مع سان أوغسطين، فهي بموجب الأخلاق والحماية للأبرياء والمدنيين من مرتكب للخطيئة. بحيث فسرهما الفيلسوفان شيشرون** وأوغسطين على: «أنها الحرب التي تكون ثارا من الظلم إذا ما تغاضت الأمة أو الدولة التي تشن الحرب عليها عن معاقبة خطأ ارتكبه مواطنوها أو لاستعادة شيء ما جرى الاستيلاء عليه بغير طريق صحيح.»⁽¹⁾

من الواضح أن تشومسكي يرى بأن مايكل والزر يضمن للحرب العادلة مبادئ متقيد دائما بالقوانين والأخلاق التي يتوجب أن تكون تجربة العراق وأفغانستان مع الممارسة الأمريكية للحرب مراعاة لهذه القواعد

**ماركوس توليوسشيشرون: 106 ق. م - 43 ق. م *Marcus Tullius Cicero*، رجل دولة روماني ومحامي تشمل كتاباته الخطابة الفلسفة والسياسة، تميز منهجه بالنزعة الإنسانية الأخلاقية والسياسة تأثر بفلاسفة مثل سقراط، أفلاطون و أرسطو.

<https://www.britannica.com/biography/Cicero>.

⁽¹⁾أديفد فيشر، الأخلاقيات والحرب هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟ تر. عماد عواد الكويت، عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، للنشر والتوزيع، دط، 2014، ص 106.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الجوهرية للنظرية وهي: «أولاً»: السبب العادل للحرب، "ثانياً": إن تخضع لقضبة عادلة لتبرير الحرب ضمن سلوكياتها القانونية والقيمة الأخلاقية من المساواة والمعقولة، "ثالثاً": معرفة الهدف بطريقة عقلانية وتقييم طبيعة المعرفة ومدى تأثيرها ومصادقيتها في العواقب المحتملة، "رابعاً": إن تكون الحرب هي آخر ممارسة يتوجب القيام بها بعد عدة محاولات طويلة من السلمية وذات غايات من العقلانية الراجعة، "خامساً": إقامة الحرب وشنها علنياً في إطار من الأخلاق العادلة دون المساس بالمدينين، "سادساً": تجنب الحرب العامة غير المقصودة "سابعاً": موت الأبرياء والمدينين بعد الحرب وتحقيق الغاية لا يعني أن الحرب غير عادلة ما دامت آثارها تشمل الأضرار للطرفين». ⁽¹⁾.

وفي هذا المجال يؤكد بأن وجين بنكي إيشتاين* خلافاً لمايكل والزر فإنها تطرح النظرية بعمق بمقارنة لما تقوله: «فيما خلا المسالين بإطلاق وأولئك الذين يرون أن علينا بالأحرى أن ندع الآخرين يذبحوننا من دون عقاب لأن كثيراً من الناس في الخارج "يكرهوننا"، فإن الجميع تقريباً متفقون». ⁽²⁾. وعليه فإن تشومسكي يركز بشكل قوي على سلطة الخطاب لأن الممارسة للنظرية من وجهة نظر الفيلسوفة إيشتاين هي متعمدة وقصدية للشر من طرف السياسة الأمريكية ومساندة أفكارها في شكلها الارتباب لأفكار المحافظين الجدد وإدارة بوش الذين يحاولون التحجب والتظليل للأعمال اللا أخلاقية على أنها إنسانية ومع ذلك فإن تشومسكي يأخذ بفكرة الواضحة لإيشتاين على أن قصدية بوش ونواياه اللا أخلاقية تجيب على سؤاله «لماذا يكرهوننا؟». ⁽³⁾، بقمع العالم العربي الإسلامي.

ويؤدي تحليل تشومسكي لفكرة إيشتاين وللسؤال الكراهية لبوش إلى علة ذات بعد قصدي ينهي الخطاب على أنه يكمل حملة العنف والكراهية الممارس من السياسة في الواقع. وتسعى إلى إحياء الإرث اللإنساني الذي بلغ غاياته مع دوايت أيزنهاور في إعلائه لحملة الاستبداد والكره واللامبالاة للقيم ومبادئ الشرعية تجاه

⁽¹⁾ Mark Evans, Just War Theory: A Reappraisal. USA, Publisher: Edinburgh University Press, 1st edition, ©2005., p. 13

*جان بوليت بينكي إيشتاين، 1941-2013: Jean Paulette Bethke Elstein: عالمة في الأخلاق الأمريكية وفيلسوفة سياسية ومفكرة عامة في نظرية الحرب العادلة واللاهوت تم تصنيفها من جورج دبليو بوش في مجلس الوقف الوطني للعلوم الإنسانية تأثرت بفلاسفة مثل حنة أرندت، وكارل بارث، رينولد نيبور، مايكل والزر.

https://en.wikipedia.org/wiki/Jean_Bethke_Elshtain.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، الهيمنة والبقاء، المصدر السابق، ص 235.

⁽³⁾ نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 25.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الشعوب الضعيفة للشرق الأوسط، لذلك فإن التأييد لم يكن مجاله ينطوي في أخلاقيات الحرب العادلة لأن هجوماً على العراق وأفغانستان ذي غاية براغماتية لا تخضع لمبادئ القوانين الشرعية فهي وسيلة لتغطية على الرأي العالمي بأن واشنطن نظام إرهابي لهذا تكون جرائم الدعم للعنف من واشنطن واستبدادها للعالم الثالث وحمايتها للأنظمة الإرهابية كذريعة للتدخل الإنساني على أنها الدول متضمنة للإرهاب المناهض للمبادئ الدولية والمواثيق القانونية للهيئة الأمم المتحدة. ⁽¹⁾

ما يبدو في الحقيقة ظاهرياً من تحليلات تشومسكي لنظرية الحرب العادلة، استبعاده للرأي الذي يبرر لموقف المحافظين الجدد وإدارة بوش والجهة المفوضة لهما في واشنطن من أن القصف الأفغان وكذا العراق لم يكن في منطق اللعبة لأنها تقتصر معرفة كلا الطرفين بمجريات الواقع وتصفية العدو على المدنيين ولكن مهندسي السياسة الأمريكية وذوي العقول المدبرة ذات السيطرة مركزية التي تدير لغايات الإرهاب المريع في الواقع، لذلك يؤكد روبرت مولير (Robert Mueller 1944)، على أن عدم قابلية تشومسكي للأخذ بأدلة مايكل والزر لأنها مؤيدة للسياسة الأمريكية الغاشمة تجعل القوة هي الموقف الحاسم كالنزعة السياسية المكافيلية فهما على مؤازرة للطرف الأقوى بتفريق للإرهاب من واشنطن والحزب الألماني ضد غالبية المدنيين الأفغان والعراق ضحية ثأر المسيحي. ⁽²⁾، مؤكداً تشومسكي بحجة أن مايكل لم يضع الممارسة لنظرية الأفكار جانبا والإحاطة لما يغلب عن الممارسة في العالم الحقيقي فهو مؤيد للفكرة ثيوسيديس التي تقر: «أن يفعل الأقوياء ما يستطيعونه بينما يعاني الضعفاء ما يتحتم عليهم». ⁽³⁾، وهذه الفكرة مناقضة للعدالة وهي العدم ذاته الذي يدعون بالإنسانية إلى كارثة الهلاك.

وعلى هذا الأساس، فإن تشومسكي يجادل بشدة لعدالة الإنسانية على نقيض الرأي مايكل بتقويضه للرأي المناهض ضد مدافعي للسلام وحقوقية الإنسان والديمقراطية والحرية الإنسانية، لأن طبيعة الممارسة الأمريكية للإرهاب على أنه ذو شرعية تتناقض مع ما هو كائن في الواقع السياسي (العالم المعقول) لأن والزر وأفكاره العنصرية تركز على ما يتوجب، أن يكون لأن ما هو كائن في حربي أفغانستان والعراق يضعه

(1) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 25 26.

(2) نعوم تشومسكي، الهيمنة والبقاء، تر: المصدر السابق، ص 236 237.

(3) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 23.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

تشومسكي غير صلة بما تخول له نظرية الحرب العادلة الأوغسطينية. لذلك تنحصر ممارسات الإنسانية ومجرياتهما في طبيعة ذات هدم وانشطار للذات الإنسانية لكونه يبرر بِحُجَجِهِ مشروعية الإرهاب بمعزل عن تصوره للحقيقة الأفكار السياسية الأمريكية ومدى قابلية التكذيب للفكرة المحافظين الجدد بمن فيهم بوش الذي يؤجج للحرب بمزايا تمس بالذات الإنسانية وإبرامه لعقود مخادعة لإقامة الحرب على أن مزاياها عادلة وإنسانية. لذا يقول تشومسكي: «مهمة التهمة هي تبرير الكافي لخوض في القتل والتفجيرات دون إنذار العدو في أفغانستان وعواقبه غير متوقعة مع إخفاء السياسة الأمريكية لفظائع القصف عن دوائر المفكرين ووسائل الإعلام...»⁽¹⁾.

يعني هذا الأمر أن كشف تشومسكي لأساسيات الحرب العادلة والجانب الآخر الذي يتحجج به مايكل والزر للممارسة الأمريكية مبناه على صرحه الفكري، لا تمد بأي صلة لموضوعية الممارسة وهي غير يقينية مشكوكا في ما يرد من معرفة لحقيقة الواقع السياسي. ومع ذلك فهي تغطي الوجه الآخر للسياسة الأمريكية الخارجية تجاه دول العالم وتسعى لتظليل الرأي العالمي بممارسة للنقائض النظرية العادلة يجدر وصفها غير موضوعية وانحيازية لطرف الهيمنة والنفوذ وهي تمارس للغايات اللامعقول، لهذا يقول تشومسكي: «إن اتهامات والزر موجهة ضد افتراءات غير مدعومة بحجج بشأن إدوارد سعيد وريتشارد فالك* الذين يعتبرون أنصار السلام...»⁽²⁾.

ومع ذلك فإن تشومسكي غير رافض للنظرية الحرب العادلة ولكنه يدحض للفكر الذي لا يخدم الطبيعة البشرية، وغايات إنسانية ومبادئ الأخلاقية لكونه يرى أن رأي مايكل والزر يقتل منهج التفاؤل للحرية والديمقراطية في العراق وأفغانستان لأن كونية حقوق الإنسان في منطقة الشرق الأوسط مجهولة أمام التنوير غير عقلاني الذي يقوض حركية الشعوب في تقرير مصيرها، أو حتى الأفكار الداعية من هؤلاء مفكرين للسلام العالمي ضد المحافظين الجدد وإدارة بوش لأن منطق حججهم فاسدة لا تنطبق مع النظرية لهذا ينتقده

(1) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 156.

*ريتشارد أ. فالك: *Richard Anderson Falk 1930*، ناشط سلام وأستاذ جامعي أمريكي مؤيد للسلام و الحركات الاجتماعية ضد العبودية والاستعمار والتمييز العنصري والنظام الأبوي يحمي الاحتياجات الإنسانية، والبيئة، متكلم عن حقوق الإنسان الأساسية للشعب الفلسطيني .

https://en.wikipedia.org/wiki/Richard_A._Falk.

(2) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر نفسه، 156.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

بمبدأ محايد للرأي بقوله: «أنا أعتقد أنها بالكاد حجة ساحقة في قضايا العالم الحقيقي فإن ذلك لا يعد لجوءاً غير عادي إلى نظرية الحرب العادلة لتبرير لجوء واشنطن إلى العنف». (1)

أكثر من ذلك، ينطلق تشومسكي من حجج إلتشايين على أنها كذلك أبعد عن الرأي الصائب للنظرية الحرب العادلة بأن حق المدنيين والقتلى في الطالبان المدعومة من واشنطن في قواتها العسكرية تخل بشرط قصدية المدنيين غير المقاتلين ومع ذلك مؤيد للقصف لأفغانستان ليس بحرب عادلة مؤكداً أنه إذا ما كانت المواثيق الدولية تنص لمشروعية الحرب على شرور الإرهاب فإنه من البديهي إخضاع واشنطن للمنهج ذاته نظراً لما تمارسه من شرور مطلقة الأكثر إرهابية من إيران وليبيا ضد المدنيين من الأطفال والنساء في أفغانستان والعراق بغض النظر عن أمريكا اللاتينية فيما تظل عقيدة بوش التي مقصدها: «...إذا كنت تؤوي إرهابيين فأنت إرهابي وإذا كنت تساعد أو تحرض إرهابيين فأنت إرهابي» ومن ثمة سوف تعامل معاملة الإرهابي. (2) فهي لم تمارس ككلية سياسية، لأنها العقيدة المتعصبة للرأي حاسم ومناهض للقوانين الدولية وممارستها قاصرة سياسياً على الإنصاف لقضية عادلة.

وعلى هذا الأساس فإن تلك المبادئ التي تسنها نظرية الحرب العادلة والتي تمارس كحجة من السياسة الأمريكية يؤسسون بها المحافظين الجدد الحرية الداعية إلى السلام العالمي من الشر في نطاق الحق الديني والعدل الكاثوليكي الأخلاقي القديم، إلا أنها مناقضة منطقياً وفقاً لتشومسكي مع مُسَلِّمة بوش لأنه إذا كان قانون الرد المشروع على الجرائم الإرهابية فإنه يمارس بمبدأ يشمل كل الطرفين (أمريكا، أفغانستان، العراق) ولكن في عالم الواقع تضطر الدول للخضوع لحجة شرعية من واشنطن ولا وجود لأي شرعية على واشنطن لأن النظرية مسوغة بِدَقَّة تُعْلِي لِلْحُرِّيَّة الفردية لدولة ولصالح القوى الأمريكية البريطانية لهذا المبدأ تناقض مع الأخلاق الكانطية القائلة: «إن ما يرد بالضرورة من تلقاء ذاته في عالم المعقول فإنه يمكن تصويره بالضرورة في عالم الواقع». (3) وعليه فالممارسة الأمريكية من منظور تشومسكي لم تخضع في نظرية الحرب العادلة

(1) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 156.

(2) نعوم تشومسكي، الهيمنة والبقاء، المصدر السابق، ص 241.

(3) إمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي القاهرة، منشورات الجمل، ط1، 2002، ص 164.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

أي مطابقة بين ما هو واقع سياسي ولما كان محل لشك ومعقولية والتخطيط والمفكر فيه ضمن ميتافيزيقا السياسة لبوش ومحافظيه الجدد.

وفي التحليل السياسي لنظرية الحرب العادلة بأبعادها الأخلاقية والدينية يعيد تشومسكي النظر والتدقيق بحيادية في طبيعة الحجج التي تستعمل كمسلمات عقلانية في تبرير السلطة وأعمالها البربرية اللاقانونية على أنها تأسيس لإيتيقية العالم، إلا أن المعايير لا تقوم على أساس أخلاقي محض وإنما تمخضت عن فوضى الحادي عشر من أيلول وتنتهي إلى الفوضى في الحين يجادل كل من مايكل والزر وكريستوفر غرينوود* و توماس فرانك** لاتجاه اليميني المتطرف لإدارة بوش ومحافظيه على أن الممارسة الأنجلوسكسونية لها الحق في الدفاع عن الذات ومن الضروري تعريض العدو في أفغانستان والعراق إلى انقياده بقوة لما تفرضه السلطة العظمى بسيطرة وتفكيكه بالقصف.⁽¹⁾، إلا أن تشومسكي مناهض للرأي اليميني المتطرف في الممارسة مؤكدا للحجة كانت: «ينبغي أن تكون للقوانين جانبا موضوعيا ممكنا تستنبط منها كل القوانين الأخرى.»⁽²⁾، والتي يرى منها أنها المبدأ العام للتبرير الإنساني وتشريع للقوانين، ومع ذلك يجعل تشومسكي حجة وكريستوفر قائلة: «بقصف الذين تسببوا أو توعدوا بالموت والدمار في هجمات الحادي عشر من أيلول في الولايات المتحدة.»⁽³⁾، قانونا ذا شرعية أخلاقية انطلاقا من مبدأ الحرب العادلة الذي تحتكم له في الممارسة السياسية وتمكين لكل دول بما فيها نيكاراغوا وكوبا والعراق وأفغانستان وليبيا ممارسة الآلية ذاتها بشرط أن تكون طبيعة الممارسة تشمل كل الأطراف بشرعية لازمة ومتبادلة لكل الدول دون استثناء.

في حين يؤكد مفكرون بأن الحرب لم تكن في ظل الظروف من التفاوض مخلة بشرط العلانية للعدو في العراق وأفغانستان، وإدارة بوش أكثرها استباقية بتدخل لم يكن بكيفية قانونية ولا أخلاقية لعزلها للعدو طالبان

*كريستوفر جون غرينوود 1955: *Christopher Greenwood*، أستاذًا بريطاني للقانون الدولي في كامبريدج وقاض في محكمة العدل الدولية يمثل كمستشار للمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان مؤيد للولايات المتحدة الأمريكية في مشروعية استخدام القوة والعنف ضد العراق .

https://en.wikipedia.org/wiki/Christopher_Greenwood.

**توماس كار فرانك 1965: *Thomas Carr Frank* : محلل سياسي أمريكي مؤرخ مؤيد للحزب الجمهوري وصحفي لـ وول ستريت جورنال، ومؤلف كتاب ما الأمر مع كانساس؟ يحلل فيه الاتجاهات في السياسة الانتخابية الأمريكية وتأثير الحروب الثقافية على الحياة السياسية.

https://en.wikipedia.org/wiki/Thomas_Frank.

(1) نعوم تشومسكي، الهيمنة والبقاء، المصدر السابق، ص 241 242 .

(2) إيمانويل كانت، المرجع السابق، ص 108.

(3) نعوم تشومسكي، الهيمنة والبقاء، المصدر نفسه، ص 242 .

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

إلى مسرح الحرب في الواقع شنها هجوماً عدوياً دون أي إحاطة بالمدنيين المسالمين الأفغان والعراقيين ولا يخضع بوش لأساسيات الحرب العادلة ضمن النسق الوقائي لمنطقة التي اقترح لها الرأي العام شرعية مشروعية اللجوء إلى التفاوض الآمن بين القوة الأمريكية وخصومها لضمان الإجراءات الوقائية للمدنيين، إلا أن النوع الأفضل للسياسة في نظر تشومسكي في الإرهاب هندسته على النسق القيمي والأخلاقي وفقاً للأيديولوجيا الأوغسطينية ولذلك يبين بأن ريتشارد بيتس*** يكشف ماهية الممارسة الأمريكية: «إن إدارة بوش غير وقائية وهي بطريقة قذرة ومخادعة في تطهيرها للعمل العسكري الوقائي على أنه الشفعة». (1)

ومن ثمة فإن بوش يقدم تصور مغير لنظرية الحرب العادلة الذي يؤكد عليه يورغن هابرماس* في الممارسة المتداولة للسياسة الأمريكية لا تتناسب مع كونية الأخلاق أو العمل بها في الواقع، لأنها الجانب الذي يقتل الإرادة الجماعية في العراق وأفغانستان جراء الغلو في مؤازرة لأفكار بوش التي يعارضها مفكرو السياسة من ذوي استطلاعات الرأي العام التي تقوض الغرب على أنه مراوغ بالقيم الأخلاقية وقوانين السياسة. (2)، فتمثل نواياه المخادعة للغرب تجليات الأنا الجماعية بمفهومه الذاتي على أنه داع للديمقراطية ألكسيسستوكفيل في العراق المنتهك وأفغانستان مدمر بعبثية وللذان يعكسان فظاعة السياسة الأمريكية، ولكن تشومسكي يؤكد على أنها آلية مالبرانش* بين الديمقراطية المزعومة واستيلاء المفرط على النفط والموارد

***ريتشارد بيتس كيفين 1947 *Richard K. Betts* : مستشار اميركي في مجلس الاستخبارات القومي و وكالة الاستخبارات المركزية، وعالم في الحرب والسلام و العلاقات الدولية، قدم دكتوراه السياسة العسكرية، على يد صمويل هنتغتون.

https://en.wikipedia.org/wiki/Richard_K._Betts.

(1) Mark Evans, Just War Theory, Ibid , p. 27

*يورغن هابرماس 1929 *Jürgen Habermas*: فيلسوف ألماني ومفكر اجتماعي وسياسي في النصف الثاني من القرن العشرين. تطور النظرية الاجتماعية النقدية من الجيل الثاني لمعهد فرانكفورت، متأثر بفلاسفة مثل ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو و هيربرت ماركيز. برز في النقد الاجتماعي له نظرة شاملة للحرية والديمقراطية عمل في تخصصات كالأخلاق والقانون واللغويات والسياسة واللاهوت.

<https://www.britannica.com/biography/Jurgen-Habermas>.

(2) Noam Chomsky, La doctrine des bonnes intentions, Entretiens avec David Barsamian, traduction, Paul Shamla. Paris - France, Fayard Press and Publishing, 2nd Edition, 2007. p. 50

*نيكولاس مالبرانش: 1638 - 1715 *Nicolas Malebranche*، فيلسوف وكاهن فرنسي وعالم دين كاثوليكي تتلمذ على يد رينيه ديكارت وفلسفته مزيج بين ديكارت و القديس أوغسطين و الأفلاطونية المحدثة. له فكرة مفادها أن التجارب الإنسانية الحسية ليس لها سوى قيمة براغماتية.

<https://www.britannica.com/biography/Nicolas-Malebranche> .

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

بإقامة سياسة الحكم الذاتي بتأثير من النخبة الأمريكية لهذا تشومسكي يقول: «فهمنا في العراق أن الولايات المتحدة تريد الديمقراطية إذا كان بإمكانهم السيطرة عليها وهذا كل شيء.»⁽¹⁾.

لأن تشومسكي يرى أن الاستبعاد وإلغاء لفكرة الحرب العادلة غير ملائم في أوساط الفكرية فهي تمارس بمنهج يوافق فساد للجنس البشري وتستتر بها على صارمة القوانين والمواثيق الدولية وهذا المنهج الداعي إلى الإرهاب كقوة ضد الضعفاء لا ضدهم في «عقيدة مطلقة وعكسية»⁽²⁾، للفساد الجوهر نظرية الحرب العادلة، بغدوها كوسيلة للتبرير جهات اليمينية المتطرفة المؤيدة للقاعدة الإرهابية وللسياسة الأمريكية دون مراعاة للجوانب بيئية أو منظمات المجتمع المدني لأنها ممارسة بشكل أو بآخر لتهريب والتهديد والعنف ضد الجهات المدنية دون الإحاطة بموازنة ما تخلفه الحرب من خسائر وقتلى على البنية التحتية في كل من العراق وأفغانستان، فالولايات المتحدة تشرع للقوانين الحرب العادلة دون وعي العدو الطالباني في أفغانستان أو صدام حسين في العراق فهذه المفارقة السياسة، لهذا يقول تشومسكي: «بتلبية نداء الحرب العادلة فإن مواجهة الإرهاب أو أي منطق عقلاني آخر فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستثني نفسها من المبادئ الأساسية للنظام العالمي الذي لعبت الدور الرئيسي في صياغته وسنه.»⁽³⁾.

وعليه يحاول تشومسكي تأسيساً للنظرية من الناحية الممارسة حلقة الاقتران المفقودة بين مبدأي العمومية والتناسبية أي أنه ما ينطبق على السياسة الأمريكية كقانون للنظرية الحرب العادلة فإنه بضرورة الحتمية ينطبق في ممارسته على بقية الدول العالم ككل، وهنا يقارب تشومسكي لفكرة كانط* في أن تجعل السياسة الأمريكية في حق الالتجاء إلى مبرر أخلاقي كغاية مشروعة للجميع لفك التضارب الذي يحل فيه المجتمع الأفغاني بالانحياز بذاته إلى سلطة الطالبان ومجتمع البريطاني أيضاً إلى السياسة الأمريكية ما يتوجب إزاحة

⁽¹⁾ Noam Chomsky, La doctrine des bonnes intentions, Ibid ,p. 51.

“Chomsky a dit: On a compris en Irak que les États-Unis veulent la démocratie s'ils peuvent la contrôler. Et c'est bien ça...”

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، الهيمنة والبقاء، المصدر السابق، ص 241 242.

⁽³⁾ نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 157.

*إيمانويل كانط، 1724 - 1804 Immanuel Kant: الفيلسوف الألماني الذي عمل بشكل شامل ومنهجي في نظرية المعرفة، والأخلاق، وعلم الجمال من أبرز مفكري عصر التنوير تميز بمؤلفه في السياسة وهو مقال في مشروع من أجل السلام الدائم.

<https://www.britannica.com/biography/Immanuel-Kant/The-Critique-of-Judgment>.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الأطراف اللا معنية ضمن التدخل بقوة المعادية للعدو دون ضرر العامة، أو أنه سيقع كل من بريطانيا وأمريكا في أزمة التوازن لأن كلا منهما مثقل بالانتهاكات غير قانونية في ما يناهض حقوق الإنسان.⁽¹⁾

ومع ذلك اقترح تشومسكي لهذا التضارب أن يخضع لمبدأ الوسطية والاقتراع للسلام العالمي وفق تدبير دبلوماسية وقانونية أخلاقية ضمن الحرب العادلة فهي محاولة من الرأي العالمي في أن تنتهج الممارسة الأمريكية طرقاً أكثر سلمية ضد العراق وأفغانستان في حين الذي جادل فيه فرنسا ودولاً في أمريكا اللاتينية على التأييد لهذا المنحى كالسخط على جرائم الإبادة الوحشية أدى إلى الانعزال الهند وإسرائيل بعنصرية متحيزة للجهة القوية وداعمة للسياسة الأمريكية لمعارضة الشديدة للرأي العام العالمي بانتهاك واشنطن للمبادئ التفاوض السلمي كون أن السلطة وديمقراطيتها تأصل لحرية الممارسة للقوة الغاشمة والإرهاب المنفذ الجوهري لها تضمن فاعليته بالنخبة وقياداتها الفعلية النازية وعليه يقول تشومسكي : « لم تعرف نتائج استطلاعات الرأي في معهد غالوب (Inc, Gallup) طريقها إلى الولايات المتحدة مع أن الأخبار تناقلتها في كل مكان بما في ذلك أمريكا اللاتينية. »..⁽²⁾

ويمكن القول بأن الممارسة الأمريكية ونظرية الحرب العادلة لم تشخص للواقع المأزم سياسياً بحسب تشومسكي، الأمر ذاته منذ جون أنتوني جونيور* وهي على التدخل اللإنساني، ففي القرن الراهن ظل يتميز بأشكال جديدة لم يخول للسياسة الأمريكية معاقبة المخالفين للقانون الدولي إلا بمنهج يتعارض مع المبادئ العادلة للنظرية والقواعد الأخلاقية. لأن تبني الميكافيلية ولجوءها للقوة العسكرية لا ينتظر منها الانقياد ضمن شرعية القانون الدولي في أكذوبة الحرب على الإرهاب، فإن تاريخاً يعج بممارسات ذات سمة اللاشرعية واللاقانونية في عدائها ضد الدول بتغييرها للأنظمة الديمقراطية إلى الأوليغارشية فيها أكثر استبدادية ما يضمن التدخل بحجة الدفاع عن مشروعية الذات الأمريكية مبررة لممارستها الإرهابية في حيز أكثر انتقامية

(1) نعوم تشومسكي، الهيمنة والبقاء، المصدر السابق، ص 242 243.

(2) المصدر نفسه، ص 236.

*جون أنتوني كوبلاند جونيور John Anthony Copeland, Jr 1859-1834. وهو أسود حر بولاية نورث كارولينا عمل على تحرير العبيد على التمرد وهو أول زنجياً انخرط في جمعية أوبرلين المناهضة للعبودية. رفض استبداد السلطة في عهد جورج واشنطن لحرية الشعب الأمريكي البيض والسود.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

دون النظر إلى الحرب العادلة على العراق وكوسوفو وأفغانستان فهناك دولا انتهاكاتها تعسفا كقصف ليبيا (1986م) فهي حرب عقاب. ⁽¹⁾، وليست بعادلة لكونها محققة لشرط من الشروط التي سنها فلاسفة اللاهوت المسيحي أوغسطين وتوما الإكويني *وغروتوس *** بقولهم: بقولهم: «إن من تقاليد الحرب العادلة أن تقود المرء إلى استنتاج مفاده أن استخدام القوة العسكرية للعقاب فشل فهي تخضع لسلوكيات مقبولة عموما في الحرب». ⁽²⁾.

وأيا كان الأمر فإن تشومسكي يشق طريقا لممارسة السياسية لنظرية الحرب العادلة بأن تأخذ بمنهج التناسبية لكونه يعطي الحق في ردة الفعل ضد أي دولة تم انتهاكها حقوقيا أو إنسانيا أو سياسيا ومع ذلك فإن العلاقات الإنسانية والسلمية خصوصا مبررة على العنف ضدها كأفغانستان والعراق بتهمة الإساءة للزعيم الملهم حيال عملية الحادي عشر من أيلول وعدوانية واشنطن الأكثر عنفا ما هي إلا تقويض لشرورهما ولكن يرد تساؤل في عقل الإنساني عن الفظائع والجرائم العنيفة، ما إذا كان لسودان أي خرق للمواثيق الدولية؟ يؤكد تشومسكي على أن الشرور التي أثارها الحرب لم تحقق لأي غايات إنسانية معقولة وبه يكون مبدأ العمومية ⁽³⁾، يقتصر على الممارسة الأمريكية دون الدول الأخرى تعارض تقدمها الاجتماعي والاقتصادي من شعوب المنطقة فالديمقراطية العالم الثالث والدول الإفريقية تنزع لها استقلاليته بكيفية استبدادية يكون الإرهاب ممارسة أمريكية بتطهيرها الأعراق من أي نزعة تقدمية نحو الحرية وبأخص الشعوب الإفريقية تكريسا لفكرة الهيغلية القائلة: «إن الأفارقة محض كائنات لا قيمة لها». ⁽⁴⁾.

تعقيب نقدي:

⁽¹⁾ Mark Evans, Just War Theory, Ibid, p.50 .

**القديس توما الإكويني، 1224 - 1274: *Saint Thomas Aquinas*: عالم اللاهوت الدومينيكي الإيطالي، أشتهر في قضايا الميتافيزيقيا والخلق والعناية الإلهية، من أبرز سكولائيين في العصور الوسطى. طور فلسفته من مقدمات الأرسطية وأفكار أفلاطونية، متأثر بأوغسطينية .

<https://www.britannica.com/biography/Saint-Thomas-Aquinas>.

***هوغو غروتوس: 1583 - 1645 *Hugo Grotius*، عالم هولندي وفيلسوف وعالم إلهيات ولاهوت كتب حول قانون الحرب والسلام وهي إحدى أكبر المساهمات التي تطوير القانون الدولي . كما لقب بدبلوماسي الدولة أو "أبو القانون الدولي".

<https://www.britannica.com/biography/Hugo-Grotius>.

⁽²⁾ Mark Evans, Ibid, p.52.

⁽³⁾ نعوم تشومسكي، الهيمنة والبقاء، المصدر السابق ، ص 244.

⁽⁴⁾ المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

✚ ما هو واضح في فكر نعوم تشومسكي حول تحليله لمشكلة الإرهاب وأبعادها العملية في السياسة الأمريكية ينبع من "الانثيمولوجيا" الإرهاب باعتباره الفرضية الأولى للحكم على تصنيف الفعل وممارسته عبر تاريخ البشرية على أساس أن الإرهاب هو لوثة عقلية. / الإرهاب، حسب تشومسكي، له تأثير على الذات الفردية في فهمه للواقع السياسي والاجتماعي، على عكس ما قدمه فلاسفة مثل "جاك دريدا" و "جان بودريار" في فلسفة الإرهاب والمفاهيم ذات الصلة به؛ مثل: العدوان / المقاومة / الثورة.

✚ اتضح أن تشومسكي لديه ممارسة تحليلية ونقدية لإزالة الغموض عن الإرهاب، من مبدأ الحياد والموضوعية في تقويض هذه الظاهرة المشروعة والمحفزة للسلطة السياسية في المجتمع الغربي، وعلى وجه الخصوص الولايات المتحدة الأمريكية.

✚ الحقيقة حول الإرهاب، حسب تشومسكي، تكمن في النص أو المنطوق في الخطاب أو ما ورد في كتيبات الجيش. حرصه على موضوعية التعريفات الرسمية للإرهاب يجعل الفرد أو المفكر الواعي يتخذ موقفا عادلا في انتقاده لحقيقة الحكومة الأمريكية وأقنعة تشريعات السلطة بين الديني والسياسي.

✚ يضع تشومسكي الدليل الأول على أن الإرهاب هو البنية المستعصية على التفكير وغياب الوعي بعناصره الداخلية أو الخارجية، بينما يظهر عبر التاريخ تعدد ممارساته بطرق مختلفة ضد الدول المتهمة دون الولايات المتحدة. ذلك لا يعني هذا إرهاب النخبة الأمريكية؟ بل هي من أشكال المقاومة، فالذات تطرح ما يبرر شرعية عدوانها على الآخر ؛ غير «نحن».

✚ يمنح تشومسكي السياسة الأمريكية روح الحرية والمثالية في الدفاع عن حقها، إذا ظلمها النقد. فإن تشومسكي لا يشك في أن لديها حقا القدرة على الانحياز أو المواجهة من أجل تبرير حقها. لأن انتقاد الحقيقة يقود بالضرورة إلى الشك في نزاهة سن القوانين والحجج والأدلة التي تدعم نزاهتها السياسية وأبعادها الأخلاقية.

✚ يعلق تشومسكي مبدأ التأكيد على مفهوم الإرهاب وتعزيزه على أنه "استخدام العنف والتهديد والإكراه ونشر الخوف من أجل تحقيق أهداف وغايات سياسية ودينية وأيديولوجية". لأنه يفترض أن نية التصرف وممارسة الإرهاب بين السياسيين الأمريكيين المحافظين ينظر إليها على أنها مبدأ من مبادئ الحرية والحق، لذا مهما كان الأمر، فإن الحقيقة بديهية وواضحة على سطح ما جاء به ريغان أو جورج بوش. عقيدة الحرب على الإرهاب أو الحرب الاستباقية، وهي ليست سوى سيطرة القوة على الدين.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

✚ قوض تشومسكي فكرة بوش التبشيرية (الإنجيلية) على أنها تؤسس لأخلاق العالم من القوانين مستسقة في الكتاب المقدس مطلقة وتشمل عامة الناس ولكن هذه المثالية الغامضة في صورتها ساذجة ولا تمنح أفكارها بأي صلة للدين ومطالباتها بعالمية الأخلاق فقط من أجل التمتع بحرية ممارسة الإرهاب بموضوعية. استبعاد آثاره على صانعي السياسات (المحافظين) ذوي الشرعية التي تحافظ على ذاتها في مزيج من الأصولية الدينية والعلمانية.

✚ تُظهر فكرة تشومسكي الغرض الأساسي من وراء الإرهاب كمصدر للسلطة المركزية (الذات) الواعية بالشرور (الآخر). ما ينطبق على الآخرين باعتباره الشر نفسه أو الإرهاب ضد أنفسنا ينطبق بالضرورة على أنفسنا الفاعلة. لأن السياسة الأمريكية تخشى مبدأ التعميم أو الكلية الشرعية للممارسة، لأن واقع الإرهاب كظاهرة ليس له بعد معرفي، وإدراكه يستحيل على الإنسان أن يحكم عليه بمعيار الحقيقة والباطل.

✚ السياسة الأمريكية في شرعية حكمها لأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط كمصدر للإرهاب، إذ تدرك نفسها كدولة ترعى الإرهاب بكل أنواعه .

✚ يضع تشومسكي الدليل الثاني على طريقة بوبر (معيار القابلية للتكذيب) في الإنكار إذا كان الإرهاب يمارس من قبل حكم الإرادة الحرة والكتاب المقدس أو اتساقها القانوني كمقاومة أو دفاع عن النفس، فلماذا تعتبر الولايات المتحدة أحادية الجانب بالنسبة للآخرين في ممارسة آلياتها وقواعدها؟، الحقيقة أن غموض الإرهاب لا يكمن في كونه وباء مفاجئاً أو قوة مخفية عن العالم، ولكنه ينبع من الإرادة الحرة للولايات المتحدة الأمريكية.

✚ شرح تشومسكي، وفقاً للنهج الكانطي، أن أمريكا الدولة المارقة أو الإرادة الكلية هي التي تشرع الرعب ضد الطبيعة البشرية وتتهم مجموعة الإرادات الثانوية بأنها (دول التي تهدد العالم بهذا الخطر بما في ذلك الإسلام كمحور للشر)، وهذا هو السبب في أن شجاعة مثقف مثل تشومسكي تكمن في تصحيح الاعتقاد والنظرة المتشائمة لشعوب العالم بأن الإسلام هو أكثر عتفاً على الإنسانية والطبيعة البشرية بدلاً من أن يكون مصدراً للإرهاب.

✚ ما يعنيه المصطلح الإرهاب لتشومسكي هو أن الوعي الإنساني الأمريكي ينفصل عن فهم المبادئ الأساسية لحقيقة الإرهاب. لهذا يصور، لنا تشومسكي بشكل مثير للسخرية أن الولايات المتحدة والقوة، بما في ذلك القادة السياسيون، هي إرادة إلهية لهذا العالم، في حين أن بقية الأجناس البشرية تختلف عنها من

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

حيث المصادقية والإخلاص لقيم ومبادئ الحرية وحقوق الإنسان. لأنها تمتلك معرفة كاملة بمسار الواقع السياسي في شؤونها وحقائقها، فإنها لن تكشف للناس أن لديها مبدأ القصدية في العزلة والانفرادية، لأنها تدرك أن صدمة الحادي عشر من سبتمبر هي قيادة العقل الأمريكي إلى ثقافة الإرهاب أو جعله يدرك فكرة أعداء الحضارة (الإمبراطورية).

✚ نفهم من تشومسكي بأن تبني الإرهاب هو من أخلاق تبني الواقعية الميكافيلية في ثنائية الخداع والنفاق والانفتاح على الإرهاب ضد الشعوب التي يكون وعيها أعلى من الطبقة المثقفة، التي تدعو الناس دائما إلى العمل ضد الطغاة. وهذا مبرر كاف للمغالطات التي قدمتها حكومة الولايات المتحدة في تسمية الإرهاب أو مفهومه في المدارس والجامعات وفي القوانين التي يتم بموجبها تنفيذ الجرائم الدولية.

✚ الولايات المتحدة، من وجهة نظر تشومسكي، هي بؤرة الإرهاب السياسي، بحيث تمثل ظاهرة إرهابية تاريخية مرهقة للغاية يصعب على العقل تجاهلها. لأنها تترك وراءها حقائق تاريخية لا يستطيع الفرد تجاوزها، أو حتى الأدلة على ذلك وفير جدا وموجودة في الطبيعة البشرية لدرجة أن كل فرد مثقف يدرس بعناية بداية تشكيل دستورها وسياستها يجد أن العنف يبدأ بإبادة السكان الأصليين، على الرغم من أن لديها أساليب الدعاية وتزوير الحقائق، تماما كما استلزم إرهابها القانون وأحكام العقل الراجحة، من (1985) لكن مثل هذه التشوهات لا تخفى عن تفكير تشومسكي الذي يجعل من الطبيعة البشرية ميزانا لبلوغ الحقيقة.

✚ الإرهاب لا وجود له في الحقيقة. لذلك ندرك من إدراك تشومسكي أن تحليله السياسي جاد. لأن ما ليس له تصور كامل ونقي في العقل لا أساس له في الواقع، على الرغم من أن هذا مشابه لما قاله هيجل "كل ما هو معقول هو حقيقي"، وكشف تشومسكي أن المثقفين الأمريكيين استغلوا فكرة الأمم المتحدة التي تمنح الشعوب حرية تقرير مصيرها. إذا تعرضوا للعنف فلهم الحق في استعادته بالقوة، وقد أضافها الصقور (المحافظون الجدد) كترخيص لهم لتحقيق أغراض نفعية وبرغاماتية. وجاءت هذه الموافقة لتبرير ضحاياها والانتقام من العراق وأفغانستان، بالإضافة إلى إرهاب أمريكا اللاتينية.

✚ أشار تشومسكي إلى أن ترخيص الأمم حول (شرعية القوة) تبناها العقل الأمريكي، وهي فكرة خلاقة في كسب ثروات الشعوب وممارسة الإرهاب عليهم بحرية دون عقاب. هذا من ناحية. من ناحية أخرى، يواجه المثقفون الأمريكيون النوايا العدائية التي تحاول اختبار زيف النواة الصلبة في مشروعها الإمبريالي.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

لأن البراغماتية الأمريكية أساسية لفرض نفسها كقوة عالمية وهي تعمل على نهج كينيث والتز في شكل "التجربة" و "الفكرة الخلاقة" و "الخبرة"، وهذا ما أكدته تشومسكي.

✚ كشف تشومسكي عن نوايا الولايات المتحدة في إضافة كوريا الشمالية على أنها "محور الشر" الذي يدعم الشيوعية والإرهاب، ليظل الرأي العام بأن الهدف من وراء ذلك هو إدانة الإسلام والمسلمين كأعداء للطبيعة البشرية.

✚ نفهم من هذا أن نظرية الحرب العادلة لأوغسطين مستمدة من الفكر المسيحي وتمارس من منظور الحماية الذاتية أو التعتيم على حالة إجرامها بحجة الحفاظ على البقاء. كان مجرد جزء من فلسفة الفيلسوف الألماني ليو شتراوس.

✚ أكد تشومسكي أنه طالما كان للأيديولوجية النازية وجود في العقل الأمريكي، فإن الصراع سوف يقضي على "إفريقيا" و "العالم الإسلامي" لأنهما غير موجودين في أنطولوجيا التاريخ التي وصفها هيجل.

✚ تتجلى حادثة تشومسكي في إدانة المثقفين اليمينيين الاستبداديين الأمريكيين، وخاصة أولئك الذين يمثلهم أيديولوجية "مايكل والزر"، في إعطاء نظرية الحرب العادلة لدعم الإرهاب الأمريكي عن طريق دعم جهود واقعية غير مؤكدة بسبب تشككها في المسار الصحيح للواقع السياسي، وهي مكرسة للعقلانية الإجرامية والعدمية ضد الشعوب الضعيفة والأبرياء.

✚ يشير تشومسكي إلى أنه إذا لم يكن مثقفًا مثل مايكل والزر مدرّكًا لحقيقة أن أمريكا كانت وراء صدمة 11 سبتمبر، فإن العدالة الحقيقية تتطلب المسؤولية، والعقل الصادق، والشعور بالآخرين، ومبدأ الإحسان والتعاطف الإنساني. لأن المبادئ الواردة في أفكاره عن الحرب العادلة هي مكمل للمشروع الغربي وإخلاص للقوة الإسرائيلية المعادية لما قدمه دعاة السلام.

✚ تبرز أصالة تشومسكي أيضا في تقويض الحجة الملققة للإسلام بأدلة من داخل السياسة الأمريكية، حيث تمارس مبدأ العمومية بطريقة تخدم مصالح النخبة ومشروع العالم الغربي. ويؤيد تشومسكي مبدأ التناسب، الذي يسد الفجوة في اختراق القانون الدولي عن طريق فصل الشرعية عن الواقعية السياسية الأمريكية.

✚ يرد تشومسكي على أن أمريكا مركزية في نشر الإرهاب العالمي ورعايته في دول العالم. حيث تمثل الدول الصغيرة والضعيفة دور "القرصان" كما أشار تشومسكي من رواية أوغسطين. وسلط تشومسكي الضوء

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

على أن تلك الدول الصغيرة التي تظهر على الساحة الدولية كدول منافسة لـ "الإمبراطور" (الولايات المتحدة) بينما يتم فرض عقوبات جنائية عليها دون علمهم بالتمويل السري من الولايات المتحدة للإرهاب وحمايته عبر مبدأ الشرعية والتلاعب بالعهود الدولية لأغراض ضد الطبيعة البشرية، لأن مبدأ التناسب غير معمول به.

✚ يمنح تشومسكي طابعا جديدا للممارسة الأخلاقية، وهو مبدأ التناسب، كدافع أخلاقي يجب أن يكون أداة من قبل الدولة الضعيفة ضد الواقعية الأمريكية التي تنتهك حقوقها في حماية وتحرير شعبها من الظلم والعدوان الذي تدعمه الأقلية الفكرية في الولايات المتحدة.

✚ رؤية تشومسكي بأن التناسب هو إحدى قواعد العمل الأخلاقي والتشريع في القانون الدولي، لحماية حقوق الإنسان من الإرهاب الأمريكي، ولكل دولة منتهكة الحق في "الضرورة" أو "الاحتية" لانتزاع حقوقها بالقوة منها.

✚ يبدو أن التناسب الذي اقترحه تشومسكي كحل مفضل على الساحة الدولية صحيح، لكن الواقع السياسي يختلف من حيث طبيعة كل دولة. هناك دول لديها قوة (صلبة) مثل (الناتو)، وهناك دول لديها قوة (ناعمة) مثل الصين، بينما الولايات المتحدة الأمريكية لديها قوة (ذكية). مثل هذه الدول قد تفرض مبدأ التناسب، وهو لا يناسب دولا ضعيفا كالسودان أو مصر أو فلسطين، وهذا ما يخطئ فيه تشومسكي.

✚ يبدو لنا أن تشومسكي يقدم قوة الإرادة والطبيعة البشرية كأساس أخلاقي في مكافحة تمرد النخب الأمريكية التي تنتشر قيم الإرهاب والفساد ضد الشعوب. لذلك، تجده مغمورا في النموذج الكانطي، أن سياسات دول العالم الثالث وأمريكا اللاتينية ضد الواقعية الأمريكية يجب أن تمارس عن طريق محاكمة إجبارية يتحمل فيها المثقفون الأمريكيون نفس الدرجة من التداعيات والجرائم الإرهابية المرتكبة ضدهم بنفس الوسائل المشابهة للسياسة المرتكبة والإنصاف في أخذ الحق عن طريق التناسب والانتقام السياسي العادل.

ولكن طالما ما يشير نعوم تشومسكي و إدوار هيرمان بأن الممارسة السياسية للهيمنة الأمريكية للإرهاب تقوى من سلطة الدولة و يدعم البنية الاقتصادية بفعل تحيز وسائل الإعلام ؟

المبحث الثاني: السياسة وهيمنة وسائل الإعلام.

شهد العالم في القرن العشرين انفتاحاً على ثقافة جديدة يمكن وصفها بلغة تشومسكي "الدعاية المسييسة"، في الحين الذي ينظر لها بأنموذج اختزالي للعالم من الليبراليين والمتقنين التكنوقراطيين الأمريكيين على أنها ثورة ناتجة عن ذلك تراكم المعرفة وتفاعل بين نظريات الفلاسفة والعلماء في ترجمة واقعية للعقل الأداتي لتبسيط سيطرة الإنسان على الأشياء وتسخير طبيعة الكون. فهذا الجزء له تأثير فريد على الطبيعة البشرية والمجتمع السياسي، فيما تكون ثورة التكنولوجيا والإعلام على السياسة ملائمة للواقع، مثل الثورات الأخرى التي تقدم تفسيرات وآراء حول الطبيعة البشرية، مثل ثورات غاليليو (1564 - 1642) *Galileo*، وكوبرنيكوس (1473 - 1543) *Nicolaus Copernicus*، بحيث تقرض وجودها من منظور جزئي لمفهومها على الجمهور، وتكشف جوهرها على أنها تتمتع بمكانة إنسانية تنير العقل وتساعد على تجاوز الحواجز والعقبات.

لكن مع تشومسكي، ظهرت حقيقتها فيما يجب أن تمارس من أجل إعادة تنظيم "السياسة الكونية" نحو تحقيق مجتمع مثالي صالح لقيم الحرية وحقوق الإنسان، وإعادة فهم الرأي العام والتعبير عنه في ظل الديمقراطية، وهذه هي السمات الأولية التي تميز طبيعة "السياسة الإعلامية". هذا لا يهمل المجالات الاقتصادية والاجتماعية، حيث غالب ما ينجذب الناس إلى وسائل الإعلام ويبحثون عن ضرورتها وفائدتها من حيث المشاركة والتنمية والتواصل والحقيقة والمصالح الأخرى التي تشكل جزءاً من هويتنا وثقافتنا المنطقية المفترضة، العقل و"الحس السليم" كنموذج يمكن الجنس البشري من تلبية احتياجاته وشؤونه العامة.

ومن هذه الزوية نخرج على تحليل بنية النظام السياسي الأمريكي في ظل الممارسة والاستخدام "لوسائل الإعلام والتقنية" في الفضاء العام، وفقاً لما دعاه تشومسكي "البروباغاندا" تصوراتته حولها بأنها أداة كاملة لتبرير غايات السياسة الأمريكية نحو تحقيق "الإمبريالية"، فما مدى إنتاجية هذا الخطاب؟ ما هو مفهوم الدعاية؟ ما هي الطبيعة السياسية السائدة في ممارستها في المجتمع الأمريكي؟.

1- مفهوم الدعاية:

تعتمد السياسة على "الدعاية" في ممارسة "الحرب النفسية". أما، مصطلح الدعاية، لغة: هي الإشاعة باستخدام وسائل معينة، ومعناه اللاتيني (propaganda) يدل على نمط مخطط له في نشر، (لأيديولوجيا، أو خبر أو فكرة)، وهو لفظ، مأخوذ من مصطلحات الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (1633 م) لنشر وتكثيف المعلومات و الآليات، فيما تطورت في ظل سياسة نابليون.⁽¹⁾

الدعاية اصطلاحاً : بأنها وسيلة ذات سمة تواصلية تهدف إلى التأثير والتصرف على الجمهور وجعله يتبع نموذجاً محدداً للسلوك المستهدف الذي يحقق أهداف المتصل، وهو إثارة الجماهير بقضاياها وتصوراتها في الواقع،، التي تجتاح الجمهور مع لفظة الفعل. وهي سلاح قائم في المجال السياسي العسكري، بحيث يكون له حالتان عملياً، الأولى ضد الجماهير المعادية، تتمثل في قمع الطاقات البشرية والقدرات الأخلاقية، والحد من مصداقية شرعية الدولة والتحريض. يتفكك الأعداء يخضعون للاستسلام، وثانياً، يمارس مع الجماهير الصديقة لتعزيز الثقة وتأييد الحق والنصر من أجل الشرعية.⁽²⁾

أ- أنواع الدعاية: هناك ثلاثة أنواع من الدعاية.⁽³⁾

1) الدعاية البيضاء (*white propaganda*): موضوعية إلى حد ما لأنها تحدد بدقة مصدر أفكارها والمعلومات التي يتم نقلها، إلى الجماهير مع تحديدها المرسل.

2) الدعاية الرمادية (*gray propaganda*): لا تحدد مصدراً في ممارسة نشاطها، وهنا يمكن القول إنها تنتهك عملية الاتصال.

3) الدعاية السوداء (*black propaganda*): إنها تتظاهر بالموضوعية والنشاط، لكن مصدرها ليس المصدر الحقيقي، وهي خطيرة ولها إحياءات سلبية تتلاعب بالحقائق وتنقل إلى الجماهير كذبة كاملة على أنها يقين. يمكن القول أن أنجح دعاية هي التي تثبت حقيقة وصدق مؤسساتها.

⁽¹⁾ فخري الدباغ، الحرب النفسية، العراق، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ط1، 1979، ص 5.

⁽²⁾ بول روبنسون، قاموس الأمن الدولي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية للترجمة والنشر، ط1، 2009، ص 244.

⁽³⁾ المرجع نفسه، ص 244.

ب- الدعاية السياسية: (Political propaganda)

تميز مفهوم الدعاية السياسية بشموليته على ثلاثة أنواع من الدعاية "مذكورة سلفاً" حيث الفكر والممارسة، وذلك بسبب التكامل بين علم الدعاية والعلوم السياسية من حيث دورها المهم في تحديد الهوية الوطنية والتاريخية وثقافة شعب أو أمة واحدة. مع تحقيق التنمية في القيم الاجتماعية والعادات والأخلاق كثقافة الممارسات المحلية والإقليمية بين المجتمعات المختلفة عن طريق التفاعل الرمزي والمعاني المشتركة والتجارب التواصلية التي تقدمها الدعاية السياسية لحكومة معينة لتعزيز سياستها وتقوية ديمقراطيتها وإضفاء الشرعية على تمثيلها لهذا البلد وشعبه على المستوى الدولي.⁽¹⁾

يعرف جون بورتون (1932): *John L. Burton* الدعاية السياسية: بأنها نقل المعلومات بين الحكومة والمواطنين من أجل الحصول على التعاون والتبادل من الجماهير لبناء صورة جيدة في أذهانهم بأن الدولة تشرف على قضاياهم الإنسانية وتدعمها.

من ناحية أخرى، يعتبر هيونج جين مون (1979م) *HyungJin Moon*، بأنها الدعاية التي تكمن وراءها دوافع سياسية تتمثل في التعبيرات والرسومات والصور والوثائق والشعارات ذات الدلالات السياسية والسرية، وإظهارها ضد المعارضين للدولة بقصد خنق وفرز استطلاعات الرأي ضد الإهانات.

بينما يظهر معناها لدى فيليب تايلور (1954-2010) *Philip Taylor*، محاولة إعلامية للتأثير على مواقف الناس وآرائهم وسلوكياتهم، ووسيلتها نشر المعلومات وأجزاء من الحقائق أو الأكاذيب في محاولة منظمة للتأثير على الرأي العام أو التصويت لصالح حزب .

أشار دانيال كاتز (1961م) *Daniel Katz*، إليها على أنها وسيلة تستخدمها الأحزاب ومخاطبة مجموعات كبيرة من الناس ودفعهم إلى التجانس في رأي أو عمل يستهدف كسلطة كاملة تحتضن دعم وتأييد

⁽¹⁾ هالة محمود عبد العال، تقييم الدعاية السياسية في الانتخابات البرلمانية، القاهرة- مصر، دار العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2018، ص 83.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الغالبية العظمى من الشعوب بحيث يمكن للمسؤولين والمحركين الوصول إلى السلطة وفرض أيديولوجياتهم داخل المجتمع المدني.⁽¹⁾

2- الدعاية والإعلام السياسي عند نعوم تشومسكي:

■ تصور عام لوسائل الإعلام :

ما هو مهم وجدير بالثناء في كتابات تشومسكي هو نظريته الأساسية عن الإعلام، والتي تمثل مجالا فريدا لفهم وتحليل قضايا المجتمع والسياسة، لذا فإن مصطلح الإعلام يعطى كأداة تضيفي على أفكاره طابع العلاقة. بين السياسة الهرمية والتحليل والتأثير في الواقع الإنساني كونه الشكل الآخر بالنسبة إلى بعد إدراكه، بأن "الإنسان ذلك الكائن، الذي تقوله اللغة"، كما يدعي هيدغر (1976-1889) *Martin Heidegger*، فإن هذا المجال يظل يشكل مجمل العلاقات التواصلية بين الجموع الجماهيرية. وبصورة واقعية فإن تأصيل البدائي لعبارة "وسائل الإعلام" يتعدى نطاق فلسفة تشومسكي بالرجوع به إلى اللغة الرونية أي إلى وسائط التفسير والتنبؤ بالواقع ومستقبل الجنس البشري لما كان له تأثير في الدول الأنجلوسكسونية (الإسكندنافية والجرمانية).

لذلك يؤكد "اليسون" على هذا التأثير الضمني في كتابات فريد إنجليس "مقدمة لنظرية الوسائط". *Media theory an introduction* وهو ما يقيد الإعلام بهذا "المجال التقني ونمطه الوظيفي الغريب بإثبات معترف به علمياً على أنه محاكاة وتوافق مع ما هو موجود في الطبيعة، مؤلفة بنمط من النقاط مع صبغة ملونة على القماش لها تأثير تحويلي للواقع وما يتعلمه المرء مع التوقعات الحقيقية للمناظر الطبيعية هو في الواقع، إنه مشابه لأشكال وضربات الأحرف الرونية التي تصدر حروفاً تعكس الأصوات التي تعبر عن شيء معين".⁽²⁾

(1) هالة محمود عبد العال، تقييم الدعاية السياسية ، المرجع السابق ، ص 84.

(2) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid, p147.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

وتأتي نشأة الأطر الممارستية لهذه النظرية في "الدعاية والإعلام" لدى تشومسكي في غضون القرن العشرين ضمن وثيقة في منتهى السهولة تحلل واقع المجتمع الأمريكي وتأثيرات السياسة والإعلام عليه وعلى الدول الأخرى. "بتفكير ثنائي مشترك بين تشومسكي و إدوارد هيرمان (1925-2017) Edward S Herman. فيما استُوجِبَ تحديدهما للكتيب تُلخص فيه أسس السياسة الخارجية الأمريكية وموقعه الإعلامي منها صدر مؤخرًا بعنوان (*Media Control: The Spectacular Achievements of Propaganda*)، يحتوي على "نموذج دعاية" يعكس بنائه الذاتي جنبًا إلى جنب مع مساهمات هيرمان في شكل يمكن للفرد الوصول إليه في فهم العقلانية الغربية وتأثير الصحافة على البيئة الاجتماعية، والتأكيد على النظرة المعتادة للدولة الأمريكية ودورها في نشر الدعاية في مجموعة من المقارنات الضخمة له بين تأثير ودور الكلمات الإعلامية في فضاء اللغة. وكذلك في مجال الممارسة السياسية فهي مستقلة إلى حد كبير عن السلطة وتقدمية تخريبية صريحة، لهذا السبب يعتقد أن الدولة لديها نخبة تراعي مصالحها وبفعل الترويج لضرورة الإعلام، والهدف منه تمكين النخبة المتميزة التي تهيمن على المجتمع المحلي من إدارة سياسة الدولة، بحيث ترسي الدولة دورها في الدفاع عن الأجندة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية عن طريق وسائل الإعلام".⁽¹⁾

لقد قادت السياسة الأمريكية المجتمع إلى المواقف الصعبة ومزايمازومة تتجاهل واقع الإنسانية بإغراء سكانها، وكذلك بقية الدول الضعيفة، بتقريبهم من المساهمة في بناء نموذج للديمقراطية العالمية، والمثالية الأخلاقية، والمشاركة البشرية في الحقوق، بفعل الدعاية (*Propaganda*)، التي لها دلالات فلسفية في نهج تشومسكي، والذي يُعرّف بأنه "استخدام الدولة للوسائل التي تتحكم في الطبيعة البشرية عن طريق أدوات غير قمعية ولكن أيديولوجية. بواسطتها تساهم النخبة في الترويج لأحداث وأفكار ووجهات محددة. المرغوب فيها كالمواقف تحدد رؤية سياسية مقصودة لتشجيع الآخرين على ممارستها وتبنيها بشكل عملي، إنه أداء

(1) Neil Smith, Chomsky's: ideas and ideals, America - New York, Cambridge University Press, second edition, 2004, p.200 201.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

يشدد الصلة بالنخبة الحاكمة في دمج "الصحافة والتلفاز والراديو والمطبوعات مثل الدعاية والعروض والسينما" وثقافة الاتصال في عقول الناس.⁽¹⁾

لذلك، يجد المرء أن منهجية تشومسكي مبنية على تقديم إجابات تحلل واقع مجتمعه الأمريكي، وبالنظر إلى طبيعة تلك التأثيرات التي تؤدي بشكل خاص إلى مواقف أخرى مختلفة وغير متسقة، فمن غير المرغوب فيه اتخاذ هذا الرأي لدمج عقول الناس في الدعاية. لذا يقدم تشومسكي مثلاً على كيفية فهم المرء لدور وسائل الإعلام في مجتمع اليوم، مع تطور الوعي البشري . "كيف ذلك؟؟"

أظهر أن فن الإيحاء المطبق من قبل وسائل الإعلام، أبقى الجماهير مستقلة عن المشاركة في السياسة منذ ظهور "الفاشية" والشعب الأمريكي يتخبط في أطيايف الدعاية. قرر تشومسكي أن المسؤولية عن هذه المشكلة عالمية بقدر ما هي خاصة بالمجتمع الأمريكي وهذا هو سبب تقديم تحليلاته لطبيعة هذا النضال التقليدي. بعد اتباع "منهجه"، ستجد أنه وثيق الصلة بجانب من جوانب "الأدب الماركسي"، وهو الجانب الذي يفسر "موقفين" في المعارضة الإعلامية. عادة ما يصف "ملكية الدولة" والمؤسسات الأمريكية النخبوية للإعلام على أنها "ليبرالية"، و"تعددية"، وأخرى التي تسعى إلى منح الجماهير حق المشاركة وإخراجها من عزلة، "بصنع القرار" المستقل والتعبير عن السلوك الحر، بالماركسية.⁽²⁾

مما لا شك فيه أن الموقف المعارض للدعاية كما يراه تشومسكي هو أكثر ملاءمة من حيث الممارسة النقدية للسياسة الأمريكية بناءً على اكتشافات "علم النفس" السياسي "الفردية" و"الاجتماعية". وهو في الواقع له جانب يبدو أنه أكثر أهمية في تحليل مصطلح "الدعاية الأمريكية" حول "استخدام أحدث فنون الإيحاء" الذاتي التي يبدو أنها تعيد تطويق العقل الغربي وتبنيه بشكل عام على "المزايا" والمصالح البراغماتية التي تستفيد منها في ممارساتها الدعائية، وبطريقة أخرى تعمل على "إخفاء العيوب والأخطاء" التي تسببها النخبة الحاكمة لأن الدعاية تؤدي إلى انتهاك القيم الإنسانية وقتل قدرة أفراد المجتمع على الطبيعة الإبداعية

(1) عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، بيروت - لبنان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج2، د ط، 2015م. ص681.

(2) Alison Edgeley: ibid, p 148.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

وممارسة النقد العقلاني، أو الحكم على أكاذيبها على الدول الضعيفة وفضحها كسياسة وحشية بالحكم العقلاني الموضوعي. (انظر مرجع عبد الوهاب الكيالي، ص 681)

لكونها السلاح يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ، فإن احتمال مسؤولي السياسة الأمريكية للأخطار الأخرى الكامنة في الدعاية، هو ما يبقى الشعب الأمريكي تحت سيطرة وتبعية لفئة محدودة تديرها هيئات من "موظفي" و "مسؤولي الدولة" أو "كبار الرأسماليين". ولا ربما حذر تشومسكي من خطر وقوع وسائل الدعاية والإعلام، من قبل في أيدي كبار الدولة البراغماتيين، و لكنه يحاول هذه المرة حماية الجنس البشري من أخطر أنواع الدعاية التي تمارس لأغراض السياسة الأمريكية. وهي الدعاية "الخفية" و "المبطنة" التي يصعب على المرء اكتشافها، وعليه تكون الدولة تحقق أهدافها البراغماتية بفعالية على أنقاض الجماهير المجردة من الأحقية في السياسة وتحت "ستار" الديمقراطية وبعمرق، تهدر أيضًا حقوق المجتمعات والبلدان الأخرى بهذه الموضوعية الزائفة.⁽¹⁾

تكشف آرائه أن السياسة الأمريكية لها خلفية تربط الدعاية بنموذج القوة الموزع بين "الرؤساء" و "الموظفين" و "العاملين" في قطاعات "الصناعة" ومؤسسات الدولة بطريقة ممنهجة تضبط وضع الجماهير من إطار الذي يتعلق "بالإنتاج" و "الصناعة" بطريقة تعددية، فإنها تستبعد الطبقة الوسطى وأغلبية أفراد الطبقة العاملة من بعض الخصائص القانونية التي منح طبيعتها الليبراليون الكلاسيكيون للمجتمع الأمريكي الحديث لكن بشكل عام، لم يكن لدى الأفراد القدرة على اتخاذ القرارات في أنماط سلوكية واضحة والتعبير عنها بحرية إذ حاربتها وسائل الإعلام والرسائل السرية التي تضمن استقرار المجتمع الرأسمالي الصناعي، إنها تقمع حرية الفرد في التعبير عن مصالحه أو ممارستها الجماعية لأنها مخاوف سياسة الأمريكية كما أشار "جيمس بيرنهام" (1905-1987) James Burnham، من أولئك الذين يقودون الثورة ضد الطبقة الخاصة الحاكمة.⁽²⁾

⁽¹⁾ عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المرجع السابق، ص 681.

⁽²⁾ Alison Edgeley :ibid, p149.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

أدى ذلك إلى ظاهرة التلاعب بالرأي العام وأشكال القومية الأخرى في الولايات المتحدة بطريقة متعمدة من قبل أعضاء النخبة لفرض سلطة وإدارة النظام الجديد. ولهذه الأسباب يكون لكلمة "دعاية" دور حاسم في تفكير كل أمريكي، لذلك، كان نفوذ "الأقلية الملكية" يتركز عليه، ليس فقط في مجال العلاقات العامة والمواقف تجاه سلوك الأغلبية، ولكن أيضًا التلاعب "بالاتصال الرمزي" الذي يعكس وجود المجتمع وحرية، ولا ربما أن الدول التي لديها درجة أكبر من ممارسة الدعاية تتحدث الإنجليزية مثل الدولة الأمريكية نظرًا لحدة التأثير على سكانها مقارنة بممارسات الدول "الغربية والأوروبية" فإن تحليلها أو الكشف عنها في ثقافة المجتمع الأمريكي بصفة لن يجد المرء دلالة إنها تبدو صعبة التعقل من ناحية اللغة للغاية على نقيض "الثقافة الأوروبية" يؤكد "منطق بيرنهام" دورًا في هذا، وما يسمى عمومًا بالدعاية هي كلمة تعتبر أصولها براغماتية ومناسبة لتلك المصالح الأمريكية عند ممارستها « لأنها استخدمت لأول مرة منذ القرن السابع عشر في تنظيم الرومانية الكاثوليكية لأغراضها المادية وتحميل الكنيسة مسؤولية ممارستها في حملاتها وأنشطتها التبشيرية؛ حيث اتخذت شكل منظمة رجعية للقيم التقليدية للإيمان، مما يشير إلى ذروة الجريمة، ووصمة عار شريرة، تتدد بالأنانية وتعارض في (إنجلترا) البروتستانتية دفاعًا عن المبادئ والبرامج العلمية للعالم الجديد التي لاقت حياد الجماهير المناهضة لهذه الدعاية من الكاثوليكية». (1)

وهكذا، عندما بدأت في جذب انتباه الجماهير من قبل الأقلية الحاكمة منذ الحرب العالمية الأولى، كان من السهولة ممارستها والتركيز عليها كنشاط واسع النطاق لمؤسسي الأحزاب، بما في ذلك المحافظين واليساريين في السياسة. والدولة وكموجود له تأثيره في عمق الدراسات الأكاديمية العسكرية.

بالنظر إلى طبيعة المجتمع في ظل الصحافة القديمة، يجد المرء أن أصحاب رأس المال وأصحاب الدعاية داخل السياسة ومؤسسات الدولة الأمريكية هم مجموعات متعددة يمنحها تشومسكي "مكانة بارون الصحافة القديم". لهذا، تثبت الدراسات والتحليلات أن النموذج القديم مستقل بشكل أساسي، ويتطور من ممارسته للدعاية بهوية مجهولة تفرض وجوده البراغماتي على المصالح. لذلك، شهدت صعود تأثير قوي في مجتمعها التعددي بسبب الدعم الخفي الذي أنت أفكاره من "نظرية بيرنهام" الفلسفية (الثورة الإدارية).

(1) William Outhwaite: The Blackwell Dictionary of Modern Social Thought, USA, Library of Congress Cataloging and Publishing, 2nd Edition, 2003, P.529.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

وساهم ذلك في عمل انعزالي في الإعلام الأمريكي على وجه الخصوص، بينما كان تأثير الجمهور مدعوماً بزوال هذا الأسلوب السياسي الإعلامي بميل العمليات التحريرية للمشاركة في صنع القرار.⁽¹⁾

لا يزال يُنظر إلى السياسة الأمريكية على أنها نفس السياسة البريطانية، في ممارسة الدعاية تحت إدارتها الخاصة من قبل جمعيات مشبوهة ضد عدو معين (أمريكا اللاتينية ودول الشرق الأوسط) أن تكون أداة وسياسة تقوض نشر المعلومات وتكمن في كونها حججاً ذات مصداقية تسهل تشتيت انتباه الجماهير لهذه الدول تتمتع بمصداقية خصومها دون أن تمارس بريطانيا أو أمريكا تفنيدياً معقولاً؛ لهذا يتبين ببساطة أن الدولة الأمريكية هي أكثر الدعاية، ولكن بحكم افتقارها إلى تعريف الدعاية، فإنها تتخذ موقفاً دفاعياً من هذه الدول ضد نفسها، كونها إنسانية، وتصوير ممارستها هو محاولة لدحض الادعاء بأن معظم تلك الدول لديها نفس الحكم بأنها "غير شريفة وباطلة" لكن الدولة الأمريكية تصنفها بأنها معادية لها.⁽²⁾

لهذا السبب فإن النموذج الذي اقترحه هيرمان وتشومسكي كان قادراً على تحليل هذه النقطة على أنها "غير نزيهة وغير صالحة" إذا ما تم تطبيقها ضد الدولة الأمريكية. لأنها، بصراحة، لها غرض من ورائها، يضمن تشومسكي على أنه في المقام الأول بين "المرشحات المعيبة" للسياسة وتضييق وعي الجماهير في اختيار الأخبار عنها، وهو مؤامرة لضمان "الشركات الكبرى" التي تعمل على تطوير إنتاج واقتصاد الدولة. لهذا السبب تنشر وسائل الإعلام وجهات نظرها وتحجب معلومات الضعفاء وتطلعاتهم لأوضاع الفقراء "لتبقى أداة تقديم المصالح تحت سيطرتها، لهذا يؤكد تشومسكي أنها دعاية تحت سيطرة أقلية صغيرة من الشركات والعائلات، ووجودها متخصص وتأثير الآلاف من الصحف المنتجة التي تصل خارج نطاق سكانها، أي أن لديها نسبة كبيرة من التغطية المحلية الملموسة الداعمة لفئة النخبة الحاكمة والصغيرة في الدولة.⁽³⁾

وهو ما يتفق مع طبيعة الممارسة الأمريكية في ظل التصور الديمقراطي المثالي للسياسة الخارجية الأمريكية في جعل الديمقراطية والليبرالية مستمرة في السيادة ومناسبة للمصالح التي تخشى النخبة مخاوف

(1) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky :ibid, p149.

(2) William Outhwaite, the Blackwell Dictionary of Modern Social Thought :Ibid, P.529.

(3) Neil Smith, Chomsky's ideas and ideals: ibid, p.201.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

إجماع سكانها على رأي مخالف؛ تنشأ صعوبة أخرى بين الجماهير، وهي تجمع بين سياسة "مشوشة" بين "حرية الإقناع" و"الخوف من الإقناع". ويتم توظيفها من قبل الطبقة الحاكمة في جميع حملاتها وإجراءاتها الانتخابية؛ على الرغم من الأدلة، وفقاً لتشومسكي، على أن جميع الديمقراطيات الغربية والليبرالية، على مدى المائة عام الماضية على الأقل، لم تكن بنفس الديمقراطية الأمريكية نتيجة للضغط السياسي بفعل الدعاية.⁽¹⁾

لهذا يصل المجتمع الأمريكي في اتخاذ مصالحه إلى ذروة تكون فيها الخيارات محدودة للغاية، و لصالح الأقلية. بينما لا يزال الأبرياء في تلك البلدان الفقيرة تحلم بعالم سياسي مثالي على نفس التقييم العقلاني لدى تشومسكي الذي يسعى إلى جعل المجتمع الأمريكي يأخذ الحرية الكاملة في كشف الأكاذيب وجوانب الأخرى للمعلومات غير الموضوعية لتغيير السياسة الحالية بحرية دون الضغط على حرية الجمهور.

ففي ذلك، البحث عن موضوعية الحقيقة وفهم المرء للجوانب الاجتماعية للدعاية من المجتمع الأمريكي، بدأ ظهور العمل الماركسي، على عكس الديمقراطية الأمريكية، في الفضاء السياسي بالاعتقاد المنطقي على أن تلك القيود التي تركزها جهود الدعاية بسبب التبعية الداخلية للمؤسسات الإعلامية، ومع قوتها الهائلة، فإنها تؤثر على نطاق الأوسع على نمط الرأسمالية، الذي يحتوي على الاقتصاد الأمريكي والبنية الاجتماعية بسبب تركيز طبقة الأقلية على جوانب النظام السياسي فيما وصفه تشومسكي سابقاً بشكل فضفاض؛ ومن البديهي أن تتبنى تلك الطبقة المصلحة الذاتية فيما يخدم أصحاب وسائل الإنتاج، يبدو أن هذا الافتراض الماركسي هو تصحيح لنوايا غالبية الأفراد للتعامل مع المؤسسات الإعلامية التي لديها نفس الوسائل والأساليب للتأثير على عزلة الطبقة العاملة، ولكن هذه المرة بمساعدة الأغلبية لأنها ستفعل ذلك. لأن التقليد المحافظ لا يتنازل عن امتيازاته من النظام. وبينما ساد الاعتقاد اليساري، تفاعلاً مع الوضع الحالي بالثورة الاجتماعية التي تبدأ بتفسير تلك الحقائق والرسائل والأفكار الدعائية التي قد يهتم بها منظري الحزب الأمامية.⁽²⁾

(1) William Outhwaite: ibid, P.529.

(2) Alison Edgeley: ibid, p149.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

وهو ما يمكن قوله على أنه يساهم في دعم نمط السياسة الحالي بطريقة مروج لها بشكل إيجابي، بينما كانت صورتها انتهازية تعمل على أهداف قوة الدولة واقتصادها، تميل غالبيتها إلى الكشف عن النوع الثاني من الحقائق التي تقوي العائلات والشركات الإعلامية التعددية التي تخشى صعود نصيب أتباع الحزب الماركسي.

من الطبيعي تماما، أن يركز التقليد الماركسي على إظهار الأساليب الشائعة لتحقيق التحرر الجماهيري من تمييز الحقيقة عن أكاذيب النخبة ولكن يريد جعل الآراء والمعتقدات الأغلبية التي تقف في اليسار المعادي لسياسة الدعاية الأمريكية النخبوية ألا يتمسك بأن ممارسته جوهر الحقيقة، بالنظر إلى الوضع المتأزم، لهذا السبب في أن العديد من الثوار يعتقدون أن ما يأتي من الجانب الآخر لا طائل من ورائه.

بالنظر إلى ما تمارسه المؤسسات الإعلامية داخل المجتمع الأمريكي على أنه الباطل، هذا لا يعني أن يعارضه الآخرون، لأنه لا يوجد تعارض بين ثنائيات الحقيقة والباطل في الموضوعية، لذلك، كنتيجة للدعاية، هناك مجموعة من الحقائق التي يتبناها الناس بسرعة باعتبارها تمثل بحسن نية مطالبهم الاجتماعية والإنسانية، ولكن ما يفهمه المرء من تشومسكي على طريقة الأدب الماركسي أن الحقيقة بالكامل في أيدي النخبة، وأن هذه الحقائق ليس لها مضمون في الممارسة الفعلية، مصنوعة بقصد الخداع، لكن هذا النمط بين النخبة الحاكمة هو الذي ينشر ويعلن الأخبار مع بيان موضوعي في بعض الحالات التي يكون لدى الجمهور فيها هذا التصور التقليدي.⁽¹⁾

ما يدركه الليبراليون الاقتصاديون هو أن العلاقات الهرمية للسياسة الأمريكية ليست عقبة وحدها، لأنها تستمد سلطتها من الاقتصاد السياسي والإعلامي. لم تحقق الأممية أي تغيير اجتماعي أو تباين بين النخبة الحاكمة التي يصوت أعضاؤها مرارًا وتكرارًا مقارنة بالأغلبية، ولهذا يؤكد تشومسكي أنه إذا كان التحيز للأقلية في السلطة وموقف التعددية مسبقًا بفهم افتراضاته الدعائية والحالات الطبيعية ضد تلك الجماهير. وهو ما يعتبره "التقليد الماركسي" كتلة متعددة الأوجه تختار الرسائل والأدوات من أي جانب تختاره، ويخضع الكل لقراراته، التي تتدفق من الأعلى إلى "الطبقات الدنيا". بالطريقة المعتادة للدعاية التي يقرأ فيها الواقع

(1) William Outhwaite :ibid, P.529.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الاجتماعي "أكاذيب" ورسائل الأقلية دون توظيف العقل، بينما يعمل داخل المجتمع "كإبرة تضخ" الأفكار تحت الجسد الاجتماعي.⁽¹⁾

يأتي ترشيح السياسة الآخر من قوة الإيرادات التي يتمتع بها كبار المسؤولين التنفيذيين للإعلان للترويج أو شل قناة أو وثيقة سرية معينة تدعم الطرف المعادي، في إنجلترا، تمكن أفراد النخبة الحاكمة من زوال ديلي هيرالد، (*The Daily Herald*) كونها صحيفة تدعم الطبقة العاملة إلى حد كبير ولها جانب ماركسي مهم للغاية تم خنقها تدريجياً بسبب دعمها للطبقة العاملة، فإن بقاءها يقلل من الجهد الإعلاني للطبقة النخبة الاقتصادية ولتوفير مواد الإنتاج. تساهم وسائل الإعلام الدعائية الأمريكية في تهدئة الواقع المضطرب للشوار والجماهير ونشر المخاوف في الدول المالكة للمواد بفعل نشر أي خطر يهددها، مثل الإعلانات عن قوة سلاح الجو الأمريكي ضد الأعداء. والذي تضمن في صحيفة فلاك ما لا يقل عن (140) إشارة في كل صحيفة لهذا الخطر لتقليل المعارضة من الناس.⁽²⁾

هذا يعني دحض التقليد الماركسي العدائي، لذا تقوم بشكل موضوعي بتصفية الكثير من الأخبار لإقناع الجمهور بأن مصدرها غير صحيح. لهذا يكون لدى صناعي السياسة دور في التزييف والتثقيف والتجسس على أفكار الخصم، وكسب مصالح الأفراد إليه، سرعان ما أظهرت السياسة الأمريكية قوة الوعي الإعلامي العام الذي يتطلب موارد كبيرة للحفاظ على مصالح النخبة.

فإن الجمهور يعتقد بصدق أن كل ما يأتي من "قمة الهرم" صحيح ليس "كذبة"، ولهذا السبب صعوبة التغيير الاجتماعي هي أن أفراد المجتمعات لا يلتزمون بعقلانية بتحديد الموقف الذي تنشر فيه السياسة الأمريكية الحقائق ضد الشعوب الضعيفة وغير المريحة لسكانها. نظراً لأهمية المبالغة في التقليل من الحقائق، فإن المعارضة موجودة دائماً، نظراً لأن ما يدعم التقليد "التعديدي الليبرالي" وكذلك التقليد الماركسي، فإن الحقائق لها سمات التأكيد على كليهما لأن الموضوعية هي أحد الجوانب المشتركة وقد يكون نتيجة التقاليد "الكلاسيكية" المؤيدة للقيم الإنسانية والليبرالية "خداع" الأفراد لصالح التغيير العام الواقع المتأزم دون

(1) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid, p149.

(2) Neil Smith, Chomsky's ideas and ideals :ibid, p.201

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

وعني أو قول هذه الحقيقة في الواقع الحالي إن هذا ليس صحيحاً لهذا السبب يوجد في موقف تشومسكي هذا الموقف الذي يقسم الدعاية والأكاذيب يكمن في شرطين؛ مقارنة حقائق التقليد لما يمتلكه الأغلبية من المعرفة المتاحة حالياً، لذلك لا بد من الاعتقاد بأن الخطأ في "منشورات المعرفة" تأتي بقصد "خداع غالبية" المجتمع. لأن المحاولات والاعتراضات على الحقائق الحالية لوصفها بعبارات ومصطلحات غير "منطقية" لا يمكن تقديمها دون أدلة موثقة. لأن الدعاية تظل مثيرة للجدل أو مزعجة لمكانة المجتمع الأمريكي ومن نفس النوع مختلفة من ناحية التحديد الذي تكون فيه تلك الأقلية المهيمنة على وسائل "الإعلام كاذبة أم لا؟" فإن مثل هذه الظروف تجعل الأمر صعباً جداً على الجماهير.⁽¹⁾

ونتيجة لذلك، ترجع مرحلة صعوبة الحقيقة في الدعاية إلى تفاعل الجماهير مع "الانتقادات" المتضاربة بين كلا التقليديين التي تأتي من خارج الدولة كل تقليد لديه محاولة لإصلاح وتعطيل التركيز داخل المجتمع، بدرجات متفاوتة ودقيقة، أي مؤسسة إعلامية معترف بها بسبب "تقديم منتجاتها" لاحتياجات المستهلكين ومطالبهم لها مكانة غير محدودة، في القوى الإنتاج، فإن الطبقة الحاكمة تتدخل للضغط على مديريها ببعض "القيود البنوية". وبالتالي، في أن يكون لها موقف يعترف ويدعم حدود استقلال السياسة تجاه إطار "التعددية"، لكنه من ناحية أخرى يرفض هذه التعددية بين سكان المجتمع الأمريكي بحكم الخطاب الماركسي، الذي اعترف "بفك تشفيره" لترميز تلك المعاني والرسائل الواردة في الخطابات الإعلامية للنخبة الحاكمة لغرض الملكية وجعل طبيعة الدولة رأسمالية، لذا يعرف "غرامشي" (1971) Gramsci، أن المبادرة الحقيقية للجماهير تتم من تفويض البنية الفوقية التي تغذي الجماهير بمعاني الدعاية والانحياز إلى العكس، لأن الجماهير مثل "الإسفنج" يمتص "خطاب" أي تقليد دون فهم للحقيقة.⁽²⁾

لقد صنع "موقف الجمهور" المجزأ وتعددية التقليد السياسي الأمريكي للمرة الأولى وفقاً لتشومسكي بفعول دعاية الدولة المنظمة التي تمثل إحدى مرجعيات "السياسة البريطانية"، لذا كان للممارسة النخبة الحاكمة لهذا التقليد تمثل في "فضائع السرية" ضد (الهون)، ونظراً لتلك الطبقة المالكة لوزارة شمولية للمعلومات تمت السيطرة على فضاء الولايات المتحدة إبان الحرب العالمية الأولى، وتغطية الدولة بحكومة ثقيلة تعمل بشكل

(1) William Outhwaite, The Blackwell Dictionary of Modern Social Thought: ibid, P.529.

(2) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid, p150.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

سري موجه في صورة افتراءات جماعية ودعاية تستهدف "المتقنين الأمريكيين"؛ فإن الطريقة التي يتم بها تنفيذها هي من سذاجة عقلانية المتقنين الأمريكيين. لذلك، فتح المجتمع الأمريكي مجالا للممارسة يظهر جيدا في الوثائق التي ينشرونها للمصادقة على الدعاية. كان الشرط الأول الذي رآه تشومسكي لهذا التقليد هو "السيطرة على عقل العالم".⁽¹⁾

يظهر التحيز الدعائي للبرلمانيين الأمريكيين دائما باعتباره امتدادا "تشاركيا" لنهج سلطة النخبة في وسائل الإعلام البريطانية، نظرا لكونهم دولتين، فإن التحرر المناهض للماركسية يراه المرء من كلا المنظورين في التفاوض الهرمي وأي شيء يبقى الجمهور في ظل توتر دائم يسود بقوة في الممارسات والقواعد والتعليم والديمقراطية والمساواة الطبيعية والحقوق الشخصية للشعب الأمريكي من الاستغناء عن التبعية" للأقلية البريطانية". وبدلا من ذلك، يقدم هذا الشكل إنقاذ السيادة الشعبية، وبشكل أكثر دقة، يؤكد هيرمان وتشومسكي أن التحرر هو إحياء للعقل العام، وأن فائدة العمل في "التقليد الماركسي" هي مفتاح القضايا والأزمات الاجتماعية ويتم ذلك بطريقة "آلية وذرائعية"، مع معرفة وعقلنة الجماهير على أنها تميل إلى جوهر تقليد الحرية من القيود التي تفرضها النخبة.⁽²⁾

ما يعنيه هذا هو أن الدعاية الأمريكية ملفقة بين مثقفين من السياسة الأمريكية ووزارة الإعلام البريطانية الغرض من هذا التكامل السياسي هو محو منطق الكلي للإنسانية. لهذا السبب يقول تشومسكي: «إن اختراع وزارة الدعاية البريطانية ... مهمتها السرية ... هي توجيه فكر معظم العالم...».⁽³⁾

لهذا السبب، يرى كل من وليام غولدنغ (1911-1993)، *William Gerald Golding*، وغراهام موردوك أن "الثقافة" والفن "وأيدولوجية" المعنى والنص" هي الطرق الأولى لظهور ثقافة الطبقة الحاكمة البريطانية في نشر الدعاية. لأن التركيز ينصب على مثل هذه الأساليب التي تستخدم لغايات الرأسماليين في تقوية

(1) Noam Chomsky: by Michael Albert, Taming the Rascal Multitude, USA, Library of Congress Publishing, first edition, 2022, P 145 146.

(2) Alison Edgeley :ibid, p150.

(3) نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، الإنجازات الهائلة للبروباغاندا، تر: أميمة عبد اللطيف، القاهرة- مصر، مكتبة الشروق الدولية للنشر، ط1، 2003. ص 8.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الاقتصاد بينما يكون "العقل" ملفوفا بالموسيقى "واللغة" للتأثير على الوجود وعلى نفسه لضمان تدفق المعلومات حول اهتمامات الجمهور في الطلب، وهذا هو بما يتماشى مع نظام "السوق التجاري"، وتماشيا مع التقليد، يتزايد القطاع الخاص في "جني الأرباح" المادية للسيطرة الطبقة على الجمهور. وسائل الإعلام التي تملكها النخبة ماليا لديها أدوات تتحكم في عقول البشر. عن طريق عملية تصنيع الثقافة والفن والأحداث بالتجربة الوظيفية والواقعية الحية ليسهل التحكم في الذات الإنسانية بنمط يدعم قطاع رأس المال لهذا يؤكد كلا من هيرمان وتشومسكي بأنها قضية ذرائعية بقوة تستند على الموافقة التصنيعية بين الأقلية الحاكمة وإدارة علاقاتها العامة وال جماهير عن طريق الدعاية ونمط رأس المال.⁽¹⁾

3- بدايات ممارسة الدولة الأمريكية لسياسة الدعاية:

شكل العقل الأمريكي المبادئ الأولى لممارسة الدعاية، وفقا "لكتابات" تشومسكي من المتخصصين في العلاقات العامة. بدأ التقليد بانتخاب الديمقراطية (1916) مع مثالية ويلسون (1856-1924)، Woodrow Wilson، المناهضة للحرب، لم تكن هناك صناعة علاقات عامة، ولكن بالنسبة لفكرة تحتوي على شعار (سلام دون نصر)، بدأ موقف السياسة الأمريكية سلميا للإنسانية، بينما لم يكن لدى الجمهور رغبة في أن تتعارض دولة مع سياسة معارضة للحرب العالمية الأولى.⁽²⁾

لذلك يؤكد تشومسكي أن الطبيعة السلمية للدولة هي عدم قدرتها على حشد الجماهير، لذا فإن ديمقراطية ويلسون ترغب في جعل طبيعة "المسالمة" "نيتشويين" "مهووسين" بمناهضة الجرمانية وإرهاب الدولة، لكن هذا يتطلب وسيلة لتبرير الغاية. ووسيلة تبرير ذلك هو "الدعاية" التي ساهم بها بشكل أساسي أعضاء من الطبقة الحاكمة في إنشاء أول وكالة إعلامية رسمية للدعاية من أجل الحفاظ على تدخل الدولة الأمريكية، منحها الرأسمالي كريل (1876-1953) George Creel، لقب لجنة الإعلام وعلى الرغم من (أورويليتها اللطيفة) فإنها تلقي بالجنس البشري في صراع وعنف وتنتشر هذا التقليد بهستيريا شيطانية، يؤكد تشومسكي ممارستها

(1) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky: ibid, p150.

(2) نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، الإنجازات الهائلة للبروباغندا، تر: أميمة عبد اللطيف، القاهرة- مصر، مكتبة الشروق الدولية للنشر، ط1، 2003 ص7.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

للهستيريا في الدولة وخارجها عن طريق ممارسة السياسة بشكل أكثر فاعلية في غضون مهلة وجيزة، تحول قرار الدولة إلى قرار تنافسي.⁽¹⁾

لهذا فتح التقليد الأمريكي مجالاً، بشأن هذه الإنجازات من الطبقة الحاكمة تبين فيها السياسة حجج تبريرها بأن إعجاب الناس بالدعاية ليس موقفاً رأسمالياً مغرباً ولكنه موقف عقلاني تاريخي يحافظ على سلامة الجنس وعلى تفسير تشومسكي، تبرر السلام بالدعاية من نهج هتلر، قائلة إن تراجع ألمانيا في الحرب هو فقدان طابع الدعاية في الصراع، هذا جزء مفيد من الواقعية التقدمية لجون ديوي بفعل تربيته الموهوسين على المغالاة في القومية.⁽²⁾

على هذا الأساس، تشمل تلك التدابير الخاصة بنظام الدعاية تعليل نزاهة التقليد البريطاني والأمريكي الذي يدعم مصالح رجال الأعمال، فإن "طغيان الدعاية" ذو طابع ازدواجي "ضد الألمان، لهذا تحول "مجتمع الأعمال" الألماني وفقاً لتشومسكي إلى دعم الديمقراطية في الحرب العالمية الثانية للممارسة الدعاية بطرق أكثر خطورة "وكرد فعلاً" على السياسة الأمريكية تحول الواقع إلى دعم رهيب للغاية في مشاركة العامة للديمقراطية، لذا فإن قطاع الرأسماليين بدأ أكثر إعجاباً لتدفق "رأس المال" وممارسة "المهاجرين الجدد" لتنشيط رأس المال تغيير واقع الدولة ديمقراطياً مع تعاظم النخبة الحاكمة في الثراء بفعل سيطرة على معتقدات وأفكار الناس لإدارة مهام الطبقة.⁽³⁾

كخطوة أولية في ممارسة السياسة الأمريكية لنموذج الدعاية، ضم أعضاء اللجنة فلاسفة متخصصين في التفكير العقلاني والنمط النفسي للبشرية، مثل المفكر إدوارد بيرنز (1891-1995) *Edward Burns*، والفيلسوف والتر ليبمان (1889-1974) *Walter Lippmann*، حيث قاموا بإثارة فن التفكير الاستراتيجي تم توجيه أفعالهم إلى هيئة دعاية ويليون، المدافعين عن إبادة كل الأشياء الألمانية لهذا يؤكد تشومسكي أن القرن العشرين كان مليئاً بترويض "عقول الناس" من السياسة الأمريكية منذ الحرب العالمية الأولى على

(1) Noam Chomsky: by Michael Albert, Taming the Rascal Multitude, USA, Library of Congress Publishing, first edition, 2022, P 146.

(2) نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، المصدر السابق، ص 8.

(3) Noam Chomsky, by Michael Albert, Taming the Rascal Multitude: ibid, P 146.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الإذعان للديمقراطية التي ليست سوى امتداد للطبقة الحاكمة تمارس حرفيا نمطا منسقا من التفكير موجودا في كل من كتاباتهما التي تحظى بإعجاب كبار مجتمع الأعمال الأمريكي، لذلك يقدم تشومسكي حجة لييمان: بأن مرحلة العشرينيات تعلم كل مرء بوسعه السيطرة على "عقول الجمهور" وكذا "صناعة القبول" منهم إذا كان يتحكم في المواقف والآراء التي تبدو مناسبة إليه، بينما تمنح تجربة "بيرنيز" الطبقة الحاكمة استقطاب الأذكياء إلى مجتمع رأس المال بينما تمنح ممارستهم لصالح المجتمع «بهندسة القبول»، وهي آلية توجيه العامة كونها جوهر العملية الديمقراطية.⁽¹⁾

لا شك في أن التقليد في العشرينيات، كما يراه تشومسكي، بدأ يتفاعل أكثر مع الحركة "التايلورية" في زعزعة استقرار التقليد الماركسي، حيث ساهم في شكل من أشكال الصناعة ضد الطبقة العاملة، وهي خطوة منظمة وشاملة. لعمل أعضاء النخبة في صناعة العلاقات العامة، حيث تم استخدامها للدعاية لتعويد العامل في أدائه "كآلة"، لذلك كان "التايلورية" جزء كبير في تمرير الأشياء التي تسلب البعد الروحي والأنطولوجي لدى الجنس البشري فإن كفاءة "الكائن" صناعته بهندسة عالية وجعله من طبيعة الآليين، ونظرا لما تمتلكه من وسائل المنفعة الاقتصادية ورأس المال، استعاد البلاشفة تقاليدها "كأيديولوجية" للتأثير على المناهضين للحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي، لهذا وعى "خبراء" الطبقة الحاكمة إلى تنظيم المجتمع الدولي.⁽²⁾

مما يعني أن الغرض هو تحويل فكرة السيطرة على الطبقة العاملة في أي دولة من أنحاء العالم بشرط أن تكون السيطرة على العلاقات "وصناعتها شمولية" لأن أصل فكرة تحويل الجمهور إلى "روبوتات" تعني القضاء على "الثورة" التي تتبع جذورها من نطاق العمل وخارجه وبممارسة الهيمنة على "الفكر العام" يتم محوها لتقاليده الماركسية.

لذلك يرى تشومسكي بأن وعي الطبقة الحاكمة الممارسة للدعاية تعمل على ترويض الناس على مبدأ الابتكار والحدثة ونشر ثقافة الاستهلاك بأسلوب "الشكليات" والموضة "المروجة" المخصصة "لتفريغ العقل" من محتوياته ومن "الأشياء" والتركيز على الجوانب السطحية، لهذا السبب يظهر هذا الفراغ في الأفراد،

(1) نعوم تشومسكي، طموحات الإمبريالية، تر: عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2006. ص 24.

(2) المصدر نفسه، ص 24.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

باستثناء الأفراد الذين يدعمون هذا "التقليد النخبوي" المهيمن، ما يصفه تشومسكي بالفلسفة العنصرية «انعدام الجدوى» هو نشر الوشائات والعروض لدعم وكالات الإنتاج والمؤسسات الإعلامية دون أن يدرك الناس طبيعة هذا التعنيم والتدخل للسياسة في مجال العلاقات العامة. لقد أوجد "القطاع رأسمالياً" إنتاجية هائلة لأنه بناء على أفكار "أعضاء النخبة الإبداعية" واهتمام الأقلية الحاكمة بخطر الناس، تتولى "السيطرة العقلية" من مؤسسات المجتمع المدني بسبب الصناعات والإعلانات، ولأن "الجامعات" هي أساس التقليد المناهض "لليسا"، فقد تحولت مؤسسات المجتمع بوعي كبير للاعتقاد بأن ردع خطر الناس يقوم على "سيطرة النخبة" على المواقف والآراء.⁽¹⁾

من المهم في هذا المجال، أن ممارسة مبدأ الشمولية لا تقتفي بإخضاع الأفراد لنطاق معين. لهذا، هناك نطاق آخر من الدعاية السياسية يرى تشومسكي أنها تستخدم كوسيلة من قبل أعضاء النخبة بالطرق "الأكثر انتشاراً". والتي تستخدمها لتحقيق الأهداف الرأسمالية الاقتصادية من هذا الهدف للسيطرة على العقول البشرية، تتوجه السياسة للدعاية لدى الأفراد والجماعات لتخلق أعمال مثل المشاركة "للجيش" أو "التصويت لحزب" "بفعل الموافقة" على "قروض" رأس المال والمثير للاهتمام بأن نهج الممارسة للسياسة الأمريكية يتصرف في الميدان المخصص لما ينتج عن الناس من الأساليب التي يقيمونها لإدراك الظواهر الاجتماعية وطريقة التعامل والخضوع لمظاهر المجال الذي ينتمون إليه، وستقوم فئة الدعاية بالوعظ وبتعديل تصورات الطبقات الأخرى "وأحكامها التقييمية" ووعيها للمجتمع.⁽²⁾

غالبا ما يبدو واضحا من تشومسكي أن ممارسات الطبقة الحاكمة لا تستهدف أحيانا المجتمع الأمريكي عن طريق الدعاية التي تتحكم بها الدولة "لتخلق سلوكيات" لدى السكان باستثناء داخل أو خارج الجماعات السكانية. بل هو أسلوب الممارسة الذي اختارته الدعاية السياسية بهدف تفكيك المجموعة الاشتراكية من السكان وجعلها "فاترة"؛ وبطريقة يفرضها الحزب التقليدي اليميني المحافظ، الداعم لقرارات "الدعاية السياسية" في

(1) نعوم تشومسكي، طموحات الإمبريالية، المصدر السابق، ص 24 25.

(2) غي دورندان، الدعاية والدعاية السياسية، تر: رالف رزق الله، بيروت - لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط2، 2002م، ص 9.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الدولة الأمريكية وبنهج يقوم على قبول جميع الأفعال التي يرتكبها أفراد النخبة مع تبريرها بذرائع على أنها تقع في إطار الممارسة القانونية.⁽¹⁾

فمثلاً، إذا ما تعمدت "حكومة" لدولة ما من سحق مصالح تلك الأقلية من النخبة سوف تنظم السياسة الأمريكية دعوى دعائية لهذا الوضع موجهة إلى أي مجموعة من السكان من دول مختلفة لكي يسود الاعتقاد بين أعضاء المجموعة نفسها بأن المجزرة المرتكبة من الدولة الأمريكية لها ما يبررها وبطبيعة الحال فإن ممارسة الطبقة الحاكمة لهذا التوجه للدعاية وبفرض السياسة الأمريكية مثل هذه الإجراءات، فإن الغرض من ذلك هو خلق إمكانية عدم القبول السكان لهذه المذابح ودفعها إلى التظاهر ضدها يمنح لها الشرعية في التمرد على القانون الدولي لمنعها، لهذا السبب يعتمد عمل النخبة أكثر على الدعاية السياسية وليس على الدعاية البسيطة أو الاقتصادية لأنه يهدف إلى خلق وتدمير الآراء والأفعال، بينما لا يقلل هذا من أهمية جانب الآخر الذي يهيمن على العقول بمهام شراء المنتج والاستهلاك والإنتاجية؛ ووسائل إنتاج العمل محدودة للغاية من الناحية العددية لصالح النخبة الحاكمة فقط.⁽²⁾

قد لا يكون للسياسة الأمريكية إجراءات أخرى تعمل مع الجهود المبذولة لربط العواطف البشرية والتلاعب بها بحرية ومنحهم الشكل المطلوب من الموافقة، إلا في ظل أنظمة الاتصال الخاصة بأعضاء اللجنة الحاكمة والعمل على تشويه "قواعد السلوك". في ما يخدم "البنية المؤسسية" التي تهيمن على عامة الناس وهذا ما يهدف إليه مسؤولو النظام الإعلامي؛ وفقاً لتشومسكي، فإن وظيفته هي ترسيخ القيم والأفكار وترفيه الأفراد بشكل مبالغ فيه "بالرسائل والرموز"، بحيث يتم دمجهم بسهولة في المجتمع الرأسمالي الأعظم. لأنها على صلة بترتيبات أخرى لها ضرورة من استكمالها بفعل "الرقابة" الرسمية وتركيز على تلك "الغايات" بفعل السيطرة الاحتكارية للموارد في "البلدان الفقيرة"، وتتطلب السياسة الأمريكية دعاية منهجية لتغيير عقلانية تفكير الأفراد والمجتمع من وعيهم بعالم الثروة، وغالباً ما تعمل وسائل الإعلام في تلك الدول الفقيرة على زعزعة الاستقرار بفعل أيدي بيروقراطية تابعة للدولة الأمريكية لجعل تضاربات كبرى طبقية على المصالح

(1) غي دورندان، المرجع السابق، ص 10.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

والثروة وكسب السلطة وأدواتها من قبل المخططين الرأسماليين من أن يكون الإعلام المحتكر يخدم غاياتهم الخاصة بالإضافة إلى مصالح النخبة الحاكمة.⁽¹⁾

يجادل تشومسكي بأن مبادئ السياسة الأمريكية تعمل بطريقة متعددة ومعقدة تخلق إيقاعا يصعب فيه رؤية ممارسة النخبة لنظام الدعاية في موقف تمارس فيه المؤسسات الإعلامية للدولة نمطا من التمويه الذي يوجد فيه. عدم وجود رقابة رسمية تجاه المسؤولين ومديري رؤوس الأموال في تلك المؤسسات. غالبا ما يشركهم عملهم في ظل هذا الغياب للرقابة "كمتحدثين" باسم "المصلحة العامة" و"حرية التعبير" للمجتمع. ولها القدرة على المنافسة، خاصة على صعيد وسائل "الإعلام المؤسسية" والحكومية، التي ترفض أنشطة الأعداء المتنافسين بشكل منتظم، و"تهاجم" المخالفات" التي يتم اكتشافها بشكل دوري ضد الطبقة الحاكمة من جهة أخرى، لكن ما يبدو غامضا بالنسبة لتشومسكي أنه يمنع سر المواقف السرية والانتقادات التي تكشف عن المناورات والجرائم لهذه السياسة، لكن هذا يجعل الطبيعة المحدودة لمثل هذه المصالح بصرف النظر عن نهب موارد الدول الضعيفة باعتباره جوهر خلق عدم المساواة الطبقيّة في المجتمع الأمريكي.⁽²⁾

لهذا السبب يؤكد تشومسكي أن مثل هذه القضايا الإنسانية والاجتماعية لا تشغل مساحة "للنقاش" في وسائل الإعلام لكونه نظاما يدعم بتأثيره على المصالح التي تتعارض مع الأقلية والوصول "بفعل أدائه" إلى مشاريع التي تتلاءم مع التشجيع للديمقراطية الأمريكية، الأمر الذي سيزيد من توسيع مجال الدعاية كرادع للجماهير على مستويات متعددة من الهيمنة الخاصة، بما في ذلك نقل "الأموال والسلطة" ورسائلها إلى رجال الأعمال في المجتمع، وعلى هذا الأساس تظل خياراتهم ومصالحهم محدودة في الواقع، لأن الأساليب تتبع "نموذج" الدعاية وقوة انعكاساتها في سرعة نقل الثروة والسلطة إلى الجهة الحكومية المالكة والممولة، لهذا السبب يعتقد تشومسكي أن وسائل الإعلام رأسمالية عدوانية، تقوم بتصفية الأخبار المناسبة، وتهتميش "المعارضة" الجماهيرية".⁽³⁾

(1) Noam Chomsky, Edward S. Hermann, Manufacturing Consent: The Political Economy of the Media, New York - America, Pantheon Books for Publishing, 1st edition, 1994, p 1.

(2) Ibid: ' p1 2.

(3) Ibid: ' p2.

4- نموذج الدعاية (الموافقة على التصنيع) نعوم تشومسكي

وضمن هذا النموذج السياسي للدعاية يؤكد تشومسكي بأن السياسة الأمريكية تملك سائر الذرائع لتبرير هذا الاتجاه، الذي تتخذ في ظله غالبية الجماهير، لتحويل المجتمع إلى أكثر ديمقراطية وتغيير التقاليد الماركسية بمشاركة شعبية للسيطرة على العالم؛ و لا علاقة إطلاقاً بحقوق الإنسان العالمية طالما أن نموذج الدعاية يحتوي على مكونات وهي مجموعة تحدد بها الأقلية مصير الأغلبية يتم تضمين هذه المبادئ والمكونات لدى تشومسكي في خمسة مرشحات إخبارية بعناوين سرية وبرامج خفية لمخططي النخبة الحاكمة وهي⁽¹⁾:

1. الحجم في توجيه الربح للثروة، لصالح أصحاب الشركات الإعلامية ونهب الثروة والملكية العامة وتحويلها إلى ملكية النخبة المهيمنة مع التركيز بشكل خاص على وسائل الإعلام العالمية.
2. الدعاية والإعلان كمصدر أساسي لتدفق رأس المال للهيئة المكلفة بوسائل الإعلام.
3. تفرض وسائل الإعلام على المجتمع الأخذ بالمعلومات المقدمة إليه من قبل الخبراء الحكومة والاعتماد عليها لأن هذه المصادر الأولية الممولة من قبل وكلاء السلطة والشركات لصناعة الموافقة.
4. استعمال طريقة "الفلاك" (*Flak*) "كوسيلة لتهديب وضغط النخبة على سائل الإعلام؛ للتنافس ضد المواقف السلبية فيما يتعلق باستقلالية الأفراد في المجتمع برد على الرأي الإعلامي.
5. معاداة السياسة الأمريكية للشيوعية لكونها خطراً على الدين القومي وآلية للمراقبة مع تحيز وسائل الإعلام الليبرالية الأمريكية لتأديب الجماهير المتآمرة مع الشيوعية ضد النخبة.⁽³⁾

لقد وظفت تلك العناصر بطريقة متتالية عبر "المرشحات" ليتم تمريرها وتحويلها من "مواد" أولية إلى أخبار بعد أن استخدمت النخبة آلية التصفية للعناصر التي تؤثر على الجماهير، يتم نقلها للطباعة و"النشر" لكونها مطهرة صالحة وبدلاً من ذلك، لديها درجة من التفاعل مع الواقع وتأجيج الصراع تتفاعل مع باقي العناصر الأخرى على شكل عقدة بورمية ويكمل "بعضها الآخر"، "تاركة بقايا" التفاعل في أرشيفات النخبة السرية، فانبرى عليها قواعد ومقدمات الهيمنة، فما يستحق النشر لإفساد العقول يأخذ الأحقية القانونية في بناء هذه

⁽¹⁾ Noam Chomsky, Edward S. Hermann, 'Ibid:' p2.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الفبركة للخطاب، وتقدم تفسير يدعم مصالحها مع شرحها للتأثير البشري للعمليات المناهضة لسياسات المجتمع التي تبرر غاياتها عن طرق تحدد ما يرقى إلى مستوى الفعل في العاطفة الجماهير بفعل " الحملات الدعائية".⁽¹⁾

لهذا تجد النخبة طريقها إلى الواقع بممارسة المؤسسات الإعلامية الخاضعة لسيطرتها على العمل بتلك "المرشحات" الموظفة خصيصا ضد المصالح الشيوعية لقمع الطبقة العاملة والسيطرة عليها وتهميش المعارضة الناتجة "بشكل" عفوي عن المجتمع المتفاعل مع تلك الأخبار الإعلامية التي يفرضها مهندسوها؛ فإزاء هذا الواقع الذي تمنح فيه السياسة الأمريكية "الموضوعية"، يعمل أفراد النخبة ومسؤولو المؤسسات الإعلامية على "نزاهة" الديمقراطية و "حسن نية" تقدم اللجنة للمجتمع تراجعاً للقيم على أن عيبه يقع على سكانها هم "أنفسهم" يعارضون الواقع بنمط "متكرر" لأن لديهم قدرة محدودة على تفسير و "انتقاء الأخبار"، وهذا يجعل المجتمع الأمريكي مقتنعا تماما بأسس القيم "المهنية" و "بالموضوعية الإخبارية" النابعة عن هيئات الطبقة الحاكمة.⁽²⁾

في هذا السياق، تغيرت مفاهيم الموضوعية في الإعلام الأمريكي بسبب السياسة الأمريكية التي تروج للدعاية كأداة بشكل غير مرئي في المجتمع، لكنها أكبر جرأة تم تكريسها "للقوة الهائلة" المستخدمة، في "الحرب" (1914-1918) "، يعتبر تشومسكي على أنها إهانة للقيم الليبرالية الكلاسيكية لخدمة أهداف مشروعة لصالح الأقلية الحاكمة. ومع ذلك، من وجهة نظر "أخلاقية"، فإنها تدمر أعراف المجتمع في استخدامها لخدمة غير قانونية ضد "الرأي العام"، لأنها تخلق قيم جديدة مثل "الانتماء" و "الولاء" للأهداف الرأسمالية والنفعية في إخفاء الحقائق الموضوعية عن الجماهير، وحقنها في الناس بأنماط من التحريض ضد "الحكومات" التي تم تنصيبها ديمقراطياً، بينما أشعل الوضع السياسي حركة الأفراد المعادين لحركة

(1) Ibid: ' p2.

(2) Ibid: ' p2.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الدولة على مستوى العلاقات الدولية في الانسجام مع الديكتاتورية" المتحالفة "مع هيمنة السياسة الأمريكية لردع شعبها.⁽¹⁾

وعلى هذا النحو، فإن هذه "التقنيات" ليست مكلفة لأعضاء النخبة الأمريكية من استنزاف الطاقات الإنتاجية لردع مثل هذه الدول المعادية، تمثل الوسيلة الوحيدة لتقليل إنفاقها الرأسمالي على إثارة العنف والفساد بالطرق "الديمقراطية"، والتي من وجهة نظر "هارولد لاسويل" (1902-1978م) *Harold Laswell*، الدعاية تتوافق مع تدفق رأس المال واقتصاد الأقلية، ظلت عقول شعوبها غير مقيدة بتقاليد الإنسانية، لأنها موجودة في "الأدوات" التي توجه المسارات التي تستدعي التدخل الأمريكي في إدارة الرأي العام بطرق شمولية عبر الاتصال الجماهيري في ("التلفزيون والسينما")، نظرا لما تخلقه برامجها في عقول الأفراد من كذبة وأوهام ثورية تضمن استقرارهم لمكانة السلطة المرتبطة بالسياسة حفاظا عليها من انهيار التقاليد الرأسمالية.⁽²⁾

لهذا غالبًا، ما تطبق السياسة الأمريكية أفكار ومبادئ التكيف الكلاسيكي في تعويد الجمهور على "سلوكيات" "الرؤية" التي تقش في تغيير الواقع السياسي، لأنها أكثر فعالية من حيث التحكم في الحس الشعبي الذي ظل مدافعا على سلطة الدولة بفعل السياسة وأدواتها الإعلامية، ولأن هدف النخبة هو إثارة تلك الحشود في موقف ليس في صالحهم أو معاديا لامتيازاتهم، فقد كان هذا الإغراء فعالا في تخليص السياسة الأمريكية من أعداء الديمقراطية، لأن واقع ممارسة السياسة الأمريكية في نظرة تشومسكي لتجربة "إيفان بافلوف" (1849-1936م) *Ivan Pavlov*، هندسة الجماهير على اعتماد الاستهلاك على الثقافة الرأسمالية والاقتصادية عن طريق "تداول" "ونشر" "الرموز" التي "تؤثر" على الأشخاص الذين ليسوا على وعي بوجود ذواتهم، فقد تم "التثيؤ" الجماهير كآلات في "الحرب"، كنتيجة لازدواجية "التحفيز والاستجابة"، كانت الدعاية إلى حد كبير أداة السياسة الأمريكية "لهزيمة" أعداء القيم الرأسمالية ومبادئ الديمقراطية البراغمية (على سبيل المثال، انعدام النازية).⁽³⁾

(1) أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، تر: نصر الدين لعياضي، الصادق رابح، لبنان - بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005، ص 47.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، ص 48.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

من المؤكد، وفقاً لتشومسكي، أن مثل هذه التأثيرات المباشرة على عقول الأفراد من قبل السلطة الحاكمة هي دافع لمشاركة هذا الجمهور في قبول السياسة والواقع الإنساني بإرادة عمياء لأولئك الذين يسعون لتغيير أفكارهم في طريقة محورية تتبع من إبقاء الدولة الأمريكية. نتج مثل هذا التأثير عن أفكار " غوستاف لوبون (1841- 1931) *Gustave Le Bon*، "، التي يرى " لاسويل" أنها دعاية نفسية للناس ككل تعمل على مبدأ "الإبر المخدرة" في الإلهاء التدريجي لوسائل الإعلام وتبديدها للقيم الثورية امتثالاً لها، مع تقليد الاستهلاك والثقافة المادية الرأسمالية، وهذا هو سبب تراجع دور التيارات اليسارية في الدفاع عن القيم الليبرالية الكلاسيكية في المجتمع، لأن "التجربة السلوكية" زادت من حجب الجماهير عن المشاركة السياسية. (1)

يتم ذلك عن طريق التحكم في النبضات الغريزية والتلاعب بها بواسطة قوى مبرمجة وفقاً لنظرية "الدافع" أو "الحافز" لوليام ماكدوغال (1891-1938) *William McDougall*، "، بحيث رسخت هذه الطبقة الحاكمة في المجتمع الأمريكي فكرة الذرائعية عن طريق وسائل الإعلام، لتكمل جوهر الكينزية الرأسمالية، بدعم من الجماهير المتأثرة بالاستهلاك الهائل والإنفاق الضريبي لدعم الشركات والصناعات ذات القطاع الخاص للنخبة المهيمنة، لذا فإن ممارسة الولايات المتحدة لمثل هذه الأيديولوجية في السياسة، خاصة في البلدان المتخلفة التي تحتوي على موارد ومعادية لها من جانب الجمهور، بحيث تعمل وسائل الإعلام والدعاية في هذه الحالة سر على ترهيب الحكام باهتمام دائم في إقناع الجمهور بأي ذريعة لتشيويه الدولة، مثل الدعاية لها بأنها دولة إرهابية ومهددة للقانون الدولي. (2)

يتم تطوير التناظر بين السياسة الأمريكية والرأي العام من قبل المؤسسات الإعلامية والمحطات الإذاعية الرأسمالية. لا تقتصر حرية مسؤولي النخبة على دراسة أوضاع الجماهير الثورية أو تمرد الدول على القادة الثوريين والإصلاحيين، ولكنها تتفاعل مع اللجان المتآمرة ضد اليسار، مدعية أن اليونسكو غالباً ما تتعارض مع مصالح الأقلية ورجال الأعمال. ومع ذلك، فإنه يوفر الدعم الإنساني للسياسة ضد الرأي العام العالمي مع الأكاذيب المزعومة التي وافقت عليها النخبة العليا. يؤكد "لاسويل" أن التضامن الفكري والأخلاقي بين

(1) أرمان وميشال ماتلار، المرجع السابق، ص 48.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الشعوب مرتبط بأخلاق العلم وآليات نشر الحقائق بموضوعية، وتؤكد على ظاهرة حرب العوالم والمعلومات المضللة من شبكة "سي بي إس" (CBS) ⁽¹⁾.

لتقويض الاستقرار النفسي للجماهير عبر التفاعل مع الحرية الفكرية والثقافة الإنسانية المرغوبة «من اليونسكو التي تصنفها بريطانيا وأمريكا كمؤسسة "شيوعية" اشتراكية"، فإن القضاء عليها عن طريق إدخال دعاية مضادة بأفكار "عنصرية" ذات "النمط الفاشي"» ⁽²⁾، لأورسن ويلز (1915-1985م) *George Orson Welles*، في السياسة معتمدة على آلية عروض الفانتازيا في الإرهاب وترويع للأمريكيين بطرق ساذجة، بينما يفترض الرأي العام بشكل انعكاسي أن "تخيل المريخ" هو الحقيقة، فإنه يتغاضى عن التلاعب الدقيق للطبقة الحاكمة التي تُمكنُ انتخاب فرانكلين روزفلت (1882-1945) *Franklin Roosevelt*، من تغيير السياسة إلى اهتماماتها الرأسمالية الديمقراطية. ⁽³⁾

فضلا عن ذلك، يؤكد لاسويل أن إدخال مصطلح "الدولة الرفاهية" من السياسة الأمريكية في برامج الدعاية هو طريقة جديدة لفحص مدى التفاعل العام مع النخبة الحاكمة وسلطانها الرأسمالية، لذلك فإن تحليل "استطلاعات" الرأي العام بآليات "علم النفس المرضى" لعلماء اليونسكو لتحديد مدى تأثيرات هذه "السياسة الجديدة" لروزفلت على المواقف الثورية بطابع "الدعاية السياسية"، التحقق من المواقف الثورية للجمهور " (1932م)"، هي نقطة تغيير التقليد الماركسي بسبب تفسيرات لاسويل "للسلوكيات" التي تطورت بجذورها الأيديولوجية من "دعاة الثورة وقادة الإصلاح"، بالاعتماد على تحليلاتها الأنثروبولوجية حول مفارقة "اليونسكو" لمبادئ العقلانية والأخلاق، لقد ارتبطت بتعبئة الجماهير بفعل الثقافة والتعليم الطوباويين اللذين يقسمان المجتمع الأمريكي إلى "الإعلام الثوري" الحالي، وآخر يصوغ السياسة مثل تعدد مصالح وأهواء النخبة. إن

(1) أرمان وميشال ماتلار، المرجع السابق، ص 49.

(2) Koichiro Matsuura, UNESCO World Report: Investing in Cultural Diversity and Intercultural Dialogue, France, United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization for Publishing, 1st edition, 2009, p. 238

(3) أرمان وميشال ماتلار، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

ممارسة ما قبل الانتخابات ضد الجماهير هي إحدى الأدوات والتقنيات الرئيسية لإظهارها عبر تعبئة الجماهير لإخراج الدولة من الأزمة الديمقراطية.⁽¹⁾

إن فكرة بناء الأمة وبناء العلاقات هي خدعة لاسويل مكرسة للسيطرة على "العقل العام"، لذلك أثار علمه "التقني" الجديد للدعاية إعجاب "أدولف هتلر"، في حين أن الاتجاه الرجعي في السياسة الأمريكية في الدفاع عن القيم الرأسمالية، والذي تم رفضه بسبب خطورة تلاعبه اللإنساني في تقويض قيم الليبرالية الكلاسيكية، فإن مكانة وموضوعية العلم بالنسبة لليونسكو ستمكن السياسة الطبقة الحاكمة من الاستفادة من الجاهلين والأذكياء في المجتمع عن طريق تلقين "الحكام الطبيعيين" للجمهور الاعتقاد بأنهم مسؤولون عن نشر الأساطير والحقائق التي تقوض وتتجاهل "العقل العام" بينما تأتي مرحلة المدافعين الأذكياء عن التقاليد الرأسمالية والمتعاقدة مع لجان "مجتمع الأعمال" الأمريكي من صياغة المصطلح. "دولة الرفاهية" هي تعبير ضد النظام الذي يقوض مبادئ السلام والحرية والديمقراطية لأن الدعاية الحديثة أكثر تطوراً في أيدي الشيوعيين المعادين، بينما مسؤولية النخبة الأمريكية هي إدراك هذا التهديد اليساري للسياسة والسيطرة عليها. في "الجماهير" بسبب الجهل الذي تحقق للقضاء على المعارضة الوحشية الكبيرة لامتيازات رجال الأعمال الأمريكيين الذين يمولون السياسة.⁽²⁾

إن دعاية التقليد التحرري الماركسي معادي للمعتقدات الديمقراطية، بينما يقدم لاسويل هذه "العقائد الديمقراطية" للدفاع عن السياسة الأمريكية بأن الأفراد المسؤولين عن السياسة من النخب الرأسمالية المهيمنة هم قضاة يبنون ويحافظون على النظام الديمقراطي للدولة. دون الناس، لأن وعيهم أقل مكانة، وممارسته للسلطة إرادة منه لمصلحته الخاصة، لأن مبدأ تحقيق الإرادة الكلية في تشكيل "الرأي العام" تقوم به وسائل الإعلام عن طريق نشر الاضطراب النفسي لدى الغالبية بالتنازل عنها لدور "المتفرج". الجماهير التي تراقب أزمات الدولة والتي يرد مصدرها على هذا العداء في القرارات التي تصدر، ووصفها بأنها ممارسة "إرهابية سرية" ضدها لتقويض وحش الجماهير المنحدرة من "التقاليد الماركسية" الساعية للتحرر، مع باستثناء

⁽¹⁾ أرمان وميشال ماتلار، المرجع السابق، ص 49.

⁽²⁾ Robert F. Barsky, The Chomsky Effect, A Radical Works Beyond the Ivory Tower, London, England, Cambridge Press MIT Publishing, First edition, 2007, p. 233

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الجمهور الأمريكي، تبنا طموحات "الرجعيين لريغان" ممارسة الدعاية "باللغة معاصرة" في تشتيت انتباه المجتمع الأمريكي عن العمليات الغامضة التي أدت إلى إغفال وتلفيق القوانين العالمية عن حق ضحايا النظام الجديد من قبل الجمهور الأمريكي.. ولضمان "دولة قوية"، تم تصميم العمليات الإرهابية السرية كإجراءات لترك سكان المجتمع الأمريكي جاهلين بحالة الرفاهية المتوفرة للأثرياء بإطلاق العنان للرقابة، واتخاذ إجراءات إجرامية غير مسبقة ضد الغوغاء.⁽¹⁾

لذلك، فإن "المؤسسات اليمينية" المرتبطة بمصالح السياسة الأمريكية تمارس تدفق رأس المال من قضايا ملفقة عن عمد لإثراء الطبقة الحاكمة. مثل هذا الهجوم على "الجامعات" في أي بلد يهدد المصالح الاجتماعية لمنظماتها التي تدعو الجماهير إلى أن تكون ثورية، بينما "الدعاية التجارية" في الفترة الحالية يمكن أن تثير مظاهر أخرى لنفس المخاوف. لغرض ردع الجماهير واستغلال الطبقة العاملة في الزيادة الهائلة في أرباح وسائل الإعلام لشركات الرأسماليين الكبار، ونادرا ما تعارض "النخب الليبرالية" حقيقة أن دخول الجمهور الأمريكي إلى الساحة السياسية في "الستينيات" أيقظ مخاوف "الأرستقراطيين" من أنها كانت أزمة ديمقراطية، والتفكير الصحيح هو استغلال قطاعات من السكان مثل تكوين "النساء"، "الشباب" والعمال الذين لا يبالون بحقوقهم المهمشة في تطوير الصناعة والإنتاج الرأسمالي، لأن في هذا النهج، هناك بعض الأفكار التي تحرض الروح الثورية ضد هذه السياسة الإجرامية.⁽²⁾

فمن المؤسف أن "تقوم الدعاية ووسائل الإعلام" بتغطية الحقيقة بمجرد أن يسمع الناس جزءا من الحقيقة، فإنهم يخلطون الجمهور بالآثار الإجرامية، المشاكل الإنسانية وغيرها من القضايا المعقدة التي تثير فضول عقول السكان المحليين وإغفال الموضوعية الصحيحة التي تكشف قبح النظام السياسي الأمريكي.

تهيمن السياسة الأمريكية على مواقع الحقيقة المحتملة. غالبا ما يتوافق مبدأ "الفطرة السليمة" عند البشر مع المصالح الخاصة، لأنه منذ بداية النضال من أجل الملكية، حاول الناس دائما تأسيس أسس النظام السياسي والاجتماعي من خلال التمسك بمبادئ الحرية هذه عن طريق الاقتراع من أجل الديمقراطية وإنفاق

(1) Robert F. Barsky, Ibid: ' p. 233.

(2) Ibid: ' p. 233.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

رأس المال للسيطرة على " الطبيعة وتسخيرها" للإنسان بينما كان للسياسة الأمريكية هذا الغرض في وسائل الاتصال الجماهيري لتسخير عقول الجماهير لدعم أركان هذا النظام الرأسمالي، ولكن من وجهة نظر ماركيز، فإن هذه المبادئ قد تحولت بفعل التقنية إلى شروط ممارسة براغماتية لصالح أعضاء النخبة في تحويل " احتياجات المجتمع" دون أي مشاكل إلى مصالح سياسية تمكن سادة السلطة من معارضة النهوض بالمصلحة العامة.⁽¹⁾

إن هيمنة العقل في المجتمعات الغربية هي نتيجة الانسجام مع "الحداثة التجارية" وحرية الاختيار الفردي للقيم التي تساهم في توطيد العلاقة مع المصالح الربحية لشركات الدولة، لذلك، تقيد الأقلية الحاكمة الأفراد من القيم الفوضوية عن طريق استبدال القيم الرسمية بربط الوظائف الاقتصادية بميول الأفراد "الاستهلاكية"، بحيث يكون المنتج مزخرفاً في الموضوع الرمزي لرغبة الفرد في الرضا، بحيث يذوب الكائن انعكاسه والتعرف عليه مقابل الواقع كثقافة تقوم على البعد الخيالي للدلالات الإعلانية ("الصور") ويمتص العقل وجوده في المنتج، طالما أن الدعاية مهمة في مراكز النظام الاقتصادي والرأسمالي للدولة، فإن الرغبة هي أيضاً محور أساسي في الكائن الحي. وهذا هو السبب في أن فضائل شراء ("المنتجات") هي أن الإنسان لا يكتفي بموضوع الرغبة إلا بحاجة الآخر التكميلي الذي تظهر آثاره في ثقافة الإنتاج.⁽²⁾

وطالما أن الدولة هي المالك الحقيقي للتقنية التي تساعد على " تلبية احتياجات "المجتمع في الداخل وإدارة "الرغبة" الملحة لأفراده والشؤون العامة، وهذا الجانب لا يخفي في نظر العقل مظاهر الفساد في المجتمع العالمي، لأن "شبح الحرب" الذي يهدد البشرية يعتمد على النظام الرأسمالي ودعم الجماهير لقطاع النخبة الخاص في قمع وتدمير قدراتهم التنافسية، بينما يتخيل أعضاء المجتمع الأمريكي أن مبدأ السياسة يحول النضال من أجل البقاء، هذا هو المبدأ الأساسي للتقليد الثوري الذي يرى "إمكانات "التطور العقلاني للمجتمع ليكون إنساناً خالٍ بشكل مثالي من " قيود المادية" الرأسمالية وقيمها الاستهلاكية المدمرة للطبيعة البشرية وتسخير ملكاتها للإنسانية والقومية"، خلافا لمزاعم اللاعقلانية المتمثلة في السياسة الأمريكية التي

(1) هيريت ماركوزه، الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي لبنان - بيروت، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط 3، 1988م، ص 26.

(2) بيرناركتولا، الإشهار والمجتمع، تر: سعيد بنكراد، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 1، 2012 م، ص 297.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

تلتزم فيها حرية النخبة "بالرقابة والسيطرة" على سكانها، فإنها تهيمن على المجتمع عبر الإعلام، باعتبارها قيماً ومبادئ الديمقراطية بحجة الحفاظ على مكانتها كأمة ودولة فردية وقومية.⁽¹⁾

لهذا السبب، فإن المنافسة الرأسمالية بسبب المؤسسات الدعائية المهيمنة في الإدارة الكبرى للإنتاج والتجارة لا تخلو من أعضاء الأقلية الحاكمة لدعم السياسة الأمريكية، التي لها لغة الحوار النفسي مع الشعوب. غالباً ما يظهر في "الإشهارات" أنها ثقافة منسوجة "للتلاعب" بمشاعر الجماهير، وبالتالي فهي ضلال في "الإسقاط" وتشويه للوعي المعرفي لواقع الموضوعية بحيث ينجذب العقل في المجتمع الأمريكي إلى "الأحلام" و "الرغبات"، التي تخلق في تفسير العقل الباطن و"التفكير العقلاني" للحقائق إلى الاختلاس والميل إلى التوافق البنيوي الذي يهيمن على "الذات المعرفية" ويتغلب على ضبط النفس وهو الأمر الذي يدعم الفرد في الاندفاع لدعم رأسمالية الدولة والوقوع في المحور التجاري لتحقيق الأحلام والرغبات، مما يحول الفرد إلى وهم في الربح المادي للأقلية الحاكمة إلى رغبة عامة تتحقق من الاندفاع و"استهلاك" الدائم للبرامج الكوميدية.⁽²⁾

غالبا ما تلجأ الطبقة الحاكمة في السياسة الأمريكية إلى تصنيع ثقافة الترفيه بفعل الصناعة الرأسمالية وشركات التكنولوجيا الحديثة عن طريق تحويل الأحداث السياسية ومسارات شؤون الدولة إلى لغة الحوار السياسي، مع جذب انتباه الجمهور إلى دوائر انتظار البرامج. تهم ملذاتها، حتى تقتنع بأن للإعلام فوائد عملية، ويتركز معظمها في دائرة الرفاه والمتعة للشعب الأمريكي. ولهذا أصبح المجتمع الأمريكي غير مدرك لمصالحه وحقوقه وواجباته أو حتى القضايا الإنسانية المحيطة به بسبب قيام الأقلية الحاكمة ببرامج ترفيهية، كما أكد ديفيد رايزمان (1940-1867) David Reisman. لديه سياسة هيمنة بإنجازاته الرأسمالية وتسميم أذواق الجماهير التي تعمل على تبديد الملل المكبوت بمقدمات للترفيه. ويشير إلى أن الفرد الأمريكي في

(1) هيربرت ماركوزه، المرجع السابق، ص 26.

(2) بيرناركتولا، المرجع السابق، ص 296.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

دائرة اهتمامات تخضع للبحث عن الملل من نقيضه للترفيه. تبحث ثقافته باستمرار عن مظاهر التجديد والحدثة دون دراسة مشاكله أو مشكلة الدولة بعقلانية.⁽¹⁾

لهذا يتم استخدام الأقلية الحاكمة للتقنية بدلاً من العنف للوصول إلى تأثير على القوى الاجتماعية في سياسة مزدوجة لممارسة النظام الرأسمالي كدعم أمثل لمؤسساتها في العمل داخل المجتمع لتحسين مستوى المعيشة وترويض جماهير على قيم الثقافة الاستهلاكية، بينما تغطي وسائل الإعلام الجانب الثاني من السياسة وتحسينها المستمر للنظام الاستبدادي والمفرط للقيم التقليدية المحافظة لهذا السبب، يشرح التقليد الماركسي حقيقة أن التمسك بالسلطة هو دافع للنخبة الحاكمة المهيمنة في الدولة على تقويض الاحتمالات التي تؤدي إلى انهيار النظام السياسي، من بينها تعاطف الجماهير مع الأفكار النقدية المصاحبة لليسار في الكشف عن جرائم الدولة السرية.⁽²⁾

لذلك، تعاونت السياسة مع الاتجاهات والأدب المجسم للفن الحديث. إن إحياء الحقائق والأحداث والقتل والعنف والجرائم في فن الحواس يثير الرعب في الرأي العام بينما يحرك أجزاء صغيرة من النظام لدعم المواطنين الأقوياء للسلطة، يؤكد ألفريد روزنبرغ (1893-1946م) Alfred Rosenberg. أن الدعاية وتحركات النخبة الأمريكية في اتجاه تهديد الثقافة الجماهيرية أسوأ من ارتكاب جرائم الإرهاب والاستبداد ضد الإنسانية لأن أهدافها تجميد وتعطيل تتبع حواسنا وأذواقنا من فهم المنهج الصحيح. لهذه الدولة الفاشلة، التي تخشى ممارسة المثقفين الثوريين والعقل العام لتبرير سعيها الممهد في كل تصويت من أجل الديمقراطية، هي طريق للاستبداد ضد الإنسانية.⁽³⁾

فضلاً عن ذلك، يعد الاستهلاك مظهراً من الفكر الليبرالي الجديد الذي اقترحه المفكر النمساوي إدوارد بيرنيز (1891-1995) Edward Bernays، في القرن العشرين كجزء من مشروعه لتأسيس العلاقات العامة في الولايات المتحدة، حيث حاول نشر ثقافة ولغة العصر الجديد عن طريق هذه الأفكار والمعلومات

(1) هاني الرضا، ورامز محمد عمار، الرأي العام والإعلام والدعاية، بيروت - لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1998 م، ص 105.

(2) هيربرت ماركوزه، الإنسان ذو البعد الواحد، المرجع السابق، ص 26.

(3) هاني الرضا، المرجع نفسه، ص 105.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

التي تنظم الفكر العام على أساس توليد الطلب الزائف وإمكانية الاستهلاك ولهذا السبب يطلق تشومسكي على فكرة العقل الاستهلاكي التي ابتكرتها فلسفة بيرنيز العقيمة على أنها "نهاية الحياة" لأن الانتباه البشري ظل يستهلك الأشياء المزيفة بطرق لا حصر لها، مما يسمح للشعوب بالاستسلام لفكرة الاستهلاك والتخلي عن الأفكار الفوضوية للتحكم في حياتهم.⁽¹⁾

تدرك الأقلية المهيمنة طبيعة الثقافة الشعبية في العالم عن طريق تحديد الرغبة ورمز تصورها الخيالي للواقع الحقيقي لأي دولة نتيجة الإعلان لتستهلك أكثر ما يناسب تفكير الأفراد على مستوى العلامات التجارية التي تنتجها الشركات الأمريكية، الداعمة للسياسة برأس المال القوة، بحيث تهيمن عليها جهود نخبة الرأسماليين لممارسة ونشر معظم اللغة والثقافة التي يرغب بها الأفراد دون وعي وغرور المجتمع ككل يندمج مع ثقافة جديدة للاستهلاك. وكلما كانت الرغبة أكثر إلحاحاً، زادت محو ثقافة الدولة وسياساتها الرجعية تجاه القيم الأخلاقية والتقاليد الإنسانية الكلاسيكية للمجتمع.

لهذا فإن ثقافة القبول هذه في المجتمع الأمريكي نفسه، نشأت من إغراءات السياسة الخارجية الأمريكية بسبب نجاح هذه الثقافة، وتصدير شركاتها المربحة إلى إعلانات تغزو الثقافة النفسية لمنتجات دول أخرى يرغب فيها الأفراد، عن طريق وسائل الإعلام، يصعب التخلص من ثقافة من هذا الغزو الإنتاجي، بشرط أن يجذب المجتمع تدريجياً إلى الاستهلاك المفرط، وفي كل مرة تغري الدعاية فكر الفرد بفكرة النموذج المثالي، لأن استراتيجية التلاعب بالرغبات هو أساس التفكير البراغماتي للنخبة في رفض وطمس القيم والثقافة الوطنية للدولة المستهلكة نفسها.⁽²⁾

هذا هو السبب في أن رأي تشومسكي يتعارض مع المثقفين الديمقراطيين الذين يدعمون بأفكارهم فساد قيم الليبرتارية والتقاليد الإنسانية والأخلاقية والثورية للشعوب المضطهدة من السياسة الأمريكية التي سلحها هارولد لاسويل بمزيد من "البشاعة المناهضة" للآليات الأناركية التي "تمنح الجماهير" الحق في اتخاذ موقفهم ضد فساد الدولة وعبء الحكام، فيما ساهمت ثقافة هارولد لاسويل الفذرة في (1933م) في كتابة

(1) نعوم تشومسكي، الدولة المارقة، تر: أسامة إسبر السعودية، مكتبة العبيكان، ط1، 2004 ، ص 444.

(2) بيرناركتولا، الإشهار والمجتمع، المرجع السابق ، ص 297.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

أفكار تكميلية "النظرية الواقعية" في "موسوعة علم الاجتماع" لها طرق وشروط الحفاظ على الحكومات الإمبريالية الصحيحة، وتحذير حكام النخب المهيمنة من أن علاقات "إدوارد بيرنز" يمارسها الشعب الأمريكي في حال ما كان مغرمًا بهيمنة القائد، وخلق له الدعاية السياسية والتأثيرات على السلوك البشري بفعل خلق انطباعات نفسية لهذا الزعيم الملهم، لأن حركة اليسار الثوري لديها تقليد ومقاربة لمثل هذه التأثيرات التي تتادي بقيم الحرية والديمقراطية، بحيث درس "هارولد لاسويل" حكام النخبة الأمريكية، قواعد ومبادئ السياسة الناجحة بفعل تغيير طريقة التعامل مع الشعوب بلغة الطاعة والعنف التي يتخذها القادة للناس، يلقيها على الأفراد ذوي الرؤى التي لها تأثير وأبعاد اجتماعية التي تتعارض مع مصالح الدوغماتيين والديمقراطيين الذين لهم فضل الدولة في منزلة حكم الشعب، وتحديد شكل الدولة في مصلحة الشعب.⁽¹⁾

للأجندة السياسية الأمريكية ممارسة يتردد صداها مع سيكولوجية الجميع وتعمل عن طريق الإنتاج، وتحول استهلاك سلعة ما إلى أداة للسيطرة بمجرد أن تتماشى مع رغبات الناس..، لأن كل فرد في المجتمع يدرك نفسه داخل المجتمع للحاجة إلى تلبية الاحتياجات الأساسية المطلوبة، لهذا يضع مخططي النخبة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. نظام تقوم دوافعه على قوة رأس المال. وإدراكًا لذلك في كل مرحلة، تتسع رغبة الإنسان إلى إمكانية الاستهلاك، وهذا سبب للطلب والدمار، ويدرك مسؤوليته في أن يكون خاضعًا للعبة الدعاية.⁽²⁾

تزامنت أفكار بيرنيز مع ثقافة الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي خلقت طبيعة استهلاكية قائمة على فكرة الغريزة والشعور بين الأفراد بالرغبة المتسارعة نحو الاستهلاك غير العقلاني للسلع والتحول المفرط بين المنتجات وغيرها دون تحقيق أي فائدة من السلعة المستهلكة، وهذا النوع من التكيف والتقدم يجعل البشرية في خدمة الربح الرأسمالي ويفتح مجالًا أوسع للأسواق الاستهلاكية، حيث يتجاوز الفرد المعايير المالية والأخلاقية بعد السيطرة على عقله الباطن عن طريق توفير احتياجاته مع تعزيز دور الشركة المنتجة لها بصورة أكثر جاذبية عبر وسائل الإعلام، الأمر الذي جعل نعوم تشومسكي يؤكد أن فكرة

(1) نعوم تشومسكي، قراصنة وأباطرة الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، سوريا، دار حوران للنشر والترجمة، ط1، 1996، ص 20.

(2) بيرناركتولا، الإشهار والمجتمع، المرجع السابق، ص 297.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الاستهلاك هي آلية رأسمالية تطبقها النخبة لتوسيع الأسواق ودعمها للشركات التي تستثمر في الربح والثروة لصالح الأقلية الغنية واستغلال الأغلبية الفقيرة في غياب المساواة والحرية بين طبقات المجتمع الأمريكي.⁽¹⁾

لذلك فإن ما يعبر عنه بيير بورديو (1930 - 2002 م) *Pierre Bourdieu* هو حالة الانحراف بين أطراف المثقفين والقراء في المجتمع. طالما أن العقول هي حجر الزاوية في العمل السياسي، وأن السكان هم عينة للتجريب على ثقافة التلفزيون وغزوها وفقا لمخططات السياسة الأمريكية، فمن الضروري أن يكون المرء ملهما للالتزام بمحور الاستهلاك المادي لتلبية احتياجاته؛ وكذلك التعامل مع مصداقية موضوعات المواد الإعلامية داخل المجتمع، هناك حالة من الانقسام فيما يتعلق بنمط استهلاك المعرفة السياسية، وتختلف المصادر الإعلامية عن المنافسين الذين يدافعون عن الصحافة العالمية بأشكالها الإبتيمولوجية، لأن غالبية سكان المجتمع الأمريكي يعيشون الرغبة والحاجة، والخيال الرمزي الذي يعكس النمط المرئي لحالات وقضايا المجتمع والرفاهية، يخاطب عاطفة وإحساس المتفرج مع استقطاب العقل.⁽²⁾

فمنالمقنع لتشومسكي أن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية في صراع دائم لسرقة مشاعر وعقول الجماهير في الداخل ومصالح البلدان في الخارج. فليس من السهل أن تكون معركة "الاتصالات والإعلام" الحديث "معركة ديمقراطية" في تباين الإعلام والدعاية حول الحقائق الموضوعية والفلسفية التي تشخص واقع أزمة الإنسانية. بل هو صراع على رأس المال بفعل السيطرة على الجمهور مع إشراكه في ثروته وموارده، وهذه مشكلة تمثل عدم "مساواة حقيقية" في المجتمع الأمريكي، لذا فإن التغطية الإعلامية توفر حقائق موضوعية تخدم اقتصادات الشركات الرأسمالية أو النخبة الحاكمة.

لذلك يؤكد تشومسكي أن الديمقراطية التي تحل محل خطاب الجماهير لا تعني حقيقة التمثيل الموضوعي للموضوعات داخل السلطة، وهو يتفق مع آدم سميث (1723 - 1790) *Adam Smith*، في الحديث عن الديمقراطية التي تمثل النخبة في الخطاب السياسي نيابة عن الجماهير والمجتمع، يمثلون أغراضهم ومصالحهم الخاصة، وأهداف الفصل التام للوعي وتكافؤ الفرص بين المجتمع والدولة، لذا أشار روبرت

(1) عرييد مسعد، أميركا الاخرى، في عيون مغترب عربي، عمان، دار فضاءات، ط1، 2014، ص 271.

(2) بيير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، تر: درويش الحلوجي سوريا، دار كنعان للنشر والتوزيع، ط1، 2004 م، ص 48.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

ماكيسني (1952م) *Robert Machesney's*، إلى أن المجتمع الأمريكي تأسس على الراديو، لكن أفكار التنمية تتعارض مع طبيعة الاستهلاك، بينما العولمة النيوليبرالية هدفها إخضاع الفرد لسيطرة الدولة وحمايتها. لأن تراجع الشركات الإذاعية أثر على إقصاء "أهمية جدوى" تلك القطاعات الرأسمالية والصناعية التقليدية بأدواتها الإعلامية البسيطة والقديمة، الأمر الذي يفيد في انتهاك القانون الدولي والتلفيق والتجسس، لأنها تتطلب قمع الحقائق الموضوعية التي يمتلكها كل فرد أو مجتمع بفعل ثورة الشبكات السريعة والمعقدة.⁽¹⁾

على هذا الأساس، فإن المنطق المشترك بين تشومسكي وهيرمان هو تمكين الطبيعة البشرية، والتي يصفها مثقفي الإعلام الأمريكيين "بالقطيع الحائر" بفعل حملهم إلى فهم الحقيقة باعتبارهم مشاركين من حيث الفعل، دون إثارة الفوضى، وهو ما يعني، بحسب تشومسكي، أنه "قن" من وسائل الإعلام الجديدة وثورة المستهلك لإخضاع الناس للالتزام بثقافة المدرسة الإعلامية، فيما تلقي الطبقة السياسية خطاباتها حول مثل الديمقراطية الأمريكية التي تمثل الإجماع الشعبي دون "الشعور" بواقع تصنيع عقولهم "والقبول" بها من خلالها.⁽²⁾

لم يكن إضفاء الطابع الديمقراطي على السياسة الأمريكية هو تفضيل المبادرة في تحقيق أهدافها البراغمية فقط بفعل الشبكة التطوعية للأعضاء النخبة في الدولة الأمريكية، لقد عمل هؤلاء على الحفاظ على الدولة لمدة ستين عاما عن طريق اختلاق كل المجالات الممكنة التي تتعارض مع مصالحهم كنخبة حاكمة في الدولة، لهذا السبب لن تكون الولايات المتحدة الأمريكية رائدة في العنف من وجهة نظر تشومسكي، فقط بعد أن تمارس الأقلية الحاكمة فن الفضيلة الإنسانية، حيث تعي بأن المصالح تنحسر عن ضرورة ابتكار آليات لتخصيص الثروات والموارد بطرق ذكية وخفية من استخدام العنف للدفاع عن مصالح النخبة.⁽³⁾

⁽¹⁾ Noam Chomsky: How the world works, United State, Soft Skull Press, Publishing, 2nd Ed, 2011, p167.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، الإنجازات الهائلة للبروباغندا، تر: أميمة عبد اللطيف، القاهرة- مصر، مكتبة الشروق الدولية للنشر، ط1، 2003م ص11.

⁽³⁾ نعوم تشومسكي، قراصنة وأباطرة الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، سوريا، دار حوران للنشر والترجمة، ط1، 1996، ص 20.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

وإن جميع أدوات الدعاية للسياسة الأمريكية يتم تنسيقها في البرامج التلفزيونية والإخبارية للتأثير على الأفراد الذين لديهم حقائق ذاتية تميل إلى نفس الاتجاه البراغماتي الذي يحقق أهداف النخبة الحاكمة، لكي يحدث للرأي العام تأثير مخالف لحقوقه في إلغاء الفردية المميزة التي تجعل الناس غير مدركين للمصلحة العامة بينما تعمل على التلاعب بكافة العقول. نتيجة لذلك، أصبح المجتمع خاضعاً لتأثير الدعاية، ولكن على غرار الدولة الشمولية، فإن الاختلاف ليس فقط في مقدار تغطية اللا موضوعية، ولكن أيضاً في النوع الذي ينتج عقولاً عمياء تؤمن بطاعة الطبقة الحاكمة.⁽¹⁾

لذلك فإن ممارسة الإعلام والتلفيق المصاحب له، وفقاً والتر ليبمان، هو صرف الانتباه عن الرأي العام عن المواقف اللاإنسانية السائدة في نكسات الدولة أمام الميثاق الإنساني البحث. لهذا الغرض، صاغت النخبة آليات مبتكرة من ثقافة إدوارد بيرنايز لرفع إمبريالية السياسة الأمريكية من فوائد تلفيق الموافقة وهندسة الموافقة على المفاهيم والمصطلحات الإبداعية في الخطاب السياسي بالقوة مع سد الفجوات التي يدرك فيها المجتمع أوجه القصور في الكل إلى الحقيقة عبر توجيه العلاقات العامة الأمريكية والشؤون العامة من اتخاذ موقف معاكس ضد الدولة وديمقراطياتها الفاسقة.⁽²⁾

فإن مقارنة الديمقراطية التي تروج لها السياسة الأمريكية لجميع دول العالم تجعل شاشة تلفزيون الأخ الأكبر أكثر شمولاً بالأسلوب السائد الذي تفضله النخبة الحاكمة على أساس الفلسفة الهيغلية الواقعية ونظرية هذه السياسة، غالباً ما يشكل إزعاجاً شعبياً يهدد البشرية بخطر التلفاز، على قيمة العلم والثقافة وتعلم الجنس البشري بينما يستهدف الأمريكيين الأفارقة في المجتمع الأمريكي وكذلك العالم الثالث، الذي يعتبر الإسلام العدو الآخر بعد شيوعية. لهذا يكون استياء كارل بوبر، نعوم تشومسكي، وجون كوندري (1993-1938) *John Country*، من البراغماتية الأمريكية وكل جرائمها اللاأخلاقية التي تبرر مصالح النخبة انتصارها الدائم بالتربية التي تُعَلَّم وتلقن ثقافتها في الحزب والتلفزيون، والمفكر يجهل حقيقة الديمقراطية وخطر الرقابة التلفزيونية على عقول الأطفال ذوي العقلانية الناضجة في النمو والتطور، لذلك، يقصر بوبر

⁽¹⁾ فون فريدريك هابيك، الطريق إلى العبودية، تر: محمد مصطفى غنيم، القاهرة - مصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1994، ص 153.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، قراصنة وأباطرة، المصدر السابق، ص 20.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

مجال التلفزيون على تكريس قانون الإدانة الرجعية المناسبة لما يجعل النظام البشري يساهم في الشمولية ويتكيف معها، خاصة في الديمقراطيات الغربية.⁽¹⁾

لأن ما يطبقونه على الواقع في مؤسسات الدولة من اللغة والحقائق يختفي مع الدعاية ووسائل الإعلام التي توفر عملية فحص لمصالح الجمهور على مسافة من المظاهر الفعلية للسياسة. لهذا السبب يؤكد ماركوزه أن طبيعة الممارسة في تحليل الحقائق فقدت قيمتها بسبب البيروقراطية التي تؤدي قوتها إلى دعم مصالح سياسات الأقلية الحاكمة. عندما يتعلق الأمر "بالتكنولوجيا"، لا تتطلع الجماهير إلى شيء من روح الإبداع والحرية التي أساس الثورة بدلاً من ذلك، تترك الأفراد مكان عقلها، و"تثبت برنامجاً" في "الكمبيوتر"، وتفكر في طريقة البحث عن الغموض بناء على المادة، أي النمط "التكنولوجي"، لهذا السبب جاء في (*magazine Time*)، عام (1994)، أن الفرد اللاواعي هو آلة القوة في السياسة الأمريكية، لأن تجارة الفرد في لغته وعقله وطاقاته مثل المادة التي يستهلكها، معتقداً أنه يقود بمسؤولياته لإحياء الحياة إلى مجالات بشرية أخرى، ولكن يبدو أنها تخلو من حياة العقل كما أنها آلة ميكانيكية في قبضة الأقلية الحاكمة.⁽²⁾

بالإضافة إلى ذلك، يؤكد تشومسكي أن نظرة الولايات المتحدة إلى الوجود البشري دائم التقدم يجب أن تحظى شعوبه بقبول وموافقة على التلقين العقائدي يتطلب ذلك مبدأ من الصرامة والأدوات للسيطرة على التمرد ضد عملية الديمقراطيات الصناعية، وتقييد حركة الأفراد وحرية الفكر بفرض أداة السيطرة الأيديولوجية ضدهم، من واجب الأفراد السعي وراء مصالحهم، ولكن من وجهة نظر تشومسكي، حماية هويات الأفراد المستضعفين وبيانات اعتمادهم وخبراتهم، لأن التلقين العقائدي الذي يمارس عبر وسائل الإعلام هو في النهاية نمط الديمقراطية ودورها الأيديولوجي ضد المواطن العادي بقمع حريته وتعطيل دوره الاجتماعي وفق ما تفسره بعض الآراء الأرثوذكسية.⁽³⁾

(1) نخبة من المؤلفين، التلفزيون خطر على الديمقراطية، تر: مجدي عبد الحافظ القاهرة - مصر، المجلس الأعلى للثقافة والنشر، ط1، 2005 م، ص 76.

(2) آلن هاو، النظرية النقدية "مدرسة فرانكفورت"، تر: ثائر ديب، مصر، دار العين للنشر والتوزيع، ط1، 2012 م، ص 127.

(3) نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010 . ص 315.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

يخلق الرأي العام العالمي قبوله لأحداث مثل انتهاك حقوق الإنسان، أو التصويت الخاطئ للديمقراطية، أو مساهمة تقبل المعرفة دون نقد. فهذا جزء من النظام السياسي الأمريكي في صنع الإرهاب وبناء التوافق بين تلك الشعوب والدول، تستخدم النخبة الأمريكية وسائل الإعلام كأداة لِمَسْحِ أخطأ وِرَارَةِ الدِّفَاعِ، فأول قضية في صنع الموافقة استبعاد كلير ستيرلينغ (1919-1995) *Claire Sterling*، ومن خبراء النخبة أنها تقوي الحركة اليسارية ضد السياسة الأمريكية وتنتقدها بالمعلومات والمناقشات حول العمليات السرية للإرهاب السوفيتي باعتبارها مؤامرة بلغارية، والحقيقة كما يؤكد تشومسكي مؤامرة من وكالة المخابرات المركزية (CIA)، المشاركة فيه بتهديد وسائل الإعلام بتوزيعها من شبكة التلفزيون البلغارية لتشتيت الرأي العام، لهذا السبب ترفض كلير ستيرلينغ تحليل الإرهاب. أو تعلن بأن طبيعة الممارسة براغماتية من ورائها السياسة الأمريكية، لأن هذه معلومات من البرنامج ستظهر منتقديها.⁽¹⁾

لكن إيجاد مثل هذه السبل لحفظ مصالح وامتيازات النخبة للثروة، هو تربية ترويض طبقات المجتمع على أفكار مثل، أكاذيب الأمن، وحقوق الإنسان، وشروط الباقية، والاحترام والإيمان "بالواجب" و "الوعظ الأخلاقي"، والخضوع لحكام الدولة، وقرارات الديمقراطية والمواطنة. والترويج لها في وسائل الإعلام والدعاية للجماهير من ضياعها من أجل خلق تناغم سياسي للشؤون العامة وصناعة العلاقات العامة، بالمعاني التي تفضلها النخب والتي تعزز سيطرة القطاع الرأسمالي للدولة الأمريكية، لهذا، يؤكد تشومسكي أن فهم السلوك البشري. جزء من وضع حد للرقابة وتدفق الثروة والمصالح البراغمتية لهذه الأقلية المستبدة.⁽²⁾

لذلك، فإن ممارسة الطبقة الحاكمة تحتل جزءا من مبادئ الشمولية، حيث إنها النهج الذي تتبناه معظم الأنظمة الديكتاتورية من مبادئها الخاصة ب (الرقابة). عن طريق رعاية تلفزيون الأخ الأكبر لعقول الشعوب، بطرق أكثر استبدادا و "عشية"، "تجمعات"، "أحداث"، "وصور" "لأوهام المعرفة" والحقائق"، يستنتجها تشومسكي من جورج أورويل (1903-1950م): *George Orwell*، وينطبق ذلك على المجتمع الأمريكي. بسبب السياسة الأمريكية التي لديها سيطرة كاملة على مجال رؤية أي دولة على المستوى الداخلي

⁽¹⁾ Noam Chomsky, Edward S. Hermann, And Manufacturing, Consent the Political Economy of the Media, Ibid: p22.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، قراصنة وأباطرة، المصدر السابق، ص 21.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

والخارجي. بينما لا يخفى عليها شيء من سكانها وموظفيها وطبقاتها العاملة، بحيث تحتل حضوراً دائماً في هيكل سياسي هرمي وتغطي قوتها جميع شاشات العالم التي تضم دولاً فقيرة وشعوباً بائسة تنتهكها جرائم "رقابة أكبر رجل" تجسده السياسة الأمريكية وتقتصر ثقافته على "التلفزيون (الأخ الأكبر)" وهو جزء من البيئة المحيطة بهم والبنية التحتية والملاجئ فتلك الشعوب (مثل ... فلسطين ... سوريا ... العراق ...) تخضع لرقابة مشددة، في وضع مشابه لما يصفه أورويل بأقفاص الدجاج"!!!!؟⁽¹⁾

وعليه تكون مهمة مجموعات النخبة في السياسة الأمريكية هو إحاطة بالناس من أي جانب يعارض مصالح القبول أو التصرف في صنع القرار. إزالة سكانها وجزء كبير من خسائر البلدان الرأسمالية الغربية المتحالفة معها، لأن الثروة والسلطة مقابل حرية الفكر بين الجماهير لن تكون الدولة هي الهيمنة بشكل فريد على كبح تمرد الحيوان العظيم (الناس).

لهذا السبب يعتقد تشومسكي أن صناعة التكنولوجيا والترفيه هي أيضاً أكثر فاعلية من الأساليب الأيديولوجية والقمعية، لهذا تستخدم الدعاية ووسائل الإعلام للحد من حرية التعبير عن وحشية الدولة وإرهابها، في حين أن كبح حرية الفكر هو الخوف من ترسيخ الأفكار التحررية والاشتراكية. لأن أعداء الدولة لا علاقة لهم بترويع الرأي العام، لكنهم لاحظوا منذ فترة طويلة أن أضرار المجتمع وأمراضه هو تقويض الحقيقة، وتقويض هاتين الظاهرتين هما أساس وجوه الظواهر الإنسانية الأخرى والطبيعة البشرية (حرية الفكر وحرية التعبير). لذلك، فإن هدف المنظرين الديمقراطيين الليبراليين في السياسة الأمريكية، هو تمكين وسائل الإعلام من عزل فكرة الصوت المشترك لمجتمع واحد بين الشعب والمؤسسات المدعومة من الدولة. يكون ذلك مرفوضاً، إلا بوصاية النخبة التي تضمن أي صوت للأشياء الصحيحة التي يمكن للجماهير المسحوقة أن تقولها.⁽²⁾

فضلاً عن ذلك، يتحول المجتمع الإنساني تحت ضغط اقتصادي رهيب ينفي أشكال البناء الذاتي والروحي والأخلاقي والاجتماعي للأفراد يعني ذلك جمود الطبيعة البشرية بطغيان الماديات فيما يتقهقر البناء السياسي

⁽¹⁾ جورج أورويل، رواية 1984، تر: الحارث محمد النبهان لبنان - بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2014 م، ص 8.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، قرصنة وأباطرة، المرجع السابق، ص 20.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

بفعل غياب التمثيلية للواجب والحق والعدالة والمسؤولية مع المنظمات والأحزاب التي تقدر "إنسانية الإنسان" وليس "إعلامية إخضاعه" لأن النموذج الذي يراه تشومسكي من السياسة الأمريكية والدعاية السياسية الإعلامية لأقلية الحاكمة التي وصفها هيوم "بالصفوة المربحة" عن طريق التلاعب بالأهواء والمشاعر. فيما انحصرت أدوارها لمواكبة وتطوير إجماع فلاسفة التصنيع على العقل من ناحية الإعلامية يكون مساهم في بناء الثروة للعائلات والشركات "فلا عقل دون إعلام" ولا "إعلام دون شركات" ولا "إعلام دون خدمة النخبة الحاكمة" ومن الناحية البنائية يعتبره تشومسكي جوهر الديمقراطية وهدف الواقعيين الأمريكيين هو سيطرة بما لهم من وسائل وأدوات الفكر والشركات والمؤسسات والموارد لهذا يؤكد تشومسكي أن ضغط الشركات الإعلامية على المجتمعات التي تمنح للأقلية نفوذا براغماتيا تكون هدفا من أهداف الواقعية المكيفالية الأمريكية.⁽¹⁾

لا شك في أن النخبة الرأسمالية تنظم المناخ السياسي لدعم شركات الاستثمار والصناعات ذات الإنتاج الثقيل، بينما تدعم الشركات توحيد العلاقات الداخلية والخارجية. هذا يقتصر على رأس المال، لشراء الإعلانات وفصائح ممارساتها التي تحدد موقفها من تخصيصات الرأي العام ضد السياسة الأمريكية، لهذا السبب يحاول المثقفون الأيديولوجيون العداء للسياسة الأمريكية والفوز بقوة التصويت التي يتمتعون بها في الحالات التي يضيفون فيها ضغوطا على النخبة الرأسمالية المنافسة، لكن رد الفعل يأتي من التمييز الصريح الذي يجعل وسائل الإعلام العمالية الراديكالية تعاني من أضرار بمصالحها، ولكن العديد من الشركات تعتبر دعما للأقلية الحاكمة، وسلطة الدولة، وسياسة التصويت لنظام مرجح بتدفق الأرباح، بينما أن غاية النخبة الرأسمالية الكبرى هو الاستيلاء على مصالح الشركات في تعيين أنفسهم قادة الدولة.⁽²⁾

على هذا الأساس يقدم تشومسكي مثالا، على الهجوم الوقح الذي شنته "الأوليغارشية" الحاكمة على اليسار الإعلامي التقدمي كان استغلالا لمداخل الطبقة العاملة، لذلك ظهر رد فعله على السياسة الأمريكية كعرض تقديمي للبرنامج في عام (1985 م) والذي يحتوي على أنشطة تعرض فيها محطة (WNET) التلفزيونية لانتقادات لاذعة لممارسة النهب واستغلال مواد الإنتاج والموارد الصناعية بفعل الشركات متعددة

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، الإنجازات الهائلة للبروباغاندا، المصدر السابق، ص16.

⁽²⁾ Noam Chomsky: Edward S. Herman 'Manufacturing Consent: Political Economy of the Media, Ibid:' p17.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الجنسيات في العالم الثالث التي تتلقى "دعما خفيا" من الولايات المتحدة الأمريكية يشجع على استغلال هذه "الثروة للعالم الغربي"، باستثناء وجود عناصر كاريزمية عالية داخل المنظمة تدعم القيم الأخلاقية والإنسانية، بما في ذلك العمال ذوي "التوجه الاشتراكي الليبرالي" الذين يدعمون المعارضة وضغطهم لصالح "اليسار"، كان من الضروري فصل الرئيس التنفيذي عن الشركة (الخليج/ الغربي) بقرار من السياسة الأمريكية.⁽¹⁾

لرفض تمويلها بطريقة الخنق "الطبقة العاملة" لتدمير سلوك المحطة التلفزيونية (*WNET*) بشدة، بينما تعارض "النخبة الرأسمالية" المتعطشة للربح إزالة هذا البرنامج طالما كان له تأثير في جذب الجماهير لدعم مصالحها، وتحسبا لردود فعل سلبية من الرأي العام، يضطر الإعلام إلى ممارسة تنقية البرنامج، من مصادره بالبرامج الخارجية الأخرى وتقليصه من آثاره السلبية التي قد تهدد ركود الشركات الأمريكية، وهذا هو سبب انحياز المؤسسات الإعلامية الأمريكية لحماية الأغراض البراغماتية للشركات متعددة الجنسيات في العالم بفعل "الفبركة" والضغط على أي سلوك غير "ودي لأمريكا" بقوة رأس المال، وفقا لتشومسكي فإن معظم الناس يعتقدون غير هذه الحقيقة من مقال ظهر في مجلة لندن إيكونوميست يؤكد على تهديد السياسة "الأمريكية لشركة" (*WNET*) بأنها لن تكرر مثل هذا الخطأ مرة أخرى.⁽²⁾

وعليه تضع السياسة الأمريكية شروط الاستهلاك للجماهير في نمط لا علاقة له بالعالم المعيش، وهي استثناءات معتمدة لمتابعة أنشطة الشركات.. غالبا ما تتخبط عناصر اليسار في الإحالات الفوضوية الخضراء إلى الواقع، فهي إحدى الجرائم البيئية التي تمارسها السياسة الأمريكية، والتي يساهم الإعلام في عدم عرضها على الرأي العام العالمي كقانون؛ ونادرا ما يفكر "كبار المعلنين" في عرضه على شاشات التلفزيون، بحجة أنها معادية لمصالح الدولة والأقلية الحاكمة، وهذا ليس مفاجئا من وجهة نظر تشومسكي، لأن مثل هذه الانتقادات الثقافية والسياسية الخطيرة هي "استثناءات" نادرة، من هؤلاء المحافظين في النخبة الذين لهم أولوية في "المصلحة والثروة ورأس المال" على العقل، لذا تكون مشكلة مثل التدهور البيئي غير

(1) Ibid: p17.

(2) Ibid: p17.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

مرغوبة فيها لأنها ثقافة متأصلة في وعي الجماهير، وتعرض مصالح السياسة الأمريكية ونقود الشركات إلى ركود الإنتاجية.⁽¹⁾

وعلى هذا النحو، تعمل الدعاية والإعلام الأمريكي للسيطرة على الدول المعادية لديمقراطيات الغرب، ويؤكد تشومسكي بأن المرشح الأخير هو القضاء على "الشيوعية"، مجرد أوهم تأخذ من دول العالم وشعوبها آليات التدخل، كونها الدولة التي تمثل الحصانة ضد هذا الشبح الذي يمتلك مصالح تلك الشعوب. لكن الفائدة هي أنها تتابع الثورات التي تحمل في طياتها بذور الاشتراكية لأنها تهدد جذور السياسة الأمريكية وأصحاب الأملاك في الدولة، طالما يشير تشومسكي إلى أنها ساهمت في نضالات السياسة الأمريكية ضد الدول الأقرب أيديولوجيا إلى التقليد الماركسي الذي يحتوي في داخله على مبادئ التحرر والقيم الإنسانية، وكذلك الإدارة العامة لموارد الدولة في إنتاجها. والاقتصاد نفسه.⁽²⁾

لأن النخب الغربية لها موقعها في السياسة وموقعها من الطبقة العليا يقوم على النهب والنمو والتنمية على موارد الدول الفقيرة من أجل الحفاظ على الرأسمالية الغربية. تضع السياسة الأمريكية هذا المبدأ كأولوياتها الأيديولوجية، وهي معارضة الشيوعية باعتبارها شرا مطلقا، ليس للجنس البشري أو العالم، بل للأطماع الإمبريالية التي كانت انتهاكاتها لدول العالم الثالث دائما من أجل الحفاظ على الأيديولوجية والسياسة الغربية، لأنه عندما تفوق الصدمات الشيوعية انهيار اقتصاد النخب الغربية، تحرر الرأي العام العالمي والإنسانية ككل من قيود الرأسمالية.⁽³⁾

يبدو أن السياسة الأمريكية معادية للحركات اليسارية والعمالية بهذه الأيديولوجية التي تتبناها الدولة في تعريض الجماهير لانتهاك مبادئ النظام في أي دولة، ولأن المفهوم غامض بحيث تتبناه كقوة وفاعلية لتعبئة الجماهير ضد العدو الذي يعيق مصالحها البراغمية. لذلك، فإن تبرير ممارساتها المتمثلة في انتهاك وتفتيت

(1) Ibid:’ p17.

(2) Noam Chomsky: Edward S. Herman 'Manufacturing Consent: Political Economy of the Media, Ibid:’ p29 .

(3) Ibid:’ p29.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

أي دولة أو أفراد يتبعون مبدأ القصدية في التعامل والتكيف ودعم المصالح التي تشمل تقاليد وأفكار الشيوعية أو الراديكالية، فهي من السياسات التي تهدد مصالح وممتلكات النخب الغربية.⁽¹⁾

وفقاً لذلك، تعمل السياسة الأمريكية على خلق بيئة ثقافية يتركز فيها الليبراليون المحافظون في مناهضة الشيوعية لإدخال بفعل الدعاية والإعلام لمصطلحات تقوم على الاستبداد والهيمنة على الرأي العام وتأثير في اقتصاديات الدول بالأفكار الاشتراكية الديمقراطية التي تلعب بأيديها معارضة للحرية ولمبادئ وتقاليد الليبرالية الكلاسيكية. لهذا، يعتقد تشومسكي أن أنصار معارضة الاشتراكيين الديمقراطيين الذين يتسامحون مع الشيوعية في أن الدولة ديكتاتورية وأكثر استبدادية. يتم الحفاظ على الليبرالية المحافظة داخل المجتمع الأمريكي كونها موقفاً دفاعياً ضد الدين السائد الشيوعية.⁽²⁾

في هذا السياق، تعتبر حرية السياسة الأمريكية أو الشيوعية منخفضة المستوى. أي انتصار للشيوعية يمثل ديمقراطية تقوم على التعبئة الاجتماعية، والتي لديها حركات أكثر عنفاً ضد النظام، والتي قد تحول الوضع إلى شمولية، لهذا السبب يحاول أعضاء النخبة الحاكمة أن يكونوا أكثر فردية من أجل تحقيق مصالحهم بفعل السيطرة على المقاطعات التي تضمن وجودهم الاقتصادي والرأسمالي، ولكي لا تتحول الجماهير إلى معارضة للنخب وإزاحتها عن مواقعها، تعمل وسائل الإعلام كقوة قادرة على قلب الواقع الاجتماعي بتكاليف باهظة عن طريق ترويض الجماهير اللقيطة بخطورة وقوة سياسة الدولة.⁽³⁾

تعقيب نقدي:

من ناحية مفهوم الدعاية نستنتج أن الذات تتحكم في ذات أخرى، فيما يكون العقل مراوفاً، وليس قاضياً لجهة الأخلاق والقيم والمبادئ الإنسانية. سيكولوجياً ولكن فلسفياً يكون فاعل في قمع الأنا الأعلى، "فرويد"، والضمير الجماعي "لدوركايم"، لتخوض الرغبات حرباً بهدف إشباع الرغبة كما يصفها "ألكسندر

(1) Ibid: ' p29.

(2) Ibid: ' p29.

(3) Ibid: ' p29.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

كوجيف "و"جورج باتاي". عن طريق الآخر الذي يشكل دائماً مصدراً للقلق، كما هو كذلك في فلسفة سارتر. وإذ كان دوره في العلاقة الهرمية يكون سيداً للرجبة كما تنص عليه جدلية هيغل.

✚ "فالحرب النفسية" والدعاية "لا يمكن أن نتصورهما فلسفياً، على سبيل الإشارة فقط، أن الحرب النفسية بالمعنى الواقعي للحرب. ولكن يعنى بها جزء من السيكلوجيا الأنثروبولوجية، التي يكون للغة وزن على الرغبة. لكي تخترق الألفاظ، قلعة المُرْكَب الرمزي للإنسان كما وصفه جاك لاكان. بينما الدعاية هي الوسيلة المخاطبة للبنية الداخلية للكائن البشري. عن طريق استحضار التصور البدائي لتكوين الذات. في تميز لغة الدعاية، على أنها قبح أو حسن، شراً كانت أو خيراً. فهذا الجانب له بعداً أنثروبولوجياً للإنسان. ولذلك تظل الدعاية لغة" العصر المعاصر "وأداة التواصل" في ترسيخ "المعتقدات" والقيم "بمفهوم "هابرماس" الإرادة المؤثرة "على الجمهور معين.

✚ في نشأة الدعاية وظهورها كمفهوم من طرف الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، يعني ذلك أنها تمخضت عن الصراع ويمكن اعتبار المسيحية أصل الإشاعة والدعاية بدليل أن إصلاحات البروتستانتية لمارتن لوثر (1483 - 1546) *Martin Luther*، في الكتاب المقدس جوهر، ما يعيشه العالم، حالياً من حروب وأزمات ضد الطبيعة البشرية، لأن تشكيكه في صحة الاعتقاد الرأي العام الملتزم بفكرة أو أيديولوجية أو دين معين أثار جدلاً، في الضمير الجماعي للفكر البشري بفكرة جديدة. ولكن قد تمثل الدعاية جانباً إيجابياً في التنوير وتعميم المعرفة والوعي والعلم بغض النظر عن أنها أداة للتصنع وغسل العقول، بشرط أن يكون لدى فاعليها نزاهة إنسانية وإملاءات أخلاقية تنبع من الطبيعة البشرية وإرادة الخيرة، مجردة من أي غاية براغماتية أو مادية.

✚ ما هو ذو نفع من مفاهيم الدعاية وأنواعها على أنها تُحَلَّل وتَصِفُ بأن الإجماع البشري يتطور عن طريق الدعاية كما أنها نموذج البنيوية التواصلية وهي مفهوم يتجذر في الحقل اللسانيات الحديثة وله علاقة بالعملية الخطابية ويتداول في الحقل السيولوجي كوظيفة ثقافية. من ناحية الإستمولوجية يعني حمل الجماهير والفعل فيها.

✚ بينما يكون لها خدمة براغماتية للدولة، ومن ناحية أخرى، تخلق الإبداع في تطوير تقنيات الدفاع السياسي عن طريق اللغة النقدية وتعزيز بها قوة الدولة ضد الأعداء. كونها أيضاً جوهر لتحفيز سلوك وتأثير فيه معنوياً. باستلاب الثقة أو إنماء الثقة ولكن لا تخلو أدوارها في تفكيك مصادر الفكر والأنساق والأبنية

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الاجتماعية. فيما يبدو أنها أكثر أهمية بالنسبة للنزعة السلوكية، "سكينز" و "بافلوف"، وهي موجهة للسلوك وتحدد مساره بحافز ما . لأن للدعاية تأثيراً قوياً على الدماغ وعلى تشويه الذاكرة الاجتماعية الحية والمادية عبر طريقة الحث البيولوجي للكائن واندفاع بالعقل إلى تصور الغرائز وتنفيذها واقعياً كما وصفتها أفكار "أرماند ريبوت" (1839-1916) *Armand Ribot* في علم النفس الذاكرة يبدو أيضاً أن للدعاية ارتباطاً وثيقاً بنظرية التطور الدارويني وهو جوهر أساسي في نمو الأفكار إلى معانٍ وإلى إشاعات صلبة تؤدي إلى تغيير من البنية العامة للمعرفة الاجتماعية.

✚ نستنتج أن الدعاية في الممارسة السياسية عملية لتوظيف المعلومات والحقائق غير إيجابية ويقينية وواضحة مما يعني ذلك انتهاكا لحقوق الفكر وللنظرية التواصلية والبنية المكونة من (مرسل) و (الموضوع) و (الذات) و (الذات الأخرى المتلقية).

✚ يلاحظ أن الدعاية تحقق الثروة ورأس المال والمصالح على نهج الواقعية السياسية، وممارستها هي لغرض إفادة "الأمير مكيافيلي" الحديث، كما وصفه "جرامشي"، فإن أخلاقها الكونية هي المؤامرة وخداع الذات وعدم اليقين في نشر الأفكار والأيديولوجيات التي تؤثر على تقويض الدول أو الجماعات البشرية المعارضة للعقل السياسي العملي والبراغماتي.

✚ نظرة تشومسكي، للدعاية بأنها تأثير سلبي شامل على المجالات التي تربط وسائل الأمير وغاياته وضوابطه. "الأمير الحديث" يمارسها ضد أهل مجتمعه إذا تطلبت أن يكون الحفاظ على الملك والسلطة والثروة لمصلحته، في حين أن ممارستها على المستوى الدولي من الأمير يتفاعل ويتكامل مع "الرعايا ضد الأعداء"، ويحقق ذلك. "الهوية والثقافة" والقيم المصلحة القومية والتي تحقق بدورها الإمبراطورية والإمبريالية.

✚ يلاحظ أن الدعاية في المجال السياسي تعني قمع الطاقات البشرية والابداعية المعادية للمصالح البراغماتية ولكن مع الوعي بطبيعة الموضوع المراد الادعاء عليه، إذا كان الغرض العملي هو تثقيف وتعليم الأفكار والخبرات الإبداعية لتحقيق الفائدة والثروة على المستوى الثقافي (*Bildung*) كما وصفه فون هومبولت "*Humboldt*"، وهذا يخدم أغراض النخبة الحاكمة، أي أنه إيجابي للأقلية ونقمة للأغلبية. وهذه هي الطبيعة غير الخجولة لقادة سياسة الدولة، لأنه في الدعاية لا فرق بين الخير والشر، لكن المنفعة والموضوع هما أساس الدعاية.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

✚ اتضح أن الدعاية في ممارسات السياسية "للأمير" "مكيافيلي" الكلاسيكي يستخدم الدعاية فقط لخدمة الدولة والحفاظ على مكانة الملك والسلطة والمجد والثروة. من ناحية الممارسة القانونية، "للأمير" هدف واحد من الدعاية لإضفاء الشرعية على مصالحه وما يحقق أهدافه البراغماتية. / بينما دعاية الأمير المعاصر في السياسة، التي يتكون مفهومها من عدة (خبراء، مؤسسات، عائلات، شركات، المثقفون التكنوقراطيون، سياسيون)، لها دعاية كوسيلة لتبرير أهداف الشرعية في الدفاع عن القطاع الخاص والمصلحة تنظيم الدولة. وهي من صنع النخبة التي تمارس الدعاية السياسية.

✚ نستنتج أن الأمير المعاصر المتجسد في (سياسة النخبة الأمريكية) يجعل الدعاية أداة تقوض الطبيعة البشرية عن طريق الترويج لإشاعات بطرق خفية، ويقتصر تنفيذها على المؤسسات الإعلامية التقنية والشركات التي تقيم علاقة بين الذات المنفردة في السلطة وغالبية الرعايا الآخرين خارج دائرة السلطة في خلق التجانس لتقديم المصالح بين الأفراد في إطار الدولة بطرق مختلفة وبين الطبقات السياسية الأكثر براغماتية والتي يمارس حكامها الدعاية بمهارة، بينما العامة لديها تصور وتفاعل ثقافي رمزي، فإنها تتنازل عن حقوقه لصالح الأقلية (الأبوية) الحاكمة بفعل الدعاية.

✚ يشكل مجال إعلام تشومسكي فلسفة الكائن الذي تقوله اللغة وتؤثر عليه بالكلمات والألفاظ والرموز كما يؤثر على البنية الذاتية والتكوين الرمزي لها، ويمارس للتنبؤ بما سيكون الدوام التواصلي في المستقبل بين السياسة والجنس البشري.

✚ نشأة وأصل الإعلام وفقاً لتشومسكي من اللغة الكهنوتية ورموزها التي تمارس في علم التنجيم والعلامات السحرية. ما نستخلصه هو أن مفاتيح ورموز اللغة الرونية متجذرة في الأجهزة التقنية للرصد والتنبؤ بما ستكون عليه البشرية في المستقبل.

✚ الدعاية والإعلام، بحسب تشومسكي، تخدم المصالح السياسية بين الأطراف البشرية وهي من جهة أخرى غير إنسانية إلى حد ما. لأن العلاقة الاتصالية بين البشر تخضع لفكرة تضارب المصالح.

✚ الإعلام والدعاية لدى تشومسكي لها تأثير على مجال الفنون والأدب السياسي في فلسفة النطق والمعنى التي لها علاقة بتعريف واختزال الطبيعة والمبادئ بشكل مجرد في عقل الإنسان لضرورته في التفسير والتكوين البدائي للذات من (الصور / الحروف / الرموز). يمكن للمرء أن يجد ذلك في كتابات

أومبيرتو إكو (1932-2016) Umberto Eco.

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

✚ وفقًا لتشومسكي، تضع وسائل الإعلام عقل الفرد ومشاعره على زاوية محددة من المعرفة. / يظل الواقع مؤلماً بفعل الإعلام و (المحاكاة) للحروف وأشكال الطبيعة ككل في عقل الإنسان، مما يجعل العقل غير قادر على التفريق بين عدد هائل من التفسيرات السيميائية للحقيقة.

✚ نستنتج أن تشومسكي، تأثر بكتابات فريد إنجلز، في تقديم الإعلام السياسي من وجهة نظر أنثروبولوجية وتركيبية وهو يفسر مرحلة انتقال العقل من مجال الواقع المادي إلى الوعي، وتوقعات الحقائق، وتحليل البنية اللاواعية. بحيث يقوم الإعلام على الرمز والمعنى في المرحلة المعاصرة. في فلسفة تشومسكي، يكون وسيلة في مجال السياسة للتنبؤ بما يدفع الدافع البشري والرغبة تجاه التملك والسيطرة.

✚ نستنتج أن الدعاية الأمريكية هي نموذج سياسي واقتصادي يستخدم جانباً تطورياً وعملياً. لها بعد سياسي في تحقيق الدولة الواقعية والهيغلية والهوبزية للسيطرة المؤدوجة على العقول المعادية سياسياً للنخبة الحاكمة، الذين ينشرون أفكارهم ومعتقداتهم حول التفرد والعزلة وفرض الأبوية العالمية.

✚ نستخلص بأن نموذج الدعاية لتشومسكي وهيرمان يفصح مجال الممارسة الأمريكية للأوروليلية ضد الجماهير وعداء الشيوعية. بمقاربة للماركسية وأبعادها اللغوية والبنوية في تحليل نمط انتقال العقل البشري من النقد والتدقيق والتفكير في الحقيقة وجوهر الأشياء وماهيتها إلى أداة ووسائل مدفوعة بالكلمات، المعاني والأفكار (سلطة الكلمة) على الجسد الاجتماعي لما يخدم مصالح الأقلية الاقتصادية والاجتماعية التي وصفها هيوم بأنها الكهف الأفلاطوني لأشكال والأشياء تلهى بها الأفراد والتي تكمن وراء المشهد السياسي.

✚ نفهم من تشومسكي أن هناك ازدواجية في هيمنة الإعلام الأول على ثقافة الاتصال والديمقراطية والنقاش في الفضاء السياسي. والثاني على الفضاء الاجتماعي: /يعمل على تغيير الرأي العام وتعميم الجهل بين الجماهير. /بينما تستخدم "السياسة الأمريكية" أدوات الإعلام مثل (التلفزيون والسينما والصحف) للتحكم في ضبط النفس لدى الأفراد بطرق منظمة لا تثير انتباه الأفراد أو مشاعرهم عن أخطاره ضد الطبيعة البشرية. / فيما نقوض السياسة الإعلامية إرادة التحرر، وفقاً لتشومسكي عن طريق تلقين الجماهير /المعاني والدلالات العفوية وتكون عديمة الفائدة / ومفيدة للمستفيدين. وتعليمهم ثقافة الولاء والطاعة.

✚ يتضح أن تفسيرات تشومسكي للواقع الأمريكي هي أن الطبقة الحاكمة على السياسة تهيمن على الأفراد. في الدولة النخبة الإعلامية بفن الإيحاء والتتويم والتدعي الحر للعواطف البشرية والطبيعية لاستعباد الناس واستبعادهم / تمارس وسائل الإعلام الأساليب الفاشية، فيما تنحصر مسؤوليته كفيلسوف يدعو إلى

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

الأخلاق والقيم المثالية في قمع وهدم المشروع الدعائي كضرورة منطقية لتحرير الطبيعة البشرية من قيود السياسة المادية والرأسمالية.

✚ من دعاية تشومسكي ونموذج التصنيع، نفهم اتجاهين متعارضين / النزعة التحررية والمثالية جانب من جوانب الماركسية يفهم حقيقة العقل والإنسان ككائن اجتماعي تشاركي مع الجميع ويسعى إلى تفويض أشكال الدعاية عن طريق تحرير الأفراد والمشاركة في السياسة بالفضيلة والأخلاق والمساواة والحرية والديمقراطية. / بينما الآخر هو الاتجاه الواقعي، فهو يدرك أن الدعاية ضرورية في تطوير المؤسسات، وتحقيق العزلة، والثروة، والمصالح البراغماتية والنفعية، وممارستها جزء من الطبيعة البشرية. لأن البشر أنانيون وتغلب عليهم بربرية هوبز في المصالح المادية، وتسعى النخب والمؤسسات إلى بناء قوتها على أساس الدعاية لتحقيق الأهداف.

✚ نستخلص من تشومسكي بأن، الدعاية الأمريكية هي سياسة إنفاق لاستمرار النظام الرأسمالي. بناءً على أفكار لاسويل وويلسون جوستاف لوبون وأعضاء لجنة كريل. والغرض منه تفويض الديمقراطية والحرية بفعل آليات تأثير على الفكر وحرية التعبير على عقول الجماهير، تطبيق الولايات المتحدة سياسة دعاية على نموذج بافلوف السلوكي لتحفيز الأفراد على الاستهلاك والرد على الحروب والتي تجعل الأفراد أيضاً بإرادة عمياء. / التأثير الفكري على المعتقدات والسياسة والإلهاء وقمع التنوير وتحول المجتمع تحت الرقابة.

✚ يفهم من أفكار تشومسكي أن تطبيق الدعاية الأمريكية في السياسة يؤثر على نهج هتلر في تلقين عقيدة الحكام واللجان ومجتمع الأعمال والسيطرة الكاملة على النخبة والتكنولوجيا المهيمنة، مع الحداثة الفائقة كما وصفها (ماركيوز)، ويتحكم في رغبات الأفراد عن طريق المنتجات والاستهلاك والبرامج التلفزيونية، مثل ما أشار (بيير بورديو)، في حين أنها سياسة تعمل على نشر ثقافة الإرهاب وتجميد الأنواق والفكر والإحساس، وتولد ثقافة الطلب الزائف في المجتمع والانحراف الأخلاقي.

✚ الدعاية عبارة عن أدوات مخفية وطرق ذكية لتحقيق مصالح الولايات المتحدة. ومحاصرة الناس عن طريق (شاشات الأخ الأكبر)، فالدعاية الأمريكية تحد من حرية الفكر والتعبير عن الرأي العام كما أشار لها منتقدي السياسة الإعلامية أمثال أورويل / وكرارل بوبر / وجون كنتري. والإعلام السياسي بالنسبة لتشومسكي، فهو لا يخدم غرضاً اجتماعياً أو يعبر عن الديمقراطية، بل يعزز إفراغ النخب لعقول القراء والمتقنين و"هندسة القبول" في العلاقات العامة وتلاعب بالرأي العام.

الفصل الثالث

موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

تمهيد

المبحث الأول: نعوم تشومسكي والقضية الفلسطينية

1- المثلث المشؤوم : (الولايات المتحدة، إسرائيل، والفلسطينيون).

تعقيب نقدي.

المبحث الثاني: عملية السلام" والاستراتيجية الواقعية الأمريكية.

تعقيب نقدي.

تمهيد

مع غضون الهيمنة المتزايدة والتوسع غير الأخلاقي والاستبداد اللامحدود من السياسة الخارجية الأمريكية وانتشارها المستمر للإرهاب وتقويضها للديمقراطية، يرفق تشومسكي صفحة جديدة تتعلق بالمظاهر السابقة للسياسة الخارجية الأمريكية موسومة بالعنوان : « المشروع الأمريكي والشرق الأوسط الكبير »، وهو الظهور الجديد الذي يعتبره استمرارًا لما ورد في الأهداف الجوهرية التي بدأت بجهود النخبة وانتهت ممارساتها وتطبيقاتها من قبل المحافظين الجدد على المستوى العالمي وفي الشرق الأوسط على وجه الخصوص، والتي يظهر بها الإنسان غائبًا عن الوجود والوعي والرأي العام الدولي المُزْدَرِي من التصور الحقيقي لهذه السياسة التي تنتهك القوانين والمواثيق الدولية، بذرائع واهية وأهداف براغماتية جشعة في الشرق الأوسط، لأنه أقوى اقتصاديًا، هذا ما يضع السياسة الأمريكية في مسرح الحرب قريبًا من المنفعة وعلى عكس الوضع الذي ساد في أمريكا اللاتينية. فإن بوتقة الجهل والتخلف، كما رآها تشومسكي، هي لشعب يسعى إلى الديمقراطية من السياسة الأمريكية، مما يعني ضرورة وجود أشكال من الديكتاتورية، تجعله عقليًا وفكريًا يحد من عداوته للتححر والسلام، وانعكاسًا لهذا الأمر، يبقى هدف السياسة الأمريكية هو تبرير مسؤوليتها تجاه الأقلية النخبوية بمختلف الوسائل والآليات، هذه مشكلة مقننة بالمعايير الدبلوماسية كونها سياسة أمنية وترويجية للديمقراطية والسلام في منطقة الشرق الأوسط، بينما تكشف تحليلات تشومسكي عن الجانب الآخر الذي يغذي الأصولية والطائفية والعلمانية لدعم السياسة الإسرائيلية، وهذا المأزق يخلق البراغمتية في أشكالها الاقتصادية والتبشيرية للتصادم مع راديكالية الإسلام السياسي البراغمتي، إذا كان العالم العربي يعيش حالة من الفوضى وكانت ثورته هي التحرر من المظالم الداخلية وتشكيلاتها، فهذا وضع يفتقر إلى الثقافة، فماذا يمكن تحقيقه عن طريق الديمقراطية؟ هل السلام ؟ أم أنها تقود أطراف الصراع الدارويني إلى توقع الهاوية؟ هذا جزء من كتابات تشومسكي، بما في ذلك "أوهام الشرق الأوسط" ولهذا يتطرق هذا الفصل إلى تجليات الممارسة الأمريكية ضد سياسة الدول العربية في المنطقة وتحديات السلام وادعاءات الهيمنة والنظرة القائمة للإسلام والعالم العربي ملتزم "بالاعتراف" بها.

المبحث الأول : نعوم تشومسكي والقضية الفلسطينية

تعد القضية الفلسطينية إحدى نتائج هذا التحول والأحداث التي نتجت عن الحروب الأمريكية وأعمالها الوحشية في المنطقة، منذ وعد بلفور (1926) وحتى أحداث 11 سبتمبر (2001). يزداد الوضع العربي توتراً في ظل تصعيد رهيب للصراعات الدموية في لبنان ومصر والعراق وفلسطين، ومع ذلك، فإن هذه التحولات التي أحدثت رجّة في ذهن تشومسكي، طالما أن مبادئها هي دعوات إنسانية للعقل في النظر إلى القيم الأخلاقية وحقوق الإنسان التي خلعتها السياسة الأمريكية على شعوب المنطقة جذبت فلاسفة قبل تشومسكي أمثال روجيه غارودي**، جان بول سارتر***، إدوارد سعيد أعربوا على أنها القضية التي تطرح للمأزق ومصير الإنسان بين حدود الدين والسياسة عجز العقل على إيجاد حل لها، لهذا فما هو موقف تشومسكي من قضايا الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية ؟.

1- المثلث المشؤوم : (الولايات المتحدة، إسرائيل، والفلسطينيون)

منذ بداية العصر السياسي الحديث وظهور فكرة السلام بين الحركات الاجتماعية الجديدة والسياسات البنيوية الجديدة للاختلاف وتفاقم الحروب الدولية على المسرح العالمي، كان من مصلحة معظم الدول رفض فكرة العدوان، بينما كرست جهود سياسية أخرى لفكرة الدفاع في ظل ظروف الحرب الباردة وربطتها بالاتجاه الواقعي لتبرير شرعية الحرب بحجة الدفاع عن النفس والحروب العادلة عن طريق الجهود العسكرية.⁽¹⁾ مع الأربعينيات من القرن التاسع عشر، ازداد التماسك السياسي مع الإصلاح الأخلاقي بإلغاء فكرة الحرب. والتي استمرت في عرقلة حركة السلام مع شدة معارضة الفكر الديني الأصولي للأفكار التقدمية حتى بداية

** روجيه جارودي 1913 - 2012 : Roger Garaudy؛ هو فيلسوف وكاتب فرنسي اعتنق الإسلام سنة 1982. أدين من قبل محكمة فرنسية بتهمة التشكيك في محرقة اليهود في كتابه "الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل" و المعادي للسامية مؤيد للشعب الفلسطيني من جرائم التقتيل والتهجير القسري التي ترتكبا إسرائيل.

https://fr.wikipedia.org/wiki/Roger_Garaudy. Consulté le 20/04/2022

*** جان بول سارتر: 1905 - 1980 Jean-Paul Sartre، الفيلسوف والروائي والكاتب المسرحي الفرنسي، المعروف بأنه الداعي الرئيسي للوجودية في القرن العشرين يتميز عمله الفكري بروح الحرية والسعي وراء الحقيقة من أهم كتاباته الوجود والعدم.

<https://www.britannica.com/biography/Jean-Paul-Sartre>. Consulté le 20/04/2022

⁽¹⁾ تيرينس بول، موسوعة كمبريدج للتاريخ، الفكر السياسي في القرن العشرين، تر: متى مقلد، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ج2، ط1، 2010، ص 205.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

القرن العشرين، والقوة والحرب عقبة في طريق السلام العالمي، أدى تحوله مع السياسة البريطانية والسياسة الخارجية الأمريكية إلى وسيلة تستخدم لتوسيع السياسات الإمبريالية، وتبريرها بحجة الحرب الدفاعية التي شنتها الولايات المتحدة بعد أحداث 11 سبتمبر ضد المسلمين للشَّجْبِ بالعلاقات الدولية، في حين تعززت المعارضة الأصولية، التي تتبنى السلام، كشكلٍ إصلاحي مرتبط بأنانية النخب السياسية ضمن مبادئ وألاعيب تدعي "الديمقراطية والليبرالية". ومع تفاقم الصراعات اللاعقلانية بما في ذلك انتهاك لواقع الفكرة الداروينية المناهضة للحرب من أجل سلامة الوجود البشري⁽¹⁾ لأنها غدت أكثر همجية في تطوير المثقفين التكنوقراطيين لآليات الدولة النيوليبرالية وأسلحة الدمار الشامل، على الرغم من تشكيل الأمم المتحدة عام (1945 م) واتجاه السياسة الأمريكية المعارض على السلام حتى غير أيزنهاور* مسارها. بسبب تدهور البنية التحتية وإفلاس المؤسسات الصناعية العسكرية للانفتاح بديل على الشرق الأوسط⁽²⁾.

يرى تشومسكي أنه الباب الذي ظل مغلقاً أمام جهود السياسة الأمريكية إبان فترة الحرب الباردة، بالنظر إلى المحتوى النفطي للمنطقة، الذي تركّز عليه احتياجاتها الاقتصادية، يظل الشرق الأوسط حلقة وصل في دائرة أهدافها التقدمية وسياساتها التوسعية. بحيث حددت الولايات المتحدة هدفها بالسيطرة عليه لأنه أهم مصدر للقوة الاستراتيجية « وإحدى الجوائز العظمى في تاريخ العالم »، فأدت الحاجة إلى الثروة والنفط إلى تغيير السياسة الأمريكية تجاه مستعمراتها التقليدية في أمريكا اللاتينية وركزت نفسها في شبه الجزيرة العربية، والتي وصفها "أيزنهاور" بأنها المنطقة « الأكثر استراتيجية »⁽³⁾.

لقد أثار هذا المبدأ العديد من المشاكل. كانت المشكلة الأولى مواجهة السياسة الأمريكية ومقاومة العراق لحالة انهياره إلى العدم، أيقظت شعارات الثورة انعكاس الذات العربية على التمزق والتشتت، الأمر الذي ساهم في الركود الحضاري (لخير أمة)، بفعل تتبع الإعلام واستهلاك القيم الغربية. من أجل المصلحة التي لا

(1) تيرينس بول، المرجع السابق، ص 209.

*دوايت ديفيد أيزنهاور: *Dwight David Eisenhower 1890 – 1969*، وهو سياسي والرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة والقائد الأعلى للجيش الأمريكي في الحرب العالمية الثانية، فلسفته السياسية هي حكمه الشعب يمضي محافظ ضد الشيوعية والعالم العربي .

<https://www.britannica.com/biography/Dwight-D-Eisenhower>.

(2) تيرينس بول، المرجع نفسه، ص 215.

(3) نعيم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، تر: عاطف معتمد عبد الحميد، مصر، دار النهضة، ط1، 2007، ص 282 .

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

يعرفها العرب كمصدر لقوة الغرب (الطاقة / النفط) التي يشهدها العالم العربي حاليًا مصنعة ومصورة في التلفزيون والراديو وغيرها من الاحتياجات الاستهلاكية والاقتصادية، بحيث لا يملك العالم العربي أي معرفة أو حقيقة لتجاوز الأزمة، لمواكبة التحولات العالمية للديمقراطية والحرية والأخلاق والقيم الإنسانية.⁽¹⁾

وهكذا، فإنه الجانب الرئيسي الذي يراه تشومسكي سببًا لاستكمال ممارسة العلاقات الدولية على أساس السلطة التي تحكم الطبيعة البشرية، مما يجعل القوة ضرورة حتمية في تنظيم السلام الدولي، لتلك الرؤية البنيوية الواقعية لمستقبل المثقفين الأمريكيين بين المفوضين الذين يخططون للسياسة الأمريكية، والمنشقين عن دعمها للديكتاتوريات الإسرائيلية والنخب الاستبدادية في الشرق الأوسط، كان هدفها ردع القومية العلمانية في مصر ومعارضتها للحركات الشعبية في الدول العربية المجاورة في المنطقة. تدرك جيدًا أن قمع دوافع الغريزية للحرية التي يعترف بها تشومسكي وهيوم يؤدي إلى انخفاض الحراك الاجتماعي الذي يسعى إلى الديمقراطية. وتحقيق مصلحتها دون استقلال القضية الفلسطينية في مشكلة الدولة، بينما تحقق الإنسانية الولاء للولايات المتحدة بشكل مستقل، لأن منح الحرية لشعوب العالم العربي يفقد توازن القوى الذي هو أساسًا جوهر البراغماتية الأمريكية.⁽²⁾

يدعي تشومسكي أن الخبراء السلطة في الولايات المتحدة على دراية بما تُفكر فيه تلك الشعوب في منطقة الشرق الأوسط منذ (1957). أثارت الشعوب العربية قلقًا تجاه إدارة أيزنهاور التي لا تطاق، فإن سياستها البربرية في العلاقات الدولية ما يدعوها (حملة الكراهية ضدنا) فإن الكراهية ضد العالم العربي وليس ضد حكومات الشرق الأوسط التي ترعى المصالح الأمريكية. وبحسب مقدمات تحليلية من مجلس الأمن القومي الأمريكي، فإنها تنبّه إلى أن الذات الأمريكية سبب لمعارضة شعوب الشرق الأوسط للخطط الاستراتيجية في (الحرية والسلام). وإدراكًا لوجودها الملموس في ما يقدمه المثقفون الأمريكيون الذين يدعمون الديكتاتوريات ضد شعوب المنطقة ويقفون كعقبة بين تحقيق الديمقراطية والتنمية. وفقًا لتقرير كارنيجي* فإن تهميش شعوب

(1) علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي: بيروت - لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، 2012 ص 25.

(2) نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2014، ص 11.

*مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي *Carnegie Endowment for International Peace*: أسسها أندرو كارنيجي عام 1910 تدعم الديمقراطية في الخارج وهي فكرة مركزية في السياسة الخارجية الأميركية اهتمامها الجديد بقضية التغير الديمقراطي في الشرق الأوسط. غير ربحية تخلق توازن بين مصالحها الاقتصادية والأمنية. https://en.wikipedia.org/wiki/Carnegie_Endowment_for_International_Peace.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

العالم العربي يعني شيئاً رائعاً يتطلب العديد من الفرص لفرض السيطرة، وهو المبدأ الأساسي للسياسة الأمريكية في السلطة. (1)

لذلك كان موقف تشومسكي من حركة الربيع العربي متفائلاً بعد أن افتقد العالم العربي المنطق والعقل في ظل تدخل السياسة الأمريكية عن طريق علاقات «عملية السلام» وقيم الإعلام، يميز مصطلحاته في الحرية والاشتراكية عن مصطلحات أعداء الحضارة الإسلامية، وهي ما تعني الأقنعة الديمقراطية وقبول الصناعة لشروط خضوع العرب للرأسمالية والإمبريالية في العملية الدبلوماسية. (2)

ونتيجة لذلك، يسيطر المثقفون الأوروبيون على الوعي السياسي في العالم العربي بعدم وجود مشكلة للولايات المتحدة الأمريكية وسياستها في التأثير على دولتين (إيران) و (مصر) في مبدأ توازن القوى عن باقي الدول العربية، فهما يمثلان الإسلام السياسي الراديكالي ضد الغرب في المنطقة، وهو العدو الخطير للنخبة الحاكمة في الشرق الأوسط لمصادر الطاقة. وبفعل منع الديمقراطية في مصر ودعم الأصولية الإسلامية في تحالفها مع المثقفين السعوديين، تفقد شعوب المنطقة مناعتها من الثورة والانتفاضة ضد مستثمريها. لذلك فإن هذه الجريمة يبررها المثقفون الواقعيون بمعاداة القومية العلمانية بحجة أن شعوب العالم العربي والشرق الأوسط ليست مستعدة بعد للديمقراطية؛ ومع ذلك، فإن تشومسكي يعدها لمخاوف النخبة الأمريكية من مواجهة مشكلة الديمقراطية. (3)، وقضايا أخرى تتعلق بالحقيقة والصراع الإسرائيلي الفلسطيني.

على هذا الأساس، يدفع نقد تشومسكي الاهتمام السياسي للحقيقة والديمقراطية بالتوازي مع علي حرب إلى حد الذي يتم فيه تفكيك البنية الأساسية للأنظمة الشمولية على غرار ما يحدث من السياسة الأمريكية الداعمة للديكتاتوريات لخدمة مشروع كولونيالي في العالم العربي، قد أدرك العرب أن طبيعة القيم التي تعبر عن هوياتهم تتعارض مع طبيعة التحولات العالمية؛ لأن العقل السياسي الغربي يتحكم في ثقافة العالم الثالث بألقابها ونسخها المختلفة في أكثر من دولة أو منطقة. وبفعل الثورات العلمانية التي ازدهرت قيمها في الغرب

(1) نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم، المصدر السابق، ص 11.

(2) علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي؛ بيروت - لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، 2012 ص 25.

(3) نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم، المصدر نفسه، ص 16 17.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

بالفلسفة والمعرفة والعلم في ماضٍ مشابه لانخراط العالم العربي، إلا في مآزقه الحضاري فقط، لم يتغلب عليه لأنه كان لديه الرغبة في أن يكمله الآخر الذي يمثله (العقل الغربي الأمريكي). لذلك إذا تأخر العرب عن مواكبة الواقع الحقيقي للديمقراطية السليمة، فهذا يعني أن العقل السياسي راكد في قيام ثورات العنف والفساد الأخلاقي، وليس ثورات الفكر الاشتراكي والليبرالي الإنساني.⁽¹⁾

في هذا السياق، تتطلب غريزة الحرية نظرة عميقة لتشومسكي في طبيعة هذا الصراع، لأنها تجسد موقف السياسة الأمريكية الاستبدادية في منطقة الشرق الأوسط، لذلك يصف تشومسكي هذا الصراع بأنه يشكل "مثلث مصري" بين القوى الثلاث، بحيث تتصارع القوة العظمى مع القوتين الأخريين بطريقة محايدة وتعتبر وجودها ضرورياً للحفاظ على التوازن الدولي، ومع ذلك، فإن السياسة الأمريكية التي تنعكس في تحليلات تشومسكي هي الروح العظيمة والجوهر الواضح والدقيق للفساد البشري والخداع الفكري والدافع الحقيقي لإدامة هذا التناقض ضد النضال العربي في تحقيق الديمقراطية و السلام العالمي. لهذا السبب يؤكد تشومسكي أن "الولايات المتحدة وإسرائيل وفلسطين ثلاثة كيانات مختلفة في السلطة، والولايات المتحدة هي الأقوى في العالم. إسرائيل تتبناها كأصل استراتيجي، على عكس الفلسطينيين، مع أمل ضئيل حتى في البقاء، وهذه الأجزاء الثلاثة محاصرة في المثلث المشؤوم، تنجرف نحو الكارثة في علاقة ثلاثية متضاربة".⁽²⁾

لكن واقع هذا المثلث المشؤوم يعكس، وفقاً لتشومسكي، طبيعة فقدان الحرية بفعل الهيمنة الأمريكية الخفية للمحافظين الواقعيين الجدد، تترك آثارها وتأثيراتها مؤسسات سلطوية باتت ضرورة وشبكة عمل قومية تقررها الهيمنة الأمريكية في العالم كله، وبما ينسجم مع الموارد التي تحصل عليها من إسرائيل. والعالم العربي يعيش وقائع المظاهرات والاحتجاجات في بلد يكاد يؤدي إلى الاغتراب عن كونه عالماً مختلفاً،

(1) علي حرب ، المرجع السابق ، ص 25.

(2) Noam Chomsky, Edward W. Said The Fateful Triangle, The United States, Israel and the Palestinians. New York, Book Sales Consortium for Publishing and Distribution, 1st ed., 1999. p740.

"Chomsky says: " The United States, Israel and the Palestinians—three national entities so disparate in power that it seems absurd to link them in a single phrase..., these three parties have become locked into a fateful triangular relationship, and within it they are drifting towards disaster. "

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

لأن الديمقراطية الغربية قد وجهت ضربة لأفكار في عقد مبدع وغير متطور. أدى استبداد الجانب المادي إلى تدمير الدعامات الروحية والقيم الأيديولوجية للعالم العربي. (1)

لم يعرف التاريخ الإسلامي إبداعاً حضارياً أو منتجاً عالمياً أو إعلامياً، لكن انفتاحه الثقافي على المعدات يفوق أسلوب تفكيره المعرفي. لقد أدى استهلاكه للديمقراطية الغربية إلى التعقيم عليه في الوقت الحالي من قبل السياسة الأمريكية، وكذلك إلى تفكيك هويته بسبب الركود الفكري المستقبلي في تقاليد الانتخابات للديمقراطية الفعلية، واستثماره في المشاريع والأعمال العملية التي حولته. في انحلال القيم إلى فساد حضاري، والشيء الذي جعل السياسة الأمريكية تشجع الحركات الإسلامية، خاصة فلسفة الإخوان المسلمين، عندما وجدت أن خط الاستمرارية يتوافق مع مصالحها في تدفق الأموال العربية والاستثمارات النفطية. (2)

في مثل هذه الحالة، بدا أن تظليل الحقيقة كان ضرورياً في تشكيل القوة الإسرائيلية من المثقفين الأنجلوسكسونيون لكي تتبناها الولايات المتحدة كأصل استراتيجي. وفقاً لتشومسكي، كان صراعاً معقداً قد يعني الرغبة في السيطرة، مدفوعاً له من الجانبين، أولهما: "حادثة الهولوكوست" والثاني:، إلى دعم النخبة الأمريكية الفاسدة، لخلق فكرة الدولة باعتبارها جوهر حماية الجنس البشري من الفوضى في علاقات توازن القوى لهذا (الصراع الإسرائيلي الفلسطيني)، من وعد بلفور (1919) تحولت ممارسة السياسة الأمريكية إلى نهج ديني، وضرب الركائز الروحية بالأساطير والأوهام التي تحجب الوعي عن الحقيقة، كحجة لتعزيز القوة الإسرائيلية من النواحي العسكرية والأيديولوجية وتشكيل الذرائع في خطابها السياسي وفقاً لأفكار لويد جورج*، ويليون، هاري ترومان**، الذين يعتبرهم تشومسكي الواقعيين الليبراليين قد أسسوا النفاق والشر للذين لهما

(1) جون آر برادلي، ما بعد الربيع العربي : كيف اختطف الإسلاميون ثورات الشرق الأوسط. تر: شيماء عبد الحكيم طه، القاهرة- مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة للنشر، ط1، 2013، ص 216.

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

*ديفيد لويد جورج، 1863 - 1945 David Lloyd George، رئيس الوزراء البريطاني الذي سيطر على السياسة البريطانية في أواخر الحرب العالمية الأولى انتهج مع وودرو ويلسون مساراً وسطياً في دعم المحافظين تميز بفن الخطابة وإقناع الطبقات والأعراق المضطهدة بأن عنف وكرهية حقيقية لمن أساء تعامل مع السلطة. <https://www.britannica.com/biography/David-Lloyd-George>

** هاري ترومان، 1884 - 1972 Harry S. Truman : الرئيس الثالث والثلاثين للولايات المتحدة من الحزب الديمقراطي تولى السلطة في أواخر الحرب العالمية الثانية وبدايات الحرب الباردة، معارض للتوسع الشيوعي والسوفييتي.

<https://www.britannica.com/biography/Harry-S-Truman>. Consulté le 13/01/ 2022.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

آثار على الاعتراف بوحدة المسيحية والصهيونية في ثانيا الكتاب المقدس، بأن « إله وعد اليهود بالأرض » والدعاية لها على أنها ديمقراطية إلهية ، واجب إلهي بسلطة إلزامية، لكن تشومسكي يمنح الحقيقة شعوراً فطرياً. الغرض من هذا الخطاب الديني السياسي هو خدمة المصالح الأمريكية والغربية ليكون لها وجود يهودي. بدلا من الوجود الفلسطيني في الشرق الأوسط الذي نفذه مثقفون بريطانيون لتمكين اليهود من الاستقرار في فلسطين كغاية للاتهامات المباشرة والأكاذيب ضد الإسلام الذي تعتبر قيمه اشتراكية مثالية.⁽¹⁾

وهناك قدر هائل من الأحداث والأدلة في الشرق الأوسط. أن تكون المنطقة الرئيسية في دعم اختراق الصراع الطائفي وتشتيت العرب عن طريق تحريض القوى الإسلامية والأصولية والإرهابية ، وهدفها تدمير القومية. لكن مثل هذه الأشياء، إذا كانوا يعرفون اللغة السياسية أو الخطاب السياسي، يعودون إلى تعقيد الأفكار والأخبار وتعدد الدعاية الصهيونية، ولديهم مصادر مختلفة للإرهاب والجرائم في العالم العربي. عن طريق تصوير جماهير التحرير والحركات الثورية، مثل حركة التحرير الفلسطينية، على أنها معادية للديمقراطية وإرهابية في ضوء هذه الاختلافات بين الأحزاب، يظل الجمهور الثوري، بحدسه في لغة الخطاب السياسي، مقتنعا بقدراته العقلانية كدعاية نفسية للتشكيك في معتقداته، هذا الاستقطاب السلوكي تمثله الطبقة الحاكمة كامتداد لنظريات فريدريك سكينر (1904م - 1990م) *B. F. Skinner*، ودليل تشومسكي حول تلك الادعاءات ويتم الترويج لها والاستماع إليها في الأخبار، على سبيل المثال، عبارة "الربيع العربي" هي مجرد سلوك لفظي لإثارة الجماهير واستجابتها للديمقراطية، والدليل على ذلك ضئيل كأفعال عقلانية.⁽²⁾

لقد أعاد المثقفون الغربيون بناء فكر سياسي براغماتي من العقل الأمريكي يؤثر على الجماهير على كلا الجانبين، بأن الدولة هي (السيد) والمسؤولة عن الاعتراف بأي سلطة على مسرح العلاقات الدولية. لذلك، بدأت هيمنة السلوكية الإسرائيلية تعتمد بشكل كبير على سلطة الفاتيكاني في موقعها السري في الخبرات والمعرفة التي تجعل صناعة الموافقة على شيئاً غير واضح لشعوب العالم الغربي.

(1) Noam Chomsky: on Palestine, United States, Library of Congress, first edition, 2015 ,p55.

(2) Neil Smith, Chomsky's ideas and ideals : Ibid': p 179.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

يمثل تعاطفاً مع المثقفون الأوروبيون مع فكرة الدولة الإسرائيلية ومخطط معاداة السامية ومحركة "الهولوكوست" لبناء "مجتمع مسكوني" لليهود في الشرق الأوسط. وهدفها هو ممارسة الفاتيكان لتوسيع الحركة الصهيونية في العالم العربي مع إثارة الرأي العام بتبرير من البابا بيوس الثاني عشر*** بأن "الفاتيكان" ضد الاضطهاد النازي للإنساني. وفي الحين الذي تمكنت فيه الولايات المتحدة من الاعتراف بدولة إسرائيل (1948)، بدأت الدعاية ووسائل الإعلام للترويج لفكرة "معاداة السامية"، لهذا أكد المثقفون الغربيون القانونيين في دول العالم على أن إنكار حقيقة المجتمع المسكوني من التيارات المعادية لليهود يعني تقويض مبدأ السلام الديمقراطي ويوفر ملاءمة التدخل السياسي الواقعي للولايات المتحدة للسيطرة على المنطقة بحجة مناقشة تسوية بين الدولتين.⁽¹⁾

ونتيجة لذلك، تريد السياسة الأمريكية تقوية ذاتها على أنها الإمبريالية عن طريق غسل عقول الناس بالمصطلحات الخادعة مثل "الربيع العربي"، "الخط الأخضر"، "التسوية"، وما إلى ذلك، وهذه فرصة أخرى لتعزيز الديمقراطية البراغمية، للإطاحة بالقوى النووية الكبرى مثل "إيران" في الشرق الأوسط، مما يفتح الطريق لها كإمبراطورية من موارد النفط، حتى تتجنب النخب وعي المثقفين واليسار العربي والجهل بتشكيل معارضة شعبية عن الثورات المسلحة، يتم تفكيكها بالحصار الوحشي ضد التمرد على الحكومة الإسرائيلية، ويرى تشومسكي أنها ليست سوى لحظة تعذيب قاسي واضطهاد للجنس البشري، والغرض منها إشعال شرارات الربيع العربي، الذي يسمح بتوازن أمني لمصالح الولايات المتحدة وإسرائيل، بإخراج من الساحة السياسية العالمية القيم الإسلامية المنبثقة عن القوى النووية الإيرانية، وفق معايير واقعية للسلام الديمقراطي تتخلى عنها كل الدول العربية في المنطقة.⁽²⁾

***البابا بيوس الثاني عشر، جيوفاني باتشيلي 1876 - 1958 *Pope Pius XII, Giovanni Bacelli* : رئيس الكنيسة الكاثوليكية لمدينة الفاتيكان استخدم الدبلوماسية لمساعدة ضحايا النازيين، تميز بخطابه العقائدي حول التعليم والطب والسياسة والحرب والسلام، تأسف لقضية غاليليو، مجادلاً بأن العلم والدين أخوات سماويات لا يؤيد ديمقراطية الجماهير، يؤيد الحرية الفردية.

<https://www.britannica.com/biography/Pius-XII>.

⁽¹⁾ محمد بن علي بن محمد بن آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، 2003، ص 76 - 78.

⁽²⁾ Noam Chomsky, Michael Bruning: November 18, 2013. Interview, The Arab Spring: 'Power doesn't just say: Thank you for dismantling'. Journal of International Politics and Society IPG, accessed on 12/26/2022. 6:30, website link: https://chomsky.info/20131118_en.. P1

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

ومن ثمة، بنى النظام السياسي الصهيوني فلسفته على الثقافة والسلطة، وبعدها الديني في التوراة، على نهج نيتشه الشامل، في تبرير الطبيعة البشرية ببديهيات تفرض العنف والرغبة في السلطة، بطرق غير عقلانية تشير إليها كل من الفاتيكان والسياسة الأمريكية، يصفه مايكل رايس* بأنه براثن وتأثيرات المادة وادعاءات الإعلام الصهيوني لحقيقة التاريخ الفلسطيني. نظراً لتشومسكي فإن تفاقم الميثولوجيا في السياسة هو ممارسة من قبل المثقفين الغربيين لتلقين الجماهير الحقيقة التي تعكس التفسير المقدس بأن اليهود هم سادة دين "العهد القديم" و (شعب الله المختار).⁽¹⁾

حقيقة مثل هذا التأويل لها محددات الطبيعة البشرية الأنانية الميكافيلية. لكن مع ظهور المسيحية والإسلام وظهر الصراع الحضاري، بدأت السياسة الأمريكية في دعم إسرائيل وفقاً لمبادئها السياسية ومصالحها الاقتصادية البراغماتية. دون الخروج عن حجج المفكرين الرئيسيين للنظام الديني البروتستانتي، وهو "الإيمان المسيحي" في الشرق، والذي يأخذ بعداً في الإيمان بغريزة الروح، التي تعني الملكوت والحياة الأبدية، هذه إحدى الحجج التي اختلقتها سياسة الولايات المتحدة بانتهاك قوانين الأمم المتحدة بشأن "الملكية اليهودية للأراضي الفلسطينية". بحجة أنها أمر إلهي وتطبيق شرعي للعدالة الاجتماعية والمساواة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، انطلاقاً من حقيقة ما جاء في فهم للنص المقدس من المثقفين السياسة الأمريكية.⁽²⁾

وفي هذا السياق، يؤكد علي حرب أن الحرية والديمقراطية اللتين كان لهما تأثير على العرب في الماضي هما في شكلهما المؤقت، وأن هيمنة الغرب كانت صراعاً وتشكلت على قيم البروتستانتية التي هي القيم السياسية والفلسفية لروح الرأسمالية كما حددها ماكس فيبر، والتي لم تستوعبها الحضارات الإسلامية أو العربية، وبفضل ذلك تولى دخول السياسة الأمريكية وبعض الديمقراطيات الغربية إلى الساحة السياسية

*مايكل رايس 1969 Michael Rice: مؤرخ دبلوماسي بريطاني وباحث في آثار الخليج و مصر. له مؤلفات كثيرة في سياسة الشرق الأوسط و التاريخ القديم للخليج ومصر، تأثرت اعماله بمنهج كارل يونغ في التحليل النفسي. أسس في شركة Michael Rice and Company للعلاقات العامة في عدة دول محلية كالبحرين والسعودية وقطر. يرأس جمعية الصداقة البحرينية البريطانية .

<https://altibrah.ac/author/1786>.

(1) مايكل رايس، الوطن المغتصب، إسرائيل في فلسطين و البحث عن حل، تر: إبراهيم سلامة إبراهيم، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003، ص9.

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

العالمية، في تغيير صورة العالم وخريطته على أفكار ومبادئ هيجل في وعي القراءة للتاريخ، وهي مرحلة غير مسبوقة استيقظت عليها الدول الفقيرة والمهمشة المتخلفة فيما بينها في صراع ثقافي وفكري.⁽¹⁾

لكي تصبح، في هذا التاريخ المعاصر، مصدر القوة الفاعلة في الترويج لأفكارها وقيمها البروتستانتية عبر الدعاية والإعلام، وجامع ثروات الأمم ورؤوس الأموال. وبتصرفات مفكرها وفلاسفتها، لم تظل ملتصقة بسياستها، أو خائفة من هويتها، أو ملتصقة بآلهتها أو قادة طبقاتها الحاكمة، أو خائفة من المنافسة في السوق ضد دولة أو حزب، أو غارقة في نرجسيتها الثقافية. لذلك فإن السياسة الأمريكية لا تنظر إلى الأعداء بعين محايدة من العداء دون المساس بالدخول إلى مملكتها السياسية والفكرية. على عكس العرب الذين يقلدون قادتهم ويتمسكون بأفكارهم وسياساتهم وآلهتهم، خائفين عن هوياتهم وثوابتهم، وتغيرات العالم بعين الاغتراب أو العداء، واحتضانهم لقيمهم الثقافية.⁽²⁾

ونتيجة لذلك، فإن مشكلة الافتراضات العنصرية متجذرة في ثقافة أي دولة أو في تكوينها الحضاري، كما وصفها علي حرب، كونها عاملاً يسهم في التخلف والصراع ويزعزع استقرار المشاركة الديمقراطية في عملية السلام؛ لكن تشومسكي لا يوافق على مثل هذا التحليل، لأن التثقيف والحدثة للجمهور هما جوهر صنع سياسة الدولة، مما يجعل مناقشة السياسة الأمريكية قضايا العالم العربي والفلسطينيين في هندسة فكرة الديمقراطية أو السلام العالمي على النهج الأوروبي، الأمر الذي يجبر العرب الفلسطينيين على الموافقة والاعتراف أو رفض السلام.⁽³⁾

وعليه، يقول تشومسكي: «لا نستطيع أن نفهم عملية السلام تفهماً كاملاً بدون وضع الوسط الثقافي، الذي خرجت منه عملية السلام. الوسط الثقافي لا يمثل فقط فكر المثقفين الغربيين المشهورين». ⁽⁴⁾ «بالتكنوقراط»، لذا فإن السؤال الذي يطرح نفسه: هل "عملية السلام" ممكنة من وجهة نظر تشومسكي؟ طالما أن هناك إستراتيجية أمريكية واقعية.

(1) علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي، بيروت - لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2، 2012 ص 25.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) نعوم تشومسكي، قراصنة وأباطرة الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، سوريا، دار حوران للنشر والترجمة، ط1، 1996 ص 21.

(4) نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، المصدر السابق، ص 21.

المبحث الثاني: "عملية السلام" والاستراتيجية الواقعية الأمريكية.

أوضح تشومسكي أن إنشاء مصطلح السلام وفقاً لمبادئ التجريبية والسلوكية هو شكل مناسب لشرط مفيد لإملاءات المثقفين الغربيين في الحكومة الأمريكية، بأن تخطيط لمسار السلام يكون وفقاً للشروط الواردة في المقال الذي كتبه " بيرنارد غفير تسمان" على فكرة تجزئة الأرض لإظهار الدولة لما لها من نتائج مفيدة للحكومة الإسرائيلية. لذا يمثل تطبيق هذا الأسلوب إقامة الحكومة المفصلية في القدس، والتي تهدف إلى رؤية نظام ناجح في السيطرة على فكر العالم العربي، وإبعاد الشعب الفلسطيني عن مقومات الخيال الرمزي والتقافي والديني (للقدس) ،بفعل ممارسة التظليل الميثولوجي .وبينما تتظاهر وسائل الإعلام الأمريكية بالالتزام برغبة العرب الفلسطينيين في السلام، فإن منظمة التحرير تحبط الناس بعنفها من تبني هذا الحل. وفقاً لتشومسكي، لم يكن هذا حلاً، بل شرطاً إجرائياً يحرمهم من حق تقرير المصير في الأرض.⁽¹⁾

بما أن تشومسكي كان يوازن بين الأحداث الدينية والسياسة الأمريكية، فقد خلص إلى أن أعمال القتل والإرهاب والوحشية للشعب الفلسطيني ،بأنها مجرد سياسة ممنهجة للمثقفين البريطانيين لامتلاك البنية التحتية، ومنحها منافسة اقتصادية عن طريق إفادة الحكومة الإسرائيلية بالأرض. لذلك، فهي تعزز ديمقراطية عظيمة تشمل مصالح بريطانيا والولايات المتحدة، حيث كانتا قوتين في القرنين السابع عشر والتاسع عشر. ما يعنيه هذا بالنسبة لتشومسكي هو تحويل العرب إلى طبقة عاملة لإثراء السياسة البريطانية الأمريكية، وبالتالي خلق الانقسام الاجتماعي بفكرة خط الأمن الأخضر في الضفة الغربية من إسرائيل للسيطرة والتأثير على أساس فكرة كارل ماركس لتفكيك البنية الفوقية.⁽²⁾

لهذا يؤكد تشومسكي أن المنفعة والاستخبارات حليفان للسياسة الإسرائيلية، والدبلوماسية الأكثر خداعاً وراء الإبادة الجماعية هو السياسة الأمريكية الخفية التي يصفها باروخ كيمرلنغ بأنها إجراء برلماني من لجنة بريطانية، ونفاقها للقوانين الدولية يبرر غاياتها بالوسائل والأقنعة الإسرائيلية. بدأت حالة الواقع الإنساني للشعب الفلسطيني تتنازل مع التأثيرات سكينر في المجاعة الاقتصادية لـ(300 ألف فلسطيني)، وتأثيرات

(1) نعوم تشومسكي، قراصنة وأباطرة ، المرجع السابق ،ص.22.

(2) نعوم تشومسكي، مداخلات، تر: محمود برهوم ونوال القمار سرياني، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2007 ص 70 71.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

هوبز، في تنازل على حقوقهم الإنسانية لـ (7500) مستوطن، وبالقوة والدعاية الأمريكية، يتم تقويض مبدأ المساواة القانونية بين الطرفين دون وجود ممارسة رقابية تجسد ما نص عليه قرار الأمم المتحدة (242). الأمر الذي يجعل الديمقراطية وسيلة لمنع السياسة الأمريكية واعتراضاً على حق النقض على جميع أشكال السلام القانوني للأمم المتحدة التي تنهي هذا الصراع. يؤكد تشومسكي أن صحيفة 'هآرتس' الإسرائيلية تبرر تلك العمليات العسكرية المشتركة بأبعادها غير المرئية، لأنها مخبأة بشكل فعال بلغة بيروقراطية. تبدو الولايات المتحدة محايدة، لكنها سرعان ما تسبب صدمة. للرأي العام الدولي.⁽¹⁾

لهذا فإن الرغبة في إزالة العوائق أمام التوسع الغربي تتخلص من الموارد والقيم بحرية لأنها مستوطنات غير شرعية دون أي مقاومة شعبية ومعاونة الإنسانية من فساد النظام القانوني والأخلاقي في عام (1976) تفتح السياسة الأمريكية جرائم ضد الإجماع الذي يتعارض مع العقلانية الواقعية والمقاييس البراغمية. ظلت التسوية الدبلوماسية كابوساً للحكومة الغربية، وخاصة الديمقراطية الأمريكية، غالباً ما تكون هناك أهداف للسياسة الأمريكية ضمن الأجندة العسكرية لردع التسلح والنفوذ الإيراني في المنطقة.⁽²⁾

تتدخل القوى الغربية في منطقة العالم العربي لغرض الحماية وحقوق الإنسان عند ممارسة حق النقض (الفيتو) ضد ترشيح قرار لمجلس الأمن من الولايات المتحدة يطالب بشروطه الأساسية، بما في ذلك إقامة حل الدولة لليهود العرب والفلسطينيين.، لكنها تأجلت في هوامش التاريخ البشري باعتبارها مجرد استثناءات نادرة ومؤقتة، لتأجيج الصراع الطائفي، يجب على إسرائيل أن تحتوي على وسائل الإعلام والدعم التقني والتكنولوجيا للمراقبة والسيطرة الدفاعية، والاستعداد لأي عدوان إيراني، و في ظل هذه الشروط المسبقة، تدعم الولايات المتحدة الإنتاج والصناعة في إسرائيل لمضايقة إيران، لذلك فإن الحرس الثوري

(1) نعم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 70 71.

(2) Noam Chomsky, Michael Bruning November 18, 2013. Interview, The Arab Spring: 'Power doesn't just say: Thank you for dismantling!'. Journal of International Politics and Society IPG: accessed on 12/26/2022 AD. 6:30, website link: https://chomsky.info/20131118_en. P1.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

الإيراني يشكل عقبة كأداء أمام مصالح الغرب البراغمية وطموحاته. الخطر هو ملكيتها والاتفاق النووي الوثيق مع القوى العالمية الكبرى.⁽¹⁾

وظل الرد الإسرائيلي أكثر رفضاً وتمسكاً بالعلاقات السياسية الأمريكية، متبنياً أعمال عنف وإرهاب ضد حركة التحرير الفلسطينية، وما يعنيه تشومسكي هو أن متقفين مثل ساذجة هنري كيسنجر وضعوا فلسفة رفض أي نزعة إنسانية مثالية في إقامة السلام العالمي بغض النظر عن تقدم الحضارة الغربية. يرفض انهيار التجريبية المنطقية في العلم، لأنها قوة من قوى الليبرالية الاقتصادية، لذلك كانت فكرة "وليام روجرز" (1913-2001) *William P. Rogers*، معاداة مجلس الأمن، رفض منح حقوق أولئك الذين لديهم ميل إنساني إلى العلم للقوى المعادية للأمم في فكرة التسوية والحل للفلسطينيين. ضمن أحكام القرار (242). الدعوة إلى السلام العادل هي أن تكون شعوب الشرق الأوسط مبدعة في تقديس العلم وتشجيع القوى المنتجة، لكن ما قوضته السياسة الأمريكية، لأنها ترفض ما يخالف أهدافها البراغمية، وتخلق طفرة دبلوماسية في القانون الإنساني، حتى لا يتم الاعتراف بحقوق الفلسطينيين دون مكافأة مادية للغرب.⁽²⁾

وبسبب هذا العجز، فإن مبرراته تستند إلى نقص الإنتاج الفكري والمادي، ويحتاج العرب إلى استكشاف هندسة فكرية جديدة كمصدر يمنحهم القوة في الساحة السياسية. ولا عجب أن تستاء الدول العربية من استبداد السياسة الأمريكية الإسرائيلية لثوابت وقيم وخصوصيات المادية والثروة لفلسطين ولبنان وسوريا ومصر. لأن الحفاظ على القومية ليس عودة إلى مبادئ الديمقراطية والحرية والاشتراكية بدون وعي وفكر. لا شك أن المعرفة هي جوهر القوة في عصر الدول والسياسة الحديثة، ومن الواضح لعلي حرب وأرسطو و تشومسكي أن امتلاكها يزيد من قوة الدولة وتفوقها. لأن عدم فهم الدول العربية للعمليات الكونية والمعرفية لإدارة التحولات المادية والاقتصادية والسيطرة على أنظمتها السياسية يقودها إلى تدهور مأساوي. لأن مبادئ وقيم الواقع الإنساني الكوني المعاصر تتميز بالحركة الدائمة والنضال الفكري والثقافي من أجل التغيير و تسريع تقدم الحضارة.⁽³⁾

(1) Ibid': p1.

(2) نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، تر: شيرين فهمي، القاهرة، مكتبة الشرق الدولية، ط2، 2002، ص 31.

(3) علي حرب، ثورات القوة الناعمة، المرجع السابق، ص 25.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

لذلك يعمل الغرب بفلسفة الرفض، من بإشلال إلى نهاية الإنسانية مع فلسفة لودفيج فيريباخ المادية، على الطبيعة البشرية دون تأمل روحي، لكنها تنتظر بالأحرى إلى الوجود المادي، جوهر التطور المعرفي والبيولوجي. لهذا السبب فاقم المثقفون العزلة الأمريكية الإسرائيلية. الأمر الذي خلق رد فعل انتقامي من الأمم المتحدة وميلها الأخلاقي بقصف (إسرائيل) على (لبنان) لإبادة 'خمس قروياً'، بعبارة أخرى، القضاء على طبقة الفلاحين، وتحويل الإنتاج من الضرورة إلى الاستهلاك لمصالح الغرب، والإقناع بأن العبء أو المسؤولية في السياسة الأمريكية تقوم على خداع الدول التي تمتلك قوة العلم و التقنية بحجة أنها ضربة استباقية وحرب وقائية ضد «وباء الإرهاب» الذي تمارسه حركة التحرير الفلسطينية ضد الدبلوماسيين ورجال الأعمال النخبة في الشرق. قد تمتد جذورها إلى مصالحهم، لكن تشومسكي يعتبرها سياسة رفض الحقيقة والعدالة للتوسع الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية تحت مظلة الولايات المتحدة الأمريكية.⁽¹⁾

في هذا السياق، لم يكن هناك عدالة إنسانية في نظر تشومسكي أو رد على الممارسات الأمريكية اللاأخلاقية من جانب المثقفين في الأمم المتحدة، وهذا الأمر هو أن غالبية الفلسطينيين على دراية بالدعم المشترك بين الحكومة الإسرائيلية و الدولة الأمريكية. لذلك فإن الواجب الأمريكي يمثل اقتراحاً، بالطبع، بأن يحتفظ الإسرائيليون بالأرض، ومبادرات الخطاب السياسي الموجهة ضد حركتي التحرير فتح وحماس خارج منطق التفكير في الأرض، بينما تمنح الفلسطينيين شعوراً بالحرية والانتماء المرتبط بشعور من المرارة. لأن الموقف الأمريكي لديه مخاوف وقلق وغضب من العمل الجماهيري، فإنه يخوض معركة من أجل حقوق مدنية متساوية، مثل صدمة جنوب إفريقيا في نجاح نيلسون مانديلا في تعزيز الحرية وإنهاء الفصل العنصري.⁽²⁾

في حين أن الأمم المتحدة تقدم مثل هذا البديل الواقعي للتسوية في (1967) فيما يتعلق بالفصل الإنساني بين الدولتين، فقد رفضت اللجنة الثلاثية المكونة من ("حاييم هرتسوغ" و"بنيامين نتنياهو" و"موشيه ديان") القرار الدبلوماسي عام (1972) بحجة أن المشكلة الديموغرافية لإسرائيل تمثل تعاطفاً غربياً معها لإقامة الدولة اليهودية، لأن هذا الميل الغريزي إنساني وأخلاقي، لا يمنع حرية الفكر والتعبير بأي شكل من الأشكال، لأي

(1) نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، المصدر السابق، ص 32.

(2) نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، المرجع: فواز زعرور، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2017 م، ص 206.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

فلسطيني ليعترف بوجوده، تمامًا كما لدينا اعتراف طبيعي فطري بأن الأرض من هبة الرب لليهود. لذلك، فإن السياسة الأمريكية تدعم الواقعيين الإسرائيليين عسكريًا ودبلوماسيًا وأيديولوجيًا على أساس المبدأ البراغماتي المتمثل في اعترافهم بقوتها الاقتصادية وولائهم، في تحريف الحقائق من أجل تحقيق حلمها الطوباوي على أرض الواقع.⁽¹⁾

لذلك، أثار دعم حركات الإسلام السياسي من جهة، وهجوم في تل أبيب على الطبقات الحاكمة وأعضاء المخابرات النووية أو تلك المرتبطة بإيران، بحيث يكون الرد على السلوك المناهض لإسرائيل. هذه فرصة للتدخل الأمريكي لحماية الشعب الإيراني والمناطق العربية المجاورة، وهدف الولايات المتحدة تصنيف الحرس الثوري الإيراني كمنظمة إرهابية معادية لعملية التسوية والسلام في منطقة الربيع العربي. ولهذا يؤكد تشومسكي أن استمرار دعم الولايات المتحدة في تفكيك العالم العربي، بدءًا بالصفة الغربية وتهجيرها من غزة، هو مجرد انتهاك لاتفاقيات أوسلو (1993)، لتقليص عدد السكان العرب في المنطقة عن طريق القتل والإبادة والتهجير، وتبرير أساليب العنف بالدعاية والإعلام الغربي بـ"المشكلة الديموغرافية".⁽²⁾

وعلى هذا الأساس ينتقد إدوارد سعيد هذه المشكلة في كتابه "نهاية عملية السلام؛ *The end of the peace process*"؛ بالقول إن مثل هذه المفاوضات تهدف إلى التآمر على ديمومة الشتات الفلسطيني ومصدر قلق تجاه عزل الهوية عن الوجود والتراث المادي؛ السلطة التي تمثل حق الفلسطينيين خارج الشرق هي النخب الرأسمالية والطغاة، بمن فيهم مثقفون وخبراء من عمان أو القاهرة، وتجاهلها لعرفات، لأن كل ما في الأمر - كما أكد تشومسكي - هو مناشدة البراغماتية والواقعية الأمريكية. لذلك تبدأ السذاجة وعبء المسؤولية في تمثيل الخبراء العرب، لأن لديهم تقليدًا مهينًا بدرجة كافية من الأيديولوجية الغربية - فكريًا وسياسيًا واقتصاديًا وأخلاقيًا، واستنتجوا أن المجلس الوطني الفلسطيني له قيمة كبيرة في إثبات الحقيقة، والمعارضة. ذلك التلاعب الديموغرافي غير الواقعي الذي يضعف الكفاءة الرأسمالية في انتصاره للقيم والحقوق الديمقراطية الفلسطينية. وبفضل وثائقه المؤرشفة، وبفضل خيانة المثقفين، تم مصادرة الممتلكات

(1) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(2) Noam Chomsky, Michael Bruning November 18, 2013. Interview, The Arab Spring: 'Power doesn't just say: Thank you for dismantling ' Ibid': p1

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

والأراضي لإسرائيل بسبب تجاهل عرفات لأهميته، والأمر الذي ينفي وجود الشتات الفلسطيني في كل أوروبا، بيروت، عمان، دمشق وأمريكا، بأن لهم حقوقاً على الأرض. مثل هذا السلوك للمتقنين والخبراء العرب لا يرقى إلى أخلاقيات المسؤولية والعدالة الإنسانية.⁽¹⁾

وفي هذا السياق، يضع تشومسكي عبء المسؤولية على عاتق خبراء القوة الأمريكية لأن وراء الحجة الرسمية للسلام الدائم تحقيق الإبادة المادية، وهذا يتعلق بالقضاء على القوى السياسية المعادية الحقيقية، سواء إيران أو منظمة التحرير الفلسطينية، في حين أن ما أشار إليه إدوارد سعيد بين خبراء القوة العرب، فإنهم ليسوا سوى طبقة مرتزقة مدفوعة الأجر اقتصادياً هدفهم تمثيل الإسلام السياسي، (أي نقيض العكس). لا يستطيع تشومسكي أن يتجاهل دوافع خبراء السياسة الأمريكية الإسرائيلية في قصف لبنان (1981)، لأنه موقف يعكس التحقيقات في أي من طبيعة هؤلاء العرب في السلطة، هل هم قضاة العدل والحقيقة، أم مؤيدون للرعاية الميكافيلية البراغماتية؟.⁽²⁾

لهذا السبب، يؤكد أن تحقيقات عاموس إيلون* في الأرشفات اللبنانية تظهر أن تدمير مبادرات التسامح وخطة السلام للفلسطينيين هو مؤامرة من قبل خبراء (المملكة العربية السعودية)، ذات نزعة أصولية حليفة، ليكون لها وجه أخلاقي واستحسان. أمام الألم القديم - لكارثة الولايات المتحدة، 11 سبتمبر-، وتكمن هذه النقطة الاستراتيجية، من وجهة نظر تشومسكي، تكمن في عدم التسامح مع منظمة التحرير الفلسطينية، التي تتشرالدعر في نفوس الأفراد، مما يعني استخفافها بقيم الأمم المتحدة وحلولها السلمية في الضفة الغربية،

(1) Edward W. Said, The End of the Peace Process, Oslo and After: USA New- York. Vintage Books Publishing Corporation, 1st edition, 2001. P.23 24.

(2) Noam Chomsky, Edward W. Said, The Fateful Triangle, The United States, Israel and the Palestinians New York, Book Sales Consortium for Publishing and Distribution, 1st ed., 1999 p. 354.

*عاموس إيلون 1926 - 2009 Amos Elon، صحفي ومؤرخ إسرائيلي عمل كمراسل للشؤون الأوروبية والأمريكية لصحيفة 'هآرتس' عام 1971، من أوائل المدافعين عن إقامة الدولة الفلسطينية والانسحاب إسرائيل من الأراضي، ضد إنكار المؤتمر الدولي للمحرقة 1945.

https://en.wikipedia.org/wiki/Amos_Elon.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

وأعمالها لا تعني النضال، بل عصابة إرهابية وعدوانية تقطع الرؤوس المثقفين المناضلين من أجل السلام والحرية.⁽¹⁾

ونتيجة لذلك، يؤكد علي حرب أن التمثيل الديمقراطي على المستوى الدولي، وخاصة مع منظمة التحرير الدولية، يضع السياسة الأمريكية في صراع مع باقي منظمات التحرر السياسي، وهو عقبة أخرى أمام عملية السلام، فيما يتعلق بالقضية المركزية لفلسطين وبقية الأراضي المحتلة في اليمن ولبنان وسوريا، لما له من اهتمام كبير من الخبراء الإقليميين في تحقيق المنافع للإمبراطورية الغربية. وهذا ما يضعف الأنظمة العربية بالانقسام بين المثقفين الإقليميين والمثقفين الدوليين، لم تكن الأمور أفضل بين الدول العربية. بعد ستين عاما من نظر الأمم المتحدة إلى الوراثة في قضية فلسطين، تراجع الغرب في وصف التحرير والمقاومة عبر وسائل الإعلام الغربية بالإرهاب والفساد والتخريب، الأمر الذي يتطلب من الأفراد التخلي عن الأنظمة اليسارية والتمتع بالديمقراطية في المطالبة بالحقوق. ومن المفارقات أن القمع مدعوم من المخابرات الأمريكية لتعقيد الأمور الإنسانية بطريقة أكثر مأساوية.⁽²⁾

بالنسبة لتشومسكي، لا يمكن تحقيق العدالة الإنسانية بين الغرب والشرق إلا بعمومية فكرة وقف إطلاق النار الذي تفرضه الأمم المتحدة على الكيان الإسرائيلي الأمريكي تجاه خصومه في الشرق الأوسط، وهذا يكشف عن وحشية هنري كيسنجر في السياسة الأمريكية لتصفية الفلسطينيين، حيث كشف عن الوهم الإسرائيلي بأن إبادة العرق العربي الفلسطيني هي إقامة "دولة يهودية". إنه اندفاع لمجازر تجاوزت ذروتها من (15 إلى 20) ألف فلسطيني بالعنف والقتل، وهذا لا حرج فيه ولا يستبعد ممارسة شرعية مبادئ الواقعية الأخلاقية التي تنعكس في الوحشية و "البؤس الإنساني" الناتج عن التناقض بين الإسلام وعلمانية هنري كيسنجر، بحيث لا تخضع السياسة الأمريكية للمساءلة أمام الأمم المتحدة، متهمة منظمة التحرير الفلسطينية بالمسؤولية عن تلك المأساة الإنسانية وتدمير البنى التحتية، معبرا عن مواقف إسرائيل عبر صورة

⁽¹⁾ Noam Chomsky, Edward W. Said, Ibid': p354.

"Chomsky says: is the latter concern recalls the familiar "panic" described by Amos Elon whenever the threat of a peaceful political settlement becomes difficult to contain. In fact, this panic was again rising in 1981, as we have already seen, with the Saudi Arabian peace plan."

⁽²⁾ علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي، المرجع السابق، ص 26.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

سريالية لبؤس وتشاؤم اللبنانيين الفلسطينيين؛ يمكن أن يكون هذا فقط لوقف جهود منظمات الدعم الدبلوماسية. (1)

بينما يصفها تشومسكي بأنها مبادرة ملفقة لسياسة الولايات المتحدة لإخفاء حقيقة الدعم الدبلوماسي لإدارة ريغان (1986م). عن الغزو الإسرائيلي ضد "حزب الله"، وهو أكثر الاتفاقات الدولية تناقضاً وشوكة النفط في حلق الرأسمالية الغربية بفعل منع وصوله إلى إسرائيل لدعم الليبرالية الاقتصادية الأمريكية، الأمر الذي دعا ريغان الأمم المتحدة بحجة المأساة الإنسانية، بدعم يُحرر "خبراء الرهائن الإسرائيليين"، ولا يمكن تصور أن يكون رد الأمم المتحدة استهزاء. على الرغم من كثرة حالات الممارسات الإسرائيلية للإنسانية في غرف التعذيب السرية في المخيم (1391) ضد الفلسطينيين (2). ومع ذلك، فهو موقف يجعل المرء يدرك حقيقة الطبيعة البشرية.

لهذا السبب، كان تشومسكي يحلل العامل الاقتصادي، مثل غرامشي، باعتباره القوة الدافعة وراء تدهور الأوضاع الاجتماعية وحاجة شعوب الدول العربية الفقيرة لبيع مجتمعهم وجهودهم للأقليات الثرية التي تهيمن على منافذ الثروة والنفط والإنتاج ورأس المال والمؤسسات التي تعمل لصالحها. للدولة الأمريكية، دعوة من السياسة الأمريكية، مع ذلك، فشل الثورات في بعض الدول العربية، مثل سوريا وفلسطين على سبيل المثال، في الوصول إلى قضية حقوق الإنسان في محاكم الأمم المتحدة، التي لا تستطيع أن توفر مصالح مثل الثروة النفطية ومصالح بيع الطبقة العاملة أو شراء مؤسساتها العمالية وإدارتها من طرف السياسة الأمريكية، فإن الشعوب العربية في بعض الدول غير المرغوب فيها من الغرب لن تشكل عقبة أمام الديمقراطية الصناعية فيها، لذلك تفضل إبقاء الرأي العام في ازدياد لأخواتها من الدول العربية للنظر في أوضاعها، لأن مراكز المصالح الأمريكية خاصة بالدول العربية التي لديها رجال أعمال وشركات ومؤسسات إنتاجية تشارك في توزيع الإنتاج الاقتصادي والثروة، وهذا نموذج تحققه الديمقراطية الصناعية. (3)

(1) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 164 165.

(2) نعوم تشومسكي، "احتلوا"، تأملات في الحرب الطبقة والتمرد والتضامن، تر: انطوان باسيل، بيروت، لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1،

2014، ص 164 165.

(3) المصدر نفسه، 62.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

نتيجة لذلك، حدد تشومسكي النوايا الأساسية لكل من البيت الأبيض والسياسة الأمريكية للمفاوضات الدبلوماسية حول القضية الفلسطينية والشرق الأوسط على أنها مؤامرة، بطريقة سطحية ومحدودة تزامن تفكيرها لما هو أشبه بنقاشات الحرب الباردة، متمسكة بموقفها الداعم لدولة إسرائيل وحلفائها في الغرب بحجة «نشر الديمقراطية» في فضاء مناقشة دعمها للنخب الحاكمة وتحقيق المصالح والأهداف البراغماتية، لأنها نقطة التحول في السياسة الواقعية هذه التي تمتد جذورها من مكيافيلي إلى: "فون بسمارك" (1815-1898)، "موريس تاليران" (1754-1838)، "تشرشل" وهانز مورجنثاو إلى "كيسنجر"، ما يمنعها من التطرق إلى قضايا وتظلمات وانتهاكات حقوق العالم العربي خارج الفكر الدبلوماسي الأوروبي الذي يحمل عداً للمسلمين بحجة أنه ضد إيديولوجية الشيوعية. (1)

كونها معادية لنواة الدعم الهائل لقوى النظام الرأسمالي، وهذا محمي من إسرائيل كشرط استراتيجي للسلام يحقق الأهداف ويحافظ على 'شركات النفط' في المنطقة. لذلك، إذا كان الإسرائيليون قادرين على إقامة دولة، فإن السياسة الأمريكية تعلم أن هذا المنطق لا يتوقع، كما في المنطق الإسرائيلي، أن إقامة دولة فلسطينية أمر مستحيل. ولأنها تتحكم في مبدأ «التوازن الميكافيلي»، فإن مبادرة السياسة الدفاعية الأمريكية تهدف إلى الحفاظ على المصالح وتعزيز شركاتها الحاكمة لثروات الشرق الأوسط، مما يجعل التفكير في دولة إسرائيل مجرد وسيلة لتحقيق الفضائل وتبرير الرذائل للنخب. (2)

وفي تقدير نعوم تشومسكي أن النقاش الدولي ضعيف أمام قضايا العالم العربي، فلن يكون له أي حقوق أو مطالب من الأمم المتحدة للدفاع عن ديمقراطيته وحرية في إطار القانون الإنساني، وهو ما سيكون له خطوة في إصلاح معاناة السكان من أجل الحقوق ؛ لكن هذا لا يمنع تفكيكها بالسياسة الأمريكية التي تمنح وعوداً خيالية للقوات الإسرائيلية بإقامة دولة بلا حقوق تتجاوز حكم الشرعية الدولية. نظراً لأن الشركات تصنع الدكتاتوريات وتمولها، فلن يعارض أي مجتمع قواعد النيوليبرالية التي تمنح حريات السلطة ورأس المال للحفاظ على الأنواع في عالم قائم على العادات السلوكية والفوضى وصراع الأضداد وحكم الأقوياء. ومن تناقضات هذه السياسة الأمريكية المطالبة بنزاهة الديمقراطية، التي تعطي قرارات قضائية للشركات والكيانات

(1) ليلي بارودي، السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 1984، ص 176 177.

(2) المرجع نفسه، ص 176 177.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

القانونية للدفاع عن الأقلية الحاكمة؛ وهي تروج لها عن طريق وسائل الإعلام، لأنها من حيث ممارستها لا تعني رفاة الشعب أو تحرره من قيود السلطة والسياسة الرأسمالية.⁽¹⁾

قبل أن تصل السياسة الأمريكية إلى نقاط الدفاع والدعم الإسرائيلي ومنع خيار إقامة دولة للفلسطينيين، لعبت دور جذب الرأي العام، باستخدام أساليب لخلق المناخ السياسي العام عن طريق زعزعة المواقف الشعبية المتعلقة بالديمقراطية، والتي تشكل تهديدا لمصالح النخبة الأمريكية، إذا ظلت مدركة تماما أن السياسة الأمريكية منحازة لإسرائيل في عداها للشعبين العربي والفلسطيني.

هذه هي الأساليب التي يصفها تشومسكي بـ "هندسة الموافقة" لأنها تدعم أخطر الأساليب التي تتعلق بقضاياها السياسية ومصالحها البراغماتية، حيث تثور النخب على قرار الأمم المتحدة بـ "العنصرية الكامنة" للحفاظ على الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. كما هو الحال بالنسبة لمعظم الدول التي تحتوي على قوى نووية (إيران والعراق وليبيا) في المنطقة، فإن إخضاعها للطاعة والسيطرة على نظامها الفكري عن طريق الدعاية القائمة على مبادئ اللغة التواصلية لـ لاسويل؛ كمهمة أساسية للسياسة الأمريكية في الحفاظ على شركاتها بفعل فرض المواجهة عن طريق التدخلات "غير العقلانية" والعسكرية في الشرق الأوسط، الأمر الذي يضع الطبيعة البشرية، بحسب رؤية تشومسكي، موضع العدم.⁽²⁾

لذلك يعتقد تشومسكي أن النزاهة لحل معضلة العدمية والوحشية اللاإنسانية هي إعادة تشكيل متقنين إنسانيين مثل: روبرت جاكسون (1892-1954م)، Robert H. Jackson: بالنظر إلى تجاربه الكانطية في إصدار قاعدة في شكلها الديمقراطي المثالي وموافقتها على العدالة، فإنها تتجاوز شوائب البراغماتية الأمريكية، في مثل هذه الحالة الفلسطينية، بما في ذلك الصراعات العنصرية الطائفية بين العديد من شعوب الشرق الأوسط، والشعوب الغربية المختلطة بالمسلمين وبقية الأجناس. في تكوين مرتزقة أو الطبقة المدفوعة للقتل، ووجودهم كوسائل وآلات تقودهم إلى ارتكاب جرائم في دول أخرى هو جزء من عمل السياسة الأمريكية من أجل إنهاء القوميات العربية والإسلامية. لأن تبريره للهدف الإنساني هو ضرورة لكل دولة، بما لديها من

(1) نعوم تشومسكي، "احتلوا"، المصدر السابق، ص، 61 62.

(2) نعوم تشومسكي، قراصنة وأباطرة الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، سوريا، دار حوران للنشر والترجمة، ط1، 1996، ص 20، 21.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

تعاملات أخلاقية ودينية واجتماعية وتاريخية وسياسية، لتأسيس عملها على نظرية إنسانية كاملة والتعاش كجسد واحد في المجتمع الدولي، يغذي السياسات الضعيفة بمبادئ السلام والديمقراطية.⁽¹⁾

على هذا النحو، تضمنت تحليلات تشومسكي استراتيجيات لنقد المثقفين الذين اعتبروا أنفسهم إنسانيين يساريين في الولايات المتحدة في استخدام القانون الفيدرالي للأمم من قبل آلان ديرشوفيتز (1938) وأفيدور ليبرمان (1958-2009)، لتأسيس فكرة العنصرية الكامنة. بالرغم من أنها ليست جديدة (منذ القرن الثامن عشر ضد السود)، و يعتبر الترويج لثقافتها وصمة عار لمفكر مثل مايكل والزر، الذي أعاد تحديث ممارساتها في كل من السياسة الأمريكية -الإسرائيلية، في المقالة حول الاشتراكية الديمقراطية. وهدفها حشد الجماهير العربية والفلسطينية للتخلي عن التحرر ورعاية ممارسة التمييز العنصري في الثورات.⁽²⁾

الأمر الذي يجعل التناقض بين دعاة العلمانية والدين، من وجهة نظر تشومسكي، أمراً لاستعادة الحرية والتأثير الاقتصادي الأمريكي على دول جنوب إفريقيا للسيطرة على الإنتاج والموارد، كما حدث في (1997)؛ من فرض العمالة السوداء والوحشية في استغلال الطبقة العاملة مع طرد السكان الأصليين، ومع ذلك، تتبع إسرائيل "العمالة الفلسطينية" البسيطة والرخيصة، وقد تم تغييرها من النازحين من دول أوروبا الشرقية وآسيا لأن الواقعية البراغماتية بين الولايات المتحدة وإسرائيل تثري سياسة المصلحة المشتركة، رداً على اعتراف المثقفين الكوستاريكيين رسمياً لدى الأمم المتحدة بالدولة الفلسطينية، وهدفها القضاء على العرق العربي الفلسطيني أوعلى نهج موشيه داين*، "لكي يعيش الفلسطينيون حياة الكلاب" ما لم يرغمهم الواقع المريع على التخلي عن الأرض. لذا يؤكد تشومسكي أن الواقعية الإسرائيلية اليمينية أكثر تعصباً في أفكارها، كما هو الحال مع أفكار المحافظين الجدد في السياسة الأمريكية.⁽³⁾

(1) Noam Chomsky, Michael Bruning November 18, 2013. Interview, The Arab Spring: 'Power doesn't just say: Thank you for dismantling!'. Journal of International Politics and Society IPG, accessed on 12/26/2022 AD 6:30, website link: https://chomsky.info/20131118_en. p2

(2) نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص360.
*موشيه ديان 1915 - 1981 Moshe Dayan : رجل دولة قاد إسرائيل إلى انتصارات دراماتيكية على العرب نظم عصابات لقمع المتمردين في فلسطين بقوة دفاع غير شرعية .

<https://www.britannica.com/biography/Moshe-Dayan>.

(3) نعوم تشومسكي، المصدر نفسه، ص360.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

في هذا السياق يؤكد تشومسكي أن مشكلة الصراع في العالم العربي لا تحتاج للتاريخ لتفسير تراجع قضايا الحرية والديمقراطية. كما أن المنطق الفلسفي لا يميز بين التناقضات في السلوك السياسي ومبادئ الحكم من الممارسة الخاطئة للسلطة، ولا يشبه تحليل السياسة ويقارن في الدساتير والحكومات والأزمات. ولا يوجد مصدر آخر يقدم تفسيرات منطقية واضحة؛ ومع ذلك، فهي قضايا سيكولوجية قائمة على الخوف المتبادل بين الغرب والشرق، وخطاب الكراهية تجاه المسلمين الفلسطينيين، وكل منهما يدعي أنه مرتبط بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية، لكن ظهورها لا يخلو من التعصب الثيوقراطي الأعمى، والتنافس على مصالح الثروة وسلطة رأس المال.⁽¹⁾

لكن أكثر من ذلك، تركت عقيدة الواقعية المشتركة هذه الإرهاب والذعر في منطقة الشرق الأوسط، مؤكدة أن إسرائيل ليست وحدها والأكثر لعنة فيما يتعلق بفساد الإنسانية في الوضع الراهن، يفسرها تشومسكي على أنها ناشئة من الجدل حول (كوسوفو)، والذي يمثل نقطة تحول معيارية من النموذج الكلاسيكي إلى النظام الليبرالي الجديد، وسرعان ما يرى المرء ضعف سلطة الضمان العليا للأمم المتحدة تحت مجهر تشومسكي في تسوية الغرب لحماية مصالح المثقفين التكنوقراط الأمريكيين في عضوية (ألبانيا) الاقتصادية في "الناطو"، لذا فإن مبدأ التوازن يقوم على أنطولوجيا التمييز العنصري والتطهير العرقي، ضد إسلام الجنس السلافي وبذريعة الحد من الإبادة الجماعية التي ارتكبتها سلوبودان ميلوسيفيتش* انتقاماً من (صربيا)، لهذا السبب استنتج تشومسكي أن استجابة الناطو والأمم المتحدة والسياسة الأمريكية هي هدف الاقتصاد والربح. إن التطهير العرقي الإسرائيلي والتمييز العنصري في الأراضي الفلسطينية مخزي ووحشي. لا مجال للمصادقية لدى الأمم المتحدة مقارنة بخطر الإبادة الجماعية التي اختلقتها الولايات المتحدة ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية.⁽²⁾

(1) Noam Chomsky, Michael Bruning ، Ibid': p1

*سلوبودان ميلوسيفيتش، 1941 - 2006 Slobodan Milosevic: بصفته زعيم الحزب الاشتراكي، فإن استخدامه مفاهيم صربية مثل : الشتات والإبادة الجماعية وهو استفزاز على طريقة هتلر، وإهانة للأمم المتحدة وإسرائيل، في المجازر التي ارتكبت بينه وبين الناطو في حرب كوسوفو. <https://www.britannica.com/biography/Slobodan-Milosevic>

(2) نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، تر: شيرين فهمي، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 2002، ص 76، 77.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

ومع ذلك، غالبًا ما يشير هابرماس إلى مثل هذه العنصرية والفشل الأعمى للأمم المتحدة، في شرح آثار العولمة وقوة وعنف المثقفين الأمريكيين. مستدلاً عن التفاهم المتبادل في القانون الدولي، يعمل مع فكرة كارل شميث الوجودية، في جعله مصالح الذات في شكل مصالح جماعية وهوية مشتركة ضد الهويات الجماعية الأخرى، في الواقع، يظهر هذا في سياسة إسرائيل والولايات المتحدة. تشير تجارب كوسوفو وفلسطين إلى أن قيم التنوير والعدالة في القانون الدولي محكومة بفعل متحيز في علاقة الصديق بالعدو، بحيث تخدم التقنين « الكوزموبوليتاني » لإخفاء مصالح معينة. إن مثل هذا التكرار الكوني يلقي نظرة سلبية على مصداقية الأمم المتحدة بين "ما يجب فعله" و"ما يمكن فعله"، في العدالة والسلطة.⁽¹⁾

في هذا السياق، يتبنى تشومسكي موقفًا إنسانيًا تجاه الأمم المتحدة، التي تبدو له مسؤولة وتحمل مبررات الحقيقة وتحدد مجال الاختصاص لتنفيذ القرار (242) من أجل السلام للفلسطينيين. ومع ذلك، فإن فكرة وجود مجتمع دولي عادل وإنساني لا يمكن أن تتجح إلا في ظل اللجنة التي تتفق مع أفكار المدرسة الواقعية لمجلس الأمن. كما أشار هابرماس، فإن الإرادة السياسية في الأمم المتحدة مغطاة بالكامل عن فكرة كانت في المواطنة العالمية. هذا ناتج عن دبلوماسي "الناتو" الشبح القادر على شل عملية الاتصال بين منظمة الدول الأمريكية والاتحاد الأفريقي.⁽²⁾

في نقل الحقيقة التي تجعل الإرادة من وجهة نظر تشومسكي ممكنة، إذا وضعت الأمم المتحدة مصطلح المسؤولية للحماية، وبدلاً من مصطلح الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. هذا لا يعني التزاماً مناسباً بالسلام، لأنه قد لا يفسر حالات المجتمع الدولي مثل الإبادة الجماعية للشعب المحمي في غزة أو فلسطين أو المجاعة المميتة في إفريقيا ورواندا، فإن مسؤولية الأمم المتحدة لم تطبق الإرادة في المجال السياسي كأداة

(1) جيوفانا بورادوري، الفلسفة في زمن الإرهاب، حوارات جاك دريدا يورغن هابرماس، تر: خلدون النبواني بيروت، المركز العربي، ط1، 2013 . ص85 86.

(2) نعم تشومسكي، صناعة المستقبل، الاحتلال، التدخلات، الإمبراطورية و المقاومة، تر: Lingo Office l.r.a. S، لبنان: شركة المطبوعات للنشر، ط1، 2013 ، ص125.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

قيمة للعدالة الإنسانية. لا يزال هذا يتوافق مع حالات انتقائية للديمقراطية الأمريكية البراغمية التي ستكون متاحة للأقوياء، كما في حالة نهج "ثيوسيديس" وتوقعات محكمة العدل الدولية. (1)

ويبدو تشومسكي واضحًا أن مشكلة الديمقراطية هي ورم الدول العربية المضطهدة التي يجب أن تتخلى عن التغيير الديمقراطي للقوانين وتميل إلى ممارسة التغيير الأناركي على النظام بفعل الثورة الاجتماعية. مع ذلك، يتم اقتلاع جذور الأنظمة التقليدية الفاسدة من مؤسسات العالم العربي، وخاصة نهج السلطة الفلسطينية. واستيلاء العمال على السلطة الداخلية للمؤسسات من قبل الأناركية. تتمتع الأناركية بدعم واسع النطاق للثورة من حيث السياسة المالية، وتنظيم المؤسسات المالية، والتعامل مع المشاكل الاجتماعية والبيئية الناشئة بسبب الفساد، فإن الأنظمة الاستغلالية ذات الأهمية الاقتصادية للغرب الأمريكي معزولة عن تشكيل نظام سياسي. فإن نجاح العالم العربي بانتخاب ديمقراطية أمريكية يعني أن العالم العربي قد أعطى موافقته على نقل الموارد وأن الإعلام يتلاعب بالذات المغترية بشروط السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان. (2)

على هذا الأساس يؤكد تشومسكي أن عقلانية هنري كيسنجر** هي السبب وراء هذه الأحداث اللإنسانية، لأنه عطل حركة الأمم المتحدة بفرضه مناورات بيروقراطية. تتطلب المساءلة الذاتية، التي تدفع المثقفين في السياسة الأمريكية من الداخل، بقرار من مجلس الأمن القومي لممارسة الدبلوماسية المكوكية من كيسنجر، أدرج ما أسماه تشومسكي فكرة "الموقف الراكد"، مع الأخذ في الاعتبار الواقعية التي تستفيد من وجهة النظر الاقتصادية، فإن المادية هي أساس قوة الغرب وبقائه في التطور الذي يفسر حركة التاريخ بيولوجيًا، لذا فإن أي قرار مثالي صحيح تتخذه الأمم المتحدة لصالح الفلسطينيين أو الشرق الأوسط يقود، في نظر كيسنجر، إلى تسريع الدور الحضاري ما يعني توقع نهاية الفكر الغربي، فإن القوة هي التعامل مع مخاطر عدم الوجود والسقوط. تشير هذه النقطة إلى أن الواقعية لديها رؤية مدروسة جيدًا من أرنولد شبينغلر وابن خلدون تعكس

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) نعوم تشومسكي، "احتلوا"، المصدر السابق، ص 61 62.

** هنري كيسنجر 1923: Henry Kissinger، هو سياسي دبلوماسي وخبير جيو- سياسي ومستشار للأمن القومي. لقد تأثر فلسفيًا بأرنولد شبينغلر في ممارسته الواقعية في السياسة الخارجية الأمريكية. ارتبطت فلسفته بالسياسات القذرة المثيرة للجدل مثل تورط الولايات المتحدة في الحروب والجرائم ضد الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية.

<https://www.britannica.com/biography/Henry-Kissinger>.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

مخاوفها من حتمية سقوط الدولة الأمريكية، ومع ذلك، يتم استبدالها بالسياسة الإسرائيلية في الخارج بغض النظر عن القانون الدولي.⁽¹⁾

وهذا يسمح لها بالتوسع طالما أن دعم كيسنجر مفيداً للرأسمالية الغربية، في عزل السادات عن إصراره الدائم على تحقيق "عملية السلام" للفلسطينيين في الضفة الغربية، والتي لا تهم الأمم المتحدة، تلك الدعاية والخدعة أثارتا تطرف منظمة التحرير الفلسطينية في غزة، تكهن اليسار الثوري الفلسطيني أن السادات يتمتع بشخصية إنسانية وديمقراطية تناضل من أجل القضية الفلسطينية، في حين رأى مثقفو مصر أن نواياه السياسية هي ممارسة على الازدواجية التأميرية و اللإنسانية وغير الأخلاقية، التي تتطوي على إدانة شكل القومية باستخدام الأسلحة النووية ضد إسرائيل، وهو ما يتضمن ردعها من قبل إدارة كيسنجر بـ "تحذير نوويًا جاد" منع الفلسطينيين من فهم حقيقة غموض "اتفاقيات كامب ديفيد" (1978) مع الكارثة المتزايدة للسياسة الأمريكية، واعترافها بحقوق اليهود دون مراعاة الفلسطينيين، الأمر الذي شجع الذات الإسرائيلية على ممارسة العنصرية تجاه العالم العربي.⁽²⁾

لكن العودة إلى أجواء ثورات الربيع العربي، وعلى وجه التحديد إلى الثورة المصرية، فإن الوضع مختلف تمامًا بالنسبة للطبقة العاملة. لشعبها مصالح ملحة للغاية، لكن القمع والاستبداد المفروض عليهم يقوضها، والسلطة المخولة للنظام العسكري الذي تدعمه إسرائيل حاليًا ستعود بالمنفعة ومصالح على السياسة الأمريكية. غالبًا ما يخشى الرأسماليون من انهيارها من دعمهم للديكتاتوريات التي تحد من حرية الطبقة العاملة، ولهذا تستبدلها السياسة الأمريكية بدعم القوى الإسلامية في المنطقة، والعالم العربي، التي تتواجد قاعدتها في الأحياء الفقيرة والمناطق الريفية. الأمر الذي يؤجج الصراعات الطائفية والاعتقالات التي تكون فاعلة عند وجود جنسيات مختلفة التوجهات والجهل، وقائمة على التعصب والتحيز وقلة الوعي المثقفين فيها. بينما توفر الأماكن لمصالح الطبقة الحاكمة لثروة المنطقة، فإنها معزولة عن هذا الصراع، بين النظام

(1) نعوم تشومسكي، جلبرت الأشقر: السلطان الخطير، السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، بيروت، دار الساقي، ط1، 2007، ص 210.

(2) نعوم تشومسكي، جلبرت الأشقر: المصدر السابق، ص 211.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

الإسلامي وعناصر الليبرالية العلمانية. هذا يستبعد التماسك بين الطبقة العاملة والمتقنين العلمانيين الليبراليين الذين خرجوا في مظاهرات ميدان التحرير مهددة مصالح الولايات المتحدة وإسرائيل.⁽¹⁾

في هذا السياق، يفسر المسيري الغرض من أزمة العمل وإحلال السلام المصري بدون الفلسطينيين كفرصة لفرض البراغمية البروتستانتية لخدمة المصالح الصهيونية. باسم الطوائف المقدسة، يفترض الاستعمار الاستيطاني البديل الجديد لمشروع هرتزل هو أن الواقعية بين الكاثوليكية واليهودية تحدد الشكل النهائي للصراع العربي الإسرائيلي الذي يدور حول شروط الاندماج في (القدس). وهي مركز الهوية العربية الفلسطينية ومحرك الفوضى ضد الاعتراف بالدولة المستقلة وحقوق الصهاينة في استعادة هويتهم الفعلية لتقرير المصير. للأيديولوجية الكلاسيكية القائمة على الممارسة البراغماتية كمسؤولية إلهية.⁽²⁾

فإنها تفرض نوعاً من الاستعمار الجديد للسيطرة على المصادر الاقتصادية والسياسية لاضطهاد الطبقة العاملة. فهذه آلية بديلة بحسب المسيري؛ و انعكاساً أمام الرأي العام العالمي باعتبارها امتداداً فكرياً للسرديات التاريخية من فلسفة رودس، سيسيل جون (1853-1902 م)، وحاييم وايزمان (1874-1952)، المكرسة للعلاقات الدولية التي تحافظ على الواقعية الرأسمالية البروتستانتية، مما يجعل فلسفة ماكس فيبر نموذجاً للمجتمع الصهيوني مع أخلاقيات العمل والإنتاج بعد تطهير القدس بطريقة أكثر عنصرية وأكثر وحشية من العرق والثقافة الفلسطينية.⁽³⁾

ونتيجة لذلك، أدى الاتجاه المادي الأمريكي نحو الدعم المفرط للسياسة الإسرائيلية إلى ترسيخ ثقافة الهويات العرقية المتعددة بين المسيحيين والمسلمين والصهاينة؛ وتوحيدهم في الأراضي الفلسطينية، على الرغم من الاتجاهات الدينية المختلفة التي تتعارض حول كيفية تقرير المصير والحرية عن طريق الديمقراطية التشاركية، وحل الأزمة في العالم العربي، فقد تلقى الإسرائيليون في الواقع هذا التحذير بشأن الجرائم ضد الأراضي الفلسطينية التي لم تعد ظاهرة للعيان و للأمم المتحدة، وأوضح تشومسكي أنه قبل ثلاثين عاماً

(1) نعوم تشومسكي، "احتلوا، المرجع السابق، ص، 62.

(2) عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية - دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 1982، ص. 132 133.

(3) المرجع نفسه ص. 132 133.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

(1967م)، كما أكد المؤرخ الإسرائيلي غيرشومكورنبرغ، توغلت أعماق السياسة الإسرائيلية الوحشية في منطقة "غوش عتصيون" بفعل الإبادة غير الشرعية.⁽¹⁾

هذا هو السبب في أن كلاهما، بشأن الرغبة في السيطرة والتعصب ضد قيم التنوير الكلاسيكية، ظلوا يمثلون انتهاكًا للمثالية الكانطية ولا يقتصر السلام الدولي إلا بفرض نفسها كدولة. وبينما تراجعت السياسة الأمريكية، محذرة إسرائيل من أنها اتخذت موقفًا محايدًا ضد مجلس الأمن القومي، الذي تراقبه الأمم المتحدة، فإن حماية إسرائيل وشيكة الانهيار ما لم تتجاوز عامل الرقابة تقليديًا باعتباره تابعًا لسلطة المثقفين الإنسانيين ضد الإرهاب والعوامل غير الشرعية التي تؤثر على طبيعة الإنسانية مثل المستوطنات والعنصرية، فإن واقعية مجلس الأمن القومي الأمريكي هي ضد "حل الدولتين". لأنها تمتلك الصلاحيات لدعم الرأسمالية الصناعية الأمريكية. وهذا يسمح لها بأن تكون بمعزل عن قرار الأمم المتحدة بتقويض خطة السلام بطريقة تجبر الفلسطينيين بشكل قمعي على الاعتراف بحق إسرائيل في دولة واحدة.⁽²⁾

وتجدر الإشارة إلى أن تراجع الإرادة والطبيعة الخيرية للمفكرين العرب الفلسطينيين هو إجماع ضد الإرادة الكلية التي تحكمها مبادئ الكينجيرية، والتي تضع الفلسفة الواقعية الأكثر عقلانية مع المقدمات التقنية التي تحافظ على أمن السياسة الأمريكية الأكثر دبلوماسية. في تحقيق المصالح البراغماتية في الشرق الأوسط، مما يعني أن تلاشي القيم والشرعية لا يقاس بالعلم. والمعرفة، بل بدافع الإرادة، والتي يصفها جورج بول بأنها محرك تشاؤم كينجر ضد إسرائيل باعتباره انطباعًا عن الذات يذكره بألم الهولوكوست بقوله: «إذ أنهم لم يقبوعوا في عزلتهم ويكتفون بالتأمل في مصيرهم كأحجار على رقعة الشطرنج، بل سيعمدون إلى الرد ولو بشكل غير عقلاني تحت الضغط السياسي.»؛ الذي تمارسه الشعوب العربية والفلسطينية الغاضبة في منطقة الشرق الأوسط.⁽³⁾

لهذا السبب، يفسر تشومسكي أن الغرض من عقد "مفاوضات كامب ديفيد" (1978 م) هو تمكين السيادة اليهودية من توسيع مشاريعها الاستيطانية في القدس، لأنه الجوهر الأساسي الذي تحتكم إليه السلطة

(1) Noam Chomsky: on Palestine, United States, Library of Congress, first edition, 2015, p166.

(2) Ibid': p166.

(3) ليلي بارودي، السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، المرجع السابق، ص 194.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

الفلسطينية فهو حجر الزاوية الذي يربط بين الجهود الشعبية و حركة التحرير الفلسطينية في الداخل والخارج ضد السياسة الأمريكية - الإسرائيلية حيث ردة فعل السياسة الأمريكية بفرضها على حكومة أرييل شارون* بممارسة عمليات إرهابية ضد الفلسطينيين، ما أدى إلى (مقتل 6 ما يفوق 200 جريح) للفلسطينيين ومع ذلك، يدرك تشومسكي أن الفلسطينيين على وعي بأن سياسة الولايات المتحدة هي العقل المدبر "لأحداث 28 سبتمبر" (2000) عن طريق دعم الهجمات الإرهابية الشارونية ضد الفلسطينيين في يوم المقدس ومع ذلك تستخدم الذرائع المعتادة بأن "انهيار السلام" هو نتيجة العنف الفلسطيني غير المبرر ضد حكومة شارون في حمايته للشرطة الإسرائيلية في القدس.⁽¹⁾

مما لا شك فيه، بالنسبة لتشومسكي، أن مسألة عملية السلام لا تزال أكثر إلحاحاً من الطبيعة البشرية المتأصلة في إرادة وغريزة الإنسان الفلسطيني. قبل منحها من قبل مجموعة من المتقنين، لدى الأمم المتحدة فهم مختلف للطبيعة البشرية في مجموعة من الشروط والأحكام البراغمية تجاه خدمة شروط السياسة الأمريكية. ولغرض حل النزاع بين الأطراف، لم يتم قبول دور الأمم المتحدة من وجهة النظر الهيغلية (للحكومة الشارونية)، التي تفسر العبودية بمنطق خالٍ من القوة، بحيث تنكر أخلاقيات الاعتراف وجود جدلية عدم مساواة كمية بين السيد والعبد.⁽²⁾

لذلك فإن قضية (الشعب الفلسطيني) لا يمكن أن تحقق الحرية والديمقراطية طالما أن هناك تعددية في موقف السيد. فعلى مدار عامين من الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني، اقترح الإجماع الدولي حلولاً لتسوية بين الدولتين على حدود (الخط الأخضر). ومع ذلك، يعتقد تشومسكي أنهما تغييران فقط تم إجراؤهما بواسطة

*أرييل شارون: 1928-2014 *Ariel Sharon*، جنرال إسرائيلي وسياسي تميز بإنجازات عسكرية وسياسية مثيرة للجدل. في الحروب العربية الإسرائيلية، كان يؤمن إيماناً راسخاً بالحق المكتسب للشعب اليهودي في إقامة دولة يهودية مستقلة في وطن الفلسطينيين. يتميز بعدائه للحرية والديمقراطية والقيم الإنسانية بممارسته للقتل الجماعي.

<https://www.britannica.com/biography/Ariel-Sharon>.

(1) نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، المصدر السابق، ص 70.

(2) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 82.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

السياسة الأمريكية - إذا صح القول - بين "تعديلات متبادلة وطفيفة"، لأنه لم تحدث تغييرات جذرية في مشاريع الاستيطان الإسرائيلية والبنية التحتية في القدس التي تدعمها السياسة الأمريكية.⁽¹⁾

تكريس فلسفة السلام والتسوية كفلسفة إنسانية بين الدولتين المعنيتين، والتي نتجت عن حدود كلتا الاتفاقيتين السابقتين (كامب ديفيد الثانية وأوسلو). بحيث شكلت السياسة الأمريكية الإسرائيلية فهمًا نفعيًا لوصف إرادتها كعقلًا في التشريع القانوني على الأسس الأخلاقية الكانطية، بينما ظل الشعور بالمؤامرة بمثابة شك أولي لياسر عرفات* في وضع حكمه المنطقي على أساس فلسفة جورج سانتاينا (1863-1952م) George Santayana، أن تنفيذ خطة السلام من قبل كلينتون إيهود باراك** يتطلب إرادتنا العقلانية لفهم الطبيعة البشرية طالما أن الأخلاق والقيم الإنسانية ليست أشياء مادية. فقد تثير الرغبة، بمعناها اللاكاني، ولكن تبعث إحساسًا بقيمة الندم بعد الممارسة.⁽²⁾

لهذا السبب كانت نوايا خداع حجة السلام هي تقسيم القدس إلى ثلاث مناطق، لكن تم ذلك برفض فلسطيني، تم الاعتراف به بشروط كلينتون، بحجة أن لديه رغبة جامحة في العنف. ومثل هذا السلوك الإنساني للسلام وراءه. هو أخلاقيات الخضوع والأبوية على نهج هوبز، لذلك يصفه رون بونداك (1955 - 2014)، Ron Pundak، بأن الاعتراضات الفلسطينية في مكانها الصحيح، بينما يؤكد تشومسكي ليس فقط ياسر عرفات والفلسطينيون الراضون لخطة السلام التي دعت إليها وثيقة كلينتون وباراك، لكن محمود

⁽¹⁾ المصدر نفسه، ص 82.

*ياسر عرفات 1929 - 2004 Yasser Arafat، رئيس السلطة الفلسطينية و منظمة التحرير الفلسطينية وقع اتفاقية سلام مع الحكومة الإسرائيلية في حكم وشمعون بيريز أنشاء حركة فتح للتحرير فلسطين مؤيد للكفاح المسلح في حرب الجزائر فرنسا.

<https://www.britannica.com/biography/Yasser-Arafat>.

**إيهود باراك 1942 Ehud Barak، وهو جنرال وسياسي إسرائيلي كان رئيس وزراء إسرائيل و رئيس المخابرات العسكرية، وقع معاهدة السلام في الشرق الأوسط مع منح ياسر عرفات الضفة الغربية كوسيلة لتوسيع خطة شارون لممارسة الإرهاب والقتل.

<https://www.britannica.com/biography/Ehud-Barak>.

⁽²⁾ نعوم تشومسكي، جليبر الاشقر: السلطان الخطير، السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، بيروت، دار الساقي، ط1، 2007، ص215.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

عباس** المفضل لدى المثقفين الأمريكيين يرفضها لأنها تعزل القدس عن مراكز الحياة الاجتماعية والثقافية والتعليمية والتجارية.⁽¹⁾

يشير تشومسكي إلى التناقض الظاهري للمفاوضات الذي يقرب الفلسطينيين من المعقولة المتغطرة لكلينتون وإيهود باراك حول فكرة السلام بمعزل عن الرأي العام العالمي أو الإجماع الدولي للأمم المتحدة، ما تعنيه هو ممارسة أخلاقيات نيتشه، للقوة الجامحة للرغبة للسلطة، والتي تتجسد في جهودهم كمثقفين لعدم الاعتراف "التيتموس" بحق الفلسطينيين. فمواثيق الحقيقة التي لها تأثير كلينتون*** وإيهود باراك، بما في ذلك القناعة العقلانية بأنها سياسة غير أخلاقية من الناحية القانونية فيما، أخفتها وسائل الإعلام الأمريكية لحقيقة الصفقة، التي تفرض استخدام قوة نيتشه من إسرائيل، مدعومة بالسياسة الأمريكية لطائرات الهليكوبتر الحربية، لقصف مجتمعات سكنية ومهاجمة أهداف مدنية. لكن المقاومة الفلسطينية وأدواتها (الفوضوية) لم تكن مساوية للواقعية الأمريكية فيما يتعلق بالحفاظ على الذات من خلال - الرد فقط بالحجارة التي ألقتها الأطفال - لم يكن كافياً إثبات وجود الأنا وفرض الذات للدفاع سياسياً واجتماعياً من المحتل الأراضي، بالقضاء على العرق الفلسطيني على مدى يومين، لكن هذه الحقيقة لم تعلنها وسائل الإعلام الأمريكية بضغط من حكومة كلينتون التي تفتقد معانيها للقيم الإنسانية.⁽²⁾

في الواقع، فإن العديد من المراوغات والتفسيرات المنحرفة للسياسة الواقعية الأمريكية تمثل تشويهاً للواقع على الرغم من أدوات العنف الأيديولوجية التي ميزها المثقفون التكنوقراطيون بـ "الأورويلية" في حين أن جرثومة العداء للطبيعة البشرية والمنظمات والحكومات والمؤسسات القانونية لا يزال موجوداً داخل الولايات

****محمود عباس : 1935 Mahmoud Abbas**، سياسي فلسطيني شغل منصب رئيس وزراء السلطة الفلسطينية بعد ياسر عرفات. من دعاة كفاح في حركة فتح له دور فعال في بناء اتفاقيات السلام مع إسرائيل وتقرير المصير للفلسطينيين في الولايات المتحدة بحل الدولتين. <https://www.britannica.com/biography/Mahmoud-Abbas>.

(1) نعيم تشومسكي، جليبر الأشقر: المصدر نفسه، ص 215.

*****وليام جيفرسون كلينتون 1946 William Jefferson Clinton** هو سياسي أمريكي والرئيس الثاني والأربعون للولايات المتحدة ينتمي للحزب الديموقراطي، وصرح بأن أيديولوجيته تتجه إلى الديمقراطية الجديدة، عمل على اتفاقيات أوسلو 1993 الهادفة إلى إنهاء الصراع دائم بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

<https://www.britannica.com/biography/Bill-Clinton/Presidency>.

(2) نعيم تشومسكي، القوة والإرهاب، تر: إبراهيم يحيى الشهاني، دمشق، دار الفكر، ط 1، 2003، ص 126.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

المتحدة، بما في ذلك أن البنتاغون الأمريكي يتجلى في الواقع في صورة أوروبية مرعبة ضد الحقيقة وأخلاقيات المسؤولية، مثل "وزارة الحب"، ولهذا، يؤكد تشومسكي، في بيان صادر عن مسؤولي الأسلحة، أنه لا يستحق أي تحذير، مشيراً إلى أن عقولهم المادية الغريزية، لا يمكنهم اعتبارها - تقليدياً - كأدوات للسيطرة على الفلسطينيين. لكن تشومسكي يقر بأن كبار القادة مثل كلينتون وإيهود باراك يخضعون لحماية الدولة، قائلاً إنه لا يوجد وقت لإعادة تقييم مدى حاجة إسرائيل لطائرة هليكوبتر لصد هجوم على الفلسطينيين.⁽¹⁾

هذه الانتقضة التي مارسها السياسة الأمريكية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين تكشف في حد ذاتها المعضلة الكبرى المتمثلة في أن الطبيعة البشرية والأخلاق الجمالية تتجه نحو تجاهل القيم الإنسانية والكونية. يمثل هذا ارتباطاً بين الأنا والآخر بمبادئ روسو الطبيعية، حيث يظل وضع "الجنس البشري" أكثر ملاءمة مع احترام الذات تجاه ميوله التحررية والاعتراف بالطبيعة الوحشية لسياسات الديمقراطية الأمريكية. إلا أن العقل الإسرائيلي أثار معاناة تميزت بإفنائها بسخط شديد على المثالية، ورغبة في إقامة الدولة، في حين أن الميكافيلية في السياسة الأمريكية رأت الانتقضة بمثابة ضربة ناجحة في اغتنام الفرص المتاحة للفلسطينيين. وبسبب التغييرات العديدة التي أحدثتها الطبيعة الأمريكية داخل السلطة الإسرائيلية باعتبارها انحيازاً كاملاً للإنسان الغربي الإمبريالي، كما وصفه المسيري، فإن الاعتراف بذات أخرى على أنها تمثل الأنا الغربية يمثل "فلسفة التفاهة" عبر عنها بن كاسبيت* قائلاً: «إنها ليست كدولة لها جيش، بل جيش له دولة». لكن تشومسكي يؤكد بأن الواقع والفلسطينيون على إدراك بأنه جيش مرتبط بالقوة العظمى التي تسيطر على العالم.⁽²⁾

بغض النظر عن الاحتجاجات التي أحدثتها استطلاعات الرأي في المجتمع الأمريكي حول ترجمة الدوافع للأخلاقية للسياسة الخارجية الأمريكية مع التواصل الغريزي غير القانوني للقوات الإسرائيلية المتورطة ضد

(1) نعيم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، تر: شيرين فهمي، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 2002، ص 76.

*بن كاسبيت: Ben Caspit، صحفي وشخصية إعلامية إسرائيلية عمل كمراسل سياسي لمؤسسة الإعلام الأمريكية في عالم العربي، وكان أكثر منتقدي رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو صخباً بسبب نهجه السلطوي لأنه يشكل تهديداً لدولة إسرائيل.

<https://us.macmillan.com/author/bencaspit>.

(2) نعيم تشومسكي، مداخلات، تر: محمود برهوم ونوال القمار سرياني، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 47.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

الطبيعة الإنسانية للقضية الفلسطينية، وهذا ما يعتبره تشومسكي مأساة "الحركة الإنسانية الطلابية" في معظم الجامعات الأمريكية التي لديها تجربة تحرر كلاسيكية تفرض شخصية أخلاقية معادية للمتقنين التكنوقراط الذين يدافعون عن بقاء العنف الإسرائيلي الفلسطيني. لكن السياسة الأمريكية قوضت الحركة التي تمثل ميلاً تحريراً إلى الحرية ومبادئ الاشتراكية التحررية باستبدالها المتعطرس، إلى حد ما بفعل أجهزة القمع الأيديولوجي للدولة (الجيش والشرطة). لأن التقيؤ ذو طبيعة أخلاقية مثالية تمثل نقداً لواقعية العنف الإسرائيلي الذي يمنعه من متابعة أهدافها الداخلية وبقدر ما تمنعها (القدس) من الإبادة الجماعية للفلسطينيين وتحقيق الدولة النهائية للإسرائيليين، فإن القدس هي العبء الأكثر ملاءمة في نظر تشومسكي بإرادتها المفرطة في التدخل غير شرعي.⁽¹⁾

من الواضح أيضاً، أن السياسة الأمريكية تستثني كل ما ورد في مجمل التعديلات والاتفاقيات الجديدة التي تسعى إلى التنظيم بين الفلسطينيين والإسرائيليين. لذلك يؤكد تشومسكي أن "اتفاقية جنيف" (2003 م) هي برنامج لتعديل الخطة لتبادل الأهداف البراغمية تجاه الشرق الأوسط بين بوش وشارون فيما يتعلق بتحقيق السلام. بدا هذا ممكناً للفلسطينيين، لكن ما قاله بنيامين نتنياهو* في صحيفة نيويورك تايمز « ستستثمر إسرائيل عشرات الملايين من الدولارات في المستوطنات في الضفة الغربية»، بدعم من الحكومة الأمريكية والسياسة الواقعية. وأدى إلى تناقض بين مقاصد الاتفاق بين الأنا المنحلة جماعياً في الوصول إلى هدف انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة. وانحلت الأنا الأنانية في الموضوعات الفردية، كاشفة عن "خطة بوش* وشارون" لتحقيق الاندماج الاجتماعي. الأمر الذي يقابل بالاضطهاد والإكراه لا يمثل اتصالاً

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص 358 359.

*بنيامين نتياهو، Benjamin Netanyahu 1949، سياسي ودبلوماسي إسرائيلي شغل مرتين منصب رئيس وزراء إسرائيل، يصف بأن أكبر تهديد لأمن الأمريكي إسرائيلي والسلام العالمي هي الثورات الشعبية منها حركة تحرير الفلسطينية في العالم العربي.

<https://www.britannica.com/biography/Benjamin-Netanyahu>.

*جورج دبليو بوش الابن : George W. Bush: سياسي ورجل أعمال أمريكي ينتمي إلى الحزب الجمهوري، شغل منصب الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة من 2001 إلى 2009 الذي أسس مبدأ "الحرب على الإرهاب" ضد العراق وأفغانستان فيما عرفها بالحرب العادلة أدت إلى ركود اقتصادي كبير .

<https://www.britannica.com/biography/George-W-Bush>.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

بشرياً كما وصفه هابرماس (1929) Jürgen Habermas، ولهذا يعمم تشومسكي كل هذا على أنه جرائم غير إنسانية واردة في الاتفاق ضد طبيعة الفلسطينيين.⁽¹⁾

لطالما حاولت السياسة الأمريكية إظهار فكرة الشرعية في ممارساتها اللإنسانية تجاه الفلسطينيين، وهي حقيقة ظهرت ملامحها في عدة اتفاقيات تسمح ببدء مفاوضات دبلوماسية بنوع من القوة والإكراه على الاعتراف "التيتموس" بإسرائيل. من الواضح أنه اعتراف على نهج أكسل هونيث (1949) Axel Honneth، المتعلق بالذات الأمريكية وهوية استمرار الصراع على المنفعة. لكن تشومسكي يشير إلى أنه لا يوجد مفهوم ذو صلة للشرعية أو الحق في الوجود لدولة إسرائيل ما لم تكن موجودة بشكل قانونياً، إذن، يتمتع الفلسطينيون بشرعية الاعتراف "التيتموس" بإسرائيل، ولكن عدم القبول المتضمن في "اتفاقية جنيف" والاتفاقيات الأخرى التي تتطوي على شرعية خفية أخرى يتطلب من الفلسطينيين الاعتراف بشرعية إسرائيل. دون الاعتراف "التيتموس" بمنظمة التحرير الفلسطينية كالموجود الشرعي و الوحيد للفلسطينيين، وهو الخوف المتكرر للفلسطينيين، وربما الاعتراف بلا موجود يمحو لها شخصيتها أو يجردها من نزعتها ووجودها القومي.⁽²⁾

مما لا شك فيه أن الانتصار الذي حققته حماس عام (2006) فتح الباب أمام الصراع العربي الإسرائيلي على مصراعيه، لذلك بدت قضايا الديمقراطية والحرية واضحة للفلسطينيين على عكس السياسة الأمريكية، بسبب كراهيتها الغريزية للديمقراطية، واصفة حماس بأنها أكثر عنصرية وعدوانية تجاه فكرة التسوية والسلام العادل. بينما يقول تشومسكي: « من الإنصاف وصف حماس بأنها عنيفة وعنصرية، ولكن ليس لدرجة التطرف والعنف اللذين ولدتهم الولايات المتحدة وإسرائيل في رفضهما للحدود والقيود المعترف بها دولياً. »، بتورطهما في عرضاً دراماتيكي مقلداً للغاية ضد الفلسطينيين للاستيلاء على مرتفعات الجولان ومناطق أخرى في الضفة الغربية.⁽³⁾

(1) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 82.

(2) Noam Chomsky, Edward W. Said, The Fateful Triangle, The United States, Israel and the Palestinians New York, Book Sales Consortium for Publishing and Distribution, 1st ed., 1999 p. 645

(3) نعوم تشومسكي، مداخلات، تر: محمود برهوم ونوال القمار سرياني، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 146.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

على هذا النحو، اتسمت السياسة الأمريكية بالفلسفة المادية، وهي حركة لا تكل في إرساء معايير الديمقراطية الليبرالية بعد العدوان الشنيع على غزة (2006). هذا هو السبب في أن العنف غير متسق في وجود القوة، كما أشارت حنة أرنت، (1906-1975): *Hannah Arendt*. فقد اعتادت فلسفة المثقفين الألمان على نقل أكثر من ثلاثة آلاف طن من الذخيرة على متن السفن للإسرائيليين. فيما كان الفلسطينيون ينتقلون من ملجأ إلى آخر يحتويهم من القصف، فإن السياسة الأمريكية تنفق أكثر من "21 مليار دولار" من بوش للإسرائيليين بشكل غير قانوني، منتهكة بذلك القوانين والمواثيق الدولية و الحقوق الإنسانية، جامعة للضرائب من الأمريكيين، معتبرة إياها مساعدات من الإمبراطورية للاستفادة اللامحدودة من الشرق الأوسط، بينما يقول تشومسكي إن السياسة الأمريكية على معرفة بأنها جريمة شنيعة في حق الفلسطينيين ولكن تأولها على أنه تَوَقُّ الفلسطينيين للديمقراطية يلزمهم ألا يعصوا أوامر "السيد" لأنه ما من توق للديمقراطية في التعلم بإثارة السخرية. (1)

في هذا السياق، يظهر دور الفلسفة العبثية على الحالة الإنسانية، بدلاً من أن يكون الإنسان مصدرًا للسخافة، تكون الدولة بأكملها حالة أكثر عبثية. بحيث يتم إلقاء مُؤاخَذَةً على الأمم المتحدة بشكل عام و الحكومة اليونانية بشكل خاص، لأنه لا توجد دولة تضمن حقوق الإنسان والتصويت لصالح قيم العدالة والحرية والأمن من غير الأمم المتحدة أثناء الهجوم الوحشي على الفلسطينيين من حدود الحكومة اليونانية، يؤكد تشومسكي أنه لا يمكن اعتبار اليونان دولة مستقلة في حد ذاتها لأنها تستبعد نفسها، بدلاً من المخاطرة بالحرية والعدالة وحقوق الإنسان من أجل الفلسطينيين، ولكن موقف اليونان هينًا على موقف الأمم المتحدة التي تصفها بأنها أزمة إنسانية عاجزة على توفير حل لها، و على أنها مواقف غير مبررة تتفق فيها السياسة الإسرائيلية والأمريكية على إعطاء الأولوية لإرادة العنف على إرادة حل الأزمة. (2)

ويبقى من الضروري فهم حقيقة التلاعب غير المشروع بين السياستين الأمريكية والإسرائيلية، ودوافع خطورة هذا الاعتداء التعسفي دون إبراز عوامل تخليص العقل من جموده، والذي بدا عاجزاً في مواجهة

(1) Noam Chomsky, *Gaza in Crisis, Reflections on the Israeli War on the Palestinians*, Chicago, USA, Library of Congress Publishing, first edition, 2010, p. 98.

(2) نعيم تشومسكي، صناعة المستقبل، الاحتلال، التدخلات، الإمبراطورية و المقاومة، تر: *Lingo Office l.r.a. s*، لبنان: شركة المطبوعات للنشر، ط1، 2013، ص 116 117.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

قضية التسوية بين كلا الطرفين، ولهذا يقر تشومسكي بأن السياسة الأمريكية تحمل ضغينة ضد الفلسطينيين في تشويه سمعة الغرب بجريمة الانقلاب التي نفذتها حماس (2007 م) ضد الحكومة المنتخبة بالديمقراطية الأمريكية. لكونها الحكومة الوطنية التي تنفذ الخطط العسكرية الإسرائيلية والأمريكية، في حين أن معارضتها من المثقفين الغربيين هي أنه ليس من العدل الإطاحة بالحكومة الأمريكية المنتخبة، الأمر الذي يجبر إسرائيل في الوقت الحاضر على تحمل الطبيعة المأساوية للسياسة الأمريكية. ودفعها ذلك إلى زيادة هجماتها على الفلسطينيين، وهي ممارسة شائعة. بالنسبة لتشومسكي، هذا ما تفعله السياسة الأمريكية إذا أرادت إسقاط حكومة فاسدة لا تخدم المصالح البراغماتية الأمريكية.⁽¹⁾

يتضح مما سبق، أنه من المستحيل الجمع بين الشتات الذي يلزم القيم الأخلاقية وحقوق الإنسان ومبادئ الحرية والديمقراطية في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. طالما يعتقد المثقفون الغربيون أن السياسة الأمريكية تهدف إلى إرساء العدل والإنصاف لليمين الإسرائيلي في (حادثة جلعاد شاليت* - 2005). لأنها حادثة غير إنسانية تمارسها حماس ضد اليمين الإسرائيلي، يصفها تشومسكي بأنها فرصة للسياسة الأمريكية لتبرئة إسرائيل من الجرائم التي يعاقب عليها القانون الدولي. مع العلم - بسذاجة - أنها تعارض حماس باعتبارها انتهاكًا دوليًا وعرقلة للديمقراطية ومعادية للمبادئ الإنسانية، فهي في الواقع مفارقة بين ما تمارسه لضمان استمرارية مصالحها الاقتصادية وما تدافع عنه باعتباره انتهاكًا دوليًا. إذا كانت فلسطين تنتهك المواثيق الدولية، فيجب أن توصف السياسة الأمريكية بأنها تعرقل الطبيعة البشرية والفترة السليمة، وليست مجرد عائق للقضية الفلسطينية فقط.⁽²⁾

وعليه، إذا استمرت ذرائع السياسة الأمريكية في هذا التقليد الديمقراطي، عن طريق الاستهزاء والتلاعب بحقوق الفلسطينيين وانتهاك حقوقهم كحقوق إسرائيلية التي انتزعتها حماس، والغرض من ذلك تحقيق المنفعة . يؤكد تشومسكي أنه إذا تم تقديم مقترحات "الدولة الفقيرة"، فسوف نشعر بالفرح وربما الحذر من إحياء

(1) Noam Chomsky, on Palestine, United States, Library of "Congress":first edition, 2015, p163 164.

*جلعاد شاليت 1986 Gilad Shalit، جندي إسرائيلي أسرته حركة المقاومة الإسلامية حماس عام 2005 على الحدود اللبنانية، تم اختطافه لتبادل الأسرى بإطلاق سراح حوالي "ألف أسير فلسطيني" مقابل تأمين إطلاق سراحه.

<https://www.britannica.com/biography/Gilad-Shalit>.

(2) Noam Chomsky, Gaza in Crisis, Reflections on the Israeli War on the Palestinians, Chicago, USA, Library of Congress Publishing, first edition, 2010, p. 16.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

النازية.، وندعو إلى توجيه اتهامات إلى حماس في المحكمة الدولية بالتحريض على الإبادة الجماعية، في انتهاك لاتفاقية (السلام)، بالإبادة الجماعية ولكن بمثل هذه المقترحات، سيكون موقف حماس مماثلاً لموقف الولايات المتحدة وإسرائيل. ⁽¹⁾

وبهذه الطريقة، أدت انتصارات السياسة الأمريكية البراغماتية، منذ الاعتراف "التي موس" بدولة إسرائيل كدولة معترف بها في الديمقراطية الليبرالية الأمريكية، حتى نهاية ولاية بوش، إلى تفاقم رهيب للمنفعة، حيث لم يقلل بوش من جهود الدولة الإسرائيلية وبنفس المنطق الذي يضعف جهود الدولة السعودية لقدرتها على الاستفادة من السياسة الأمريكية في تقوية وتسخير منطقة الشرق الأوسط لعملاء تكنوقراطيين ومتقنين أمريكيين محافظين على وفرة النفط. في حين أن مشكلة التسوية لصالح حماس والسلطة الفلسطينية، أو النظر في آثار الديمقراطية الأمريكية وعواقبها على الفلسطينيين، قد طمست بفعل القومية اليهودية والتي تمثل اللجنة السرية للمخابرات «الماسادا»^{*}، ومصالح امتياز النفط المقدس فيما يتعلق بشركاتها الإمبريالية، فإن بوش بحسب تشومسكي لا تُفَتِّه مَصائب البائسة للفلسطينيين في أكثر السجون الإسرائيلية سرية، بدلاً من ذلك، تركز خياراته على المبادئ البراغماتية لأنها الأكثر اتساقاً مع مبدأ التقدم العالمي. ⁽²⁾

إضافة إلى ذلك، لم تكن أهداف المشاريع الإسرائيلية براغماتية كما هو الحال مع المشاريع الأمريكية في الشرق الأوسط، لأن جميع اتفاقيات التسوية والمفاوضات رُفِضَتْ لأسباب تخدم الممارسة النفعية للنخبة الأمريكية. لذا يستدل تشومسكي بأن فكرة الاعتراف "التي موس" ذاتها التي طرحتها إسرائيل في (طابا) واعترفت فيه بالظلم التاريخي الذي ألحقته بالفلسطينيين وتأسفها لمآسيهم ومعاناتهم وخسائرهم، مثل هذا الأثر لا يمكن الاستهانة به، بل إن آفاقه أخلاقية بحتة. إذا أراد الفلسطينيون التمسك بفكرة الحق في مصيرهم، فإن هذا الاعتراف "التي موس" لديه مسؤولية في الاتجاه الصحيح، وهو مستوفٍ لجميع الشروط لحل الأزمة الفلسطينية،

⁽¹⁾ نعم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 149.

^{*}ماسادا *Masada*: قلعة ملكية في جبل إسرائيل قديمة تطویرها هيرودس الكبير في 37 ق.م-4 ق.م ملك يهودا في حكم الرومان، تم جعلها في القرن العشرين من اليونيسكو موقع تراث عالمي و رمزاً للقومية اليهودية.

<https://www.britannica.com/place/Masada>.

⁽²⁾ نعم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص 371-372.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

لكن السياسة الأمريكية لم تعترف بهذا الاعتراف "التيوموس" الذي قدم في (طابا). لأنه ليس بفكرة خلاقة للمنفعة. (1)

بناءً على هذا الخلاف واعتراف الإسرائيليين بالدولة الفلسطينية يمثل هذا الموقف الذي يدعو إلى الحرية من أجل الديمقراطية الليبرالية وتحقيق الذات، على مدى السنوات العشرين الماضية، أثرت بشكل سلبي على مصداقية السياسة الأمريكية، يؤكد تشومسكي أن بوش يفهم ذلك على أنه معاد لموقفه المتصلب من السياسة الأمريكية، وشبهه بنزاع غير متوقع يتعلق بفكرة السلام والتسوية، ما جعله يفرض عقوبات محدودة على إسرائيل، رداً على دافع تيموسي الكامن في اعتراف إسحاق شامير** بفكرة السلام للفلسطينيين، والتي كان على السياسة الأمريكية أن تتكرها بإجراءات بسيطة تحافظ على سلامة مسار الصراع وتزيد من المنفعة. (2)

يبدو من الضروري لكل من الإسرائيليين والفلسطينيين أن يفهموا موقف بوش على أنه يجسد لنا نموذج السياسة الأمريكية وحركتها المتكررة عبر المراحل التاريخية في إقامة الحكومات واتفاقاتها مع إسرائيل لم تكن عبثاً، بل أمل أي إدارة منتخبة من قبل الشعب الأمريكي لتحقيق أهدافها البراغماتية أو فرض نفسها كرائدة لسلام، ومبادراتها لنشر الديمقراطية الليبرالية الأمريكية تعني إعادة الانتخاب مرة أخرى، وإدارة بوش لديها نفس الغاية، لذلك يؤكد تشومسكي أن لبوش رؤى وأحلام إقامة دولة فلسطينية في مكان وزمان ما _ في مكان غير محدد _ ربما في الصحراء العربية؟؟، لكنه يتجاهل تماماً حقيقة أن الولايات المتحدة يجب أن تتوقف عن تقويض الجهود طويلة المدى لجميع دول العالم، دون استثناء، أي منها، في الواقع، للوصول إلى نوع من التسوية السياسية القابلة للتطبيق. (3)

(1) نعوم تشومسكي، جليبر الاشقر: السلطان الخطير، السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، بيروت، دار الساقى، ط1، 2007، ص 195.
**إسحق شامير 1915-2012، Yitzhak Shamir، زعيم صهيوني بولندي ورئيس وزراء إسرائيل مؤيد لشمعون بيرس في حزب العمل انضم إلى حركة بيتار الصهيونية مقاتلي إسرائيل من أجل الحرية IFF، جماعة إرهابية عُرفت بعصابة ستيرن مؤسسها أبراهام ستيرن.

<https://www.britannica.com/biography/Yitzhak-Shamir>.

(2) نعوم تشومسكي، صناعة المستقبل، الاحتلال، التدخلات، الإمبراطورية و المقاومة، تر: Lingo Office l.r.a. لبنان: شركة المطبوعات للنشر، ط1، 2013، ص 155.

(3) نعوم تشومسكي، طموحات الإمبريالية، تر: عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2006، ص 16.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

علاوة على ذلك، تركزت جهود إدارة بوش على استنزاف السياسة الأمريكية المتمثلة في القوة الموالية لإسرائيل لتفكيك الجماعات الفلسطينية، مع تبرير المواقف السياسية الواقعية الأمريكية تجاه تلك الحركة الثورية، على أنها الأوقات الصعبة التي تواجه فيها القوى الإرهابية أهدافاً تكتيكية ومصالح ترعاها إسرائيل لصقور الولايات المتحدة. لقد تم تحميله على أنه هجوم على فلسفة القسام الثورية، التي أساءت إلى جميع الفلسطينيين، الذين تعتبرهم القوات ضحايا للإرهابيين. من ناحية أخرى، يؤكد تشومسكي أن لجوئه إلى العنف عبء مبرر كبير قد يرفع معنويات القوتين ويحبط أمل الفلسطينيين. لأنه يدعو إلى العقلانية التي ترى جوهر الطبيعة البشرية من مزاياها، والنضال السلمي الذي يخوضه القادة الفلسطينيون بأفكار إدوارد سعيد ومحمد إقبال، وهو الأمل الوحيد لتحقيق السلام.⁽¹⁾

على هذا الأساس، لن تتجح العقلانية في الفترة التي بدت فيها إدارة بوش وكأنها تتلاشى. حتى السياسة الأمريكية اتسمت بالانعزالية لمواكبة الانتخابات في تأسيس الإدارة الجديدة لباراك أوباما (2008)، ما يعتبر فشل تجديد بوش مرة أخرى في تقوية الحمايم الإسرائيلية بقيادة باراك إيهود في إبادة (79 فلسطينياً). الأمر الذي دفع الأمم المتحدة ومنظمة العفو الدولية إلى دعوة الإدارة الجديدة إلى حل معتدل لوقف إطلاق النار من قبل الحمايم ضد حركتي القسام وحركة حماس. مستنداً تشومسكي أن رد أوباما على الجرائم والفظائع غير الإنسانية ساخر للغاية، ورفضه للموقف في عبارات "على أنه ليس في مقدوره فعل شيء" - "لا ننظر إلى ماضي"، "دعونا ننطلق إلى المستقبل"، هذه الذرائع أعدها تشومسكي كلغة دبلوماسية بين الإدارتين، بحيث تكون نهاية الفظائع اللاإنسانية لبوش نقطة انطلاق أخرى للفظائع اللاإنسانية مع أوباما.⁽²⁾

ولعل الكراهية والعداء الذي تمارسه السياسة الأمريكية مع إدارة بوش تجاه العرب في الشرق الأوسط هو شكل من أشكال العقلانية الداعية إلى المنفعة والمصلحة، على عكس الحد من الفظائع البشرية. لأن الثروة تُوهّم العقل البشري وعادة ما يتمظهر في مظاهر لا حصر لها، لذلك يعتقد تشومسكي أن بوش وإدارته

(1) نوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص 369.

(2) Noam Chomsky: on Palestine, United States, Library of Congress, first edition, 2015, p164 165.

"Chomsky as saying that: Obama's ... by saying that he couldn't do so, ... be Diplomats know very well that that's a standard slogan for those who are engaged in serious crime: "Let's forget about the past, let's look forward to a glorious future."

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

مصدر أساسياً للتفاوض على عملية السلام، ليس فقط العرب الذين يحاورهم عن أزمة الدولة الفلسطينية والقمع الإسرائيلي، ولكن أيضاً لمجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة، كما يقول بوش، "عندما يتم إحراز تقدم نحو السلام، يجب إنهاء النشاط الاستيطاني في الأراضي المحتلة". _ ما الذي يعنيه بذلك؟_ يؤكد تشومسكي أنه يدعم القوات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني الذي يتطلع إلى الحرية و الديمقراطية، طالما وضعت السياسة الخارجية الأمريكية جهودها على عاتق بوش في مهمة التسوية، فإن عملية السلام، كما يدركها، حسب منطق السليم، هي أنه كلما ازدادت المستوطنات الإسرائيلية والعنف في المنطقة، زادت فرص السلام في منطقة الشرق الأوسط. (1)

على هذا النحو، لم تظهر إدارة بوش، في ممارستها السياسية، أي معاملات أخلاقية أو نوايا حسنة تجاه الشعب الفلسطيني في الشرق الأوسط. فحين يشير الفيلسوف فرانسيس فوكوياما: «كثير من الناس يؤكدون أن إدارة بوش هي ازدياد للرأي العام الدولي وشرعية الأمم المتحدة.» (2) يقبل تشومسكي تماماً فكرة فرانسيس فوكوياما بأن إدارة بوش هي أخطر عقبة وضعتها السياسة الأمريكية على الإطلاق، أمام السلام الذي يأمله الشرق الأوسط حفاظاً على المصالح البراغماتية عن طريق عرقلة جميع الحلول الدبلوماسية التي يطرحها الإجماع الدولي والأمم المتحدة على الفلسطينيين. ومن الأمثلة على ذلك القرار الصادر عام (1968م) والذي دعا إسرائيل إلى إلغاء القمع والاستيطان والضم والاحتلال التي تمارسها في القدس الشرقية. لكن إدارة بوش نفت سياسة المسؤولية "ماجنا كارتا" للشعب الفلسطيني، لكنها مجرد عينة لم يتم تنفيذها بغض النظر عن كل الحلول الدبلوماسية والإجراءات الهادفة لتحرير فلسطين. (3)

لكن إذا وضع الفلسطينيون كل آمالهم على عاتق إدارة أوباما لإحلال السلام والحرية، يؤكد تشومسكي أنه لا توجد إجراءات في القضية الفلسطينية، طالما يوجد فساد في القوانين والعهود الدولية من جانب السياسة الأمريكية، في ضوء مناقشة ودراسة القضية الفلسطينية عبر مراحل تاريخية من عهد جورج بوش إلى فترة باراك أوباما، تستخدم السياسة الأمريكية نفس الذرائع والعبارات. الذي يعتقد أن فكرة إقامة دولة فلسطينية

(1) نعيم تشومسكي، طموحات الإمبريالية، المصدر السابق، ص 17.

(2) فرانسيس فوكوياما، أمريكا على مفترق الطرق، تر: محمد محمود التوبة القاهرة، دار العيكان، ط1، 2007، ص 95.

(3) نعيم تشومسكي، طموحات الإمبريالية، المصدر السابق، ص 17.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

أكثر غموضاً في الواقع، لكن تشومسكي يرى أن الأمر أكثر غموضاً بالنسبة لسياسة أوباما التي تخفي الحقيقة المنصوص عليها في الميثاق (1996 م) من أول حكومة إسرائيلية. تمنح اعترافاً من "التيوموس" نتتيا هو بأنه يدعم الفلسطينيين في كل حقيقة لإقامة دولة فلسطينية مستقلة. الذعر الذي ساد السياسة الأمريكية من أن أفكاره ستكون نهاية التاريخ الإنسان البراغماتي الأمريكي، إذا كان الفلسطينيون قادرين، بكل الحقيقة، على إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وهو الذعر نفسه الذي دفع باراك أوباما للتعاطف مع شمعون بيريز* بفرض نظام الاستيطان، وسؤاله عما إذا كان سيتبنى موقف إقامة دولة يصفها المثقفون التكنوقراطيون بـ «الدجاج المقلي». إلا أن تشومسكي يعتبرها استعارة سياسية بلاغية، ومعنى ذلك التصرف الدقيق في مبادرة السلام العربية التي أشاد بها، وخشونة النظام الأمريكي في النظر إلى حقوق القضية الفلسطينية. (1)

يوضح تشومسكي أن فساد الحكومة الأمريكية هو أكبر عقبة أمام تحقيق عملية السلام بين الدولتين، إسرائيل وفلسطين، منذ حرب فيتنام، والسياسة الأمريكية تهاجم وتعرق كل الحلول التي تؤدي إلى السلام العالمي بذرائع مبالغ فيها، كدافع ضد "القوى العدوانية". لذلك، فإن شرعيتها ليست بناء القيم الأخلاقية أو السياسية، بل بالأحرى حماة "الموامة السياسية" لتحقيق أهدافهم والاعتزاز بالحرب وأحداثها المأساوية، قد يعتقد الفلسطينيون أن عملية السلام ممكنة؟. لكن تشومسكي يعتقد أنه من الممكن لإسرائيل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة والانسحاب من الأراضي المحتلة في الشرق الأوسط عن طريق إقامة دولة فلسطينية ودولة إسرائيلية. هذا هو السبب في أن للأمم المتحدة الحق في موازنة المعادلة مع حل مشكلة الصراع، ولكن مع أعضاء النخبة التي تفرض مبدأ الموامة السياسية (PC)، فإن التنسيق السياسي للمثقفين التكنوقراط يعني فرض سياسة خارجية أميركية تعرق طريق السلام ودعم الإسرائيليين بقوة ورأس مآل. (2)

يتضح مما سبق أن المنفعة هي المحرك الذي لا يتحرك في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. مُستدلاً تشومسكي أن إنشاء المخططين التكنوقراطيين لفكرة الذرائع لغرض «الموامة السياسية» هو ببساطة

*شمعون بيريز 1923 - 2016 : Shimon Peres، رجل دولة إسرائيلي بولندي رئيس للوزراء وزعيماً لحزب العمل الإسرائيلي، دوره في التفاوض على اتفاقية السلام مع ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية .

<https://www.britannica.com/biography/Shimon-Peres>.

(1) نعوم تشومسكي، المصدر السابق، ص 32.

(2) نعوم تشومسكي، ماذا يريد العم سام، تر: عادل المعلم، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1998، ص 56.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

نهج ذو أولوية لتوسيع السيطرة على موارد الطاقة الرئيسية في الشرق الأوسط والعالم. فيما، اعتبرتها السياسة الأمريكية منذ الأربعينيات من القرن العشرين مصدرًا لتحقيق أهدافها الجيوسياسية والاستراتيجية. لكونها "منطقة القوة" التي تتنازع عليها الولايات المتحدة كلٌّ من "فرنسا" و"بريطانيا". لذلك، فإن تخمينها العقلاني يفرض القوة والمنفعة والسيطرة على أنقاض الجنس البشري المنهار في المنطقة والأراضي الفلسطينية.⁽¹⁾

يشير تشومسكي إلى أن فكرة النضال الفلسطيني هي الضمير الوحيد للخلاص، ولحل القضية الفلسطينية، ولكن بمعزل عن صراع القوة والعنف أو العوامل المسببة لهما، وفي ضوء الحل الذي ذكره إدوارد سعيد* (1935-2003)، وهو إقامة دولة تضم (الشعب الفلسطيني، والشعب اليهودي، والمسيحيون العرب)، ولديهم حقوق سياسية مشتركة، ومع ذلك، يعتقد تشومسكي أن فرضية إدوارد سعيد لها تطبيقات قليلة، حيث كان يقترح حلاً للدولة ثنائية القومية ولا يدعو إليها. لأن رؤاه لم تكن قابلة للمقارنة مع الدول ثنائية القومية في أوروبا التي تفرض العنف والقمع بمجموعة متنوعة من القوة من أجل إحياء الهوية والاستقلال الإقليمي والثقافي. فإذا كان هذا الحل ينطبق على الفلسطينيين والإسرائيليين، فإن الوضع سيستمر فقط مع الإبادة الجماعية للسكان الأصليين بفعل السياسة الأمريكية وتمكين إسرائيل من إقامة الدولة لأن اقتراح السلام للفلسطينيين يمنع إسرائيل من دفع السياسة الخارجية الأمريكية لتحقيق المكانة العالمية.⁽²⁾

ومن هنا فإن التصور العام للعلاقة السياسية بين (الولايات المتحدة وإسرائيل) محصور في حدود النموذج الهيجلي في ديالكتيك (العبد والسيد). لذلك لن تكون إسرائيل قادرة على الاستغناء عن مبادئ السياسة الأمريكية في تحقيق المصالح، كما أن الشيء نفسه لن يمنح الإسرائيليين الحرية الكاملة من إقامة دولة. لأنه

(1) نعوم تشومسكي، الدول الفاشلة، إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية، تر: سامي الكعكي، لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، 2007، ص 48 49.

* إدوارد ويليام سعيد 1935 - 2003 Edward Said: فيلسوف أمريكي فلسطيني وناشط سياسي تميز في الأدب السياسي الاجتماعي والثقافي من دعاة السلم والحقوق السياسية للشعب الفلسطيني في إقامة دولة فلسطينية مستقلة. ينتقد بشكل خاص السياسة الأمريكية والإسرائيلية، ومن بين مؤلفاته: الثقافة والإمبريالية 1993 والاستشراق. <https://www.britannica.com/biography/Edward-Said>

(2) Noam Chomsky, Gaza in Crisis, Reflections on the Israeli War on the Palestinians, Chicago, USA, Library of Congress Publishing, first edition, 2010, p. 22.

"Chomsky says: Edward Said—an old and close friend— was one of the earliest and most outspoken supporters of a two-state solution. By the 1990s, he felt that the opportunity had been lost, and he proposed, without much specification, a unitary state, by which I am sure he would have meant a binational state. I purposely use the word "propose," not "advocate."

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

ضمن حدود الطاعة لمبدأ أعلى منه، وهي علاقة الخضوع والطاعة التي يشير توماس هوبز* (1588 - 1679) *Thomas Hobbes*، إليها، لأنها لا تنطبق فقط على الدول والقوميات والمستعمرات الأمريكية الضعيفة، ولكن أيضًا على إسرائيل، لأنها خادمة لأهداف الدولة والنخبة الأمريكية، وهي من منظور حماية مصالح الإله (السياسة الخارجية الأمريكية) بفرض أي وسيلة توفر الحماية بغض النظر عن قيم الطبيعة البشرية. لأن فكرة الطاعة عند كل من هوبز وكارل شميث** (1888 - 1985) *Carl Schmidt* هي أن لديها القدرة على حماية إسرائيل بوسائل فعالة أو غير أخلاقية أو غير قانونية. بقدر ما تتطلب الطاعة من إسرائيل والاستمرار وفق مبادئ الولايات المتحدة الأمريكية.⁽¹⁾

وعليه فإن تحليلات تشومسكي للمبدأ الأساسي الذي تقوم عليه السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط لم يكن غرضه المنفعة فقط بل السيطرة التي أعلن عليها ويلسون في خطابه، ولا يزال يفرض نفسه على الوضع الحالي في عصرنا منذ الحرب العالمية الثانية، ويفرض سيطرته وامتداده. على مناطق النفط، وهو الشيء الذي وُجد منذ زمن طويل أنه الهدف أو المصلحة الراضية للسلام في منطقة الشرق الأوسط، فيكون الصراع بين الدولتين فلسطين وإسرائيل هو أشبه بصراع دارويني الذي تتفكك فيه الأطراف الضعيفة وتبقى فيه الأطراف القوية، ولهذا يؤكد تشومسكي أن النموذج النهائي لهذا الصراع في الشرق الأوسط يمكن تفكيكه بسهولة، ولكن بمجرد تخلي النخبة الأمريكية عن قرارها القائل بشأن المنطقة "إننا نعتبر هذه المنطقة ذات أهمية قصوى للمصالح الأمريكية القومية ومن ثمة لا نعترف بأية حدود أو عراقيل أو حتى بقانون الدولي أو الأمم المتحدة " طالما المنفعة موجودة لن نتحقق عملية السلام في المنطقة".⁽²⁾

*توماس هوبز، 1588 - 1679 *Thomas Hobbes*، فيلسوف وعالم ومؤرخ إنجليزي، اشتهر بفلسفته السياسية، لا سيما فيما ورد في مؤلفه اللفيثان 1651 يُنظر إلى الحكومة على أنها أداة لضمان الأمن الجماعي. تتمتع كتاباته بطابع علمي ظاهري يتأثر بمعاصريه، بما في ذلك جاليليو ويوهانس كيبلر. <https://www.britannica.com/biography/Thomas-Hobbes>

**كارل شميث: 1888 - 1985 *Carl Schmitt*، وهو رجل قانون محافظ ومنظر سياسي ألماني، اشتهر بنقده لليبرالية مؤيد للنازية ويرى أن الأناركية والشيوعية الروسية هي ثورة عامة ضد السلطة من شأنها أن تدمر أوروبا وتقوض الإنسانية بشكل لا رجعة فيه. يعتبر أن البرلمان المعاصرة غير قادر على التوفيق بين الديمقراطية والليبرالية.

<https://www.britannica.com/biography/Carl-Schmitt>.

(1) آلان جوكس، إمبراطورية الفوضى الجمهوريات في مواجهة الهيمنة الأمريكية ما بعد الحرب الباردة، تر: غازي برو بيروت، دار الفارابي، ط1، 2005، ص60.

(2) نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، المصدر السابق، ص 10.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

لقد عملت السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على الاهتمام بالجانب المادي البراغماتي، الذي تعتبره القوة التي تحافظ على وجودها كقوة عالمية، أما بالنسبة للجانب الإنساني، فقد استمرت انتهاكاته المروعة حتى بالنسبة لأبسط حقوق الإنسان، والتي بدورها تتدخل في دعمها لمشاريع الاستيطان غير القانونية، وتقويض الحلول الدبلوماسية من ثمة فإن تشومسكي يعتقد بأن فكرة الحل للقضايا الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية يتطلب جهوداً غفيرة ومكرسة بأساليب عقلانية و تنظيمية وتنقيفية داعية إلى السلام والعدالة في منطقة الشرق الأوسط والأراضي الفلسطينية، ما لم يكن قبل كل شيء ترويجاً فعالاً وجاداً للديمقراطية داخل القوة العظمى الحاكمة للطرفين.⁽¹⁾

تعقيب نقدي:

تقدم فلسفة نعوم تشومسكي حول القضية الفلسطينية موقفاً إنسانياً يكشف عن نوايا الواقعية الحقيقية للسياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. تمثل ذلك فيما يلي:

✚ انتقاده لمبدأ السياسة الأمريكية باعتبارها تحقق منفعة اقتصادية وجيوسياسية، تجاه الشرق الأوسط. فيما، ظل الوعي بمستقبل المنطقة ؛ جوهر "الثقافة الجديدة" و"تحقيق الحلم الأمريكي" و"فرض الأبوية العالمية". لذلك، فإن استبداله بأمريكا اللاتينية في إطار النظام العالمي الجديد .تهدف إلى أن يكون جوهر ثروة الأقليات والنخب، بحيث يمثل إنقاذ الرأسمالية الغربية من التلاشي ،والممارسة التقدمية للولايات المتحدة الأمريكية، في مواجهة القوى التنافسية بطريقة انعزالية، مع تحقيق ركائز الازدهار العالمي / الإنتاج / الاقتصاد / الأرض.

✚ إن واقع الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني هو الخوف الذي يعكس، بلغة هايدجر، قلق الإنسان المعاصر من العدم والشعور بإستلاب الحياة بفعل القوى الطبيعية البشرية دون تدخل مبدأ القوى الإلهية التي تقرض الاستعاضة عنها الولايات المتحدة.

✚ يعطي تشومسكي هذا الصراع العربي- الإسرائيلي تجديداً طفيفاً على مستوى المصطلحات في وصف الثلاثية التي تعارض بعضها البعض بشأن بقاء الأصلح بلغة تشارلز داروين، أو الاعتراف "التيتموس" بلغة فرانسيس فوكوياما، كونه "الصندوق الحساس" لنهاية العرب (الأفارقة) بلغة هيجل كمبدأ كلاسيكي في

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، المصدر السابق ، ص370.

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

تقسيم التاريخ دون (الإسلام)، بينما يعني بالنسبة لتشومسكي أنه يمثل "المثلث المشؤوم". الذي يحذر المثقفين من الكارثة المتوقعة بين الكيانات المتصارعة (الولايات المتحدة، وإسرائيل، وفلسطين) وحتمية وقوعها في العدم. وكمسؤولية فكرية يعني، بدلاً من استعادة العقل والتفكير، تطبيق مبدأ الطبيعة البشرية والتعاطف البشري والتفاوض على مستوى يستبعد الأخلاق الواقعية الأمريكية، لأنها مجرد خداع وهراء.

✚ تعكس سيكولوجية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني معنى الإرادة كما وردت في فلسفة شوبنهاور، بحيث تظهر اتفاقيات ومعاهدات عملية السلام (أوسلو، وجنيف، وكامب ديفيد)، آمال وأحلام تحويل الذات الضعيفة للشعب الفلسطيني إلى رغبته في البقاء والاستمرار، مدفوعة بالتفاؤل وغريزة التحرر لتحقيق الحرية والانتماء والسعادة عن طريق أخلاقيات المسؤولية (بين مثقفها وسياسيها) بلغة إيمانويل ليفيناس.

✚ بدا موقف تشومسكي إيجابياً تجاه ثورة التحرير الفلسطينية، لأن لها موقفاً أناركيًا يعطي التفاؤل والإرادة داخل الفلسطينيين الذين يتحدون مجرى الواقع الذي تحالفته ضدهم عنصرية أمريكا وإسرائيل في القانون الدولي. وهذا يعني أن القيم الليبرالية والديمقراطية يمارسها المثقفون الأمريكيون لأغراض أنانية، بينما علق تشومسكي بنظرة خاطفة على أن العنصرية الأمريكية - الإسرائيلية تخشى استعادة الشعوب الفلسطينية تراثها وتاريخها وتحقيق الاستقلال الوطني على مستوى السلطة والدولة. وهذا هو سبب تمويلها للجرائم والاستهلاك للإنتاج الفلسطيني.

✚ لم يقدم تشومسكي حلاً للقضية الفلسطينية بطريقة واضحة وتقنية، بل اقترح نموذجاً للتعاشيش الإنساني بين إخوانه اليهود والفلسطينيين في دولة واحدة. إنها تمثل مبادئ وشروط تخضع للطبيعة البشرية، بحيث يكون هناك انفتاح حر على الآخر (إسرائيل) وقبول الآخر على الذات الأخرى (فلسطين) عن طريق إنهاء الصراع وإدامة السلام على أساس مبدأ بنيامين نتنياهو لتعزيز العلمانية الديمقراطية كأساس للتعاشيش بدون عنف. لكن مثل هذا الاقتراح يستلزم فصل الآخر (إسرائيل) عن العلاقات البراغماتية للولايات المتحدة، وقد يؤدي إلى ركود فلسفات مثل الكينزية، والتأيلورية، ونظرية صراع الحضارات، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، يتطلب جهوداً كبيرة من الوعي الفكري والثقافة، ودحض الرغبة في المصالح الرأسمالية، بينما يحو تراث الطرفين مع تعاقب الأجيال.

✚ الواقعية الأمريكية لها امتداد للانتهاك المتعمد لحقوق الشعب الفلسطيني بفعل تطبيق مبدأ القوة على نهج فريدريك نيتشه ودعم القوة ضد الفكر والحقيقة بغرض أن تكون العلاقة الثلاثية (المثلث المشؤوم) في

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

الصراع تقوم على أخلاق السادة. مع وضع العراقيل أمام الاعتراف بالطبيعة الإنسانية للعبيد الفلسطينيين في تحقيق كرامة الذات أو الشعور الفطري بالسلام والحرية والأمن.

✚ يعتقد تشومسكي أن الحرية وتحقيق عملية السلام ليسا من الغرب ولا بقرار الأمم المتحدة (242)، لأن هناك ازدراء من قبل المثقفين الأمريكيين الرأسماليين في تقويض مثل هذه الحلول لأنها تدمر مبادئ وقيم المدرسة الفلسفية الواقعية و الميكافيلية. بل يكون عن طريق التعاطف الإنساني و (الإرادة الخيرة) وفرض مبدأ التحرير والثورة في ثقافة الشعب الفلسطيني بجهود عديدة مكرسة للأساليب العقلانية والتنظيمية والتعليمية، والدعوة إلى السلام والعدالة من طرف شعوب المنطقة نفسها.

✚ يعطي تشومسكي منطق التفاضل في ممارسة الطبيعة البشرية للتحرر من العبودية والشعور الزائف والطبيعة الحيوانية بين الطرفين. لولا نجاح رد الفعل الشرطي لسكينر، لما كان هناك صراع إسرائيلي فلسطيني، لأنه مرتبط بذاته بالدافع البشري لكل فرد فلسطيني لديه دافع استجابة للمحفز دون التفكير أو فهم الأبعاد الكونية والأخلاقية. من المستحيل تمامًا أن تكون الطبيعة البشرية خيرًا مشتركًا إذا لم تتوحد آمال الشعب الفلسطيني في إرادة واحدة وكلية أخلاقية .

✚ يستلزم تشومسكي بتوحيد الشعب على مبدأ واحد بثورة تحريرية ضد القانون الدولي، بشرط أن تكون مقاليد السلطة الفلسطينية من الداخل عادلة في تبادل ثقافي من أجل النضال السلمي والتنسيق العالمي بين العناصر المحلية والشتات في إيصال ثقافة التحرر وثقافة تحرير الطبقة العاملة المظلومة من العنصرية الإسرائيلية يكون ذلك من وعي العمال الفلسطينيين بالمصير المشترك وتقويض حاجز التبعية والاستسلام بالإرادة والطبيعة البشرية، وممارسة لغة التعاطف الإنساني، كما وصفها ديفيد هيوم، بين الفلسطينيين والتعاون من أجل مجتمع فاضل.

✚ الكتابة والتفكير والتعبير عن الآراء والحوار مع الدول المجاورة هي جزء من الطبيعة البشرية، فإن إخفاقات الفلسطينيين، من وجهة نظر تشومسكي، ناتجة عن سوء الفهم الذي لم يمثل (محمد إقبال وإدوارد سعيد) مثل هذا الجانب في فهم الإنسان للطبيعة البشرية أو الترويج لها كثقافة عامة في المجتمع. أو العمل بها دفاعًا على الحقوق والحريات.

✚ لأنه في واقعنا المعاصر، لا يوجد فرد لديه طبيعة بشرية فاضلة.، يتضح من هذا أنه متجذر في المصلحة الذاتية (الإسرائيلي) له نفس منطق الأمريكيين والفلسطينيين. بينما هناك صراع يتخلله نقص التبادل

الفصل الثالث: موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية

في وصف المصلحة وإخضاعها لمعايير الطبيعة البشرية، والإرادة الأخرى المقصود بها غالبية الفلسطينيين واليهود يتبعون الإرادة الكلية، التي يجب أن تفهم الإنسان حسب منطق الأنا، والرغبات، والمشاعر، والنوايا، والطبائع التي يتم إنتاجها من العقل العملي أن تكون مقدرة محتسبة بقيمة أخلاقية وإنسانية. لكي تكون صورة بلا غاية، فإن الشروط التي وضعتها الولايات المتحدة وإسرائيل تقضي على الطبيعة البشرية.

ولهذا كما يعتقد كانط أن العمل الإنساني لا يخضع لشروط، ومن هنا فإن استياء الفلسطينيين من الأوضاع الأمريكية والإسرائيلية. هذا يعني أن لديهم نفس الطبيعة ولديهم ظروفهم وأهدافهم النفعية أيضًا. وهنا يكون الخطاب السياسي عقيمًا حول الحل والممارسة في الواقع. لأن الواقع تحكمه الثقافة والعادات والتقاليد واللغة. هذا هو السبب في أن جاك لاكان أظهر أن الرغبة والواقع متناقضان لأن الواقع منطقي للغاية وكثير الارتباك. فإن الاندفاع نحو تحقيق السلام الفلسطيني يبدأ بالتخلي عن الرغبة ومواجهة العنف لأن هذا يحرك الطبيعة البشرية للآخرين كإكراه وسلب للحقوق .

الحل هو توحيد وتقوية العلاقات الاجتماعية للفلسطينيين على مبدأ الاشتراكية التحررية، لا ينبغي أن يكون للثقافة والدين سلطة في مؤسسات أو شؤون أو خطاب النخب الحاكمة باسم (الدين).

الفصل الرابع

نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

تمهيد

المبحث الأول : الفوضوية فكر تشومسكي التحرري

1- مفهوم الفوضوية وأنواعها

2- نعوم تشومسكي والفوضوية.

3- تعقيب نقدي.

المبحث الثاني: اللاسلطوية هي الوريث الشرعي لليبرالية الكلاسيكية

1- قواعد عشر الليبرالية الكلاسيكية

2- تعقيب نقدي

المبحث الثالث: فلسفة تشومسكي الأخلاقية

1- مسؤولية المثقفين (*The Responsibility of Intellectuals*)

2- المجتمع الصالح (*The 'good society'*)

3- التفاؤل والأمل أساس فلسفة تشومسكي الأخلاقية.

4- تعقيب نقدي.

تمهيد

برغم الجدل بين التيار الواقعي والتيار الماركسي الأمريكي اليساري في فهم وتفسير العلاقات الدولية لم يفسح أي منهما المجال لرؤية بديلة للإنسانية والأخلاق، بالنظر إلى تأثيرات السياسة الأمريكية بشكل أكثر صرامة على البنية النظام العالمي. وكذا على بنية الإنسان المعاصر نفسه في تمثيل القيم الاشتراكية للحرية والمساواة، تقتصر دراسة تشومسكي للقيم والأخلاق على مبدأ الأمل بفضل الطبيعة البشرية التي تنبع منها مسألة الواجب والشعور بالمسؤولية، ما إذا كان دور الإنسان هو تجنب عقبة التضليل والدعاية ضد الحقيقة، الذي غالبًا ما يتشكل في فضاء التقارب السياسي المعقد بين الشيوعية والسياسة، والمتقنين الأمريكيين، وهو فضاء يتم فيه تجريد القيم الليبرالية الكلاسيكية، في ضوضاء بين النموذج الانتهازي للماركسية اللينينية لتقوية سلطة الدولة، وكذا فوضى السياسات التي تدعي الاشتراكية، وهي الامتثال لهيمنة العلم والمادة لتقويض زوال الهيمنة والسياسة الأمريكية، فهي مرحلة الشعور بالإساءة إلى قواعد الليبرالية الكلاسيكية، الأمر الذي يجعل من طبيعة التساؤل عن الإنصاف والعدالة والمساواة مبنية على الأنانية، فتنحول إلى سياسة اشتراكية تتجلى في الأخلاق الطوباوية التي تخفيها مظاهر الرأسمالية، تجريدًا لحرية الإنسان بسياسة تقوض كل مظاهر التحرر والتعايش السلمي الإنساني، ولهذا السبب في أن تشومسكي يفتح مجالًا للرؤية يتم ممارسته بشكل أكبر في تحليلاته النقدية ضد تقسيمات النيوليبرالية للقيم الإنسانية المشتركة، كما يصنف نفسه على أنه "اشتراكي ليبرالي" يسعى لانتقاد فن السياسة ضد الحرية ومناقشات هومبولت حول ما إذا كانت الحرية والقيم الإنسانية ونزاهة العمل السياسي لها ممارسة قائمة على الدافع والإرادة؟ أم أنها تعددية وتشاؤمية كما ناقشها مايكل ساندل وجون راولز في ضرورة الانتقال إلى مجتمع عالمي جيد؟، هل تتوجب الطبيعة الأكثر عدلاً مسؤولية ووعيًا وثقافة، أو أن الطبيعة وحدها كافية للتغيير بعد ممارسة تشومسكي لانتقاد مظاهر السياسات التي تنتهك الشرعية والانتهازية، وهل لهذا الانتقال من السياسة إلى الأخلاق العالمية ممارسة حقيقية في الواقع المعاصر؟، في حين أن السياسة الأمريكية تعطي الأولوية للعلم والعقل بطريقة الإساءة للإنسانية، فيما هي أسس فلسفة الرؤية الأخلاقية والإنسانية البديلة لهذا العالم الذي تهيمن عليه سياسات الفوضى والعنف والفساد؟ وسواء كان تشومسكي، بحكم هذه الرؤية للممارسة ضد السياسة البراغماتية الأمريكية، تؤهله لقب فيلسوف في النظرية السياسية، فهذا تصور يتناوله هذا الفصل.

المبحث الأول: الفوضوية والفكر التحرري

تقع على عاتق كل دولة مسؤولية حماية جنسها البشري مع تحقيق الرخاء والتنمية، ولا يزال هذا الاتجاه خاضعاً لتحرير البشر من مختلف أشكال العبودية والاستغلال التي تشملهم وتشمل الدولة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لكن الولايات المتحدة الأمريكية تفنقر إلى سمات الحماية الإنسانية وإن كانت تفنقر أيضاً إلى الإدارة العامة لمؤسساتها وأجهزتها في ظل وجود النظام الرأسمالي الذي تهيمن عليه الشركات الرأسمالية الاستغلالية بمشاريعها السياسية والاقتصادية الخاصة التي تهدف إلى خدمة مصالح النخبة الحاكمة والاستغناء عن الأغلبية الفقيرة، أدى هذا الوضع الخطير إلى ظهور حركات احتجاجية ونضالات شعبية حول تجسيد الحرية والديمقراطية واستعادة العدالة والقيم الأخلاقية والإنسانية، وهي المبادئ الأساسية للفكر الفوضوي لدى نعوم تشومسكي، بينما اعتبرت السياسة الأمريكية صراعات غير شرعية ومعادية لدولة، لذا فإن السؤال الذي يطرح نفسه: ما هي الأناركية؟ ما هو موقف تشومسكي منها؟ ما علاقتها بالليبرالية الكلاسيكية والسياسة الأمريكية؟

1- مفهوم الفوضوية:

هي كلمة إفرنجية مشتقة من أصل يوناني مكون من مقطعين، الأول (An) وتعني النفي، أما الثاني (archos) وتعني السلطة، أما المعنى إجمالي للكلمة (Anarchism) فهي تعني "لا سلطة".⁽¹⁾ الأناركية أو اللاسلطوية هي حركة ضد الرأسمالية ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر على نوعين هما (2):

أ- الفوضوية الفردانية (Individuel Anarchism) : كان هذا الاتجاه معروفاً عند الفيلسوف الألماني ماكس شتينر (1856 – 1906) Max Stirner، وهو اتجاه قائم على تمجيد الأنا المفردة التي تسمى أنانية أحادية (المتجانسة)، والتي تقدم الأنا في صورة متجاوزة للدولة والقانون والأخلاق والسلطة. ولها عقيدة تأليه الإنسان التي لها امتدادات للفلسفة الألمانية مع فريدريك نيتشه (1844-1900) Friedrich Nietzsche، وكان لها تأثير مهم للغاية في الأوساط الشعبية.

(1) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار القباء الحديثة للنشر، ط5، 2007، ص 480.

(2) جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، تر: علي مقلد لبنان، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط2، 1983، ص 558 559.

ب- **الفوضوية الوضعية (Positivist Anarchism):** هذا الاتجاه كان معروفاً لدى باكونين (1876-1814 Mikhail Bakunin، بيوتر كروبوتكين (1842-1921) Peter Kropotkin، وجان جراف (1854-1939) Jan Graf، الذي لديه توجه ثوري يرفض كل التشريعات وكل سلطة لها تأثير مميز لصالح الأقلية المسيطرة والمستغلة ضد مصالح الأغلبية العظمى المستعبدة، وتوسعت في حركة اشتراكية في روسيا وبلجيكا وكان لها تأثير في الحركات الاجتماعية في بعض الدول الأوروبية مثل إسبانيا وإيطاليا وما يميز هذه الأناركية أنها تناضل شعبياً من أجل الحرية وتستبعد أشكال العنف والاستبداد.

2- نعوم تشومسكي والفوضوية :

يبدو أن تأثر نعوم تشومسكي بالحركة الفوضوية لسببين، **أولهما:** هو تحقيق الحرية الإنسانية، مع اعتبار الطبيعة البشرية سمة أساسية لفهم وإدراك العالم كجملة واحدة، وأن علاقتها باللغة والفوضوية ضرورية. أما **ثانيهما:** لإعتقاده أن الفوضوية لها خصوصية معرفية نقدية تكشف عن بنية السلطة وفهم مظاهر الهيمنة وتأثيراتها على التسلسلات الهرمية، وتحديها لكل مجال من مجالات الحياة، إن لم يكن مبرراً بشكل شرعي، في العلاقات والتي تشمل السلطة السياسية والإدارة والملكية والعلاقات بين الرجال والأطفال والنساء يكون من الواجب تفكيكها وتجرد منها، لأن هذا ضروري لزيادة مدى الحرية البشرية التي تمكن الأفراد من فهم طبيعتهم وطبيعة الأجيال الآتية.(1)

وتتضمن الفوضوية عدة مفاهيم، لكن تشومسكي يوحدتها في مفهوم بسيط يعني "أي سلطة أو كيان سلطوي مهيم" يجب أن يبرر نفسه لأن أي سلطة ليست لها ما يبررها، سواء كان ذلك في علاقاتها الشخصية أو في شؤونها الدولية وأيا كان مجالها، فهذا عبء الإثبات يقع على هذه السلطة إذا لم تقى بهذا العبء، فهي غير شرعية ويجب استبدالها بكيان آخر قائم على التشارك.(2)

وعلى هذا الأساس فإن تعددية الرؤية الإبستمولوجية للمصطلح "الفوضوية" بين القديم والحديث قد خلق عوائق معادية لفكرة الفوضوية وممارستها في الواقع الإنساني المأزوم، وبدا وكأنها مثيرة للقلق والالتباس الشديد في أذهان العامة من الناس. وعلى أنها أحد الأسباب النفور لدى بعض "المتقنين" على فهم للفوضوية في مظاهرها الأكثر إنسانية فيما يظهر عزوف عن الفكرة ذاتها كونها تعني الطريقة غير عقلانية وهذا على

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، تر: أسعد الحسين، دمشق، دار نينوى، د ط، 2010، ص. 167-168 .

(2) نعوم تشومسكي، اللاسلطوية مع تشومسكي، https://youtu.be/o3kLivk_OZk

غرار وصف "تشومسكي" لها، إلا أن الدولة وآليات السلطة تعمل هي أيضا على تظليل للمفهوم الفوضي باعتبارها مرادفا للنظام والفساد البشري والانحراف عن النظام الأخلاقي والأدبي بحجة "استبدادية" النظام وإرساء فكرة التحول السلطة إلى اللامركزية.(1)

لا يزال من الصعب صياغة اللاسلطوية ومبادئها بشكل محدد ونهائي في ظل أيديولوجية عامة للمجتمع أو تغيير اجتماعي، لكن تصورا نعوم تشومسكي للنسخة الجديدة من النظرية اللاسلطوية على طريقة المفكرين اللاسلطويين أمثال "دانيال جويرين"، (Daniel Guérin (1904-1988)، "رودلف روكر" (1873-1958) Rudolf Rocker، ما يؤكد أنه على نفس الرأي القائل بأن "الأناركية" لا تمثل نظاما اجتماعيا ثابتا مغلقا في حد ذاته، بل ميلا إلى تطوير الجنس البشري ومعارضة مظاهر الاستغلال والعبودية من أجل فتح الطاقات الفكرية الفردية والاجتماعية بحرية مع إزاحة أي عوائق مفروضة من قبل الحكومة أو الدولة.(2)

عليه يؤكد تشومسكي بأن تحليلاته للفوضوية واضحة بالنسبة للثقافة العامة أما الانطباع بين الناس مختلف حول إدراك لفكرة الفوضوية على أنها تعني الاستياء من الوضع دون غاية. إلا أن هذا غير مؤهل عقلي في كشف عن مزايا الحقيقة للأناركية، غالبا ما يستقر الاعتقاد على المعنى الضيق للفوضوية في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة كشكل من أشكال "العنف" و "إلقاء القنابل" و "التشويش" و "الاضطراب" وغيرها، فإن فكرة التبنّي لها كمنهج أكثر إيجابية في دفاع عن حقوق الإنسانية ومبادئ الحرية والديمقراطية. وهذا الشق بالنسبة لتشومسكي يثير نوعا من الدهشة لدى العامة لأن فهمهم التقاليد الفكرية للأناركية يختلفون في مسألة انطباع الاجتماعي كونها ليست من الظواهر الاجتماعية المألوفة ومعممة في سلوك الأفراد.(3)

ومع ذلك ممارستها تتم ضد الاضطهاد أو الركود الاقتصادي أو "العائلات" والشركات، وتحقق للمجتمع التحرر والعدالة وهذا ينتج لدى تشومسكي بأسبقية التصديق "العقلاني" غير التجريبي، لأنها بناء لإمكانات الإنسانية فما يجعلها "أداة معقدة"، هو اللا تفاهم بين الفكر والمادة وبين العقلانية والواقعية، فإن تشومسكي

(1) رجب بو ديبوس، الفوضوية، المغرب، معهد الانتماء العربي للنشر والتوزيع، ط1، 1989، ص 6.

(2) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية مقالات في الفلسفة والفوضوية، تر: عدي الزعبي، دمشق، دار ممدوح عدوان، ط1، 2017 ص 76.

(3) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 169.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

يرى بأن عجز الفيزياء على التعليل الظواهر "الحس السليم" للأفراد. لا يعني بضرورة أن "الفوضوية" ليس لها ارتباط بمنطق العقل في ممارسة السلوك الحر بين الأفراد. (1)

فعلى خلاف فكر تشومسكي الفوضوي، فإن الفوضوية بذاتها مناهضة ضد اتجاهين فلسفيين رئيسيين في الدولة، كونها معادية لنظم الأقوى تمسكا وتنظيما فيما يصفها "المتقفون" "الفوضويون" بأنها أساس للعقلانية المواجهة للأعباء غير مبررة شرعيا تجاه العقول غير المتحررة والناجمة عن الاستبدادية والعبودية التي تتجم عن فساد هرمي في "تتين" هوبز ما يعرف "بالدولة"، وهي مصدر قلقها الأنطولوجي في الحفاظ على وجودية الأنا المتحررة خارج مركزية السلطة. (2)

لم يكن لدى الأناركية سوى التمسك بمبادئها وتقاليدتها في امتداد الشيوعية ورد فعل متصادم على المنعطفات القمعية والقوانين السائدة في ظل الدول العنصرية في أوروبا الغربية. فإن نزعتين كالماركسية والرأسمالية هما من مبادئ الانفراد بالإنسان ككائن يعيش إنسانيته وحقوقه فإن التعارض والجدل حول الممارسات الاجتماعية التي تمثل كرامة الكائن البشري لم يكن جوهر رئيسي وثابت في الماركسية كما هو الحال بالنسبة للرأسمالية والفوضوية كلها صراعات بين المنطق العقلاني وحرية المعيش والديمقراطية والقيم الإنسانية، فكلها تنطوي بأدائها داخل "الليفيثان" هوبز، فالدولة أيضا العامل الرئيسي في إعطاء تحريفات للفوضوية ونظيرتها الماركسية فيما الانتماء للرأسمالية وهذا جانب يحظى بقبول مفروض من قبل النخبة الأمريكية في دفاع عليها بأعلى بوليسيها ومخابراتها وأدواتها القمعية لكونها مركزية القوة ومنطق التنظيم للمجتمع الأمريكي المثالي. (3)

بالإضافة إلى ذلك، فإن تشومسكي ونظريته الفوضوية ضد مفهوم الدولة الرأسمالية لا من الناحية الفكرية وإنما من منطق أفكاره ونظرياته السياسية العدوانية إذ لم تعد غير عقلانية ولكنها تستثنى من حقل الدولة

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 169.

(2) رجب بو ديوس، الفوضوية، المرجع السابق، ص 7.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

الأمريكية فقط، وتفهم على أنها "البراديغم المميت" لأي جهد تبذله الولايات المتحدة، لأن مبدأه فوضوي غير قابل للمساومة بل إنها تأكيد اتهام للحياة الفكرية الأمريكية في نظر النخبة السياسية.(1)

وهذا خرق للدولة يصفه "شون هاربورد" *Sean Harbord*، على أنه محاولة دحض تشومسكي وتشكيك وتقويض للشرعية الولايات المتحدة وبهتان أيديولوجيتها، فالثقافة الفوضوية لن تقلح في إعانة عامة الناس ماديا كما يدعي خبراء الشرعية في السياسة الأمريكية أو النخب المثقفة ذات الامتيازات البراغماتية على غرار فهمهم للبنى التي تهيمن على ركود القضايا الاجتماعية والسياسية داخل المجمعات الرأسمالية كما يصفها أنطونيو غرامشي (1891 - 1937) *Antonio Gramsci*، فهي ثقافة تضمن لهم حرية الممارسة السياسية بينما تشومسكي يسعى بها إلى كشف عن حقيقة هياكل السلطة داخل الدولة الرأسمالية ومهاجمتها لأنها مصدر لتحريف الأناركية كما هو حال في استغلالها للجنس البشري.(2)

يوضح هذا أن تشومسكي يتميز عن الفوضويين الأوائل في تحليلاتهم لعبء السلطة، حيث يرفض فلسفة الأناركية الكلاسيكيون مثل "باكونين" مبدأ التسلط ومعارضة الدولة، على أنها غير شرعية بالثورة أو العنف. ولعل هذا انشقاق في "الفوضوية" من ناحية الصلابة والتماسك، فالماركسية التي تؤيد لمبادئ الاجتماعية يرى تشومسكي أنها تمتزج "بالفوضوية" نتيجة الفكر الأوائل المغربي كليا في الفردانية غير الرأسمالية. وإنما الفردانية ذات الحرية الكاملة.(3)

وفقا لهذه العلاقة الجديدة التي يؤكد بها تشومسكي "الفوضوية" هي اتجاه ماركسي أو يدافع عليه ضمن أفكاره على أنها نسخة معاصرة تقتضي إزاحة الركam الذي يقوض مسار الفوضوية لكونها تؤدي بطريقة أو بأخرى إلى إلغاء والقضاء على الدولة، فإن هذه الخلفية امتزجت مع "الباكونينية" ورؤيتها للحرية الإنسان، فالدولة تعريفها بأنها مصدر للخلاف والانشقاق ممارسة العنف ضدها، لذلك تشومسكي يواجه السياسة الأمريكية مع تأكيده على بأن أي تشويه يسبب الإزعاج، ويكمن تعقب آثاره في هرمية السلطة التي لها غاية

(1) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky, p. 2.

(2) Ibid., p. 2.

(3) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 169.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغمية للسياسة الخارجية الأمريكية

في منع الفهم لدى العامة للفوضوية لأسباب واضحة جداً منها آليات التحكم في المجتمع وأفراده وتكريس لفكرة التعاقدية زائفة بين البشر، لتفكيك أي تمرد ضد السلطة. (1)

لقد وظفت الفوضوية مع تشومسكي في حقبة من انفتاح الجديد على المجتمع الرأسمالي الذي تحولت فيه السلطة إلى أداة كاسحة ضد الحرية الإنسانية والثقافة، فالولايات المتحدة الأمريكية أكثر دولة تقليلاً للحرية الإنسانية وميول إلى اللأمن بفعل تغيير العولمة للعلاقات الاجتماعية، انعكس ذلك على الجنس البشري في تعزيز الأناركية ونهوضها في أمريكا الشمالية جراء التصادم بين الحضارة والإرهاب، فيما ركزت الفوضوية على حركات التقدمية الراديكالية بنمو متزايد دورها، حسب تشومسكي، ضرورياً للعالم لأن العالم في خضم سيطرة النخبة الأمريكية ظل خالياً من الضمير الإنساني والأخلاقي ومجبر بطريقة أو بأخرى على الوقوع في العدم. لذلك فالأناركية تغدو مجرد إدراك الحرية وتوسيع لها بإزالة العائق الذي يعترض الإدراك الأخلاقي لدى الناس إليها، على أنها الشبح الذي يطارد الدولة الرأسمالية. مع الاعتقاد بأنها تساهم في ازدهار المجتمعات أقل حرية للممارسة الحرية والتحرر من أشكال الطاعة للدولة. (2)

غالباً ما انتقل الفكر الفوضوي بأشكال وأيديولوجيات متنوعة في الهند وفقاً لتشومسكي ولكن لم يحظى بأي تععيد له للممارسة الحرية والديمقراطية رغم وجود انشقاقات ثورية داخل المجتمع. لكن أفراده لا يعقلون كلمة اللاسلطوية، لم تقتصر الإساءة للفوضوية من مجتمع الأمريكي فحسب بل أنه توجد في أي دولة صعوبة في الفهم وتقبل أفرادها للأناركية في مجالها الممارستي في الهند. وفقاً لتحليل تشومسكي لأفكار بهغات سينغ (1907-1931) *Bhagat Singh*، على أن المشكلة ليست الممارسة للفكر وإنما الميول للفوضوية ينجم عليه مخاوف من القمع والعنف المفروض من السلطة في "واشنطن" مع تقويضها للنشطاء من الحركة اليسارية من المثقفين الذين يشكلون برغباتهم الثورية مخاوف من سلطة الطبقة العليا الحاكمة، لأن دولة كالهند من دول أكثر امتثالية للولايات المتحدة الأمريكية. (3)

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 169.

(2) سيندي ميلستين، ديفيد جريبير، الأناركية والثورة والإنسان، تر: أحمد حسان، القاهرة، مركز المحروسة للنشر، ط 1، 2016، ص 180-181.

(3) Noam Chomsky: Democracy and Power. Delhi Lectures, United Kingdom, Cambridge, Open Book Publishers, no edition, 2014, p xiv.15.

فاللاسلطوية، والاشتراكية التحررية، ووجهة النظر التعاونية، كما يتخيلها تشومسكي، بأن مساهمتها في حرية المجتمع لم تكن مدعومة بدعم مؤسسات الدولة لتفكيكها بعد السيطرة. على مفاصل المركزية للسلطة وإنما لم تجعل نخر عناصر البنية الداخلية من مقدماتها وهذا خطأ يقع فيه اللاسلطويين وفقاً لتشومسكي فيتم تشويه السلطة للأناركية، على أنها الحركة اللاجنسية المؤيدة للعنف ضد الدولة.

في هذا السياق لا يمكن تجاهل دور التعاون والعقلانية اللذين يعتبرهما تشومسكي من غايات الفوضوية وممارستها في الواقع، كثير من العقول العمياء في قبضة السلطة الأمريكية تقوم بالدعاية لوصف غير المنطقي وغير دقيق بأن الأناركية خارجة عن القانون الدولي، فما ينادي به فلاسفة الفوضوية مجرد "يوتوبيا" لا ترقى إلى الممارسة والتحقيق الفعلي، وهي مجرد هواجس مناهضة للسلطة تعمل على فرض المجتمع المدني على المجتمع السياسي، فإن الناس في هذه الحالة يعتقدون أن إقراراً بها لا يضمن حقوقهم الإنسانية بقدر الذي تتيحه الدولة في حماية حقوق الملكية وتعزيز الأمن والسلام.(1)

فإن ريتشارد تيلور (1929-2018) *Richard Taylor* يؤكد بعقلانية جريئة ضد السلطة الأمريكية ضمن مقالة الفلسفية "الفوضى والحرية والقانون": «أنه إذا كانت الدولة تتيح الحرية بشكل الذي ينادي به الأناركيين في حرية غير مشروطة فإنه ومن البديهي أن تكون حالة المجتمعية الأمريكية المثالية سوى حالة من الفوضوية، وهي الحالة التي يعيشون فيها الناس معاً دون إكراه تقليدي سلطوي يتمتع العامة بالمثالية».(2)، وبمجرد تكريس لقواعد وقوانين من أفرادها فالدولة يظهر ضررها وفسادها، وفي هذه الوضعية يكون تعليل تشومسكي من داخل بنية القوانين الأمريكية في إيجاد ما يبرر ضالة الفوضوية بطريقة فعالة وإيجابية لأن وضع السياسة الأمريكية للقانون الدولي لا يمكن أن يكون إلا بمنع الدول بما ترغب في قيامه ومن دون أن يجردها من حريتها المستبدة.

(1) Robert F. Barsky, the Chomsky Effect, A Radical Work Outside the Ivory Tower, États-Unis. Library of Congress Publishing, Volume: I, 2007, p.163.

(2) Ibid., p.163.

“Chomsky says: “if freedom is an unqualified good, then the ideal societal state can be nothing but an anarchical one—a state of men living together without any conventional coercion whatever“.

وعليه يعود تشومسكي إلى تحليل الفوضوية بما جاء في مبادئ ديفيد هيوم (1711 - 1776)، *David Hume*، للحكومة، والتي ترى بأن مصلحة خضوع الشعوب لحكامهم ولا يحتاج منهم إلى أي اعتراف إلا بما هو دعم لآرائهم في ترسيخ الحكومات الاستبدادية والعسكرية وهو وعي ينشأ في المجتمعات الأكثر تحرراً، فهذا السبب الذي يجعل تشومسكي يعتبر بأن صلابة وتماسك الحكومة طالما أن السلطة في جانب الأسياد الأقلية، وسيستمر الفكر الأناركي في الوجود طالما أن مراكز النخبة الأمريكية تشكل دفاعاً عن الطبقة التي تتمتع بالسلطة لطمس حقيقة وسمعة العمل اللاسلطوي، لأن المعرفة لا تكون، إلا بها كأداة متاحة للشعوب التي ترغب بالتححرر دون المعرفة بالوسائل غير شرعية، والتي تجعل سبب حدوثها، قدر الإمكان، جزءاً من حماية الأقلية وسيطرتها على السلطة.(1) على غرار كثرة العامة من الناس. فما يدلي به "ديفيد هيوم" هو بالنسبة لتشومسكي التخلص من السخافة والسلوك الأناني بواسطة الطبيعة البشرية فهي الأداة التي تكشف عن خفايا السياسة الأمريكية، بقدر ما هي ممارسة كأداة بطبيعة غير شرعية ولا أخلاقية على الشعوب في ما يخدم أفراد النخبة.

وليس من الغريب عند تشومسكي بأن تكون الأشكال والأدوات التي اعتمدتها السلطة الأمريكية حيوية وأكثر تعقيداً ولكن تقع مسؤولية تطويرها على عاتق الناس فما يوصف "بالذكاء الليبرالي" المهيمن على العلاقات العامة بعقلانية سرية تساهم في تغيرات على مستوى المجتمع يكون سببها المثقفين الموزعين "للحقيقة الزائفة" و "التعويضات الشوفينية"، لإعانة أسياد النخبة وممثلي الشركات الرأسمالية على الهيمنة وتدمير الرأي العام مع إبقاء عليه جاهلاً عن طريق آليات المثقفين "كهندسة الموافقة" *Approval Engineering*، فإن تشومسكي يصفها "بالكهنوت العلماني" نظراً لتغيراتها الجذرية التي أثرت على الطبيعة البشرية لم تكتف جهودها إلا بتكريس الرأسمالية داخل التقليد الليبرالي الأمريكي كما انعكس الوضع ضد التقليد الأوروبي المعادي للأنظمة الرأسمالية، فلا فرق بين النخبة الأمريكية واليسار الأوروبي في تعزيز الرأسمالية.(2)

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 169 170.

(2) Alison Edgeley: The Social and Political Thought of Noam Chomsky، p3.

يبين تشومسكي بأن للفوضوية سمات لا تنادي بالقمع والعنف والإرهاب كأدوات لإزاحة السلطة أو تقديم الرأي العالمي كضحية لتبرير مشروعية قوانينها الفاسدة، فهي على عكس عمل النخبة الأمريكية في دعمها للمتقنين اليمين "لإفساد العقول" البشرية أو إخضاعها للوصاية الدولة أو التعاليم "الكهنوتية"، بل هي يسارية ونظامية ثابتة غير انطوائية ذاتيًا، ومؤيدة للثقافة الاجتماعية ومطورة "للجنس البشري"، على نقيض الوصاية العقلانية التي تفرضها المؤسسات "اللاهوتية" أو الحكومية، كونها العائق والركود الحقيقي للنمو الحر لجميع القوى سواء كانت اجتماعية أو فردية في الحياة، فهي تختلف عما تمليه الطبيعة البشرية لدى الفوضويين عن الحرية بدل من أن تكون رؤية فلسفية مجردة، تتعدى لكونها الإمكانية الصلبة والحيوية لكل كائن بشري لديه "الرغبة" في تحقيق العقلانية التكاملية بين "الطبيعة الخيرة" والمجتمع.(1)

المهم في نظر تشومسكي هو تجديد الرؤية حول نظام الولايات المتحدة الأمريكية، بحيث لا تؤسس أي علاقة إنسانية إطلاقاً، لأنها تسيطر على الجماهير والحركات الشعبية برأيها العام الدولي المتزايد. دور كآلية مساهمة في التناقض بين "المصلحة السياسية" وما تفرضه الطبيعة البشرية من الحرية والعقلانية، أنها تشكل أكثر جاذبية للمتقنين الذين يقدسون البنية الاقتصادية، دون تلقينها الأيديولوجي لمجتمعاتها التي لاتزال أخلاقياً غير مُسيَّسةً، نظراً للهيمنة الإعلامية المستغلة لخصائص الطبيعة التعاقدية للبشر كوسيلة لتحقيق أهدافها السلطوية.(2)

لذلك، يعلق تشومسكي على استغلاله للطبقة المتعلمة، وَالَّذِي يُشَبِّهُ إِلَى حد ما للفلسفة الثورية "اللينينية" التي تتعارض في مبادئها مع الأنظمة الرأسمالية التي تميل في امتلاكها للإرهاب والعنف، بينما تتميز "اللينينية" عن السياسة الأمريكية في أنها تستغل النضالات الجماهيرية والمراكز الثقافية كالجامعات لتغيير البنية الاجتماعية، لكن الأخرى تستغل المؤسسة لتقويض النضالات الشعبية للمعلمين والمتقنين، مؤكداً من حجة باكونين بأن الفوضوية ليست نظام الذي يأخذ الناس "كعصا"، لتحقيق الفائدة أو نظام من الرأسمالية

(1) دانييل غورين، اللاسلطوية بين النظرية والتطبيق، تر: مزاحم الطائي، ليبيا، دار الجماهيرية للنشر، ط1، 1996، ص 14.

(2) Alison Edgeley, Ibid., p. 4.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

المتناقضة، وإنما هي الخروج الكامل عن النظام وفكرة تشكيل الدولة، إنها ضرب من القيم التتوير والحرية التي تمنحها الطبيعة البشرية.(1)

ومع ذلك، أشار تشومسكي إلى علاج التباين الأيديولوجي بين الفوضويين، وهو أن اللاسلطوية مع "روكر" هي عدم تدخل الدولة في حياة الأفراد بينما البعض الآخر، مثل "باكونين"، و"ماكس شتيرنر" يؤيدون الانقراض الكلي للنظام والسلطة والقوانين التي تحكم البشر، إلا أن تشومسكي يرى بأن تكون فكرة روكر هي الأقوى منطقياً وعقلانياً في استكشاف الإمكانيات البشرية الفردية والجماعية عن طريق تقديسها للحرية، والتي تعود جذورها إلى «فلسفة بروتاغوراس»، التي يوظفها بشكل الذي يعهد لعامة الناس الحذر من إهدار حرياتهم الأساسية لأجل أمن محدود من الدولة، يؤكد "روكر" على أن الحرية أساسها وضع المؤسسات في أيدي عامة الناس وممارستها في غرض يبقى على دولة وجوديا دون أي ممارسة فعالة إن هذا النموذج اليوناني لروكر ذو نزعة فوضوية يؤيد البنية الاجتماعية بتعزيز التطور الطبيعي للذات الفرد دون أن تقف الحكومة عائقاً أمام حريته الشخصية واستقلالته.(2)، لأن هذه الفوضوية لها مفاهيم مترابطة جوهرية وعضوية ونتيجة عن الانسجام الكلي في طبيعة الإنسان يتم فهم المجتمع بممارسة الجمعيات الحرة لأنها ضرورية لتلك الطبيعة، وتضمن تحقيق غايات التحرر الإنساني بشكل اعتيادي فإن لم تكن لها غايات إنسانية يتلاشى وجودها لكونها عديمة الجدوى.

يتميز الفوضويون الكلاسيكيون في نظرتهم للسلطة والمجتمع على أنها في علاقة طردية كلما تنتج السياسة الأمريكية للمؤسسات الحاكمة المستغلة داخل الدولة يتولد عنها وجود مقاومة تعزز للرأسمالية الاجتماعية في طابع الانفرادي ليبرالي سلبي عندما أكد "رودولف روكر" بأن اللاسلطوية تشترك مع الليبرالية في أن سعادة الفرد وازدهاره حق يعود إلى الإنسان بطبيعته ولا يمنحه المجتمع له. بهذا القصد هو جوهر الفوضوية لدى تشومسكي لأن الفرد هو المستفيد في نظر "تشومسكي" من المجتمع بما يتناسب تماماً مع حرية المجتمع، بشرط أن تكون حالة المجتمع دائمة ومتناغمة في أكبر قدر من الحرية المتوافقة في مساواة مع الحرية السلبية لأنها أنسب شكلاً من أشكال الفوضى في المجتمع الأمريكي وتفرض وجودها، فإنها

(1) Ibid., p. 4.

(2) Robert F. Barsky, the Chomsky Effect, A Radical Work Outside the Ivory Tower, États-Unis. Library of Congress Publishing, Volume I, 2007. p135.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

تقضي على تلك القيود وعوائق العنف والقمع الحكومي المحافظة على احتكار المنتجات الأقليات وتعميمها على غالبية الأفراد دون استثناء.(1)

وعليه تكون فلسفة روكر للحرية منهاجاً للرؤية أخرى للفوضوية على أنها غير رافضة لجميع أدوات وأشكال السلطة كما يفعل الفوضويين القدماء إلا أنها مفارقة مثيرة للدهشة في مزاولتها لثنائية متناقضة باعتقاده أن الحكومة في مجالات أخرى لا يمكن استغناء عنها بشكل قطعي، نظراً لتشومسكي فإن تصويره يقتصر في العدالة التوزيعية للحرية. بدلاً أن تكون للمصالح الأقلية من الأفراد يتم نشرها على البنية الاجتماعية، وفقاً لروكر، هي "ثقافة فضفاضة" في شكلها الاشتراكي والشمولي التي تؤسس مجتمعاً فوضوياً، يتم توزيع فيه المصالح وأدوات الإنتاج لأغلبية دون الأقلية ولهذا تكون الدولة تحمي تلك القيم الديمقراطية وأمن أفرادها داخلياً من أي عدوان قسري، إلا أن تشومسكي يتبنى هذه الفكرة لإحياء الطبيعة البشرية لدى الجماهير يتوجب دعم المؤسسات على مدى قصير للانفتاح العقول البشرية على حرية بتتبع مصالحهم إلى أن تفوق قدر أكبر من الحرية متجسدة في بنية مستقلة يتم تفكيكها للدولة.(2)

فعلى تخوم الفكر الفوضوي يقع إدراك تشومسكي للحركة الاشتراكية التحررية بأنها نواتج الفوضوية لها طابع أيديولوجي غالب على مفكراتها التعاطف مع مبادئ التي يكون لها نسق من المعقولية الجديدة والراдикаلية الشعبية بذات طبيعة دائمة الصراع لإحراز "سلطة الدولة" فإنها تظهر في الواقع السياسي شكلاً فوضوياً خطابياً داعياً إلى المساواة والحرية على نطاق جماهيري ولكن تتحول إلى "بيروقراطية حمراء" فاسدة أو تعرف بالاشتراكية، فإن تشومسكي يؤيد فكرة المركزية الاقتصادية على "المركزية السياسية" وفق التصور روكر لحمل الدولة الرأسمالية على مجموعة تغيرات تضمن سلامة "البنية الاقتصادية" من المشاكل الاجتماعية.(3)

(1) Benjamin Franks, Nathan John, Anarchism a Conceptual Analysis, New York: Library of Congress Publishing, first edition, 2018, p. 51 52.

(2) Ibid, p.135 136.

(3) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص176.

تتم بممارسة مبادئ الماركسية الاشتراكية دون "هجمات قسرية" ضد الدولة لأن نموذج باكونين الرفض للمركزية تكون ممارسته لتحرر الفرد من السلطة ممثلة في حد ما للعقيدة وممارسة "اللينينية الماركسية" تجد مسارها محدودا أمام السياسة الأمريكية في الرجوع إلى تقويض الرأسمالية للشوعية وصراع داخلي في المجتمع الأمريكي بين المذاهب التحررية المتباينة قوميا وثقافيا بطبيعة استبدادية ضد السلطة غير شرعية فتتحول من كونها تحررية مناهضة عن مصلحة اجتماعية إلى حقيقة استبدادية مناقضة في أشكالها الفوضوية "الطبيعة البشرية" والمجتمع المدني لأنها تعدت حدود التقليد الليبرالي والتنوير العقلاني، في نظر تشومسكي ما إن كان لفكرة روكر قصدية تحويل الملكية الفردية إلى ملكية جماعية في نظام الرأسمالي دون تعدد على التقاليد الليبرالية والقيم التنويرية.(1)

إن ردود الفعل إزاء هذا الاتجاه الفوضوي الاشتراكي لم يؤيد كفلسفة أخلاقية بغرض التهور العنيف إزاء الرأسمالية ما يدفع الأفراد إلى التصور الذي يعني عدم الاستقرار، على الرغم من إبداع باكونين الذاتي في الحرية باعتبارها النزعة الإنسانية، ما لم تنتقها الحركة في بدايات بنسق يضمن للمواطنين المدافعين على حقوقهم المستلبة من الأقلية السياسية البراغماتية طريقة إيجابية تعطي تصورا للمؤسسات الإعلامية وأجهزة الدولة أنها لا تعني الهلاك واللاعقلانية المجتاحة على القانون الدولي للتقويض المركزية وتحويلها إلى اللامركزية.(2)

في أساس يتناقض الوعي الغربي مع تشومسكي على أنه يريد إحياء اللامركزية التقدمية المتهورة والدعاية ضد القانون العالمي للإنسان الذي يحمي حقوق الفرد الأمريكي. إلا أن تشومسكي يظهر عجرفة الديمقراطية السياسية بدعمه للقانون الدولي والمواثيق والمعاهدات وتقييده بالوثيقة الدستور الأمريكي والحقوق والحريات التي تنص بإشارات إيجابية على اتفاق الأناركية مع الديمقراطية الاجتماعية بأنها لها القدرة على العمل

(1) نعوم تشومسكي المصدر نفسه ، ص176.

(2) Robert F. Barsky, the Chomsky Effect, A Radical Work Outside the Ivory Tower, États-Unis. Library of Congress Publishing, Volume: I, 2007, p.163.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

بالرموز القانونية المعينة لسيادة الولايات المتحدة، متجاهلا الطبيعة النخبوية للمحافظين في المؤسسات القانونية للدولة.(1)

لقد وظفت الديمقراطية التشاركية ضمن الفوضوية للوهلة الأولى تاريخيا وفقا لتشومسكي مع الثورة الإسبانية لتعكس قلقا عامة الناس ما إذا كان دفاعها عن الحرية الفردية يتوجب عليها أن تكون ضمن سياسة الدولة؟ أو بممارسة جماعية لإرادة قانونية؟، وهنا يبين تشومسكي بأن مسألة الديمقراطية عند الفوضويين تركز على نقد رأسمالية الدولة باستئصال الديمقراطية البرلمانية لأنها تنبثق من الطبيعة الاستبدادية لتجربة المجتمعات الأكثر عدوانية وتعزز عمليات التهميش والقتل والاستبعاد والقمع، مثل الولايات المتحدة، لأنها كذلك. المبادئ المنظمة في "وثيقة الدستور" الأمريكي على نهج "ماديسون" قبل أن تصبح المجتمعات على دراية بالحركة الأناركية وظهورها سياسياً يكشف عن فشل سيادة الديمقراطية السياسية للنظام الأمريكي، بصفة قانونية تمارس لحماية الحكومة للأقلية بعناية وتجاهل وفرة الأكثرية من الناس فما تصفه "النخبة المركزية" على الأناركية بأنها خرق للقوانين الدولية. فإن "أشكال القسرية" وجدت منذ وجود الدولة، معادية للنقابات والشعوب، مع ممارسة خفية للعبودية الخبيثة قبل ظهور أطراف تدافع عن الحرية مثل الفوضوية والشيوعية واللينينية.(2)

والواضح أن تشومسكي يفصل بين أفكار اليسار الأناركي الذي يدعم مبادئ المشاركة والديمقراطية الاجتماعية. فقد كشف أن المجتمعات التي تخوض صراعات عنيفة ضد الرأسمالية، على الرغم من ماركسيته، لا تختلف عن التقاليد "اللينينية والبلشفية". لأن إساءة معاملة لينين من وجهة نظر تشومسكي أثبتت عجز النقابات العمالية بسبب عدائها للاشتراكية الليبرالية، فمارسته تنطوي تحت الاشتراكية السوفياتية، وهو ما يقدس الماركسية باعتبارها إنسانية على الرغم من مواجهتها للفوضوية وكذلك السياسة الرأسمالية النشطة في البلدان الصناعية مثل (نيو إنجلاند) و (هايتي). فإنهما ذو تراجع بفعل الاشتراكية السوفياتية التي مرتبطة بالعنف للأقلية ضد الدولتين مما جعلهما يفقدان الديمقراطية.(3)

(1) Robert F. Barsky, ibid. , p.163.

(2) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 174.

(3) المصدر نفسه، ص 176.

فإن ما حققته الثورة اللينينية في الحركات الشعبية الفقيرة للعمال والفلاحين، ألزم النخبة الأمريكية بردع أعداء الديمقراطية البرلمانية، الأمر الذي يكشف قسوة المجتمع الرأسمالي. ضد الجنس البشري فأى تقدم للديمقراطية والحرية يرجعها إلى حالة من البدائية فإنها لا تفنقر لطبقة العاملة وإنما تفنقر المعرفة الكاملة للطبيعة الإنسان التي يشير لها تشومسكي بمقولة روسو: «حين كانت الحشود الكبيرة من المتوحشين العراة يحنقون الشهوانية الأوروبية ويتحملون الجوع والنار والسيف والموت ليحافظوا على استقلاليتهم فقط يبدو لي حينها بأن العبيد لا يجب أن يفكروا بالحرية». (1)

على هذا النحو، فإن تفكيك الدولة والاستيلاء على السلطة وتحويلها في قبضة الحركات الاشتراكية المعاصرة، فإن هذا بالنسبة لتشومسكي، ليس وريثاً لمبادئ أناركية "باكونين"، التي تختزل حق الإنسانية وتحقيق الديمقراطية في تعصب الحركات الاجتماعية، إلى الحرية تأتي ردود أفعالها من الطبيعة البشرية والعقل وهذا عبء تبرير ملتمس عند تشومسكي للاشتراكيين التحرريين السلطويين مثل "لينين" و "ستالين" في ممارسة الماركسية في تشكيل ازدواجية السلطة، وتسخير القوى العمالية بتحرير يساري قوي في خدمة الدولة الاشتراكية. (2)

ومع ذلك، ينتقد تشومسكي تماسكها الثوري لأنه ينطوي على احتمالية "برجوازية" ورأسمالية، فإن اللينينية هي جزء من الديمقراطية الاشتراكية القائمة على الاستغلال السياسي للطبقة العاملة في تحقيق "العدالة" والازدهار الاجتماعي، فمن وجهة نظر الأناركيين ومعظمهم تشومسكي أنها إجراءات لا تعترض تدخل الحكومة وتحافظ على النمط الرأسمالي من "الإنتاج" كما هو الحال في الولايات المتحدة. (3)

فموقفه فوضوي يظهر إشارات اصطلاحية "كردع الديمقراطية" "وأوهام ضرورية" إحياءات عن أوساط الليبراليين من النخبة المثقفة في المجتمع الأمريكي تخدم سلطة الدولة بتجهيل الجماهير العدائية لأقلية المالكة لوسائل الإنتاج وحرمان الطبقة العاملة من امتيازاتها القانونية بتدخل الإدارة الحاكمة في توزيع الإنتاج والثروة على المجتمع تظهر عنها مشكلة الأغلبية المحرومة من الديمقراطية، وتلك انشغاقات موجودة في الدول

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 176.

(2) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية، المصدر السابق، ص 80.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الغربية الرأسمالية، بأخص الولايات المتحدة مع إدارة جون كينيدي (1917-1963) *John Kennedy* وتضاهيها الدولة السوفياتية في الممارسة اللينينية للعقل وخلقه كآليات للسيطرة على الحرية في ما يؤسس للدولة يخدم مصالح الفردانية الأرستقراطية.(1)

يؤكد تشومسكي أن هذا ناتج عن سيطرة الإدارة على السياسة والعقل والاقتصاد، بينما يحول الليبراليون المؤسسات الدينية والتعليمية إلى أداة لردع الجماهير الشعبية ضد الإدارة البرلمانية، نشأ هذا مع الماركسية نفسها، وفقا لتوقع باكونين في ممارسات لينين في الإدارة السياسية لأنها مناهضة للأناركية وتجعل المعرفة قوة رجعية للطبقة الحاكمة وتمارسها ضد العلم ودون أي رقابة إدارية، مستدلا بحجة روبرت مكنمارا (1916-2009) *Robert McNamara*: «أن إرادة الحرية يتوجب استبعاد سوء الإدارة لأنها عدوة للديمقراطية واعتدائية على العقل ذاته». (2)

يضع تشومسكي بناء ضيقا للماركسية لتوسيع الرؤية الأناركية للاشتراكية التحررية باعتبار اللينينية الماركسية شكل للبيروقراطية الحمراء تنتهي إلى تأسيس حكومات شمولية واستبدادية، فما قبل اللينينية ذاتها تم استحداث الأيديولوجية الماركسية مع؛ أنطونيو بانيكوك (1873 - 1960) *Anthony Panico*؛ روزا لوكسمبورغ (1871-1919) *Rosa Luxemburg*، بول ماتيك (1904-1981) *Paul Mattick*، مختلفون عن الشيوعية اليسارية للينين، في تأسيس الأناركية السنديكالية النقابية (*Anarcho- Syndicalisme*) للمجتمع الديمقراطي، غير أن تشومسكي يستدل من حجة كارل كورش (1886-1961) *Karl Korsch* أن للثورة الأناركية بعداً حقيقياً يوحد الماركسية الغربية مع النقابية اللاسلطوية، ولهذا تكون المعارضة اللينينية-البلشفية، انتهازية، تستغل مصالح الطبقة العاملة.(3)

على هذا النحو، ينتقد تشومسكي الماركسيين الرومانسيين الراديكاليين، موضحاً عدم فهمهم للفوضوية، وهي ممارسة "أخلاقية" من دون عنف الثورة الأناركية (الإسبانية) وقد أدى ذلك إلى هدم الطبقة الهرمية التي تتحكم في آلية العمال ومصانع العمل. ومع ذلك، يجادل "ثيودور شنين" (1930-2020) *Teodor Shanin*،

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 176

(2) المصدر نفسه، ص 177 .

(3) المصدر نفسه، ص 178.

بأن القضاء على عدم المساواة الاجتماعية، يتم بفعل تحالف البروليتاريا مع الثورة الفلاحين، بينما يساهم العمال ضد الرأسمالية في ثورة تهدف إلى مجتمع اشتراكي أكثر عدالة. ومع ذلك، يؤكد تشومسكي أنه في المجتمع الأمريكي، تظهر "اشتراكية اللينينية" عن طريق "الإصلاحات الألمانية"، أو "الاشتراكية الحقيقية" التي تم تقويضها، لذلك لا يمكن الحكم على أي منها يعكس "الماركسية الحقيقية" نفسها.(1)

فإن الاشتراكية غير الحقيقية كما يصفها تشومسكي بإمكان التقليد الليبرتاري أن يبرئ العالم منها نظرا لعدائيتها لقد مرت بكارثة كبيرة في ظل غياب الاشتراكية البحتة التي قوضتها أشكال العنف والاستبداد السياسي مع "هتلر" (1889-1945) *Adolf Hitler* و "موسوليني" (1883-1945) *Benito Mussolini*، ومع ذلك، فإن استبداد الرأسمالية في الدول الغربية أفقد الاشتراكية مكانتها نحو الحرية والديمقراطية بفعل تلفيقات "لينين" (1870-1924) *Vladimir Lenin* " ليفي برونشتاين " (1879-1940م) *Lev Bronstein*، وانحدرت أخطارها من أنقاض الماركسية. (2)

لم تكن الممارسة تهدف إلى تغيير المجتمع، ولكن السياسة مع مناهضة عقلانية للاشتراكية، والتي كرس لها المنظمات الاشتراكية الكاذبة وتهدف إلى ممارسة ثورية قوية للسلطة، لكن طبيعتها ماركسية استبدادية ضد تقاليد الأناركية. لا يوجد تناقض بين اللينينية والتروتسكية في عداة الاشتراكية للمجتمع الروسي، وجعلها استعلائية على أصولها الماركسية، داعمة فكرة تحرير الإنسان والمجتمع، ميزتها اشتراكية معارضة لغايات الدولة من حيث التصنيع الديمقراطي للعقول والقوة، فهي طردية لأن الرأسمالية الاشتراكية هي أخطر دعاية وتكنولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية، على غرار الاشتراكية السوفيتية، التي كانت أقل تقييدا بالنضالات البدائية والاستبدادية، نتج عنها أفكار وأنظمة أكثر وحشية مثل الستالينية، التي تتلاعب بوعي الشعوب في الدعاية للاشتراكية الأخلاقية. غاياتها ماركسية مشوهة تخدم مصالح المؤسسات وتتعاون ضمنا مع الدولة والشركات الاستبدادية.(3)

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 178.

(2) نعوم تشومسكي، رهان بسكال بين العقل والسلطة، المرجع السابق، ص 60.

(3) المرجع نفسه، ص 61.

على هذا الأساس، يؤكد تشومسكي أن الحركات الشعبية الديناميكية، من أواخر القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، والفوضوية والشيوعية في العالم الغربي، تسعى جاهدة لتغيير البشر إلى مجتمع وفقاً لتصور ماركسي. لكن الوضع السياسي والأيدولوجي في أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا في أوائل الثمانينيات تغير جذرياً مع تراجع الاشتراكية، مع استمرار وجود الحركات اليسارية في مقاومة الرأسمالية، موجودة دائماً، ومع ذلك، فإن تأسيسها لنظام اجتماعي اقتصادي جديد حولها من أيديولوجيات إلى حركات استبدادية ومهمشة (1).

لهذا السبب، فإن ظهور الثقافة الليبرالية الجديدة في نظام السوق حمل في حد ذاته محتوى أزمة الرأسمالية بسبب السياسة الأمريكية المتمثلة في تقويض الاشتراكية الحقيقية والحركات الثورية اليسارية. كان مبدأ التحرر العالمي هدفاً محتملاً للإطاحة به من النخبة الحاكمة الأمريكية، ومصادرة القيم الإنسانية لمصالحها وأهدافها، كان بأكبر نظام ديكتاتوري قضى على الماركسية في دول العالم الثالث هو حزب موبوتو سييسي سيكو الذي استفاد دعمه لهيمنة العولمة من تقارب الديمقراطية والسوق. كان هذا النظام أطروحة مناسبة للفكر الاجتماعي البرجوازي لنهب بلدان الشرق الأوسط والقضاء على العدو الأكبر، الشيوعية. لذلك، تحول التأثير الإنساني العالمي إلى زلّة في مفاهيم الرأسمالية الهمجية، في حين أن المشكلات التي كرستها النخبة الأمريكية لأفكار ما بعد الديمقراطية، كما يتصور بعض مفكري ما بعد الحداثة، إنها تفترض وجود مجتمع متصالح ذاتياً على أساس الديمقراطية الرأسمالية التي تقويض العقل الجمعي والرأي العام لصالح النخبة تدبير سياسة الدولة كما أكد أرسطو (2).

يشير نعوم تشومسكي إلى أن فعالية الحركات الحيوية والديناميكية للديمقراطية الراديكالية، غالباً ما تتراكم بين عناصر الأفكار الأناركية والشيوعية. لذلك، فإن الممارسة والمشاركة، في التغيير السياسي والاجتماعي في فترات الماركسية الحية، لم تحدث أي اضطرابات، باستثناء الستالينية، كان التفسير الماركسي مقصوراً على البنية الاقتصادية. فإعادة الغرب إلى نمط الاشتراكية ذات البعد التنظيمي الاجتماعي، باستثناء رؤية غرامشي للماركسية الجديدة، التي تتمثل أهدافها في شرح التاريخ من البنى الفوقية. عملت الاشتراكية في

(1) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، المصدر السابق، ص 223.

(2) سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكمة، تر: فهمية شرف الدين وسناء أبو شقرا بيروت، لبنان، دار الفارابي للنشر والتوزيع، ط1، 2003 م، ص

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

أمريكا ضد الرأسمالية الصناعية للدفاع عن حقوق الفلاحين والحرفيين المفقودين واستغلالهم لآليات ووسائل إعادة البروليتاريا إلى مقاومة الأقلية، والسيطرة على الواقع الفعلي لتنشيط حركة عمالية قوية ومناضلة، مكرسة في الأغلبية الراديكالية التي تتمثل مهمتها في تحرير الفلاحين من براثن القطاعات الصناعية والمصرفية والتجارية. (1)

غالبًا ما يعاني الناس من الألم المنهجي لمخطط العقل الأمريكي للأهداف والغايات العملية من الأقلية الحاكمة. في مبدأ مزدوج يفيد الجماهير بحلم الاشتراكية والسياسة الأمريكية بحلم تطلعات الديمقراطية والإمبريالية والتنمية، الذي يقع الجزء الأول منه على ماركس فهو في نظر الأقلية الحاكمة، النص المقدس الذي يبرر أهدافها الاقتصادية والرأسمالية بمنحه أسرار التقدم والتطور التاريخي المادي، بينما يفسرها الديمقراطيون في الجزء الثاني على أنها تحررية واشتراكية معادية لعقيدة الهيمنة الأمريكية بدحض الثورة للاتجاه الواقعي الذي يناسب مهامهم في السلطة. ولعل معانيها من الثورة والاشتراكية وتنقية الإعلام لها تلفيقات تقنع الجمهور العنيد بتطهيرها؛ على الرغم من محاولات النضال الماركسي من أجل القيم الإنسانية، فإن تفسير اليمين المحافظ في الدولة الأمريكية له أفكاره الديمقراطية التي تجعل ماركس في الأصل مجرد محاولة لتجديد وتنصيب الأقلية الحاكمة وطاغية تفرض إرادتها في طريقة متجددة على هذا الشعب العنيد المسحوق. (2)

لذلك يؤكد تشومسكي أيضًا أن جهود الحركات الراديكالية لإنهاء الاستعمار والعبودية وأنواع أخرى من الهيمنة والقمع في الستينيات والثمانينيات لم تعد متماسكة أمام النيوليبرالية التي قادت الولايات المتحدة بالسيطرة على البنية الاقتصادية مؤدية إلى بؤس وتشريد غالبية سكان العالم، وبناءً عليه، يماثل التصور غرامشي للبعد التاريخي للماركسية الجديدة الداعية إلى اشتراكية فعالة، باستثناء السيطرة على البنية الفوقية،

(1) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل، المصدر السابق، ص223.

(2) جوزيف أ. شومبيتر، الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، تر: حيدر حاج إسماعيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2011 م، ص457.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

يؤكد تشومسكي أن الماركسية الاستبدادية قد اتخذت توسعاً في المؤسسات العمالية والتعاونيات في الولايات المتحدة، ولا تؤدي إلى تغييراً اشتراكياً نحو الحرية لأنها بعيدة عن الأناركية والشيوعية نفسها.(1)

تعيد الماركسية التاريخية للحياة الاجتماعية تقارباً طبيعياً مشابهاً للأيدولوجية البلشفية مع إحدى القراءات المختلفة للديمقراطية الاجتماعية المتأصلة في الديمقراطية الاقتصادية القائمة على السوق قبل عام (1914م) والتي لم تشك في ميل التفسير الخطي وتعطي معنى للتاريخ الطبيعي، لكنها ليست الوحيدة القادرة على قراءة مسار ماركس السهل إلى تاريخها الضروري والمقصود، من هنا يفهم أن الأيدولوجية البلشفية هي من بين السياسات التي تشبه في ممارساتها الاشتراكية الديمقراطية الأوروبية، والسياسة المعادية لأمريكا بفعل الثورة العمالية ضد الرأسمالية.(2)

وعليه يكون منظور تشومسكي للأناركية والشيوعية في اختلاف دائم مع التغيير الاجتماعي الماركسي وليس لغياب استراتيجية الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية ولكن غياب المرء كلياً في إدراكه الأفضل للطبيعة البشرية على تحقيق توازن بين العلاقات البنية الاقتصادية والبنية الاجتماعية. وبهذا يكون تقارب الفوضوي للحركات النقابية من الماركسية اليسارية المعادية للبلشفية بفعل نقدية كارل كورش للماركسية الأرثوذكسية التي لا تؤيد للاشتراكية الصحيحة لأن أبعادها النظرية في تحرير المجتمع الإنساني من السلطة لا تنفك عن الإنجليزنتسيا التي لها إيديولوجيا غير الممارستية في منهج الثوري لدى كل من لينين و تروتسكي، يظهر لدى تشومسكي بأن اليسار الاشتراكي متعاطفاً تماماً مع الأناركية نظراً للحجة دانيال جيرين بأن الأناركية والماركسية اليسارية من صلب واحد يمجذ للحرية الإنسانية.(3)

قد لا تعني هذه التفسيرات الحقيقة الرسمية لتشومسكي، لأن بنائها وهندستها الإعلامية للشعب هدف للأقلية الحاكمة في استبعاد خطر دكتاتورية البروليتاريا. الأمر الذي يعيد الروح الحقيقية للاشتراكية، مما يجعل السياسة الأمريكية أكثر توتراً. مما يجعل إرادة الشعب عقبة أمام النهوض بمصالح الديمقراطية لصالح النخبة التي تدير مؤسسات قوية تسيطر عليها بمصالحها وجماعاتها عن طريق الدعاية ووسائل الإعلام،

(1) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل المصدر السابق، ص 224.

(2) سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكمة، تر: فهمية شرف الدين وسناء أبو شقرا بيروت، لبنان، دار الفارابي للنشر والتوزيع، ط1، 2003 م، ص76.

(3) نعوم تشومسكي، المصدر نفسه، ص 224 225.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغمية للسياسة الخارجية الأمريكية

والأمر الذي يُمْكِن النخبة من مواجهة هذا الخطر المحتمل بإزالة العمال والعقبات كالمنظمات والنقابات التي توحيد إرادة الشعب ضدها بالدعاية، ودحض مؤسساتها، وإبقائها بألية.(1)

لأن أفكار كل من تروتسكي ولينين، بالنسبة لتشومسكي ذات جوهر فوضوي إلا أن الصراعات حول التكتيكات والمسائل أكثر جوهرية في تحقيق الاشتراكية تحول إلى نقمة على الطبقة العمال التي تميل إلى الاشتراكية اليعقوبية ذات الامتيازات النقيضة للاتجاه الأساسي للتفكير الماركسي، فإن الإساءة للأناركية ناتج عن نقد إنجلز للاشتراكية التحررية ما بعد الرأسمالية وهذا لم يظهر عيبه لدى تشومسكي، إلا برجع إلى الاشتراكية المحضة لدى كارل ماركس فهي متوافقة في التفكير والممارسة مع اللاسلطوية.(2)

فمن الجدير بالذكر أن تشومسكي لديه تصوران، داخل التقليد للأناركي، بأن تحقيق الحرية في نموذج باكونين، بحيث تجبر الأغلبية على التحرر بالعنف كوسيلة لإحداث تغيير اجتماعي، يكون فيه العنف دفاعا ضد الجهود القوية للحفاظ على السلطة، له ما يبرره. بينما يظهر مفهومه الآخر على طريقة بيتر كروبوتكين، الذي يعتبر أن العنف هو فاعلية سياسية لتأمين نظام اجتماعي واشتراكي عادل، فهو أكثر ملاءمة للثورات الاجتماعية، إلا أنه لا يمكن الدفاع عن طبيعة التحرر، بطبيعة متناقضة معها أخلاقيا. لأن الصراع بين الطبقات للتغلب يظهر انقسامات داخل نفس التقاليد كما هو الحال في التقليد الشيوعي تم فيه القضاء على السوفييتات ومجالس المصانع بشكل جماعي من قبل العمال ولكن توجد أشكال جديدة من التنظيم السياسي والاقتصادي والتي هي إلى حد ما رأسمالية شمولية في الدولة.(3)

لذلك، يمكن للمرء أن يدرك حقيقة أنه لا يوجد تناقض بين ممارسة الليبرالية الطوباوية لشعوب العالم والإرادة البراغمية، لأن التناقض في ظل السياسة الأمريكية مرتبط بقوة رأس المال، أي فكرة الرأسمالية التاريخية. إن المثل الأعلى للقيم الإنسانية على النقيض من توفير القوة لتحقيق الثروة، بينما في الشكل النيوليبرالي المعولم يجعل مشكلة تجاوز الرأسمالية عبر التاريخ صعبة لأن الثروة هي أداة لتحديد النظام السياسي المحدد، في حين أن ممارسة المجتمع الأيديولوجية من أجل تمثيل الاشتراكية، كما حدث في الإدارة

(1) جوزيف أ. شومبيتر، الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، المرجع السابق، ص 457.

(2) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، المصدر السابق، ص 224.

(3) المصدر نفسه، ص 225.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

الفعلية للمجتمع السوفييتي، وانتهى الأمر بتقويض القيم الإنسانية بفعل صنع سياسات شمولية لديها سوء فهم لمنهج الاشتراكية لأن الأيديولوجيات الشمولية لديها القدرة على تقويض (اليوتوبيا السياسية) بممارسة مبدأ الماركسية العلمية.(1)

وإن فكرة العدالة الاجتماعية والتنمية في بعض الأنظمة الشيوعية لا علاقة لها بالقيم الإنسانية لأن نتائجها ظاهرة للعيان، ولا داعي للتمييز بين المنتسبين إلى كوارر اللينينية والستالينية، فكلها منظمات معادية لفكرة الإنسان الحر، ذو ديمقراطية تشاركية على الرغم من تعدد الفصائل والغايات بين الشيوعيين، وبالنسبة لتشومسكي، فإن الأغلبية الأرثوذكسية تؤسس على جانب آخر من النفوذ ولم تخضع لطبيعة الحزب الاشتراكي الواحد، ضمن الاتحاد السوفيتي تفككت الاشتراكية التحررية قبل استيلاء خروتشوف (1894 - 1971) Nikita Khrushchev، على السلطة، لأن هذا التخلي عن الاشتراكية كان بدايات الستالينية الوحشية والأيديولوجية، فإن الماركسية لم تتبنى بنية ديالكتيكية من حكم "تروتسكي" Trotsky، إلى السياسة الستالينية، لكنها اتخذت أشكالاً من السيطرة العلمية والعمالية على الإنتاج، وهذا الجزء لا يضمن الإطاحة بالرأسمالية لأن القوانين لم تتضمن البنية الاقتصادية.(2)

يؤكد تشومسكي إدانته للحزب العدالة الاجتماعية والتنمية في مواجهة التحديات والتهديدات الداخلية والخارجية التي واجهتها للاستيلاء على السلطة بممارسة العنف إنها لم ترقى إلى الثقافة الماركسية المتكاملة، فالبلاشفة لهم الوسائل خطابية انتهازية حطمت بها صرح الأناركية والثورة الشعبية فغياب الوحدة العضوية للاشتراكية الماركسية نتج عنه تدهور البنى السياسية والاجتماعية لأن عنف الثورات لم تقدم الحلول الشمولية، فإن تشومسكي يؤيد الحركة الأناركية الثورية دون تجاهل أفكار الماركسية لكونها تشترك معها في البدائل والإمكانات التي تنتج عن الطبيعة البشرية إلا أن العنف انبثق عن الثورية الفلاحون في الدعم وتنشيط رأسمالية الدولة لأن تهميشهم إنبرى عليه تفكك نشاط المصانع وتقويض السلطة الدولة التي يشكل الفلاحون

(1) سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكمة، المرجع السابق، ص 76.

(2) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، المصدر السابق، ص 226.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

والعمال آليات الدفاع المنظمة والفعالة داخل الجيش الأحمر، الذي اصطدم أثناء بناء الأسس التطبيقية للاشتراكية الماركسية مع الثورات المدنية والسلطوية الألمانية.(1)

ما يبدو واضحاً ومتشائماً من وجهة نظر تشومسكي هو حالة الشعوب المضطهدة. لا يهم أن يلاحظ المرء تقارباً وتداخلاً طفيفاً بين الاشتراكية وديمقراطية السياسة الأمريكية، كما هو واضح في الديكتاتوريات، عادة ما تؤدي الديمقراطية إلى كلمات من أعضاء الجناح اليميني في الحركة المحافظة كاشتراكيون حديثون مع مصالح كسب رأس المال.، مثل هذا التيار يساعد طبقة النخبة على تنظيم مبادئ الممارسة بالعنف والإرهاب، كونها طبقة متمردة يسارية تستمد هيمنتها وقوتها، ووجوهها تحقق من داخل "النصوص المقدسة"، ظاهرياً، بدأ هذا مع الحركات الأصولية التي تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية، وهي منظمة اجتماعية وثورية تصف الإسلام الراديكالي، ومثل هذه الديكتاتوريات لها مبدأ اقتحام العالم وبوابات الاشتراكية التحررية بدعم من السياسة الأمريكية، بحيث يعمل تعدد شروط الديمقراطية على تهدئة الفساد والإرهاب والعنف تجاه العامة. بتحويل تفكير الناس إلى مزيج من الدكتاتورية والثورة. الأول هو الفردوس، الاشتراكية. والثاني هو الفساد والتمرد على القوانين الدولية والمبادئ والقيم الإنسانية والأخلاقية.(2)

على هذا النحو، فإن الانقراض إلى الاشتراكية الماركسية من وجهة نظر تشومسكي يرجع إلى طبيعة الحزب العدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية، ذات الطبيعة الإرهابية في الممارسة العملية تمثل ذلك مع طبيعة الديكتاتورية الشمولية "لستالين" من الفضائع البشرية الأخرى في الصين، مع الثورة الماوية ضد الرأسمالية المكرسة لاتجاه شعبي قوي له جذور في الماركسية الاشتراكية، عن طريق توسيع الدولة على مستوى البنية الاقتصادية بفعل تكييف المجتمع الشيوعي مع حركة سياسية معادية للولايات المتحدة.(3)

نتج ذلك عن اندماج البنيويين الصينيين مع البنيويين السوفييت، ويتوافق في جوهره مع الاتجاه التاريخي الديالكتيكي للماركسية، يستدل تشومسكي من أفكار "ويليام هيلتون" (1926-1999) *William Hilton*، بأن "التغيير الثوري" العميق، ليس فقط في الممارسات الاجتماعية، ولكن في عقلية ووعي الفلاحين، حيث كانت

(1) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، المصدر السابق، ص 226 227.

(2) جوزيف أ. شومبيتر، المرجع السابق، ص 457.

(3) نعوم تشومسكي، المصدر نفسه، ص 227.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

كوادر الحزب في كثير من الأحيان خاضعة للسيطرة الشعبية، هذا بالطبع ذو طبيعة قاسية واستبدادية في تحريفات ماو للاشتراكية الماركسية عن طريق تجاهل المعرفة والفهم الصحيح للماركسية، إخضاع الإرادة الجماعية للاستبداد والعنف لتغيير البنية الاقتصادية.(1)

بدأ كهدف للنخب الغربية الحاكمة. يتضح لتشومسكي أن الحركات تتماشى مع نظام السياسة الأمريكية. فيما تكون الصيغة التي صاغها الفلاسفة التحريفيون تحجب حقيقة الماركسية داخل الحزب اليميني الرأسمالي للبرجوازية كونها أقلية وميزة الديمقراطية التي تحمل تفسيراً مشابهاً لمصطلح ديكتاتورية البروليتاريا. وبإفراغ الماركسية الحقيقية من قواعدها الاشتراكية والليبرالية، وذلك بتحويل المصطلحات إلى الرأسمالية بسلوك علمي ودمجها في فقرات لها تأثير على عقول الجماهير لتحقيق السلطة والثروة من مبدأ استغلال "الإنسان للإنسان".(2)

يعتبر تشومسكي أن الاشتراكية استخدمت كآلية لتحرير الطبقة العاملة من عبادة الدولة الرأسمالية مع إعطائها بعداً اقتصادياً كدافع لمواجهة أي عداء ضد البروليتاريا، فيما تخضع الدول الرأسمالية الإنسان على أنه محرك للبنية الاقتصادية بطاقاته أشبه ما تكون كآلات لتوسيع الملكية البرجوازية على حساب إنسانية العامل ذاته فمجتمع الليبرالي الرأسمالي يفقد الفرد إنسانيته "بالاغتراب" الاستلاب "العبودية" التشيؤ"، إن لم تكن فكرة الاشتراكية عند الماركسيين آليات تستغلها الطبقة لاستحواذ على السلطة وهذه أيديولوجيات تكس الشعوب على الانتقال للاشتراكية العالمية، وكما لاحظ تشومسكي في أفكار أنطون باننيوك بأن الاشتراكية لم يتم بلوغها إلا بصعود طبقة البروليتاريا بموجهة جديدة تحل الحكم محل البرجوازية بتأثير العمال في البرلمانات السياسية وتحويل الوعي الاجتماعي ضد الرأسمالية بفعل إدارة الطبقة العاملة للإنتاج ليس أكثر من تحقيق الوجود الذاتي والوعي للعامل وهذا أساس الاشتراكية التحررية وجوهرها الدائم.(3)

على هذا الأساس، يهتم تشومسكي بتحليل مراحل الدولة الاشتراكية وضعف بوتقة المعرفة والإدراك والعلم في الإنتلجنسيات الشيوعية في المرحلة الماوية التي ساهمت في استغلال البروليتاريا لتحقيق قفزة برجوازية

(1) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، المصدر السابق ، ص 227.

(2) جوزيف أ. شومبيتر، المرجع السابق ، ص 456.

(3) نعوم تشومسكي، المصدر نفسه ، ص 229.

من الشيوعية الصينية في محو الاشتراكية الماركسية وقلق الولايات المتحدة من أن الفكر الماركسي وثوراته الشيوعية قد يكون لهما تطورات في (كوبا تهدد الرأسمالية الأمريكية بالتححر الجماهيري. بينما كان للماركسية اللينينية جانب من ممارسات كاسترو (1926-2016) *Fidel Castro Ruz*، ضد روبرت كينيدي (1925 - 1968) *Robert Kennedy*. لأن التطور التاريخي تحكمه البنية الاقتصادية، الذي يهيمن عليه الماركسيون في كوبا والمخصص لممارسة العنف السري من قبل وكالة المخابرات المركزية للإطاحة باليسار المناهض للرأسمالية في حملة من الإرهاب تسمى "أهوال الأرض" والتي وصفها آرثر مايرشليزنجر (1917 - 2007) *Arthur M. Schlesinger* بأنها "أزمة التاريخ". (1)

ومع ذلك، فإن معاناة الضعفاء تفسر بالكلمات والمصطلحات والتعبيرات على أنها موقف ماركس من البرجوازية والأقلية والإمبريالية والرأسمالية، لكنهم مع ذلك فخورون بمصطلح "الديمقراطية". البيان الشيوعي لديه استراتيجية عبقرية وإدراك لمبادئ التحرر والاشتراكية. إن اغتصاب الأشياء من رأس المال والسلطة كما وصفه ماركس، هو نتيجة الديمقراطية، في حين أن العمل الإنساني قد ساهم "بشكل تدريجي" من مرحلة إلى أخرى عبر تاريخ البشرية، وسحق الجماهير، بهذا المعنى الديمقراطي واختفاء الخلافات، بين طبقات المجتمع (2).

يبدو أن تشومسكي ضد المادية التاريخية المنحرفة عن جوهرها وبعيداً عن مثالية العقل والتحرر الذاتي للإنسان مع انتهاء الشيوعية في روسيا إلى المجتمع التكنوقراطي والصناعي طورت الماركسية العلمية البنية الاقتصادية (كوبا) بنظام صحي رائع لعب دوراً حاسماً في تحرير الدول التي كانت ذات تأثير بالماركسية أو الاشتراكية الثورية ضد أسوأ انتهاكات حقوق الإنسان من الولايات المتحدة وفي (غوانتانامو) وقد دشّن الطريق لممارسة الأممية الشيوعية كقوة سياسية في تحرير (إفريقيا) بهدف تقويض العنصرية السوداء فيها. (3)

لذلك فإن الديمقراطية في السياسة الأمريكية تُحسب بفعل الممارسات اللإنسانية التي لا يمكن التسامح معها، وهناك اتجاه للتقارب بين الديمقراطية الاشتراكية والسوق من حيث الحرية والمنافسة، بينما يتم تعزيز العلاقات الخارجية الأمريكية. لذلك فإن معارضتها للديمقراطية في السياسة الأمريكية هي نفس اللاعقلانية،

(1) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، المصدر السابق، ص 228.

(2) جوزيف أ. شومبيتر، المرجع السابق، ص 457.

(3) نعوم تشومسكي، المصدر نفسه، ص 228.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغمية للسياسة الخارجية الأمريكية

وهذه المتطلبات هي عامل مشترك في كل من الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية بسبب تطور القوى المنتجة لمواكبة السلطة السياسية، وقد ظهر هذا بفعل الإدارة الفعلية للاشتراكية بنفس طريقة النفاق المنهجي للأقلية البراغمية للنخبة الأمريكية في ممارسات الاستبداد والنهب مع وجود عامل مشترك من التوتاليتارية للاستيلاء على السلطة و«اللاحق» بها، فإن هذه الممارسات تتعارض مع مبدأ الاشتراكية الطوباوية، التي تواجه مشاكل حقيقية وخطيرة على الشعوب فيما يمثل الاستيلاء على القوى المنتجة من الرأسماليين الكبار.(1)

وصحيح بأن تشومسكي يميز بين الاشتراكيات التي ظهرت إبان الدولة الحديثة ولكنها لم تعد الإنسان إلى الأصل التحرري رغم ابتكار وسائل لتحقيق هذه الغاية بانتظام في ظل النضالات الثورية ولكن جذور الاشتراكية التقليدية تعمل في حد ذاتها على تمويه النزعة الإنسانية عمل السوفييات بها بأنها الطليعية الثورية التي تضمن للعمال إدارة حياتهم ومصيرهم الذاتي ولكن الماركسية نزعت للاشتراكية بمعنى الخطأ في معارضتها المبررة للطبقات التقليدية الرأسمالية ومحاربتها للتفاوت الاجتماعي بشعارات ذات البعد اللينيني مع المثقفين الثوريين ولكن تجذرت منها العبودية واللاإنسانية فهي ملازمة النفاق والخداع للإنسان أو العامل الذي لم يتحكم في الإنتاج اتخذت الإرادة الشعبية ذاتها تطويرا للسياسة دون فهم جوانب الأخرى من الحياة الاجتماعية والظروف الاقتصادية المتغيرة (بعد سقوط الاتحاد السوفياتي) هي على حد رأي تشومسكي علامة تحول بسيطة للعنصر البشري صوب المثل الأساسي الاشتراكي.(2)

هكذا لا يرى تشومسكي أي غاية للتتبع النموذج الاشتراكي أو تبرير استعمالها في ظل وجود الدولة أو في فضاءات الديمقراطيات الغرب لأنها تعني الاسترقاق في الولايات المتحدة الأمريكية مع تدشين الثورة الصناعية الغربية للحركة النسوية للمصانع وترويج الصحافة للعمل الحر، لم يكن في أجندة المثقفين اللينينيين أي اختلاف بين المثالية والعلمية فيما أنها تنسب إلى ماركس أشكال من التسلسل الهرمي واستغلال ذات النفوذ الرأسمالي، وهي ذات طبيعة تأمرية استجابة لطبيعة المهام السياسية، وخلق آليات للرقابة الديمقراطية من المنظمات السلافية والحركات الجرمانية المعادية بالنسبة للأيديولوجيا الماركسية، فهي، حسب تشومسكي، ليست شكلا صارما، بل هي تنوير العمال حول أمراض الاشتراكية.(3)

(1) سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكمة، تر: فهمية شرف الدين وسناء أبو شقرا بيروت، لبنان، دار الفارابي للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص76.

(2) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل، المصدر السابق، ص230.

(3) المصدر نفسه، ص231.

من الواضح أنه يناضل من أجل الاشتراكية التحررية لأن لجان المصانع كأدوات للنضال والتحرير على أنها مركزية ظالمة واستبدادية تقوم على الانحراف الفكري للماركسيين اليساريين بأن حرية الجماعة الجماهيرية تؤدي إلى تحول سلطوي جديد، لهذا يجادل تشومسكي بأن إي إتش كار (1892-1982) *E. H. Carr*، لا يفهم الماركسية ولكنه يميل إلى تنظيم "لجان المصنع والتدخل في إدارة المصانع"، معتقداً أن العمال هم النواة الصلبة للمستقبل والفوضوية، التي ترى بأن كهنة الدولة تحافظ على جذورها الهيغلية بملكية الخاصة للسلطة.(1)

لذلك، يبدو أن تحديد الدولة لنمط النظام السياسي يقوم على قوة رأس المال. لذلك، فإن التحولات التي تقوم بها السياسة الأمريكية حول جوهر الديمقراطية لها تأثير على النخب الغربية الأخرى. هذا هو السبب في أنه لا يمكن التصويت إلا على المواطن المنتج من أصحاب السلطة، بينما يتم أخذ سلطته الرأسمالية في جميع مجالات الحياة الاجتماعية كممثل لإرادة الشعب، لذلك لا يمكن لجميع البشر أن يفعلوا ذلك. بتولي العمل ومكانة في رأس الدولة في آن واحد. هذا هو السبب في أن الدولة هي الوسط بين الملكية الخاصة والملكية الاجتماعية العامة.(2)

مع ذلك فإن التحولات من الرأسمالية هي احتمال وتفاؤل، والأمر يحتاج إلى أجيال متعاقبة للوصول إلى ذلك، فهو مرتبط ببناء ثقافة جديدة. لذلك فإن نهاية الرأسمالية التي تعلن عن بناء الاشتراكية التحررية هنا أو هناك وفي أي مكان من العالم، لأن تنبؤها تشبه نهاية الاتحاد السوفيتي، طالما أن "السياسة الأمريكية" تدمر ثقافتها بالسلوكيات بالديمقراطية الجرائم اللإنسانية والقيم الأخلاقية، لأن النظام للحفاظ على الدولة لديها نظام سياسي ويجب تحميل الناس مسؤولية تدويل الثقافة والنظام السياسي من تطوره والتعاقب التدريجي على مدار التاريخ.(3)

وبشكل عام، فإن انطباع تشومسكي حول انهيار الاشتراكية - يصفه - بأنها لم تكن تعكس الرؤية الصحيحة للسياسة التي تقوم الدولة فيها إلى حماية الجنس البشري، حيث اقتصر مبادئها على السلطوية الشيوعية بأنها انتصار للاشتراكية ظهر بشكل صغير مع الاتحاد السوفيتي المعادي للدول الغرب الرأسمالية

(1) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل ، المصدر السابق، ص 231.

(2) سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكمة، المرجع السابق ، ص76.

(3) المرجع نفسه، ص76.

بممارسة فضفاضة لها حدود نظرية وأيديولوجية فقط برزت في تصورات المشوهة للاشتراكية ماركس (1818 – 1883) Karl Marx، وإنجلز (1820–1895) Frederick Engels، على أنهما عبثان يظهر أكثر في أنظمة الدعاية في الشرق ضد الغرب الذي بطبيعته الاستبدادية تستغل القيم الإنسانية لصالحه، ولهذا فإن تشومسكي يؤيد الفوضويين بنقد كل مظاهر الزائفة للاشتراكية وأطرافها بدأ من "الديمقراطية الاجتماعية" الألمانية إلى "الاشتراكية العلمية" والاشتراكية البلانكية" بحجته عن أنها الاشتراكية القائمة بالفعل على الوصاية والحزبية والشمولية في الدولة السوفيتية وهي تتحدر عن جوهر التحرر العقلي والإنساني الذي وصفه ماركس، فمنذ عام (1917) واضطهاد الناس في روسيا ينجم عن الأممية الشعبية للاستيلاء على سلطة الدولة وهذه هرطقة ضد "إرادة الإنسان الحر". (1)

وبمجرد إزالة الشك تكون لها غاية في إدراك العالم الحقيقي والسياسة التي تعبر عن ذوات الناس وتفسير سلوكياتهم عبر التطور التاريخي يكون أمره غير وصفي ولا يشكل بالأحرى تفسير مادي قائم على نظرية الاقتصاد الخيالي تماما، كما حدث منذ عصر الأنوار. لقد تم افتراض العقل في نسخة مبتذلة من الديمقراطية الرأسمالية في تلك الدول المؤيدة للسياسة الأمريكية في معاداة الماركسية بطرق تحريف الواقع لإنشاء التغيير الاجتماعي. بينما كان لاتجاه التاريخانية تأثير نسبي ومنطقي في دعم الأنظمة الرأسمالية الغربية بالفعل (النتيئة) لدحض التقاليد الأخلاقية للديمقراطية والاشتراكية التحررية. (2)

لذلك، فإن نمط تقارب السياسة الأمريكية بين الديمقراطية ومصالح الرأسمالية الأوليغارشية يرجع إلى افتراضات السوق وليس إلى قيم العقل. بحيث تبقى مزايا هذه الديمقراطية مصوغة للعالم والشعوب من أجل الإيمان والأهمية، في حين أن محاولة فهم الرأي العام للعالم الحقيقي تجد نفسها في صراع وتعدد للوجود النظري للسياسة الوهمية دون الممارسة. نظرا لأن القيم الحقيقية في السياسة لها مناهج علمية، وفقا لكارل بوبر، فإن ذلك العقل أيضا قادر على تخليص الديمقراطية من الشوائب التي تدعم نظرية الرأسمالية القائمة بالفعل، أي الفصل على مستوى العالم بين الذات البشرية عن عالم المادة التي أساس الاقتصاد المحض.

تعقيب نقدي:

(1) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل، المرجع السابق، ص 229.

(2) سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكمة، تر: فهمية شرف الدين وسناء أبو شقرا بيروت، لبنان، دار الفارابي للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص76.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

✚ نقترح أفكار تشومسكي أن الأناركية هي النموذج السياسي الذي يعبر عن الصالح العام على أنه ضد أشكال السلطة، (القمع /العبودية /الاغتراب /التشيؤ/الهيمنة /فساد)، وغايتها من السياسة فهم الإنسان المعاصر على نمط أكثر حرية وديمقراطية ومثالية.

✚ تصفي فلسفة تشومسكي أن السياسة لا تُفهم من منطق العلاقة (الحاكم والمحكوم)، بل من منطق الفوضوية (لا سلطة)، وتنظيم البشر وتعايشهم داخل المجتمع على مبادئ الطبيعة البشرية، التي لم يعط تشومسكي مفاهيم دقيقة عنها، لكنها فُهمت على أنها دافع بشري وغريزة نحو التحرر. مما يعني أن القيمة المكتسبة من مجال السياسة هي فكرة تحرير الحركات الاجتماعية من هيمنة النخب الحاكمة.

✚ تبرر أناركية تشومسكي بأن الدولة في السياسة تمنح لها أحقية التدخل لا لغاية إنسانية وأخلاقية وإنما لمناشدة التفكير الواقعي الكلاسيكي، وكذا معظم الأشكال السلطوية فاسدة مثل الماركسية اللينينية والبنوية المعاصرة تحقيقاً للسياسة الاستفادة البراغماتية، بفعل فرض العنف والقوة من قبل الصفوة في النظام الأمريكي ضد غالبية الشعوب.

✚ تعد الأناركية في مفهوم تشومسكي أداة ووسيلة لحل مشكلة الإنسان المعاصر، كونها تفسر العلاقات الدولية، وتستبعد السياسة السلبية التي أساسها يقوم على الهرمية غير قانونية التي تمثل فضاء يخلوان من حرية النقاش الديمقراطي، وعدالة الإنسانية والقانون السليم، لأن سياسة الولايات المتحدة فاشلة في حماية مواطنيها وغير قادرة على تبرير عبء شرعيتها، فإن إقناعا سياسيوها تكون عن طريق مبدأ النسبية والقوة.

✚ غاية تشومسكي من تحليل المجتمع الأمريكي وسياسته مستحضر أدوات وآليات الأناركية في الممارسة السياسية وهي تركيز على البروليتاريا وفكرة التحرر ومجالس (السوفيات)، الشيوعية والثورة وحزب العمال لأنه وجد صعوبة التمييز والفصل بين الأيديولوجيات السياسية (الماركسية والأناركية) كونهما لغاية واحدة تحرير الإنسان من قيود السياسة الرأسمالية، فما يقدمه ضمن تحليلاته مبدئي.

✚ منهج تشومسكي الكشف عن الحقيقة وأي كان نوعها، ضمن الممارسة السياسية بانتقائه إلى منهج الأناركية الذي له دور فعال في مقارنته الطبيعة البشرية، بفعل تأسيس للتحقق العقلاني الذي يخلو من أي ممارسة تجريبية.

✚ يقوض تشومسكي الرؤية المعادية للفوضوية بأنها من طبيعة سياسية ضد الأفراد والمجتمع مفسر موقفه بأن الخبراء والتكنوقراطيين والنخب السياسية في الولايات المتحدة تضلل أشكال النضال التحرر من

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

السياسة، فالوعي الشعوب بسياسة الولايات المتحدة والنخبة البراغماتية الحاكمة يؤدي إلى نكوص في تحقيق "الإمبريالية" لهذا تم منح مفاهيم انتهازية عن الفوضى بأنها بعيدة عن السياسة وأنها فكر انتقام وعدوان، وهو ما يعني سياسة الإكراه النفوس وترهيبها على التخلي عن ممارسة التحرر والحركة الأناركية.

✚ الأناركية لها معاييرها العقلانية في مواجهة بقيم المسؤولية الإنسانية والأخلاق ومثبتة عليها، في نظر تشومسكي لها غاية في تحقيق السلام الدائم الكانطي ومبادئ الديمقراطية والحرية والمساواة ضد سخافة الفكر السياسي للمحافظين الجدد وأشكال المؤسسات الدولة الأمريكية التي تخدم مصالح سياسية لأقلية الحاكمة والتي وصفها ديفيدهيوم "بالفئة؛ الأغلبية".

✚ الفوضوية مشروع تشومسكي السياسي للحد من القوة والعنف والهيمنة على المجتمع العالمي أو أشكال انتهاك القانون الدولي، فهي مصقولة بطابع إنساني حي ضد الذكاء الأمريكي الليبرالي المصطنع والتقني الذي يعمل على تزوير الحقيقة ونشرها ضد الجماهير لهندسة الموافقة السياسية والتأثير بها على الطبيعة البشرية والإرادة وأخلاق الأفراد.

✚ تتجاوز الأناركية مجالها السياسي من وجهة نظر تشومسكي بفعل كسر كل القيود الأبوية، الوصاية، الإكراه، "الأوتوقراطية"، "البلوتوقراطية"، "التكنوقراطية"، "البيروقراطية". لاستقرار على منح رؤية تنويرية وتحررية لمجتمع صالح تغيب فيه هذه الأشكال السياسية وتحل محلها قيم إنسانية مشتركة، مثل الأخلاق التبادل والتعاطف والتعاون والحرية والمساواة، كشكل من أشكال التنظيم الاجتماعي المثالي المحكم بعقلانية وقائم على أساس سعادة الأفراد.

✚ تركز الأناركية وفقاً لتشومسكي على المصلحة الجماعية من افتقارها إلى بنية اقتصادية لأنها تؤثر على الحياة الاجتماعية ككل أكثر مما تؤثر على البنية السياسية، ولهذا السبب ينكر سلطة الجانب السياسي ويحافظ على الملكية والحقوق والإنتاج، لأن اضطهاد الشعوب سببه المنفعة والثروة، وغالباً ما يحكم الجانب الاقتصادي الوجود البشري تاريخياً وهو عامل في غطرسة الديمقراطية السياسية.

✚ أوضح تشومسكي بأن الأناركية تحقق العدالة وإنصاف بدافع من الطبيعة البشرية في أي ممارسة إنسانية بغض النظر عن أنها في مجال السياسة أو الاقتصاد ولكن تحاول دائماً مهاجمة الأشكال القسرية والمنظمات الحرة المستغلة للجماهير كما (أشار باكونين) أو الدعايات الإعلامية والتحريفية المؤثرة في

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

السلوك السياسي للأفراد أو رأسمالية الدولة المخادعة لليبرالية الكلاسيكية في الأمن، وآليات الإنتاج والديمقراطية الزائفة.

➤ الهدف من الأناركية هو تحقيق الإرادة المتفائلة مثل فهم غرامشي للحلول لواقع المتأزم من الذي ينبثق من السياسة الماركسية وحلها يكون بدرجة أعلى من الفكر والتثقيف والوعي بالحقيقة، بحيث تفكك الكاريزما السياسية لسلطة المستبد مثل الهتلرية والستالينية واللينينية، لم توفق الأناركية في إدانة الماركسية في نظر تشومسكي، والتي لها جانب رأسمالي متطفل فهي من جنسها وهناك متقفون وفلاسفة بمشروعهم الأناركي حلقة وصل للماركسية مثل "جورج لوكاش".

➤ هدف الأناركية مع تشومسكي، إضعاف مؤسسات الدولة والشركات المعولمة والعقل النيوليبرالي الأداتي. إنه يخاطب عقول الجماهير بالإصلاح والديمقراطية سياسياً، على إيقاظ عامل الطبيعة البشرية.

➤ الأناركية والماركسية اليسارية في نظر تشومسكي من "سياسة" واحدة تمجد الحرية الإنسانية.

➤ تتفق الأناركية والماركسية، من وجهة نظر تشومسكي، على الحلول والبدائل للأزمة، في مجال السياسة أو الاقتصاد، ويختلفان في نهج واحد، وهو انحراف لينين للسياسة، والعلاقة بينهما في تأكيده على الدولة وسلطة النخبة، التي أطلق عليها باكونين "البيروقراطية الحمراء"، التي تستغل الشعب لغاياتها السياسية.

➤ تهدف الأناركية تشومسكي إلى تصحيح النبوة الأصولية في السياسة بأن الإرهاب الذاتي هو وعي بتحقيق فردوس الاشتراكية، هذه هي تلفيقات الديمقراطية الأمريكية وممارستها السياسية من قبل مفكرين (يوتوبيا) "طوباوية" يتم تمويلها برأس مال من النخب الغربية المهيمنة، كما هو الحال في (الشرق الأوسط).

➤ الاشتراكية كما أشار لها تشومسكي تُقَهَّم في "سياسة" الولايات المتحدة على أنها "عار" أو "عبيد" والأناركية شبح الواقعية خوفاً من نضالاتها الشعبية ضد الديمقراطية تستخدم السياسة الأمريكية قوة وكالة المخابرات المركزية أو تخريب طبقة الفلاحين لتقليلها (تركزت معظم حروب أمريكا على قطاع الزراعيين).

➤ عم تشومسكي نقده لكل أنواع الاشتراكية دفاعاً عن الأناركية لأنها تحمل رؤية بديلة لهذا النظام السياسي العالمي، لهدم السياسات التي تعبر عن المصالح الخاصة والنخب التي لا تخدم الصالح العام، بما في ذلك الديمقراطية الاجتماعية التي لا تمجد دور العقل ولغة الإرادة بل المادة وسياسة السوق الحرة، والتي اقترح لها كارل بوبر حلاً للفصل بين السلطة السياسية والديمقراطية على المستوى الاقتصادي.

المبحث الثاني : اللاسلطوية هي الوريث الشرعي لليبرالية الكلاسيكية:

في هذا السياق، يصف تشومسكي اللاسلطوية بأنها النهج السياسي الذي يهتم بالليبراليين الأوائل لأنها الأساس الذي يجمع شكلين (الاشتراكية والليبرالية الكلاسيكية). الغرض من هذا المزيج في الممارسة السياسية هو تحرير قدرات الأفراد من براثن المادية الرأسمالية، لأن مشكلة الليبراليين الكلاسيكيين لم تكن تدرك أن المؤسسة ورأس المال والكنيسة قد سيطرت على حرية الفكر والتعبير منذ "القرن التاسع عشر"، وأن الدولة والبرجوازية، في فهم كارل ماركس، استعباد وممارسة أشكال الهيمنة والسيطرة على كل البشر من التحرر بقوة العامل الاقتصادي الذي يخترق مراكز الدولة.⁽¹⁾ لهذا السبب فإن الأناركية هي الوريث الشرعي لتحرير الأفراد من قيود السلطة، فما الفرق بين الاشتراكية والليبرالية ورأسمالية الدولة عند تشومسكي، وما هي أهم ملاحظات عن إساءة الدولة لقواعد الليبرالية الكلاسيكية؟.

1- الفرق بين مفاهيم التنظيم الاجتماعي عند نعوم تشومسكي

يعتقد تشومسكي أن التمييز بين العناصر المثالية يرتبط بأهمية الدولة داخل المجتمع الأمريكي المتقدم صناعياً وتكنولوجياً. يستوجب تفريق بين الليبرالية الكلاسيكية عن الاشتراكية التحررية و اشتراكية الدولة و رأسمالية الدولة فإن مفهوم الاشتراكية التحررية نسبة إلى تشومسكي أوسع عقلانية من التفكير بحيث تمتد جذوره من الماركسية اليسارية إلى الأناركية وهذا التصور صحيح لغاية في شكله الأساسي ومبادئها تشمل منطق الصحيح والطبيعي لليبرالية الكلاسيكية في عصر المجتمع الصناعي، بينما يعتبر اشتراكية الدولة هي إيديولوجيا ظهرت معادية لأفكار التحرر نتيجة الثورة البلشفية، أما، ورأسمالية الدولة (الرفاهية الحديثة) ضمن الأدبيات الماركسية - اللينينية معارضة لدكتاتورية البروليتاريا هي تمثل «الرجعية السياسية» و مركزية عالية في المجتمعات الديمقراطية و الصناعية بموقفها شديد المحافظة للغاية دون التغيير الاجتماعي ذاتها مصدر للمشاكل، الاجتماعية لكونها غير الملائمة للمجتمع الصناعي الحديث.⁽²⁾

ومنه هل إساءة الدولة لليبرالية الكلاسيكية ينطبق ذلك نفسه على الدولة الأمريكية؟

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل، المصدر السابق، ص 11.

⁽²⁾ Noam Chomsky: Democracy and Education, New York and London, British Routledge Falmer Publishing , Corporation, first edition, 2003, p.126

يطرح تشومسكي وجهة نظر الفلسفة الليبرالية الكلاسيكية وجوهرها وغايتها الإنسانية على أنها معارضة لجميع أشكال تدخل الدولة في الحياة الفرد أو المجتمع، مستدلاً بالمنطق فلهيلم فون همبولت (1767-1835) *Wilhelm von Humboldt* . الذي يؤكد على أن طبيعة هذا التدخل يفقد إنسانية الإنسان، لأن عمل الدولة ظاهرياً يتبين للمجتمع بأنها في حدود الممارسة المنتظمة للعلاقات الاجتماعية ولكن باطنياً تجعل الإنسان في حد ذاته كأداة للممارسة في غاياتها التعسفية وغير المشروعة سياسياً.⁽¹⁾

لهذا فإن طبيعة التقليد للقيم تنوير عند هومبولت بطريقة موازية تماماً لفكرة الإنسان الحر عند كل من كارل ماركس (1818 - 1883) *Karl Marx* ميخائيل باكونين (1814 - 1876) *Mikhail Bakunin* جون ستيوارت ميل (1806 - 1873) *John Stuart Mill* على أن الدولة مصدر للقلق وإمكاناتها محدودة في توفير الغايات المرغوبة لدى كل فرد ينطوي تحت قدر ضئيل من حمايتها، فهي بالنسبة لتشومسكي تتغاضى عن جوهره ككائن حر ومكتمل ذاتي، إن هذا تغاضياً وإنكاراً للحرية في تقاطع كلي مع الرعاية في أن تجد تناغماً كاملاً تنمي بها إمكانات البشرية وملكات المتخلفة وهذا استكمالاً يترتب عنه الحيوية الحقيقية للإنسان، إلا أنها سرعان ما تقوض بشكل عميق من طرف مؤسسة (الدولة) فعلاً ووجوداً.⁽²⁾ بينما انعكس تأثيرها بشكل أساسي على قيم وقواعد الليبرالية الكلاسيكية. لتقليل الحرية. فيما تمثل ذلك؟

2- قواعد الليبرالية الكلاسيكية :

نظراً لذلك، فإن تشومسكي يعطي تصورين اثنين للدولة يركز بشكل أساسي على الممارسة بشرط أن تكون الأولى مذهباً ليبرالياً كلاسيكياً كنقطة مرجعية للطبيعة البشرية وهي أن تكون وظيفة الدولة ذات التزامات محدودة للغاية وأكثر اتفاقاً مع المبادئ والقواعد التي استقر عليها الفلاسفة التنوير والليبراليون الكلاسيكيون وهي:

أولاً: الحرية: وهي لدى تشومسكي مبدأ يقتضي ممارسته في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فهي ذاتها أساس الطبيعة الإنسانية كما يدعي الليبراليين الكلاسيكيين الذين يجادلون بأن الأفراد من حقوقهم

(1) Noam Chomsky: Democracy and Education, p127.

(2) Ibid; p127.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

الطبيعية أن يكونوا أحراراً كطريقة للرفاهية المجتمع ككل⁽¹⁾. لكن بالنسبة "للسياسة" مثل الولايات المتحدة، لديها مبدأ تقييد حريات "الأفراد" و"الدين" من مبدأ تقييد الحرية من الدولة.

لهذا، يعتبر تشومسكي أن هذا عمل الذي تقوم به الدولة ضد الإنسان يمثل بشكل دقيق أناس يتبنون الإيديولوجيا المحافظة داخل المجتمع الأمريكي، لأن إنسان المحافظ الحديث يعتبر ذاته من العرق الأساسي الذي انحدر من الليبرالية الكلاسيكية دون بقية الأعراق البشرية الأخرى الموجودة، إلا أن هذا المذهب القائم داخل الدولة على أساس (القانون الإلهي) المشروط بتقليص الحرية لدى الأفراد لأن الدولة أكثر اعتدلاً في منح حقوقهم الطبيعية، إلا أن تشومسكي يؤكد بأن هذه الطاعة الرجعية للحاكم والدولة على أنها التزام لمبدأ "الاستعلام والخلق" يقع على حرية كل فرد ضمن سلطة الحاكم، فلا يمكن لهذه التقاليد وأفكار التي يدافع عليها الديكارتيون، و توماس هوبز (1588 - 1679) *Thomas Hobbes*، جان جاك روسو (1712 - 1788) *Jean-Jacques Rousseau*، أن تكون أساس الذي يعكس جوهر الإنسان الحر و طبيعته البشرية لأنها ميتافيزيقية للغاية وأكثر سطحية⁽²⁾.

على هذا الأساس، أن الدولة والدين ليس أساسين للفكر التحرري الكلاسيكي بالنسبة لتشومسكي، ولكن يمثلان مراكز تدور حولها غايات الإنسان، مستدلاً بحجة همبولت «أنني بعيد كل البعد عن تجاهل الجماهير التي يتكون المجتمع منها بشكل أساسي؛ يبدو لي حقير أن أبدأ من أي وجهة نظر ولكن أعلى عندما تكون الطبيعة البشرية هي موضوع التحقيق. إذا: بعد هذه الاعتبارات العامة حول الدين، وطبيعة تأثيره في حياة الإنسان... إذا كان يجب على الدولة أن تستخدمه كوسيلة لإصلاح أخلاق مواطنيها، فسيتم التسليم بأن الأساليب المعتمدة من قبل المشرع لتعزيز الثقافة الأخلاقية دائماً ما تكون مناسبة وفعالة، بقدر ما تعزز التنمية الداخلية للقدرات والميول. لأن كل الثقافة الأخلاقية تتبع فقط وفوراً من الحياة الداخلية للروح، ولا يمكن تحفيزها إلا في الطبيعة البشرية، ولا تنتج أبداً عن طريق وسائل خارجية ومصطنعة»⁽³⁾.

فضلاً عن ذلك المعنى، يكون تشومسكي منصفاً إلى الحرية الكائن عن طريق الطبيعة البشرية كونها الأداة التي تنمي الوعي وملكات الإنسان و أساليبه في اكتشاف تلك التبادلية الاشتراكية مع البشر بأنها مبنية على حرية الفرد الواحد، لأن ما يمضي له همبولت هو فهم الدولة في طبيعتها الاستغلالية لأفراد من وجهة نظر

(1) Eamonn Butler: Classical liberalism a Primer, Ibid; p 4.

(2) Noam Chomsky: Democracy and Education, Ibid; p. 127.

(3) Wilhelm von Humboldt: The Limits to State Action, Ibid; p. 63.

الماركسية المبكرة قائلة في هذا النطاق: « بأن الحرية لا تتشكل من أي شيء آخر، سوى من حقيقة أن الإنسان الاجتماعي، المنتجون المتحدون، ينظمون تبادلهم مع الطبيعة بشكل عقلائي، ويضعونها تحت سيطرتهم المشتركة، بدلاً أن يكونوا محكومين بها (الدولة)، كقوة عمياء». (1)

وعلى هذا النحو، فإن الإنسان المعاصر وفقاً لهومبولت قادر بضرورة على الإبداع للخروج من ذلك القصور إلى التنوير العقلي عبر تنمية الفهم بواسطة الفعل العفوي، من دون أن المراعاة إلى ظروف الاجتماعية والسياسية التي تملكته، «..لأن الدولة (تتين هوبز) في حد ذاتها توحى إلى قانون طبيعي (بطلب القوت) بفكرة السلطان والتغلب لدى الناس في قهر بعضهم بعضاً وهي التركيب بين العمل و ظروف الاجتماعية بدون ارتباط الإنسان بأفكار أخرى كثيرة فينعكف الإنسان بين الإحساس بضعفه والإحساس باحتياجاته..». (2)

على هذا الأساس، يكون الإنسان مغترباً عن ذاته، بقدر ما يكون العامل على حد رأي تشومسكي لدى كل من هومبولت بأنه أصدق إحساساً حقيقياً بالإنتاج مقارنة بسيد الإنتاج الذي يتمتع بطاقاته الإبداعية، فإن الإنسان كما يصفه تشومسكي يحكم على نفسه بالاغتراب حينما يعرض عن التفكير في الطبيعة البشرية، و يتصرف خلافاً للإرادة حرة بمقايستها مع وجوده الحيواني أو الآلي (الميكانيكي)، ادعى إريك فروم (1900 - 1980) *Eric Fromm*، بهذا تصور الذي يقدمه تشومسكي في تقويضه للاشتراكية السوفياتية والنزعة الشمولية والدولة الشيوعية بتطبيق المبدأ الكانطي على الإنسان الماركسي «..بأن الإنسان يجب أن يكون دائماً غاية في ذاته وليس، أبداً، وسيلة لغاية وهذا تصور للجوهر الإنساني للإنسان المعاصر عن ماركس يجب أن لا يصبح أبداً وسيلة للوجود الفردي..». (3)

والواضح في مبدأ الحرية أنها مستثناة من أنانية النخبة في السياسة، وإبقاء الأفراد تحت الاستغلال والاستعباد من قبل الدولة، فإن هذا إلى حد ما مبدأ صريح لقيم التنوير الكلاسيكية كما طرحها هومبولت أن الفعل الإنساني الحقيقي هو ذلك الذي ينبع من الدافع الداخلي، وعليه تصبح اللغة والثقافة والحرية من ممتلكات الأفراد وإحدى مكوناتهم الطبيعية إلا أن الصراع الطبقي يغير منها أما انتزاع الكلي فمن الدولة،

(1) إريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، المرجع السابق، ص 78.

(2) مونتسكيو، روح القوانين، المرجع السابق، ص 52.

(3) إريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، المرجع نفسه، ص 71.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

فيبدو لتشومسكي كما هو الحال عند همبولت في تفسيره بأن اغتراب العامل بفعل الدولة في خنقها لطبيعة البشرية نظراً لمثال الذي يطرحه بأن جميع الفلاحين والحرفيين قد يرتقون إلى رتبة فنانين، أي الرجال الذين يحبون أعمالهم من أجل الدولة و لمصلحتها الخاصة، بدون التحسين من عبقرتهم ومهاراتهم الإبداعية.⁽¹⁾

فضلا عن ذلك فإن هذا السبب في وجود تناقض إلى حد ما في التداعي الدولة بالاشتراكية والليبرالية إلا أنه يوجد شرح بين الطبيعة التنافسية الرأسمالية للدولة وبين الطبيعة التكاملية والتشاركية الاجتماعية في غياب الحرية، يقود هذا التناقض إلى فكرة كارل ماركس والتي يعتبرها إريك فروم بأنها الأكثر راديكالية إلى الحرية والطبيعة الإنسانية والتي يتبناها اللاسلطويين أمثال باكونين و تشومسكي: « لأن الإنسانية في الإنسان ذاته فلا يجوز حتى أن تصبح وسيلة لوجوده الفردي، فكيف يمكن اختزالها للعامة على أنها عيار الذي تصبح فيه وسيلة للدولة ،و للطبقة ،أو للأمة .»⁽²⁾

فإذن هناك علاقة إلزامية بين الحضور الفكر الماركسي و غايات الفوضوية وربما تحرير الإنسان من براثن المادية -إن صح القول - وصقله بمركب الروحي فإن تشومسكي يؤكد بشدة عن إنماء الذات البشرية التي انقلبت أدوارها إلى ميكانيكا العمل وتجرد الإنسان من القوى الاستعلائية إلى القوى الحيوانية في المجتمعات الديكتاتورية أو الرأسمالية أو أي كانت طبيعتها فهي تنظم الدولة والسلطة على إضعاف الحرية فيما تظهر الأشياء الخارجية بطابع الملذات التي لها تأثيرات على كل اختيار حر للإنسان، فالإنسان عند تشومسكي مقيد نتيجة إرشاده أو الوصاية عليه و يعني ذلك حمل بكيانه و ذاته على خضوع للسلطة.⁽³⁾

فإن هذا النمط السائد تقريباً من الثورة الإنجليزية إلى الثورة الفرنسية و يتراوح الإنسان بين الدين و"السياسة" بين الدولة والكنيسة كونها ممارسات صارمة تركزت جذورها الاستبدادية منذ الدولة البروسية مع هيغل الذي يحاول أن يجرد الإنسان من الشئئية لكي يشق فهماً حقيقياً للأشياء من التفكير البشري وليس الأشياء التي تتحكم في مسيرة "الحرية" واستخدام العقل في مبادئه المنطقية.⁽⁴⁾

على هذا الأساس فإن، التصور للحرية يعني إنقاذ الطبيعة البشرية الفردية عند تشومسكي وصقلها بملاحظات أكثر ملاءمة مع الحرية لأن تنمية الوعي وإبراز الذاتية التحررية يتوجب نفي البدائل الخارجية على

(1) Noam Chomsky: Democracy and Education, Ibid; p.127.

(2) إريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، المرجع السابق، ص 71.

(3) Noam Chomsky : Ibid; p128.

(4) فالح عبد الجبار، الاستلاب، هوبز لوك روسو هيغل فويرباخ ماركس، المرجع السابق، ص 131.

غرار الداخلية لأن سبباً في تقليص حرية المرء كونها تؤدي به إلى استنزاف في أعلى طاقاته البشرية الحقيقية إلى الركود بها في ممارسة الإنتاجية بدقة ميكانيكية، وهذا التفاعل عند العامل مفروض عليه من طبقة البرجوازية، وتأخذ سمة القانون بين مطالب الحياة والتعليمات الخارجية قد تحدث زهول لدى الإنسان الآخر من نمط الإنتاج ولكن يقتصر العقل على احتقار والتغاضي على ما تحققه من مصالح وطاقات وقوة إذا ما فهمت على نحو صحيح.⁽¹⁾

وعليه، فإن الإنسان المعاصر عند تشومسكي لديه الحرية الطبيعية في اختيار نمط الأكثر اشتراكية مع الآخرين دون السلطة أو الدولة فتحريره من التحكم المركزي وقبضة الرأسمالية الحقة يتسنى فهم حقيقة الإنسان كما هو بالنسبة لهومبولت للإنسان بأنه وجد ولديه الميل نحو إرادة الفعل واختيار الحر واللغة والثقافة والتعلل فهي ركائز اشتراكية للإنسان مع الآخر فإن الاعتراف بحريته وفق نمط الطبيعة البشرية وتعبير عنها بخاصية التواصل في الفضاء العام يصبح وفقاً لشروطها ذاتاً خلاقة على نقيض سلب الحرية مما يعني ترويضه (كبيغاء) أو كآلة للإنتاج.⁽²⁾

وعلى هذا النحو، تكون فكرة الإنسان الأول على حد رأي فرانسيس فوكوياما يتضمن اللجوء إلى الدولة في نهاية مطاف بعد تناحر العلاقات في أن يحافظ على وجوده، والاعتراف للذات وحريتها لدى هيجل لا ينفك الصراع على الشرعية والحقوق وعلى الوجود المادي طالما أنه خاضع للسلطة وسياسة الحماية من (اللفياتان) هوبز ولا سيما أن "حرب الجميع ضد الجميع".⁽³⁾

فإن التحرر من وجهة نظر ماركس، سوف ينشأ من أصحاب رأس المال المضطهدين داخل دولة العمال المضطهدين، وهذا هو التفسير الذي يتبناه "هومبولت". مشابه له في توسيع مجال الطبيعة البشرية واشتراكية التحررية للعامل بصفته إنساناً، إلا أن تشومسكي يرى بأن "الحس السليم" الإنساني يستطيع أن يحكم به العامل على الحد من ذاته المغترية فيما تساهم الفطرة البشرية الأخلاقية بتصديق ذلك الحكم في الواقع بأنه أخلاقياً، وهذا ما تعنيه الاشتراكية التحررية، فاغتراب العمل عند ماركس عند ما يكون العمل خارج العامل وليس جزء من طبيعته".⁽⁴⁾

(1) Noam Chomsky: Democracy and Education. Ibid;. p128.

(2) Ibid;. p128.

(3) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، المرجع السابق، ص 161.

(4) Ibid;. p128.

بهذا معنى يؤكد "تشومسكي" أن تحول الآخرين إلى آلات من طرف سلطة الدولة كجيش والشرطة عمل المغترب الذي يعيد بعض البشر إلى نوع من هذا العمل البربري ضد أفراد يكونون منهكين جسدياً ووهنا عقلياً لكنهم ينكرون أنفسهم للبقاء على الحياة تحت هيمنة الدولة فهي تحرم الإنسان من شخصيته الجنسية والنشاط الواعي وإنتاجية حياته، تذكر على أنها الشكل أعلى من المجتمع فيما يصبح العمل فيها ليس فقط وسيلة للحياة ولكن أيضاً أعلى حاجة للحياة.⁽¹⁾

لذلك يؤدي تحليل تشومسكي في نهاية المطاف إلى اتفاق مع أفكار روبرت تآكر (1918-2010) *Robert C. Tucker*، على أن انسلاب الذوات في مجتمع السياسي الرأسمالي على حد ما أعرب عليه ماركس في رأس المال، أن أداء العمل غير حر لطالما كانت "تجزئة العمل داخل العمل الاجتماعي في انقسام أكبر وأكبر والتخصص من أجل الربح، يخضع الإنسان أيضاً لتزايد عبودية التخصص إلى رفع إنتاجية العمل بإدخال آلية جديدة، وتطبيق الآلات بتطبيق أكبر للآلات العمل أخرى على نطاق واسع وعليه يزول الجدل الداخلي المدمر للذات بفعل التصاعد العلم التكنولوجي وتقدم للإنتاج الرأسمالي.⁽²⁾

فالدولة تساهم برفع من حدة العبودية طالما تسيورها أفكار الأقلية المتحكمة في البنية السياسية والبنية الاقتصادية تصبح الدولة عند تشومسكي بمثابة القوة المنافسة بفضل توفيرها الإمكانيات للطبقة البرجوازية في خلق المجتمع (المانيفاكنتورات) الذي يشطر العامل إلى جزئين؛ جزء كائن بشري بيولوجي وآخر كأداة للآلة وهذا بطبيعة الحال تشوه المرء، من معناه الأساسي بفعل المادية زائفة التي تكون ذاته منتجة محبطة أقرب إلى أن تثور وتتمرد على النظام بفعل "الفهم الداخلي للذات" والطبيعة الإنسانية التحررية.⁽³⁾

فضلاً، عما يراه "تشومسكي" هو أن الفرد كونه مستهلكاً غير راضٍ وبمثابة القسر ضد إرادته تعطيه الدولة للفرد بسلطة مدمج العلم فيها كقوة مستقلة تقيضه بنشاطه الحر والإبداعي مقابل اعتراف بالمعيش والحماية، إلا أن "تشومسكي" يرفض هذا "التلقين" نظراً لحقيقة الاشتراكية الحقيقية في جوهرها ترفق الرفاهية بالحرية

"Chomsky says: "And I think it's very revealing and interesting to compare it with the early Marx manuscripts, in particular Marx's account of the "alienation of labor when work is external to the worker ... not part of his nature ... [so that] he does not fulfill himself in his work, but denies himself ... [And is] physically exhausted and mentally debased. "

(1) Ibid.; p128.

(2) Robert C. Tucker: Philosophy and Mythology in Karl Marx, USA, published by Cambridge Bentley House University Press, 2nd ed., 1972.p 191.

(3) Noam Chomsky, Democracy and Education, Ibid.; p128

وهذا بنفس عبارات التي انحدرت من الفكر التحرري لعصر التنوير ولكن ما دون ذلك زائف بفعل "رأسمالية" الدولة ترفق العمل مقابل تضيق الحرية باعتراف خارجي "ومصطنع" على أنها رفاهية الإنسان. لهذا السبب فإن الأيديولوجيا هي وليدة تلاشي الأفكار "الليبرالية الكلاسيكية" على يد الرأسمالية بممارسة المرء هذه الأفكار المدمرة للذات، يظل ليس أكثر من وسيلة للحياة وعبد للرأسمالية الصناعية الحديثة. (1)

وعلى هذا الأساس فإن تفكير هومبولت للحرية وفقاً لتشومسكي لم يكن ماركسياً سلطوياً وإنما اشتراكياً فوضوياً إذ أنه فضح طبيعية الممارسة للسلطة بأنها طبيعة خارج الذات المدركة بالعالم الداخلي لا تقوم على فكرة الإرادة الحرة الأخلاقية التي أساسها التعلم والتجربة الذاتية. فإن القوانين التي تصدر عن الدولة هي عائقاً يفتح الهوة بين الاستطاعة والرغبة لدى البشر في ممارسة الحرية على نطاق واسع ومبادئها الليبرالية السياسية و الاجتماعية تجذرت من (بيلدونج / *Bildung*) الذي ينمي لدى الإنسان الحقيقة والفضيلة دون المرجعية للقوانين السلطة. (2)

لأن بيلدونج هو التطور الأكمل والأغنى والأكثر تناسقا لإمكانات الفرد والمجتمع والجنس البشري على التحديد، فالدولة والسلطة محكومتين بالعقل ولكن ما ينتج من عوائق سياسية يكمن بضرورة في مركب الوعي والتعليم والثقافة لدى الأفراد من طرف الدولة فإن الطبيعة الإنسان لديها الرغبة الكامنة في التحرر تلك التي تحددها إملاءات العقل الأبدية والثابتة لكل فرد ولكن الدولة تعمل مع فئات محددة في غايات نفعية دون إلزامية ارتقاء أو التكامل الاشتراكي فهي تنمي كل فرد أو نخبة على مدى كفاءتها المالية المادية، فيما تتم الأغلبية تابعة لرغبة تحقيق السعادة دون الوعي بأدواتها وإمكاناتها، فهو هولت صدى لمثالية كانط على أنه العقل السياسي لا ينطوي أي معنى للاشتراكية طالما الرغبات مناقضة للطبيعة البشرية. (3)

لكن تشومسكي يؤكد بأن أولى تصورات الموظفة في تسعينيات من القرن التاسع عشر تطمح إلى بلوغ الإرادة الاجتماعية بين الأفراد وتنظيم المجتمع وفق "الليبرالية الكلاسيكية" وهذا الطرح المبتغى من هومبولت لم يكن على وعي بتطور الذي ستتخذ الدولة الرأسمالية الحديثة وفي هذا الجانب يكون الرأي العام السياسي من الإرادة الجماعية التي تهدف إلى تحقيق الحرية وتقويض الرأسمالية بخلق النفوذ "السلطوي للدولة". (4)

(1) Ibid., p128.

(2) Wilhelm von Humboldt: The Limits to State Action. Ibid., p P Xviii 19.

(3) Ibid., p Xviii 19.

(4) Noam Chomsky, Democracy and Education, Ibid., p129.

وفقاً لتشومسكي هذا نمط أناركياً لهومبولت، ولكنه مسعى فكري فتقدير الممارستي يكشف واقعياً مخاطر القمع والعنف المفرط من السلطات المسؤولة؛ فهومبولت لا يهتم بأشكال الإرهاب وفقاً للبعد التاريخي فهو يتطور على المنافسة الرأسمالية وجدلية الهيغلية (السيد والعبد)، لأن تصوره للقيم الاشتراكية في هذه الحالة تنطبق على المجتمع شبه منطوي على ذاته وأفراده بسطاء العقول، ولهذا السبب يكون تكريس المساواة فيه أساسي في هذه الوضعية غير شائكة لأن الطبيعة البشرية لدى أفراده موحدة.⁽¹⁾

وهكذا، لا يرى تشومسكي أي تطابق بين مسار همبولت السياسي والتغيير الاجتماعي الذي تدعو إليه الاشتراكية التحررية، لأن طريقة إعادة تفسير طبيعة الفرد الخاص لا تعني أن الأفراد لا يمتلكون حريتهم، بل هي مكرسة في القوانين اللإنسانية، والتي تكون مشروطة بربط الملكية بالمؤسسات فيما يعرف برأسمالية الدولة بالتنسيق الذي يفرض على الأفراد العاملين أن يكونوا مساوين لمبدأ القانون الذي يحقق الربح لرجال الأعمال والأثرياء، لكن تشومسكي يأخذ مبدأ روكر في تبرير "الحرية" والديمقراطية كأساس لسعادة الفرد وازدهاره، بالمعنى التقليدي للحق في الملكية بممارستها في التنمية الاقتصادية يتعارض مع "الديمقراطية والليبرالية لأن الحرية الشخصية التي وصفها هومبولت والاجتماعية التي ينادي بها الديمقراطيون لا يمكن تصورها وفقاً لتشومسكي و روكر إلا على أساس البنية الاقتصادية بمزايا المتساوية للجميع. لأن الشعارات ذات البعد الاشتراكي بين المواطنين هي أساسها (المساواة أمام القانون وحق الإنسان في نفسه) فقد دمرها الاقتصاد الرأسمالي بسبب السيطرة البيروقراطية للدولة والأقلية على رأس المال الاجتماعي والإنتاج. وأدواته".⁽²⁾

وعلى هذا النحو، يؤدي تحليل تشومسكي للفكر الليبرالي إلى حقيقة أن له جذوراً مبنية على فكرة العقد الاجتماعي، والتي هي في حد ذاتها طبيعة خادعة تضمن للرأسماليين والأقلية النخبوية السيطرة على الأفراد وحريتهم كأساس ل استمرارية النظام الرأسمالي. بالنسبة للأفراد، فإن الأقلية الرأسمالية لا تتكهن بطبيعة حركة النظام بطريقة تدفقات الأرباح، بل تُخمينُ بالأحرى لتكهنات في تقييد الحريات للجميع دون الاستفادة من الثروة الاجتماعية، بحيث يكون العقد مثل القانون -المرور وفقاً لتشومسكي- فقيادة الجماعية من الأقلية

(1) Ibid ; p.129.

(2) Rudolf Rucker :Anarchism, Syndicalist Theory and Practice, USA, Pluto Publishing Press, 1st ed., 1989. p. 23.

يجعل هذا الموقف المؤسسات الرأسمالية للأفراد أكثرها أماناً وربحاً، بمجرد القيادة الفرد للمؤسسة إذا لم يكن هناك أي عقد اجتماعي بين الفرد والنظام لن يحقق غايته المرغوبة.⁽¹⁾

ما يبدو أكثر تناقضاً وفقاً لتشومسكي، بأنه لا يوجد ضمان بين حرية الفرد وموافقة النخبة على الحرية. لن يكون هناك أي اختلاف بين تصرف الأقلية في رأس مال الفرد، أو تصرف الفرد نفسه، إذا قرر التصرف فيه بأمان، إذا ما كانت الأقلية تُقرّر التصرف للجميع الآخر بأمان، فإن الغايات ذاتها هي الإنتاج وزيادة رأس المال، غير أن ممارسته في نظام من طبيعة رأسمالية مبدأها هي أن الأقلية تخضع للتنظيم القائم على الرذائل الخاصة التي تؤدي بالضرورة إلى منافع عامة، وليس للفرد القلق بشأن المصلحة العامة، لأن الأقلية من الرأسماليين في نظر تشومسكي على واعي تام بأن التعاقد مدفوعاً بالجشع يضمن بيئية ذات التنظيم الصناعي بين الإنتاج و الدولة لأن التعاقد مع عدة مؤسسات ميزة أساسية لهذا النظام في المنافسة، وتحقيق الربح المادي.⁽²⁾

لهذا فإن تشومسكي يرى بأن الدولة تقوي اللحمة بين مؤسسات المجتمع المدني والأقلية الحاكمة المهيمنة على الحرية ومؤسسات السلطة السياسية مع تحكم الاقتصادي للتربة وجميع أليات الإنتاج، فإن ما يسمى بـ " القانون العقد الاجتماعي" يظل مجرد احتيال و هراء، لأن القوانين يضعها أولئك الرأسماليين لحيازة الثروة الاجتماعية، فيما لاحظ روكر بأن بؤس الأفراد يزداد إذا ما لم يجد النظام المستهلكين يضطر الأفراد بالإدلاء بحريتهم إلى أقلية الملاك، فإن تصور تشومسكي يضاهي روكر في أن الأدبيات الماركسية لن تحقق بديكتاتورية البروليتارية هدم الرأسمالية وتلاشي الدولة.⁽³⁾

لأن العامل ليس لديه الوعي التاريخي بظواهر والآثار التي يسير إليها المجتمع وعليه تكون حتميته الاضطهاد لما يترتب عليه من رأس المال مضافة إلى السلطة الأقلية الحاكمة إذا ما تم تفكيك السلطة السياسية لها ينتج عن ذلك التراكم للرأس المال من مؤسسات اجتماعية بفرض من سلطة الدولة باختلاف الأناركيين فإن الوعي لدى بعض أفراد المجتمع أن ما دون الرأسمالية و المؤسسات الاجتماعية هي فوضوية (الجوث) أي أن تفويض الطبقة الرأسمالية يفتح المجتمع على الصراع تستغل فيه الأطراف بعضها بعض

(1) Noam Chomsky: Peter R. Mitchell, Understanding Power, USA - New York, New Press-Publishing, first ed., 2002 p. 61 62.

(2) Ibid; p. 62.

(3) Rudolf Rucker: Ibid ; pp. 23 24.

فالرأسمالية تخشى فقدان المادية الاقتصادية فيما تعزز الدولة وجودها ككيان يضمن حرية الفرد و ثرواته الاقتصادية بحفاظ على السلطة السياسية .⁽¹⁾

وعليه فإن تشومسكي له هدف من وراء تحليلاته للاقتزان الاشتراكي بالرأسمالي خارج جوهر الأدبيات الماركسية التحررية وبالذات الغايات يتوجب من اللاسلطوية العمالية الداعية للروح التبادلية تفكيك هذا الوعي والغموض الذي يتراكم به الرأس المال في (الولايات المتحدة) مؤسسات هذه الدولة المرابية، وهذا ما لم يدركه هومبولت في أن حرية المجتمع تقتضي تنحي الدولة جنبا وهذا له جذوره عميقة في اقتصاد الرأسمالي المفترس فإن مباغته الانفكاك هي بمثابة تدمير للبيئة المادية إذا وظيفة مطلقة الدولة والتخلي عليها مباشرة للحفاظ على الوجود البشري غير منطقي، إذا ما لم تكن هناك إدارة للسوق الذاتية من قبل التعاونية اللاسلطوية فإن الجنس البشري يقضي على ذاته باستفاده للمادة وإذا ما تم تعطيل التنظيم الذاتي للسوق كان من شأنه أن يدمر الإنسان جسديا ويغير عالمه الخارجي نحو الهاوية.⁽²⁾

وفي هذا السياق، أشاد كارل بولاني (1886-1964) *Carl Bolanie* في مؤلفه التحول الكبير إلى أن الليبرالية الولايات المتحدة وحرية المجتمع الغربي تطوره في القرن (19) عشر، أساسه التنظيم لعناصر الإنتاج (اليد العاملة /المال/الأرض) غالباً ما تقضى قوى السوق بتهديد انهيار المجتمع ما يحافظ عليه في وحدات متماسكة بمنتهى الحرية هو التنظيم ذاته بذاته فالحماية تكون طبيعية دون تدخل الدولة لأن تعطل التنظيم نتيجة حتمية لوجود الحكومة مؤيدة لحماية حقوق "السياسة" المالية لهذا فإن تشومسكي يؤيد فكرة كارل بولاني على أن الحرية في الولايات المتحدة الأمريكية ما قبل ظهور النظام "الاحتياطي الفيدرالي" لأن العبودية و الرأس المال المأجور أساسيات تحتكم "لحرية" اليد العاملة إلا أن احتكارها من الأقلية فإن المجتمع لم يعد يتلاءم مع آلية السوق ومتطلبات العمل و الوقوع في إجهادات اجتماعية واقتصادية تؤثر على الأفراد بتدخل الدولة لمناشدة الطبقة البرجوازية.⁽³⁾

ما يبدو واضحاً لتشومسكي وكارل هي أن الدولة الحديثة شكلا من العقلانية الأدوات في الهيمنة وضبط المجتمع، لأنها تقوم على مجموعة من علاقات المتداخلة بين النظام الرأسمالي والحماية الاجتماعية تظهر

(1) Ibid; p. 25.

(2) Noam Chomsky: Democracy and Education, Ibid; p129.

(3) كارل بولاني، التحول الكبير الأصول السياسية والاقتصادية لزمنا المعاصر، تر: طباح محمد فاضل، بيروت - لبنان، مركز الدراسات الوحدة العربية، للنشر ط1، 2009. ص 367 368.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغمية للسياسة الخارجية الأمريكية

فيها البيروقراطية وأشكال الإكراه والقمع إذا ما كان العمل عند كارل ماركس هو نمط للحرية فإن تدخل "السلطة السياسية" في العمل الإنساني نمط للتنظيم الطبيعية إلى مادة خام وتحويلها إلى الطابع السلعي للعمل وهذا الجانب لم ينتبأ همبولت به كونه في نظر تشومسكي له عواقب ذات طبيعة استغلالية للجنس البشري.⁽¹⁾

إن لم تكن الدولة قد كرست قديماً للعبودية على مد التاريخ الإنساني لا يمكن "للماركسيون" أن يدركون المادية الاقتصادية ومقايضة السلع وهذه العقيدة وفقاً كارل بولانيي بأن المادة أساس الحياة البشرية غير عقلانية لم يكن العلم الماركسيين أكثر ثقافة حول أدوات الإنتاج التي كان جوهرها الإنسان العبد كسلعة ثم كأداة إنتاج للأقلية المالكة لهذا فإن تدخل الدولة بمثابة تكريس "للعبودية المأجورة" فهي الوسيط بين الأسياد الرأسماليين للعمل و الناس العاديين في طريقة تقديمها السلعة للبيع و استخدامها للغرض استهلاك و تحديد سعرها بتداول ما يعدها تشومسكي الإجراءات المدمرة للاشتراكية التحررية لأنها ضد شعار آدم سميث آدم سميث (1723 - 1790): *Adam Smith* «دعه يعمل دعه يمر» والذي يقر بإنسانية الإنسان ضمن الليبرالية الكلاسيكية.⁽²⁾

وعليه فإن العامل الأكثر فاعلية عند تشومسكي ،هو الكيانات "السياسية" وتلاعب الدولة بالبنية الاقتصادية وزعزعة البنية الاجتماعية فهي حركة الأفراد و رأس المال والسلع في النظام الخاص الرأسمالي بحيث يكون الاستبداد والعبودية مختلفان عبر تاريخ الكلي في هذا النظام بمزج معقد للغاية ؛ فإن استلاء القطاع الخاص للتجارة يعد استبداداً تساهم فيه الدولة بفعل اليد الخفية في تنشيط هذه الحركة دون أي رقابة من غالبية أفراد المجتمع الأمريكي، لهذا يؤكد تشومسكي بأنه مؤيد لفكرة التصنيف التي دعا لها آدم سميث بأن حركة الأفراد هي أساس حركة التجارة الحرة ما دون ذلك يسمى رأس المال فإن تقاليد الليبرالية والتنوير على نقیض للحركة رأس المال كونها المانحة للحرية الأفراد وهي الأكثر تقيداً للديمقراطية السائدة في المجتمع الإنساني العالمي.⁽³⁾

لأنها شكلا من أشكال العبودية المأجورة وهذا الجانب الخفي يظهر بتدخل الدولة في العلاقة الاقتصادية الرأسمالية لم يدرك همبولت هذا التظليل في نمطية عمل الدولة لأن الطبيعة الماركسية تركز أساساً على

(1) Noam Chomsky, *Democracy and Education*, Ibid; p. 129.

(2) Ibid; p129.

(3) نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبداً، المصدر السابق، ص 16 17.

حيازة الأدوات الإنتاج وليس حيازة الكائن البشري فأولوية رأس المال لا تسد رمق الحاجة على عكس أولوية الإنسان الحر فهو يعادل بين الحاجة والرغبة، بحيث يعده تشومسكي أنه أسوأ من العبودية ذاتها.⁽¹⁾

مستدلاً بفكرة سيمون لينجوي (1736 - 1794)، *Simon Lingui*، بأن إبستمية العصر لها تأثير على الإنسان "فمصيره البقاء المحتوم إلى السيد الثري وأقوى، لأنه من المستحيل أن يعيشها الآخر دون صراع مع ذوات أخرى"، وعليه تكون التبعية هي إحدى نتائج ذلك الصراع فقيام العامل بأداء العمل تحت سلطة السيد هو الاعتراف بأحقية الرغبة التي تجبره ليأخذ منه الطاعة لإثرائه، أي الحاجة تدفعه إلى المكسب الأكثر قسوة، ويجبره عمله على حرث التربة دون ثمارها، أو بناء المباني دون عيشه فيها، فهذه نمطية النظام الرأسمالي في الأسواق بالرجوع إلى تشومسكي فإنه يرى أنها تقوم على جدلية هيغل بينما تنظيمها يعني العداء للاشتراكية التحررية.⁽²⁾

فما كان يقصده تشومسكي من تجربة الاقتصادية لـ آدم سميث هي الإشارة إلى تأثير الاشتراكية الطوباوية في محاولة تنظيم الإنسان على أفكار المثالية التي وظفت ما بعد الماركسية كشكل من أشكال البناء للمجتمع إنساني، إلا أنها كنزعة معارضة للرأسمالية الدولة، فقد بين ذلك فريدريك أنجلز بأن كل من فلاسفتها: سان سيمون (1760-1825)، و شارل فوريه (1772-1837)، *Charlefourrier*، جوزيف برودون (1809 - 1865)، *Pierre-Joseph Proudhon*، جذورهما أكثر عمقاً في فهمهم للوقائع الاقتصادية، بتفسير العقل للاستغلالية البرجوازية المؤيدة للدولة، والتي بدورها تحمي ممتلكات النخبة الرأسمالية الفردية الناهبة للثروة المجتمع، فهي مضرّة بالقيم الأنوار الفرنسية.⁽³⁾

نظراً لمخالفتها للعقل بتمكين السلطة من الازدراء والاضطهاد للأغلبية وتوفير النفوذ للأقلية البراغمية، فما كان للرجعية الثورية "لهيجل" كأساس وأداة عند الماركسيين لتغيير العالم إلا أنها لم تجد طريقها إلا في راديكالية سياسية التي اقترنت بها البرجوازية في طابعها المثالي، أهدم روح الفوضوية المعادية لأي سلطة استبدادية، فبفعل الملكية البرجوازية التي تدعي بأنها حقوقية والإنسانية فهي ضد "الحرية" الإنسان، طالما أنها تمثل عقل الدولة أي "العقد الاجتماعي" الذي وضعه روسو كعقبة للتغيير المجتمع بمبادئ الهيغلية

(1) Noam Chomsky, Democracy and Education, Ibid.;. p129.

(2) Ibid.;. p129.

(3) فريدريك أنجلز، الاشتراكية الطوباوية والعلم، تر: إلياس شاهين، بيروت - لبنان، دار الفارابي، للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 73 74.

انتهاء إلى تعزيز الدولة والإرهاب وقمع التجربة الثورية الجماعية بتقويض الدولة لإرادة الذاتية لدى كل فرد.⁽¹⁾

والنتيجة لذلك، ففي كل عصر يرى تشومسكي بأن الغاية هي تحرير الإنسان ذاتها يترتب عليها إعادة تأكيده عن الاستغلال المهيمن للطبيعة البشرية، والذي في أساسه يحدث جلاء التفاوت بين الأفراد المالكة للوسائل والغالبية الأخرى المحرومة من الثروة الاجتماعية، فما تكون العبودية هي الصلة بين الطبقتين - كما سبق - وأن أشار لها ديفيد هيوم (1711- 1776) *David Hume*، أن الجماعة ترعى مصالح النخبة السياسية الحاكمة يتبع تشومسكي بأن فكرة الإقصاء للعبودية الرأسمالية المأجورة يرجع بطبيعة الحال إلى الفرد الواعي الذي يتم بممارسته للاشتراكية والمخاطبة لها باسم التنوير.⁽²⁾

لأن الديمقراطية الحقيقية ضد أشكال الصراع حول الطبيعة الاقتصادية المادية، وهو ما أشار إليه فورييه بأن الحرية الفرد في مجتمعات الأوروبية والرأسمالية تظل كمرحلة نهائية في التاريخ البشري بينما الاستغلال والعبودية يصورهما العقل الرأسمالي الاقتصادي على أنهما أخلاق الحكومة في التجارة والمنافسة الحرة المشروعة بين أفراد المجتمع، إلا أنها ضرب من الأكاذيب وتقويض لحقوق الأفراد فما يظهر في المرحلة الإقطاعية من الأقدان هي في الأصل وقبل كل شيء مرحلة من العبودية تحررت مما كانت عليه، بينما لا تختلف عنها في محدودية الإنتاج بمقارنة مع المرحلة الرأسمالية هي تحول لطبقة العمال للعبودية المأجورة فيما يصعب تحرير الطبقة بدون وعي تشاركي وتعاوني وفقاً لفورييه فإن الاعتراف للحرية أساسه البروليتاريا ومسيرتها لأدوات الإنتاج بمنهجية متكاملة وتعاونية تقضي على الطابع السلعي للعمل بسيطرتها الديمقراطية على المؤسسات المالية والتجارية والصناعية دون تدخل الدولة أو أقلية.⁽³⁾

وعليه، يرى تشومسكي بأن شارل فورييه (1772-1837) *Charles Fourier* لديه فكرة تصور لمجتمع بشري منظم اجتماعياً واقتصادياً أسسه الاشتراكية التعاونية الفلانستير (*Phalanstere*)، كنظام يعين حدود الأفراد المجتمع دون الممارسة الاستبدادية والفوضى بين الطبقات فهو لا يقر بوجود مبدأ التفاوت بين الأفراد بفعل الدولة ذاتها ككيان يحمي جميع الأفراد وإنما يسعى إلى تقويض النخبة التي تساهم في التطاحن والفساد

⁽¹⁾ فريدريك إنجلز، المرجع السابق، ص 74 75.

⁽²⁾ Noam Chomsky, *Democracy and Education*, Ibid., p130.

⁽³⁾ Ibid., p130.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

وتخريب العلاقات الاقتصادية الاجتماعية بفعل الممارسة والتخطيط البراغماتي، فمن المؤكد بأنه لم يفكك السلطة الرأسمالية بل وضع نظام بنى عليه رؤية جديدة للاشتراكية أساسها "الفطرة الخيرة" مستنداً بأن الفوارق والمظاهر الإنسانية بين أفراد المجتمع هي تلف صريح أو تفاوت بين عناصر الفطرة الاجتماعية (الخيرة).⁽¹⁾

أساساً لم تكن هناك الحاجة لدى كل فرد في أن يتعامل مع الآخر في مجالها أو بعواطف إنسانية بل كرسست النفور الأقلية بالعمل والثروة والأرض والإنتاج ورأس المال عن الأغلبية وهي النفرة الحقيقية أساس التوزيع غير عادل بين الأفراد فمن الطبيعة البشرية وقانونها الأولي أن يدركوا الأفراد وفقاً لفورييه بأن الفطرة الإنسانية هي أشبه بقانون الجاذبية لنيوتن، تخلق دفاعاً عن إنسانية الإنسان من خلال انجذاب تبادل بين أفراد المجتمع الواحد، أي تبدأ من ممارسة الفرد لعواطفه الاشتراكية والتعاونية كقانون عام فما يقوم المجتمع ككل إلى هذا الوعي ينتج بضرورة مجتمع بشري عديم الإرهاب والتسللات الهرمية السلطوية.⁽²⁾

ومع ذلك يُرجع تشومسكي لأفكار هومبولت التي يغيب فيها الفهم الكلي للإنسان الحر الذي يبنى على الإرادة الخيرة والفطرة السليمة مستنداً بأن حقيقة هذه التفسيرات التي انحدرت من الاشتراكية الطوباوية لها سيمة الكماليات لمجتمع المثالي يقوم على العلم والعمل بتنظيم ثورات يُغلب فيها (طبقة العمال) البروليتاريا على البرجوازية لتحقيق لمجتمع تشاركي ولكن حرية الفرد و المجتمع التي أسسها فورييه على "العواطف" لم يعرج عنها هومبولت في تفسيره لليبرالية الكلاسيكية وفقاً لتشومسكي فهي بعيدة عن الواقع العقلاني من حيث الممارسة ولكنها أناركية في أصولها تلغي القيود التي تكبل الإنسان فالدولة الرأسمالية مستبدة لطاقت البشرية بمقابل الربح، وهذا جرم ضد الإنسان في الاقتصاد الليبرالي الذي يحطم الطبقة العاملة على أساس التسليع والمنافسة الحرة فإن استبعاده للدولة في إصلاح الحياة الاجتماعية، بينما تشومسكي يوافق هومبولت عليها، لأنه يتصور بأن الظروف الرأسمالية الأكثر تطرفاً واستغلالية في تقويض الوجود ذاته وليس فقط الحرية.⁽³⁾

(1) لويس عوض، دراسات في النظم و المذاهب، المرجع السابق، ص 115 .

(2) المرجع نفسه ، ص 116.

(3) Noam Chomsky. Democracy and Education ,Ibid;. p130.

في حين أن طبيعة هذا التدخل تكون مشروعة في الحياة الاجتماعية إذا ما كان للحرية تأثير أكثر فتكاً بأمن الأفراد المجتمع وهي غالباً ما يكون أساسها الاقتصاد الرأسمالي الحر الذي لا تقيدته قوة أخلاقية ولا فكرية ولهذا تكون مشكلة اغتراب العمل هي أيضاً إحدى نواتج الارتباط الحر لدى الأفراد بمؤسسات ما يخلق أشكالاً بيروقراطية في الدولة، لهذا يقف هومبولت بتحذير بليغاً للغاية ونقده لجوانب الكآبة التي تحققها بيروقراطية الطبقة البرجوازية والتي تترك وراءها مخلفات للإنسانية واضطهاد الخفي من المؤسسات القسرية ضد طبقات الأخرى الاجتماعية.⁽¹⁾

لذلك يعتبر تشومسكي أن الوضع الأصلي يتوهم بالمدينة الفاضلة مع الولاء للدولة، في مبادئ روسو يَظْهَر أثرها على الإنسان المعاصر وهي في أساسها تَكْمِلة لحجر الزاوية للتتوير المتعلق بـ فوربيه ونيوتن، الاشتراكية الإنسانية عند روسو مختلفة إلى حد ما نظراً للتناقض بين العقلانية واللاعقلانية في تنظيم الأعمال "السياسية" والاجتماعية على بنية الوعي والتفكير كونهما أساس الاشتراكية العامة للمجتمع، إلا أن روسو يرفض هذه الطوباوية للموسوعيين مستنداً بأن بارون هولباخ (1723-1789) *Baron D. Holdback*: ذاته الذي منح ماركس أساس البنية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ينفي أن تكون الاشتراكية نظرية مجردة و غير واقعية وملموسة.⁽²⁾

ولهذا يقر في مقاله "أصل التفاوت" بأن العقد أساس مؤسسات الدولة فتقويضها يجعل الإنسانية تغرق في البربرية الأولى، لكونه كأداة لتحويل الدولة القسرية والعنيفة إلى حالة من عقلانية والمجتمع إلى الحرية بمجرد قلب العاطفة مكان العقل، لأن احتكام للعقل بدون سلطة الدولة يناقض التخفيف من المشاكل المجتمع والعدالة وإزالة الهرمية يعني الهلاك للجنس البشري لأن الإنسان يعود إلى الطبيعة البربرية تكسبه الحرية احتياجاته بدون معرفته لنظام المجتمع لأن أساس التحول هو العاطفة القوة والإرادة الأخلاقية دون حاجة لعقلية حساسة من المعرفة والعقل.⁽³⁾

و بالطبع فإن هذا التغير الذي يقر به روسو لا يلقي له تشومسكي أي اهتمام بدرجة كبيرة خاصة في وجود المؤسسات الرأسمالية الصناعية على أساس أنه يصور لحرية الإنسان قانونياً واعتراف بها من الدولة كحق طبيعي بدون ممارسة العقلانية معتبراً بأن البشر وضعوا لعقولهم أولوية عن تنظيم قواعد وقوانين

(1) Ibid;. p130.

(2) Ernest Cassirer, The philosophy of the enlightenment, USA, Princeton University Press, first edition, 1951.p272.

(3) Ibid;. p273.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

طبيعية تضمن لهم الممارسة الكونية لمنفعة بكنية مشتركة وللحكومات ومؤسساتها أثر على حماية الفرد فما يظهر اللانظام من "اضطهاد وعنف للأقوياء" على الضعفاء في المجتمع أساسه ممارسة العقل في إجحاف بحق الآخرين، لأن "البرجوازية والأقلية" المالكة بالطبيعة، بينما الأغلبية لم تنظم نفسها في المؤسسات، مثل العضو المشترك، لهذا فإن التاريخ البشري يقر بأن القاعدة الصلبة لرفاهية المجتمع المدني هي المؤسسات المنقّنة.⁽¹⁾

لهذا أدرك تشومسكي افتقار "روسو" إلى المعقولة الأخلاقية، وهو الأمر الذي حول الإنسان إلى همجي يمجذ العزلة والانطواء في العيش مع ذاته ومن أجل ذاته مستدلاً بأن "هومبولت" ليس فردانيًا بدائيًا في المنهج كروسو في فهمه للحرية والطبيعة البشرية برؤية لها حدود للدولة فيما تكون فإنه يوفر الأساس لنقده للأبوية "الخيرية" في عقائد روسو التربوية من أجل إعادة اعتبار للإنسان الحر وفهمه لمهامه الاجتماعية العامة.⁽²⁾

فتفضيله للاتحاد الوطني (*national club*) ليس لأنه الشكل الذي يضبط توازناته الميكانيكية المضمنة في الدستور، أو العضوية التعاطفية التي تقيده في المجتمع عند يوهان هيردر (*Johann Herder*، أو 'الآلية' التي يتناولها ماثيو آرنولد (1822-1888) *Matthew Arnold* وروسو للشعور الإنسان بالآخرين بصفة تنازل عن حقوقه للحكومة، بل تعني ارتباطه بالحرية على أساس أن لديه الجموح للأداء الحرية في بعدها النقابي الشعبوي والفوضوي لا في تطويره للمؤسسات ذات التبعية القسرية المهيمنة على الاقتصاد والسياسة والمناقضة للثقافة الاجتماعية العامة في تقرير جوهر كرامتها لأن أي حرية لها مصيرها الأخلاقي فلا يمكن أن تتصور موتها ما إذا امتزجت مع سلطة أقوى منها.⁽³⁾

مؤكدًا تشومسكي بأنه يختزل المضمون الكامل للسياسة روسو على أنها رجعية محافظة للإنسان الغربي فهي "ستكسر جميع القيود في المجتمع البشري"، لأنها تسعى لإيجاد من الطبيعة الجديدة من علاقات الاجتماعية المتعاطفة تتضمن المواطنة العضوية بين الأفراد، ولكن تشومسكي يرى بأن همبولت لم يعي غاية

(1) جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، تر: بولس غانم، لبنان - بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، 2009، ص 56 57.

(2) Wilhelm von Humboldt, The Limits to State Action, Ibid.;. p xxxvii.

(3) Ibid.;. p xxxviii.

تبرير المركزية الرومانسية للإنسان الغربي لهذا يعارض فكرة روسو، بحجة بأن "الإنسان المعزول لا ينمو مقارنةً بالمقيد".⁽¹⁾

وعليه فإن حدود هذه الحجة هي تبرير للفوضوية فيما أنها تعلي الحرية الباطنية للأفراد بتحقيقها في الواقع و تطوير لسلطاتهم بدون إكراه الدولة، وهي مناسبة عند تشومسكي في مرحلة المجتمع الصناعي يكون تنوير موجود بالكاد في الدول الرأسمالية بشكل اجتماعي قليل فإدراك عناصره في إطار الاشتراكية التحررية بتحقيقها للحقوق الإنسانية، عكس الرومانسية التي تقر على أنهم الأحرار، ولكن محتومة بتنازل بها للدولة أو غيرها من المؤسسات السلطوية معيبة بشكل مأساوي للعالم الثالث في تعايش أفرادهم مع السلطة وأيضا مشكلة يوغوسلافيا في استغلال اليد العاملة مضافة إلى الاشتراكية الانتاج والاستهلاك في كيبوتسات إسرائيلية.⁽²⁾

من هنا يتبين بأن طريقة تشومسكي تحليلية في كشفه للقطيعة بين الرأسمالية المناقضة بدورها للاشتراكية التحررية و الطبيعة الهمجية لروسو في نطاق الدولة، فالأفراد من اليهود في المجتمعات أوروبا الغربية غالباً ما يكون اضطهادهم من مؤسسات الجشعة التي أساسها الواقع المادي ووسائل الإنتاج. لم تكن اشتراكيةً لتضمن حق اليهودي، الذي ليس لديه اعتراف في الوجود بذاته أو لحريته. فإن العزلة اليهود عن المجتمع العالمي فقدانه للإرادة العامة والتي شكلتها له الصهيونية ما بعد الثورة الرأسمالية بتأثير من الفكر الرومانسي كرد فعل للتنوير اليهود، في مجال "السياسة" و لتبرر تركز الهوية بإرادة عامة الشعب.⁽³⁾

ظل مفهوم الحرية والاشتراكية على أساس تصور روسو للديمقراطية مع العودة الرومانسية والثورية للأصول الإنسانية التي تضم للمساواة لكل البشر ولكن المسيحي يقارب تشومسكي بأن الحب للدولة هي سبباً في العودة إلى عالم ينعدم فيه القانون في عصر الرأسمالية يحول جنة روسو إلى طبيعة داروين الهمجية المتصارعة على رأس المال والأرض.⁽⁴⁾

(1) Noam Chomsky, Anthony Arnoff, Chomsky's Essentials, Ibid;. p87 .

"Chomsky says [...] that while they would break all fetters in human society, they would attempt to find as many new social bonds as possible. [...] The isolated man is no more able to develop than the one who is fettered. "

(2) Ibid;. p. 87.

(3) عبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وأزمته، المرجع السابق، ص 98.

(4) المرجع نفسه، ص 99.

وفقاً لذلك، يعتقد تشومسكي أن الاشتراكية، التي تدمر إرادة الإنسان، ليست ضماناً لليبرالية التحررية من أجل الحرية في الأنظمة الديكتاتورية والشمولية، التي لديها صلاحية التفرد بالسلطة الدولة في بعدها المادي النفعي بأخص "دولة هرتزل" التي غاياتها براغماتية بحتة للنخب الرأسمالية في قيامها على فكرة الحزب الواحد تُحْدِثُ تقاطعات مع الأدبيات الماركسية وأيدولوجيات شبيهة للرأسمالية في كيفية استغلال جهود العمالة بأقل الأجور، كلها إساءات فكرية أسبابها تناقض بين الفكر النازي والصهيوني والفاشي بتأثيرات "الثورة الفرنسية" و"النزعة الرومانسية" انحراف واضح سببه "الاشتراكية العلمية".⁽¹⁾

لهذا تشومسكي يطرح التجربة اليوغسلافية مع جوزيف تيتو (1953 - 1980) *Joseph Tito*، مثلاً على تقويض للنازية والشيوعية كاستقلالية مفرطة في مركزية السلطة والدولة ومؤسسات لملاك الثروة في تقسيم الإنتاجية دون مراعاة لمصلحة المجتمع ككل وغياب المنطق الاقتصادي بحدّة المنافسة والعجز في الإدارة الذاتية. يركز الفوضويين بأن العمال أساس لإشتراكية الواقعية فقط تتولى الإدارة الذاتية للحزب الواحد ويسيره العمال بالتعبئة من الجماهير أكثرها وعياً في استخدامها للغة الأناركية الصحيحة مع تجديدها للديمقراطية كفيروسات ذات انتشار وموجهة للعالم ككل، فآزمة الاشتراكية في العالم الثالث سببه فقدان الإدارة الذاتية للمجتمع من طرف العمال ففي (1964) تراجعت الأممية في "الجزائر" ندد عليها حسين زهوان (1935-1973) بأن الدولة ومؤسساتها تستخدم من قبل الأقلية لتحقيق أهداف رأسمالية لا علاقة لها بالاشتراكية التحررية.⁽²⁾

ثانياً: الفردانية:

يقر بها تشومسكي بأنها إحدى الممارسات للسلطوية، أي 'التوافق بين الفردية والميل الاجتماعي للمنهجية بشكل عام، بشرط أن تكون قائمة على إرادة حرة يمكن حلها دون أي إكراه سابق في المجتمع. العمل الحر الذي يستخدم الفرد في التعاون والتبادل التشاركي الإنساني وليس للأغراض العامة. يرى الليبراليون الكلاسيكيون أن الذات للفرد هي أساس الحرية للمجتمع، وتسمى "الفردانية العقلانية والسياسية". لا توجد مجتمعات خارج الأفراد الذين يصنعونها. لا توجد "مصلحة عامة" أو مصلحة جماعية خارج مصالح الأفراد الذين يؤلفونها في هذا المجتمع. إنه ضد تنازل الناس عن حريتهم للقادة في الدولة، لأنه يخاطر

(1) دانيال غيران، الأناركية من النظرية إلى التطبيق، تر: عومرية سلطاني، المرجع السابق، ص 226.

(2) المرجع نفسه، ص 227.

بالموت على يد الحكومة، لأنه يرى بأن ممارستها في غير شروطها لا ربما قد تكون شرعية مبررة للقتل السياسي والقتل الجماعي كما في الأنظمة الشيوعية مع جوزيف ستالين (1878 - 1953) *Joseph Stalin*، بول بوت بول بوت (1928 - 1998) *Pol Pot*، والنازية مع أدولف هتلر (1889 - 1945) *Adolf Hitler*.⁽¹⁾

3- التقليل من الإكراه:

وفقاً لتشومسكي تعد فكرة تقليدية أو حق أساسي من حقوق الإنسان ضمن عقيدة أساسية لليبرالية الكلاسيكية تعزز فرصة الاستفسار والإبداع بحرية بعيداً عن الإكراه الخارجي من الهياكل المؤسسية تحت تهديد القوة أو الحاجة، والتي ألهم بهذه الفكرة فيلهلم فون همبولت *Wilhelm von Humboldt* في القرن الثامن عشر على أنها ضرورية في تفسيره للاعترا ب الفرد أو العامل.⁽²⁾

كما يود الفلاسفة الليبراليين الكلاسيكيين التقليل من الإكراه بالاتفاق السلمي و تعايش الناس في ما بينهم، وعليه يدرك كل من تشومسكي و الليبراليون الكلاسيكيون بأن أي استخدام للقوة يهدد الأفراد ينبغي كبح ما يكفي من الإساءة في استخدام السلطة، أي أن أعمال الاستغلال التي تقع فظاظتها على عاتق الحكومة في احتكارها للقوة بحيث يكون تبريرها بإبقاء عن الحد الأدنى من السلطات الدولة؛ عموماً يؤكد اليسار السياسي الليبرالي مع (تشومسكي) بأن المرء يتقيد بالحرية الأخلاقية والإنسانية كمصدر لاختياره لأي سبب وجيه للإكراه بالقوة، ويجب على أي إنسان أن يبرر تقييده لحرية الآخرين في فرضه لإرادته عليهم؛ لأنه عبء يقع على كاهله؛ وإن تكن لديه أدنى حجة للقيام بذلك، فإن حرية اختيار أي فرد لحيته هي قانون يعلو على الجميع ضمن العقيدة التشومسكية والليبرالية الكلاسيكية.⁽³⁾

4- التسامح:

هو القيمة الإنسانية والضرورية عند تشومسكي وبالأساس الليبراليين الكلاسيكيين ما يعني توقعات الفرد لعالمه المشترك مع الآخر، ودوافعه السخية والبناءة، يتم ممارستها كأداة أو وسيلة لتقويض الجشع الدولي للعلاقات السياسية في العالم. إنه القيمة الجوهرية التي تنعش المجتمع البشري يتضمن مبادئ الحرية فيما

(1) Eamonn Butler, Classical liberalism a Primer, Ibid;.. p 45.

(2) Noam Chomsky, Bray Bertmirn, Chomsky on Anarchism, Scotland, USA, University of Edinburgh, Oakland, and West Virginia Publishers, 1st Edition, 2005.. p 173.

(3) Eamonn Butler, Ibid;.. p 5 6.

يكون التسامح أهمها ممارسة لدى الفرد وسيادة العقل على الإرادة و يجمع تشومسكي، على طريقة جون لوك (1632 - 1704) *John Locke*، بين التسامح الأساسي الذي يخلق ذلك الحفاظ على البيئة بينما تتاح لجميع الأفراد الفرصة لإدراك قوتهم الإبداعية فيما يتعلق بضعف التنوع العالمي. وأيضاً بين قيمة التسامح في عيبيها الآخر. إذا كان شكلاً من أشكال الشرعية المفرطة والالتزام العميق، فيجب على العدالة أن تفرق بين التسامح الحقيقي والتسامح مع الحرية.⁽¹⁾

ويعتبر التسامح الدائم ميزة العقيدة الليبرالية الكلاسيكية - أو الوحيد - في تعامل جميع الأفراد على طريقة جون ستيوارت مل (1806 - 1873) *John Stuart Mill*، أي يكون التدخل به هو منع تهديد الآخرين من إلحاق الأذى بحرية الناس لا يعتقد الليبراليين الكلاسيكيين بوجوب الاستنكار تقييداً لأفعال الأفراد المجتمع إذا كانوا مسيئين، على سبيل المثال، يجادل الليبراليون الكلاسيكيون بأن الأفراد يجب أن يكونوا أحراراً في التجمع ضمن النقابات أو الجمعيات أو الأحزاب السياسية، أو تحويل الدين فهذا من الحرية الإنسانية أو المتاجرة بالسلع والخدمات حتى لو لم يتم استخدامها من قبل بعض الأشخاص في أنشطة غير مسيئة.⁽²⁾ فقد لا تتم الموافقة عليها من قبل بعض الأفراد الآخرين ولكن يتم تضمينها بشكل صحيح في العقيدة الكلاسيكية، على سبيل النقيض الحرية والاختلاف في ممارسة التابوهات (مثل الجنسية والمخدرات) التي قد تكون - وفقاً لتشومسكي - أنها ليست جيدة في حد ذاتها وغير سارة للآخرين، ولكن الليبراليين الكلاسيكيين يشككون في ممارسات المثالية لدرجة أنهم لا يستطيعون تقويض هذه الاختلافات بشكل أساسي. سيظل التسامح والاحترام المتبادل سلوكاً للحياة الاجتماعية وجزءاً ضرورياً دائماً في خلق مجتمع يسوده التعاون السلمي بشكل جيد.⁽³⁾

5- الحكومة المحدودة (التمثيلية):

يقوم هذا المبدأ من وجهة نظر الليبراليين الكلاسيكيين بأن أي دولة مهما تكن فهي صادقة إلى حد ما بينما طبيعة الممارسة الفاسدة تكن غالباً مسبقة بأخطاء الآخرين، فتدخل الدولة بمثابة المنع لممارسة القوة والإكراه ضد الأفراد غير السياسيين ومع ذلك يتفق بعض الفلاسفة الليبراليين الكلاسيكيين بأن القوة لا تمارس

(1) Noam Chomsky: Marv Waterstone, Consequences of Capitalism: Manufacturing Discontent and Resistance, Oakland, CA, Library of Congress Publishing Cataloging Data, 1st ed., 2020.p140.

(2) Eamonn Butler. Classical liberalism a Primer, Ibid;,. p6.

(3) Ibid;,. p7.

إلا إذا ما ارتبطت بالسلطات والتي بينها وبين الدولة المصلحة العامة، وهي العلاقة المحددة و الهرمية في الواقع، تُبرزُ للأفراد المجتمع مدى ممارسة السلطة فيما يحقق للديمقراطية التشاركية على غرار المصالح الفردية للسياسيين.⁽¹⁾

ولكن بين جون لوك (1632-1704)، بأن ممارسة البريطانية للسلطة أساسها مشاركة الدولة لأفرادها الحرية، فيما تكون الممارسة الأمريكية مع توماس بين (1737 - 1809) *Thomas Paine*، هو شرعية تحقيق الثقة في توسيع تلك الحرية، لأن الليبراليون الكلاسيكيون يعتقدون بأن حدود الممارسة للحكومة مرهونة بحقوق المواطنين والإطاحة بها ما إذا عبر الساسة عن تلك الحقوق من غير الثقة، ولهذا يكون لدى الأفراد الوعي وأداء الكامل للديمقراطية الصحيحة، ما يعني أن الثورة ضد الحكومة تكون بعيدة الممارسة طالما يرى الليبراليين الكلاسيكيين أن الديمقراطية التمثيلية والدستورية هي المنهجية المكتشفة إلى حد الآن لمساءلة المُشرّع أمام الشعب.⁽²⁾

ومع ذلك يعلق تشومسكي خلافاً لليبراليين الكلاسيكيين على من هم في السلطة يظهرون تصور آخر جديد في الحكومة ألا وهو "التكنوقراط" بحيث تكون الحقوق والقرارات والثقة وحرية الأفراد في أيدي ممثلي كبار من المستشارين والاستثمار والشركات الكبرى وهنا أساس الصراع والخروج على التقليد الفكري الكلاسيكي نظراً لأنهم يسيطرون على المجتمع المحلي، فهم يوجهونه نحو "السياسات" لا تحظى بقليل من المساءلة العامة أو حتى التظاهر بالديمقراطية التمثيلية والدستورية في شكلها الحقيقي والكلاسيكي.⁽³⁾

6- سيادة القانون :

قد أيدَ غالبية الليبراليين الكلاسيكيين هذا المبدأ كأحد المبادئ التزاماً في ظل ممارسة الدول الحديثة للسلطة كونه الواجب أخلاقي وإنساني في تعزيز للمساواة والأمن داخل الحكومات والأنظمة السياسية وتقويضه للفساد السياسي، ما يصف به بعض فلاسفة التنوير أمثال مونتسكيو (1689-1755) *Montesquieu*، وكذا الآباء المؤسسون للولايات المتحدة أمثال جون آدامز (1735-1826) *John*

(1) Ibid; p8.

(2) Eamonn Butler, Ibid; p8.

(3) Peter Wilkin, Noam Chomsky: On Power, Knowledge, and Human Nature, Ibid; .p 112.

“Chomsky says: the obvious ,top advisors and decision-making positions relating to international affairs are heavily concentrated in the hands of representative of major corporations, banks, investment firms, the few law firms that cater to corporate interests, and the technocratic and policy-oriented intellectuals[...] that govern most aspects of our lives with little pretence of public accountability“.

Adams السلطة التي تحكم بقوانين تعسفية معروفة لعامة الشعب، يتوجب حملها على المبدأ القائل : «بأن سيادة القانون هي حكومة القوانين، وليست حكومة الرجال والأقليات السياسية». (1)

ثمة شرط جوهري يصر عليه الفلاسفة الليبراليون الكلاسيكيون في ممارسة "مبدأ سيادة القانون" ألا وهي "العمومية" في الحكم ينبغي أن يُطبَّق على أساس المُساواة بمقتضى نُظُم العدالة والحتمية على الجميع دون تدخل للعاطفة أو اللغة أو الدين أو العرق وبغض النظر إلى غايات أخرى ذات صلة في استخدام القانون لمصلحة الذاتية من المسؤولين أو الحكوميين أو الدولة، كنتيجة لعقلانية الكلاسيكية يكون هذا المبدأ بمثابة الإرادة الكلية التي تحمي الإغلاء بين الأفراد سوى كانوا من (النبلاء والملوك) أو من (العامة والفقير) لا ينبغي للتعالي القانون أن يعلى عليه، لأنه ضرورة واجبة الوجود في جعل الحياة أكثر قابلية للاعتراف والتشارك بين العامة والساسة في كيفية التصرف والفعل ؛ وبذلك يكون التنبؤ للمجتمع الإنساني استباقية لنزوات الآخرين تُمكن وضع خطط طويلة الأمد دون الخوف من إخفاقات مستقبلية. (2)

ولكن المثير للأسف عند تشومسكي بأن التتوير الجديد يمارس السلطة على أنقاض سيادة القانون تطبيقاً لمسؤولية حماية الأفراد من الآخرين ينعكس هذا في البنية التركيبية، إلى تدخل المسؤولين أو الحكوميين في ازدياد القانون الدولي ضمن غايات شخصية ؛ ولا ربما منطلق تشومسكي هو إعادة تقييد الدولة الأمريكية والليبراليين فيها أمثال (ريغان وبوش) على أن مبدأ سيادة القانون لا يعني حق العمل من طرف وحدة بها أطراف متعددة لأنه قد يكون الضربة الحاسمة لنهاية الجنس البشري لأن الوحدة متناقضة لسيادة القانون قابلة للتخريب. (3)

7-النظام التلقائي:

يؤمن الليبراليين الكلاسيكيين بأن النظام الاجتماعي ليس بحاجة إلى دولة ذات سلطة كبيرة وقوية لإدارته فهم لا يتقيدون بمركزية الحكومة كأساس لتنظيم المجتمع البشري وفق شاكلة معينة و مهندسة من طرف السياسيين أو المسؤولين عن المؤسسات الاجتماعية ؛ لأنهم يدركون بأن هذا المبدأ للممارسة "السياسية" محكم تلقائياً بالبنية الاجتماعية يكونها مجموعة من الأفراد الأحرار وتعمل ببساطة في العلاقات البينية مثل

(1) Eamonn Butler, Classical liberalism a Primer, Ibid, p8.

(2) Ibid, p9 .

(3) جمال سند السويدي، آفاق العصر الأمريكي: السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد، الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية للنشر والتوزيع، ط1، 2014، ص 236.

الواعي، الإنتاج اللغوي، أو الثقافة و العادات، أو العلاقات التبادلية في السوق الحر (السلع والخدمات). ؛ كما لاحظ فريدريش هايك (1899-1992) Friedrich Hayek، بأن تلك المؤسسات التي تقتخر بها الدولة هي نتاج الفعل و الممارسة البشرية، وليست نتاج التصميم البشري، فمن البدهة أن يدرك كل فرد بعقله بنائه الاجتماعي دون الحاجة إلى تعزيز وحماية من أنظمة أو مؤسسة يتبعها.⁽¹⁾

يتفق هذا المبدأ مع ديمقراطية ألكسيس دو توكفيل (1805-1859) Alexis de Tocqueville وحرية جون ستيوارت ميل (1806-1873) John Stuart Mill بوصفه معطى أولي للثقافة والحق والقانون والحرية لدى الأفراد و لديه بعدٌ عملي ينظم أغلبية الجماهير وفق ما يعرف بالفضاء العام وتداولية الديمقراطية يتم فيها الحد من تمركز الدولة والسلطة ضد الأفراد، فمقابل لآلية الدولة يطور فلاسفة التنوير أمثال : يوهان غوته (1749 - 1832) Johann Goethe، إيمانويل كانط (1724-1804) Immanuel Kant، وهومبولت، مبدأ التنظيم الذاتي دافعاً عن العقل الجمعي من أي سيطرة أو تقييد أو وصاية من الدولة.⁽²⁾

لأن هذا المبدأ يعمل أيضاً وفقاً لقواعد محددة إذا تم ممارسته على أساس الإرادة السياسية للحكومة، حيث تكون الممارسة بمثابة ملحق مماثل للطبقات البرجوازية الصغيرة التي تستمد حيويتها من الأبوية لروسو والامتثالية لهوبز (1588 - 1679) Thomas Hobbes؛ كما هو الوضع في الليبرالية الأمريكية (مع المحافظين الجدد)؛ وعليه يلاحظ كارل شميت (1888 - 1985) Carl Schmidt، بأن احتكار العقل لفعالية هذا المبدأ هو يضمن للنخب مصالحها البراغماتية، في حين يعيد هابرماس (1929) Jürgen Habermas، التنوير من جديد لمبدأ النظام التلقائي على منهج الليبراليين الكلاسيكيين بمجرد قلب للإرادة السياسية إلى الإرادة العامة والتي تتعارض مع هذه الممارسة في المجتمع المدني بتقويضها للأنظمة الوصاية والأشكال المصطنعة برلمانياً والتي لا معنى لها بمبادئ الديمقراطية والحرية الإنسانية لأنها مجهولة الهوية.⁽³⁾

(1) Eamonn Butler: Classical liberalism a Primer, Ibid; p9 .

(2) غيوم سيبرتان بلان، الفلسفة السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين، تر: عز الدين الخطابي، بيروت - لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص 222 223.

(3) Bjarne Malevich: Habermas, Law and Deliberative Democracy, Canada, Laval University Press, fourth edition, 2010.p 98 99.

وبعبارة أخرى يُشكّل، هذا المبدأ بالنسبة "لتشومسكي" زاوية الانعكاس المنهجي للتأليف الفردي إلى المشاركة المتساوية للجميع في صنع الثقافة والإبداع؛ لأنه مبدأ تحرري يقوم على إمكانية التفكير ويتم بناؤه على قيم "الأناركية" مثل، التعاون الخلاق، المساعدة المتبادلة، تقاسم المهارات؛ لكونه أحد الممارسات التي يشار فيها إلى الهوية التي تربط المرء بالتأليف الجماعي يتحدى الغرب هذا المبدأ لأنه اعتراف صريح بمبادئ معاكسة للشركات والمؤسسات الرأسمالية التي يعمل فيها الإعلام على تنظيم غير تلقائي في بناءه لهوية المجتمع "السياسي" على معتقدات فاسقة و لهذا اتخذت الأناركية هذا المنهج كقانون للتشكيك في الروابط والأبنية الاجتماعية الناشئة عن جماعية مادية متصلة "سياسياً" بالممارسة مستعارة و ذات طابع منفرد ومتحدية للطبيعة النظام التلقائي في المجتمعات لكونه يؤدي إلى تصميم اجتماعي و حوار تشاركي بين أفراد "المجتمع المدني".⁽¹⁾

8- الملكية والتجارة والأسواق:

يشير الليبراليين الكلاسيكيين إلى أن أي النظام الاقتصادي يزدهر و يتطور بناءً على النظام التلقائي الاجتماعي بين الأفراد دون الحاجة إلى الحكومات أو الدولة في تنظيم و توزيع الثروة أو إحداثها ما يُمكن الأفراد من إنشاء نظام اجتماعي حر يحقق المكاسب؛ وما يواليها من الاحترام المتبادل للحريات، و بواسطة هذا المبدأ يَخْلُقُ الأفراد في ما بينهم نشاط طوعي و اقتصادي يَحِقُّ للمرء فيه أن يُقاوم أي حيازة غير ذاتية ترتبط بالقوة و استغلال لممتلكاته..⁽²⁾

فغالباً ما تكون الملكية الفردية مستلبة بفعل القيود السلطوية؛ فإذا ما تم تدخل الدولة فمن الواجب حماية الأفراد في حدود احترام للملكية؛ لكونها العلة الفاعلة والمحركة لاقتصاد السوق الحر؛ مما يتيح الحرية في مزاوله أي نشاط تجاري أو تنظيمي للعقود التشارك بصفة قانونية مبنية على أساس التوازن القيمي بين رأس المال والسلع والخدمات؛ سيؤدي دوره في تحقيق الرفاهية الاجتماعية بدون الإضرار بالمبادئ الأخلاقية للاقتصاد العام للمجتمع أو العالمي؛ ومع ذلك تكون أسس العقيدة الليبرالية الكلاسيكية في محاربة تدخل

(1) Benjamin Franks, Nathan John and Leonard Williams, Anarchism A Conceptual Approach, America - New York, Routledge Taylor & Francis Media Publishing Company, 1st edition, 2018.p. 209 210.

(2) Eamonn Butler: Classical liberalism a Primer, Ibid; p.10

الدولة هي في نهاية المطاف أسس للتيار الأناركي القائل بمبادئ التعاونية والتشاركية في إعادة التوزيع للثروة البشرية بمقتضى الموازنة بين المادة والحرية الإنسانية.⁽¹⁾

ومع ذلك ارتبطت الفلسفات الطبيعية (روسو، لوك، هوبز) مع الاقتصاديين التحرريين (آدم سميث، همبولت، ماركس) وكذا الأناركيين (برودون، باكونين، روكر)، مع هذا المبدأ دفاعاً عن القيم الليبرالية الكلاسيكية والحرية الاقتصادية ؛ بحيث تمثل فلسفة فون هايك (1899-1992) *Von Hayek*، الألمانية احتواء لهذه الفلسفات ؛ فهي تُنظّم المجتمعات والأفراد بشكل صحيح على أساس من الاعتراف بالحقوق و الممارسات والمساواة بين جميع الأفراد دون غياب الدولة و إجراءاتها الحكومية بل تعد استحضارها شرط أساسي.⁽²⁾

لكونه يرى ما من حرية لأي نشاط اقتصادي أو اجتماعي إلا بموجب القانون، ولهذا إقبالها على تبني السوق الحرة مستمدة من الاندماج والمزاوجة بين مبادئ الطبيعيين والتحرريين؛ معتقداً بأن الحكومة متوافقة مع حرية أي فرد وليس بالإكراه عليه مستدلاً على ذلك بفكرة الأداء السليم للمبدأ يشترط وجود فقط السلطة النشطة، والتي بدورها تقوم على منع العنف والاحتيايل ضد الأفراد وإنفاذ العقود وحماية الممتلكات.⁽³⁾

وقد لاقى هذا المبدأ مع هايك إجماعاً بالحرية مع تقليل من نفوذ الدولة لغرض الأغلبية التشاركية ؟!!، طالما أن الممارسة للسوق الحر متأتية من تفاهم سياسي واقتصادي يتخذ ميلتون فريدمان (1912-2006) *Milton Friedman*، هذا المبدأ على أساس الحرية المطلقة الاقتصادية تقلل من دور الدولة نهائياً معتبراً أن مشكلة الرفاهية للمجتمع لا تقتصر على الأداء الرأسمالية وإنما يقتصر على ترتيب وتنسيق بين طبقات المجتمع فتدخل الحكومي يعطي توجيه الثروة إلى جهات مركزية في السياسة مثل الجيش والدولة.⁽⁴⁾

وهذا لا يعطي نموذج منظم للمجتمع يكون فيه الأفراد أكثر مطلقيه دون أي إكراه خارجي فالتنظيم عادة ما يكون ضرورياً في مجتمعات الرجعية وبأخص (الولايات المتحدة الأمريكية) لأنها مجتمع لأكثر حرية للأفراد بدون أن تعمم على الأغلبية، ما يعني له أن الحرية الاقتصادية لم تغطي على الحرية السياسية بحيث

(1) Ibid; p10.

(2) Robert Leeson, Hayek: A Collaborative Biography Part Fourteen: Liberalism in the Classical Tradition: Orwell, Popper, Humboldt, and Polanyi, CA - USA, Tess Palgrave Macmillan and Stanford University Publishing and Distribution, 1st ed., 2018.p. 266.

(3) Ibid; p 266.

(4) ميلتون فريدمان، الرأسمالية والحرية، تر: مروة عبد الفتاح شحاتة، القاهرة - مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة للنشر، ط2، 2014، ص 30.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

يشترط بمبدأ تقسيم العمل وخصخصة الوظائف ضمن الأغلبية في مؤسسات غير حكومية مع الفاعلية الاستهلاكية، واستغلال الفرص والمواد المتاحة من الأغلبية يكون أساسها التبادل الطوعي على شكل هرمي ذي طبقات بها الأسر مستقلة عن دولة تتبادل السلع والخدمات مع القطاع الخاص بفعل التكنولوجيا والمقايضة والمنافسة بحيث يتم توفير من الطبقة المنتجة إلى طبقات الأخرى يكون العامة أكثر استفادة من الأقلية.⁽¹⁾

وعلى الرغم من أن تشومسكي لا سلطوي إلا أنه يرى بأن الحرية الاقتصادية التي أشاد بها ميلتون فريدمان قد يكون مرغوباً فيها بالنسبة للأناركيين لأنها تشير إلى إلغاء سلطة الدولة وممارسة التبادلية والتعاونية و لكنها من حيث المبدأ مؤيدة للخدمات الاحتياطي الفيدرالي المركزي (للولايات المتحدة الأمريكية) بشكل عام، لأنها تقضي بالتأييد للنزعة الروسية، بأن يكون احتكار حكومي وليس بنكاً مخصصاً للأثرياء طالما أن الخصخصة الشركات الصغيرة وإدارة الأعمال من الملكية الخاصة للأفراد بينما حريتها تكتسبها من الدولة لأن الكونجرس يقتصر على إدارة المركزية الاقتصادية دون التدخل في "السلطة السياسية" والتي تمثل دافعاً خفياً وأكثر اشتراكية بالنسبة للتمويل العام لصالح الطبقة البلوتوقراطية بينما لا تندمج هذه الطبقة الحاكمة في أدبيات السوق الحر أو تقيداً بقواعد التجارية السميثية وإنما لها ديناميكية تعاقدية داخل السوق الرأسمالي يتحكم فيه (الأسعار، فائض القيمة).⁽²⁾

وعلاوة على ذلك، فإن المنافسة في السوق الرأسمالية معزولة عن سيطرة الدولة، يفضي إلى السيولة بدون القدرة الاستهلاكية المماثلة داخل الدولة بفعل الحرية المطلقة والمنحرفة للطبقة البيروقراطيين وهذا نتيجة الكتلة النقدية مقروضة للشركات الكبيرة التي تتجاوز مركزيتها مركزية الدولة. لهذا يفضل تشومسكي أن تكون "الدولة فاضلة" دون خروج عن هذا المبدأ في ممارسة العمالة وتأثيراتها التداولية في شبكة تعاونية عالمياً وهذا أساساً تقترحه الماركسية للتجاوز الرأسمالية، إلا أن العجز البروليتاري سببه تدخل الدولة في توجيه رأس المال العام إلى طبقة الحاكمة بدون التقيد بأدبيات التجارة الحرة.⁽³⁾

(1) ميلتون فريدمان، الرأسمالية والحرية، المرجع السابق، ص 30.

(2) Ellen Frankel- Pool et al., Fred D. Miller, Jr. and Jeffrey Poole, Problems of Market Liberalism, United States of America, Cambridge University Journalists Association, Part 2, first edition, 1998, p. 319.

(3) Ibid; p. 320.

9- المجتمع المدني :

يؤكد الليبراليون الكلاسيكيون على قيمة التفاهم المتبادل بين الأفراد كأساس للمجتمع المدني لأنهم يدركون أن طبيعة الإنسان تخضع بطبيعتها لقوانين الإجماع، التي يرتبط ظهورها بفلسفات سقراط (470 ق.م - 399 ق.م) *Socrates*، و أفلاطون (427 ق.م - 347 ق.م) *Plato* وأرسطو (384 ق.م - 322 ق.م) *Aristotle*، بحيث تكون حيوانات اجتماعية. التي لا يمكن أن تتجاوز التنظيم والمواطنة والتعايش والمساواة، لأنها تشكل قيمتها الوجودية والبشرية في هذه العلاقة الدائمة المتبادلة مع بعضها البعض ما دون سوى ذلك الإدراك للعلاقة، يمكن تسميته بالطبيعة المتوحشة أو التفرّد بالالهوية فهي تلبي احتياجاتها داخل الحكومة أو الدولة من مجموعات الخيرية و الجمعيات التطوعية كغايات للإنسانية تشكل فيها الثقافة والقيم والأفعال المتداولة بين الأفراد الجنس البشري.⁽¹⁾

في المؤسسات والنقابات والمدارس والكنائس والقطاعات الإعلام ،في شبكة كثيفة والتي تعرف بالمجتمع المدني ،يكون التعاون والحرية والتنظيم العقلاني الديناميكية للبنية الداخلية للمجتمع ؛إذا ما تم إخلاء التوازن بين المكونات المجتمع المدني بإعدام النقابات من الممارسة الاجتماعية مثلاً ،يؤدي هذا إلى تفاوت بين الأفراد بصفة معقدة وكذا تعمم خطورتها بين الدوائر المتقاطعة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً داخل المجتمع المدني، بحيث يكون من الهين للحكومات الاستبدادية أو للأقلية المالكة التحكم في الرأي العام ؛لأن بدائل العمل السياسي تكون ممكنة بفعل النقابات والجمعيات التي تمثل قوة المقاومة عن الصالح العام.⁽²⁾

وبحسب التداخل بين حماية حقوق الإنسان وأنانية المصالح الاقتصادية للأفراد يكون المجتمع المدني مقابلاً للتفكير السياسي لدى جون لوك (1632 - 1704) *John Locke*، وفلاسفة العقد الاجتماعي توماس هوبز (1588 - 1679) *Thomas Hobbes* وروسو (1712 - 1788) *Rousseau*؛ بمثابة السلطة التي تضمن ذلك الاتفاق الكلي للقوانين المشتركة عند البشر على نقيض العودة إلى البربرية، ولكن الوضع الأصلي يعج بعقلانية الفكرية دون أي جدوى ،لأن الحرية السلطوية حبيسة أنساق اللاهوتية ،ومع بزوغ الهيغلية والمادية الماركسية انعطف ذلك على المجتمع المدني حيث تكون الدولة وسيلة تقسيم الأفراد وفق أخلاقيات والقوانين والتنظيمات منفذة للغاية المشتركة تكمن في العمل على الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية

(1) Eamonn Butler: Classical liberalism a Primer, Ibid; p11 .

(2) Ibid;. p11.

للمجتمع تشمله تناقضات على قوى الإنتاج التي تقودها البنى التحتية لتشكيل البنى الفوقية؛ ولهذا يكون استقرار على سلطة الدولة وتدخلها في المجتمع المدني الكلاسيكي انحراف تماماً لما في المجتمع المدني المعاصر.⁽¹⁾

بحيث تكون الغرامشية مرحلة إعادة التثبيت لركائز المجتمع المدني على أساس البنى الفوقية والمبادئ القانونية والإنسانية بتفكيك الأنظمة المتصارعة ما بعد الماركسية إلى إيديولوجيات وقطاعات المهيمنة والتي بأساس تحتوي على طبقات المثقفة أكثرها ممارسة في بيروقراطية الدولة وطغيان الطبقات الحاكمة التقليدية التي يصفها بينيديتو كروتشه (1866-1952)، *Benedetto Croce*، على أنها مناقضة للدين في صراع دائم لا ينفك عن التناقض الذي تديره الليبرالية السياسية والاقتصادية ضد المجتمع المدني.⁽²⁾

لأن أنطونيو غرامشي (1891-1937)، *Antonio Gramsci*، يدرك بأن ضعف الليبرالية هو انفصال الأدوات التنقيفية للمجتمع المدني فيما تكون البيروقراطية أكثر ارتباطاً بالحكومة في سيطرة على القوى الشعبية وحريتها بممارسة متطرفة في القضاء والبرلمان والأحزاب الانتخابية أحال ذلك ظهور الرأسمالية وأشكالها التعسفية فيما تكون الطبقة المثقفة الصلة بين المجتمع المدني والسياسي بينما تكون الطبقة العاملة أكثر انسجاماً مع مؤسسات المجتمع المدني لتحقيق الاشتراكية التحررية.⁽³⁾

ولكن مع انهيار الأنظمة السلطوية والإيديولوجيات الشمولية المنحرفة عن الماركسية انحل المجتمع المدني مع الفلسفة الهنتغتونية إلى الليبراليات والأنظمة متباينة الأنساب في أشكالها الحزبية والتعددية، إذن لم تعد الديمقراطية الأفراد ملائمة لحریتهم أو ضرب من الطبيعة الكلاسيكية والتي تمثل جوهر الحقوق المدنية ورؤى العدالة التوزيعية والمساواة الطبيعية بين الأفراد والمؤسسات الديمقراطية. فلا يوجد خلاف مع جون رولز (1921 - 2002)، *John Rawls*، في تنظيم المجتمع المدني على المبادئ التي ينتخبونها الأفراد إذا ما كانت ضرورية للمجتمع المدني تستمد إخلاصها وولاءها من أجل المنفعة المتبادلة للجميع، كما يرى ديفيد هيوم، (1711 - 1776)، *David Hume*، أو بتفاوت الأفراد مع الآخرين وفقاً للتعاقدية جون لوك

(1) أحمد عبد الحليم عطية، الفلسفة والمجتمع المدني: نصوص فلسفية لجون لوك ورسالة في الحكومة المدنية، مصر - القاهرة، دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع، ط4، 2007، ص 18 19.

(2) أنطونيو غرامشي، كراسات السجن، تر: عادل غنيم، المرجع السابق، ص 258.

(3) المرجع نفسه، ص 259.

على أساس الملكية الاجتماعية للموارد الاقتصادية، فكلها تكون موحدة تحت القانون والإنصاف والتعاون بين الأفراد الذين يتشاركون المصلحة.⁽¹⁾

فالرولزية، لم يقتصر مبدؤها على إخراج الليبرالية الكلاسيكية من المآزق التي تهاوت فيها، لكن السبب في ذلك كان بسبب الإخفاقات في فهم المجتمع المدني نفسه. في دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، أدت الحركات الرأسمالية إلى تفكيك الشيوعية كواحد من أكثر الأنظمة استبداداً، بينما استغل المحافظون الجدد الحرية السلبية كآليات حماية للنخب الرأسمالية لممارسة السياسة، دون معارضة من الفلسفات التي تهدف إلى إحياء الليبرالية الكلاسيكية، وما تبقى من تهديد للحركات الاجتماعية التي تتنادى بالديمقراطية التعاونية والجماعية في حماية البيئة من الأسلحة النووية والدفاع عن حقوق المجتمع المدني مثل حق المرأة وحق السلام.⁽²⁾

ولكن تشومسكي ينظر إلى أن هناك نشاط سياسي محايد منطقياً وغير مقبول لدى المحافظين؛ يطلق عليه "العمل الخفي" فإذا ما تعلق الأمر بأزمة الديمقراطية؛ فإن تصور "جون رولز" للعدالة كأساس المجتمع المدني هو يحتوي على تناقض كما سبق وأن بدأ له ظاهرياً في الكلاسيكية النفعية مع لوك بين تأرجح الممارسة "للسياسة" على مستوى الفردي ومرة أخرى على مستوى الجماعي، مما يعني لدى تشومسكي أنه توجد تناقضات في قانون هوية الوكيل وليس في سلطة الدولة؛ وهذا يبدو ظاهرياً في "الولايات المتحدة الأمريكية"، فإذا كان الوكيل مرتبطاً بالمجتمع السياسي، فإن اعتبار الدولة وظيفة رمزية هي ممارسة الإكراه والسيطرة على حرية الأفراد المعارضين ومحايدين للأيديولوجيا المتداولة من طرف النخبة، بينما يشار قانونياً للوكيل الخفي بأنه يمثل المجتمع المدني الذي يضم الأفراد ومشغلي الدولة من رجال الأعمال والقانون والصحافة.⁽³⁾

ومع ذلك يؤكد تشومسكي بأن المنفعة هي قانون الذي يحرك هذه العلاقة فيما تكون الدولة نعمة لمصالح المحافظين وفيما تكون نقمة على رجال الأعمال والشركات الخاضعة لهم، وطبقاً لجذلية لوك في شقها الفردي يرغب المحافظين في أن تكون الدولة حماية وحمائية بممتلكاتهم الاقتصادية ومصالحهم السياسية في

(1) جون رولز، نظرية في العدالة، تر: ليلي الطويل، دمشق، هيئة العامة السورية للكتاب، ص 63 64.

(2) أحمد عبد الحليم عطية، المرجع السابق، ص 21.

(3) Noam Chomsky, Language and Politics: Canada, Black Rose Box Publisher, first edition, 2017, p. 328.

المنافسة والأسواق الخارجية؛ بينما في شقها الجماعي تقع حتمية تقليص وتقييد تشاركية الدولة مع المواطنين في تعزيز الحرية والرعاية الاجتماعية حكر بالسلطة لتلبية الثروة مع منح الأفراد المجتمع الحرية السلبية.⁽¹⁾ وعليه يبين تشومسكي على نقبض الرولزية بأن ممارسة القانون في ظل هذا التآرجح السياسي يمدد الدولة في خدمة الغايات النخبوية على غرار المصلحة الاجتماعية للأفراد، لكونه يؤكد من المستحيل أن تجمع الدولة بين المبدئين المتناقضين. ؛ وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية فهي واحدة من المجتمعات الرأسمالية التي ليس من البساطة التمييز فيها المجتمع المدني على الدولة من ناحية الممارستية تعمل الدولة على إخضاع الأغلبية لصالح الأقلية ويقتصر ذلك بفبركة سرية داخل منظمات المجتمع المدني إن هذا التدخل غير واضح للمواطنين هو مصدر للإكراه والهيمنة والاستفزاز بالمجتمع بشرعية قانونية مفبركة بعيدة كل البعد عن المبادئ والقيم الليبرالية الكلاسيكية في مفهومها للمجتمع المدني.⁽²⁾

10- القيم الإنسانية المشتركة:

يعتقد الليبراليون الكلاسيكيون أن إنسانية الإنسان تقوم على القيم التشاركية كونها بديلاً لحمل الناس على المنفعة المتبادلة. هذا هو السبب في أنهم يضعون المبادئ الأساسية المتوافقة مع إمكانيات الممارسة البشرية، مثل الحرية والملكية والقانون. إنهم يدركون أن هذه المبادئ هي الأساس لتحقيق الرضا الاجتماعي الذي تقدمه النبضات العفوية والمتعلقة بالاعتبارات الأخلاقية المتبادلة للاحترام والاعتدال والتسامح والتعاون لتحقيق أهداف طوعية بين الناس الأحرار.⁽³⁾

بحيث يفضل الليبراليون الكلاسيكيون من ناحية الممارسة السياسية تكوين حرية الشعوب في التعبير، وتنظيم النقابات والجمعيات وهذا مظهر يجعل السلطة تتنازل بسيادة القانون للملكية الجماعية بدون أي فرض للقيود على الدولة، لأن الأقلية من الحكام والسياسيين لا تتمتع بالسلطة الإلهية على الآخرين، أو أكثرهم قداسة؛ مما يمنع هذه الصفوة في أن تمارس السلطة بطرق من الأذى والاستبداد وإلحاق الألم بالآخرين. وذلك يؤكد الليبراليون إلى أن قواعد المجتمع الجيد مدعوة من الأفراد ولا يمكن أن تكون قاصرة عن الإتيقيا البشرية، بل تتجاوز حدودها إلى الأكثر من التعاون والتعايش السلمي للأفراد المهتمين بمتابعة

(1) Ibid.; p329.

(2) Ibid.; p329.

(3) Eamonn Butler: Classical liberalism a Primer ,Ibid.; p11.

للمصلحة الأنانية على غرار الإتيقيا الجماعية. لذا فهم يتفقون على نظام القانون في ظل المساواة والحرية، والعدالة تديره الثقة في الأمور التي يحدث بها تقابل للذات مع الآخرين، فيما يدفع أي محاولة توجيهه إيذاء إلى الذات العامة.⁽¹⁾

ومع ذلك يؤكد الليبراليون الكلاسيكيون من ناحية الاقتصادية على الملكية الفردية الحرة لوسائل الإنتاج والتبادل السلع ورأس المال بحيث تكون هذه الحرية الدافع الذي يجعل الأفراد يدافعون عن خاصية الاحتفاظ بالضرائب لما هو ضروري وتحديد وتوزيع مردوديته المالية على عامة الناس؛ لأنه إذ لم تكن المصلحة الفردية نزيهة لصالح العام، لا يمكن للعامة الناس أن يتصور طرقاً أخرى التي يوفرها السوق في تبادل السلع بدرجة أكبر وتحقيق للرفاهية الاجتماعية الكاملة.⁽²⁾

لهذا فإن الليبرالية الكلاسيكية أساسها الحقيقي، هو تحقيق الوعي الذاتي الفردي لخدمة الصالح العام فهي بعيدة كل البعد عن أن تكون الأنانية الكاريكاتورية لمقولة سميت الشائعة، "دعه يعمل فقط"، فهي منقوصة العدالة التوزيعية و الاجتماعية على سبيل المثال، إذ لم تحتوي في شقها الآخر "دعه يمر" لأن العدالة الاجتماعية أساسها الممارسة الاقتصادية الحقيقية التي تقوم على العفوية و الحرية؛ فهي معقدة للغاية ما لم يدرك كل فرد مصلحته الذاتية على أنها لصالح العامة لأن دور مؤسسات الإنصاف تتطلب جهوداً مستمرة وغفيرة للحفاظ على الحياة الأفراد وحريتهم وملكياتهم، فهذه الحماية لدى الليبراليون الكلاسيكيون ليس بمهمة سهلة ما لم يكن كل فرد في خدمة للآخرين.⁽³⁾

ومع ذلك، يؤكد تشومسكي بأن مفهوم القيمة الإنسانية المشتركة بين البشر وعلاقتهم بعالم الأشياء تكون بخلاف الهيمنة والإكراه ضد الأفراد ومصيرهم. لا سيما في الأعمال الاقتصادية والتجارية، نظراً للمتطلبات الاجتماعية سيجد الفرد نشاطه ووجوديته كذات موجهة بواسطة ذوات أخرى، سيكون الأفراد عينة تمثيلية للهياكل غير المشروعة التي يصعب حلها وتفكيكها أو تسخيرها لخدمة الصالح العام، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى مرحلة الطبيعة البشرية إن لم تكن مصقولة بالقيم الأخلاقية بشكل جيد يتوجب أن يكون في محتواها

(1) Ibid;. p11.

(2) Ibid;. p12.

(3) EamonnButler :Classical liberalism a Primer. Ibid;. p12.

الإبداع و العمل وحرية العقل، لأنه من المستحيل التنبؤ للحياة المستقبلية في ظل الهيمنة الرأسمالية، وخاصة مع بروز القيم الديمقراطية الأمريكية الخاطئة و المضلّة (1).

لهذا يقترح تشومسكي أن تكون المعرفة هي القيمة التي تفيض عنها بقية القيم الانسانية الأخرى و طالما أنها لم تكن موجودة لدى الأفراد بقدر الذي يسمح لهم بالتنظيم الإرادات الإنسانية والقوى الداخلية على طابعها التحرري للبشر فمن الممكن ممارستها في الدفاع عن القيم الحقيقية الكلاسيكية والليبرالية الصحيحة التي عبّر عنها، آدم سميث (1723-1790م) *Adam Smith*، وجون ديوي (1859-1952) *John Dewey*، و بيرتراند راسل (1872-1970) *Bertrand Russell*، لأنها ستساهم في بناء المجتمع الصالح الذي أساسه المساواة والجمعيات الحرة و المتعاونة، فهذا إن لم تكن أكثر جذرية في الحركات اليسارية التحررية التي تحتفظ بالقيم فلاديمير لينين (1870-1924) *Vladimir Lenin*، و ليون تروتسكي (1879-1940م) *Leon Trotsky*، ذات الطابع الثوري البراغماتي الذي يتناقض أساساً مع القيم الإنسانية المشتركة التي دعا لها الليبراليون الكلاسيكيون (2).

ويتضح من ذلك، بأن تشومسكي ينفرد من ناحية الممارسة السياسية عن هذه القيم الليبرالية الكلاسيكية والتي بدورها يمكن أن تكون سريعة التفاعل مع العقل الأوروبي لأنها وليدة اللحظة؛ والنهوض بالدولة في فترة تنويره بين الأوساط الفلاسفة والمتقنين (3)، لأنه يدرك نأجعة قيمها، الإستمولوجية و الأخلاقية في توصيف البنية الاجتماعية والاقتصادية؛ وخاصة في تطويرها للطبيعة البشرية بشكل أعمق.

وإذا ما أخذت في أبعادها الخطابية والسياسية يكون لها أثر الفعل في الأفراد والعامة من تحقيق ذلك التوافق الديكارتي بين الطبيعة الإنسانية والبيئة الطبيعية وغالباً ما تكون لها ارتباطاً جوهرياً بأفكار الخلق الحر والتنوع؛ بينما في العقل الأمريكي ينفرد تشومسكي عن الناحية التنظيرية لهذه القيم الليبرالية الكلاسيكية والتي أساساً لم تحظى بتأييد بين الأوساط النخبة لأنها أكثر رجعية في أن تكون الدولة مركزية وغاية في توسيع لحريتها على نهج تعزيزها "للبريركية" كونها من الأنظمة السخية وحمائية للأفراد (4).

(1) Robert F. Barsky, the Chomsky Effect a Radical Works Beyond the Ivory Tower, p. 212.

(2) Ibid.; p213.

(3) Noam Chomsky, Democracy and Education, Ibid.; p131.

(4) Ibid.; p131.

فإن هذا الرأي لدى تشومسكي لن يتعارض مع ما تصبو إليه الرأسمالية الصناعية في تجلياتها الاجتماعية والاقتصادية التي يَتَوَهَّمُ الفضاء العام بأنها تمهّد بتدابيرها للرفاهية المصلحة العامة وهذا لا يقع كإحدى مسلمات الهمبولدتية والتي في شكلها تتعارض مع السياسة الثقافية الأمريكية فهي تحاول إعادة التُّراث اليوناني -الأوروبي الكلاسيكي. (1)

إلى الممارسة التي تقر بمصير الإنسانية وتراعي الحرية والشعور بالذات وهذه القيم جردتها الأيديولوجية الرأسمالية نتيجة الجشع التنافسي فيما تكون رغبة الفرد لتلبية احتياجاته المادية في حاجة إلى رغبة عالية أخرى، يصفها تشومسكي بالفردانية المفترسة، التي لها علاقة ليست جوهرية، بل تفرضها قيود اجتماعية بتدخل الأقلية الرأسمالية في مبادئ التنظيم وفقاً لأنماط عملها الفردية، والتي بدورها تُنكِرُ طبيعة الإنسان باعتباره كائن بشري. فليس من المستحيل أن يتصور المرء - بحسب رؤية هومبولت و تشومسكي - أن تجر النظام الإيكولوجي والطبيعي إلى العدم بعقلانياتها المتطرفة. (2)

لهذا تكون فلسفة المُمَارَسَةِ التَّشَوُّمُسْكَاوِيَّةِ نظيرة للممارسة الفرنسية والألمانية الكلاسيكية لأن مبادئهما الليبرتارية تقود المرء مباشرة إلى إدراك قانون التحرر العقلاني غالباً ما تكون الهيمنة الأمريكية تركز للاتجاه الفكري لإقناع الدولي بأن مركزية الدولة هي أساس الديمقراطية والحرية فيما يكون التزام الفرد للدولة لا معنى له لدى "الأناركية" لأنه تسيطر عليه نزوات الخوف والقوة والمادة إذن فهي انطباعات زائفة تقيد الفرد وهذا في الواقع بتبني الملكية الخاصة فإن الحرية لا يتوجب الدفاع عنها بالقوة لأنها مُلْكِيَّةٌ مُعْطَاةٌ من الإرادة الحرة لدى كل من ديفيد هيوم (1711 - 1776) و David Hume، و كانط (1724 - 1804) Immanuel Kant هذا يتفق مع الليبرتارية الكلاسيكية كما أن بيانها له امتداد للاشتراكية التحررية، لهذا يدرك تشومسكي أن الأناركيين الألمان والفرنسيين متميزون عن الأمريكيين في فهمهم للتبادل الحر للعمل، وقد يكون هذا سببه الاشتراكية (رأس المال والإيرادات وفائض القيمة) للدولة. (3)

في حين أن للفردانية الأمريكية التركيبية التي تضمن للطبقة الحاكمة أن تحل محل البرجوازية، كما هي موجودة لدى برودون، هذه العلاقة القيادية التي تؤسس للنهب القيم الإنتاجية والبؤس العمالة من الحكومة،

(1) Ibid.; p131.

(2) Ibid.; p131.

(3) دانيال غيران، الأناركية من النظرية إلى التطبيق، تر: عومرية سلطاني، المرجع السابق، ص 59.

بينما يظهر العلاج في المثل العليا للعقلانية الألمانية التي تدين الحرية الأمريكية في تشويه للقيم التقليدية التي ينسبونها إلى (الجماعاتية)، والتي يصفها تشومسكي بأنها ضد حرية باكونين وتورطها في قضية هايماركت (1886) *Haymarket affair*، التي تنظم استعباد العمال واستغلالهم على طريقة الشيوعية، ومن أجل هذا التناقض، يجب أن تكون الأناركية رجعية لتقليد أدولف فيشر (1900-1984) *Adolf Fischer*، الذي يؤكد أن تحرير العمل يعني أن العمال الأناركيين سادة الإنتاج وليس الدولة، لأنه لا ينبغي للمرء أن يطلق على "الاشتراكيين أناركيين" بقدر ما يمكنه أن يطلق على "الاسلطويون بالاشتراكيين" (1).

وعليه يكون تدهور الملكية الجماعية وحركات العمالية في نظر تشومسكي نتيجة لتفسيرات مختلفة للماركسية فيما أنها تحولت إلى الراديكالية المعادية لللينينية و تحللت أفكارها نحو الحزب الشيوعي الألماني بفعل الحركات التأسيسية والثورية التي أدت إلى الاشتراكية الديمقراطية، والتي رفضها انطوني بانيكوك (1873-1960م)، *Anton Pannekoek*، لأنها تمثل الماركسية غير الرسمية، لكنها ظلت مماثلة للبرودونية في تزييف الوعي الطبقي لصالح البرجوازية، في حين أن الأناركية لديها ممارسة يسارية ليبرترية معارضة للراديكالية والتي لا تتكر ملكية الدولة بينما أن للشيوعية هذا الإنكار الذي ينهي بوضع الملكية الجماعية في بيروقراطية مستبدة (2).

لهذا السبب يقترح تشومسكي تأسيس براديغم عمالي بممارسات عقلانية من شأنها أن تقود الإدارات الصناعية للدولة الأمريكية، لأن "البراديغم القديم" لم يكن لديه أدنى فكرة لا في أوساط الراديكالية ولا في الشيوعية من أن يحتوي على لجان عمالية لإدارة القطاعات الصناعية. سيكون للمجتمع مسح لما يؤهل الطبقة الاجتماعية لاحتواء أدواتها الإنتاجية وملكيته الصناعية من الدولة الرأسمالية ذات المصالح الجغرافية (الأرض) و"السياسية" ("السلطة") ستكون جعل المندوبين ذوي الصلة بمجالس الاجتماعية وإدارات الصناعة المحلية في المجتمع يؤيدون هذه المرحلة الانتقالية بدلاً من اللجنة العمالية نفسها، ثم سيتم توسيعها كممارسة اجتماعية في دوائرها الصناعية للاشتراكية وتنظيمها للثورة الاجتماعية، والتي بدورها تستبدل النظام المثقل

(1) دانيال غيران، المرجع السابق، ص 60.

(2) Noam Chomsky, Democracy and Education, Ibid.; p132.

بعبء الديمقراطية الصناعية في الدولة الرأسمالية بنظام آخر يراعي المصلحة العامة في أساس العمل الذي يلبي احتياجات المجتمع.⁽¹⁾

ومن ثمة، يرفض تشومسكي بأن يتصور المرء الاشتراكية في ظل الأحزاب ما بعد الماركسية باستثناء الدوائر الأناركية نفسها، وهذا الجانب يتوافق إلى حد ما مع نهج ويليام بول (1821 - 1855م) William Poole، للممارسة السياسية، الذي يرى أن الاشتراكية الثورية أشبه ببنية نشطة في مجالها السياسي. حيث تعمل على الجوانب التفكيرية للاستيلاء على القبضة السياسية للدولة وانتزاع الآلة العمالية من الرأسمالية الحاكمة فيما تعمل الجوانب البناءة على توعية الطبقة العاملة بحشودها للحرية في صفوف الصحة السلمية لتوطيد البروليتاريا العالمية فيما تدرك بأن العمل مظلة الدولة في الصناعة الرأسمالية، والتي ترهب بالقوة في تحقيق نفوذها الرأسمالي لأنها تعي وظائف العمل بأبعاده النفعية واعية لمصلحتها دون المؤامرة عليها.⁽²⁾

بهذا المعنى، لدى ويليام بول، وجهة نظر مختلفة عن الاشتراكية التحررية التي قصدها تشومسكي، والتي تتفق إلى حد ما مع فكرة دانيال دي ليون (1852-1914) Daniel De Leon في تقويضه للاشتراكية الدولة موازياً بأفكاره الأناركية والعقيدة الليبرالية الكلاسيكية من مقترحه، اقتلاع الدولة الرأسمالية من جذورها أن تكون الثورة الاجتماعية ممثلة للمجتمع، وإزالة العمال الرأسماليين واستبدال ملكيتهم الاستبدادية بوظيفة الاتحاد الصناعي للقيام بإنتاج يمثل فيه العمال الاشتراكيون الثروة في ظل مجتمع واحد.⁽³⁾

يوضح ويليام بول أن تباطؤ الحركة الاشتراكية في المركزية الأوروبية هو نتيجة القصور العقلاني للسياسيين الألمان في حزب العمال ؛ لقد أساءوا فهم أهداف الاشتراكية العلمية وفشلوا في تحليل المجتمعات الغربية مع كون العمال هم بنية النضال العالمي، وهذا واضح بشكل رئيسي في الصحة الاشتراكية ما بعد الماركسية في الأدب الكلاسيكي مع: إنجلز، انطونيو لابيولا (1843-1904) Antonio Labriola، فيلهلم ليبكنخت (1826-1900) Wilhelm Liebknecht، أوغست بيبيل (1840 - 1913) August Bebel، ويليام موريس (1834-1896) William Morris، كارل كاوتسكي (1854-1938م)، Karl Kautsky،

(1) Ibid.; p132.

(2) William Poole, The State: Its Origin and Function, Edinburgh - Scotland, Socialist Workers' Press for publication and distribution, without edition, 1917..p57.

(3) Ibid.; p58.

دي ليون، بول لافارج (1842 - 1911م) *Paul Lafargue*، هؤلاء ولم يحددوا وظيفة الدولة كما هي الحالة مع هومبولت.⁽¹⁾

لهذا فإن إدراك ويليام يساهم أيضا إلى حد ما في تكملة وجهة نظر همبولت وأفكار الأناركيين مثل باكونين وأنطون بانيكوك بأن أخطأ في الحركة الثورية للعمل سببها إساءة القراءة السطحية للطبقة الرابطة للاقتصاد الاجتماعي؛ ومسؤولية هذه الأخطاء عند "تشومسكي" تقع على الماركسيين المدافعين عن اشتراكية الدولة وغاياتها الطبقة التي مرغوبة من اللينينيون إلى حد ما للتسلط للحزب الثوري للتغيير المجتمع الرأسمالي إلى اشتراكي بالقوة والعنف ولكن تشومسكي ينبذ هذه التوجهات الفكرية، ويقتصر بأن تكون عملية التغيير نابعة من فهم عميق للوظائف الدولة؛ لأن استبداد الرأسمالية لا تزعره القوة الثورية وإنما تزعره النقابات العمالية الرائدة في المجتمع.⁽²⁾

لذلك، يعتبر تشومسكي أن الوضع الرأسمالي أقل شراً من شيوعية المجلس والأحزاب داخل الدولة السياسية، لأنها تنتج البنية الثنائية في الممارسة، وعلى رأسها الأقلية المهيمنة في المجالين الاقتصادي والسياسي، وجسدها هو الأغلبية التي تناضل من أجل الحرية الاقتصادية. إذا تم ضبط الطبقات العاملة تلقائياً على إدارة الصناعة العالمية، والتي كان لها تأثير على كل من المجتمعات التي حصلت على استقلال ذاتي من التعبئة التلقائية للفوضى، كما حدث في كاتالونيا (1936).⁽³⁾

انعكس ظهورها في الاشتراكية الثورية في كل من ألمانيا وإيطاليا، على الرغم من كونهما مجتمعات رأسمالية، لكن تعاونهما مع الجهود الثورية لحزب الطليعة اللينيني أظهر سوء المعاملة والاستبداد. من الدولة، ولهذا يؤكد تشومسكي أن ترسيخ الديمقراطية المحدودة يمثل شكلاً من أشكال الخداع الكبير لشعوب العالم التي لها مزاياها على نفس الديمقراطية الأمريكية والتي عادة ما تركز في مؤسساتها على آليات التكنوقراطية والبيروقراطية التي تديرها النخبة الحاكمة في الدولة.⁽⁴⁾

وبناءً على ذلك، ينبغي للمرء أن يلاحظ مع تشومسكي أن ما يهيمن على المجتمعات الأوروبية هو الأيديولوجيات الممثلة في اشتراكية الدولة وكذلك رأسمالية الدولة، وهذا نتيجة حكم الديكتاتوريات والأنظمة

(1) William Poole, The State: Its Origin and Function , Ibid.; p59.

(2) Ibid.; p59.

(3) Noam Chomsky, Democracy and Education, Ibid.; p133.

(4) Ibid.; p133.

الشمولية؛ أي أن رأي الفوضويين والثوريين المستنيرين يجمع بين تعاليم ماركس وباكونين حول القيم الأساسية والمثل العليا لليبرالية الكلاسيكية. في الممارسة والتطبيق، تظل هذه الأساليب معيبة وغير قابلة للتحقيق في الممارسة؛ طالما أن أسمى فكرة لها هي الإنسان الحر الذي يكشف عن امتلاء إمكاناته الإدراكية والإبداعية والوظيفية في ممارسة الإنتاجية مفيداً للمجتمع أو على الأقل يساعد في التعبير عن اشتراكه التحررية ؛ لكن العائق الذي يوجه الإنسان ينبع من تموج تلك الأفكار الاشتراكية والليبرالية والثورية في مسارات خاطئة أبقت أفرادها ومجتمعاتهم تحت ضغط الاستعباد والاستبداد، وبهذا المعنى ما زالوا غارقين في مشاكل المجتمعات الصناعية؛ التي تجعل الجنس البشري مذلاً ويشبه إلى حد ما الآلات الميكانيكية التي تقودها القوى الحاكمة العليا.⁽¹⁾

على هذا الأساس، يؤكد تشومسكي أن هناك تناقضاً بين الدولة الأمريكية والدول الأوروبية حول فهمهم لفضاء عام تكون فيه الجماهير سادة البنية الاجتماعية ومسؤولة عن ممارسة حقوقهم السياسية. فيما يتعلق بالدول الأوروبية، فإن ما اتخذته الحكومتان "الفرنسية والإنجليزية"، مثل الصعود القوي للحركة الأناركية، ظهر نتيجة المجالس الشيوعية التي يعتبرها تشومسكي ثورة اجتماعية للنخبة ذات الميول اليسارية. دعم لا سلطوية أنطون بانيكوك (1873 - 1960م) *Anthony Panicoock*، لأنها تسلب السلطة السياسية للطبقة البرجوازية وتحولها إلى أيدي العمال وحركة الجماهير للإطاحة بالأنظمة الاشتراكية للدولة، التي تعارض الاشتراكية التحررية بشكل أساسي، بينما انحازت المجتمعات الصناعية إلى رأسمالية الدولة ضد ثورة العمال المتحمسين لإدارة النقابات وإزالة الودائع البرلمانية والهرمية التي ترعاها النزعة العسكرية المتزايدة في الولايات المتحدة الأمريكية.⁽²⁾

ادعى تشومسكي أن أصول التفكير الاستراتيجي الثوري مع ويليام بول والعمل الراديكالي في فرنسا يمكنهما إزالة العراقيل الموضوعة من طرف الدولة فيما يمكن للنقابات أن تستولي على السلطة خلال المرحلة الثورية بتنظيم الرأي العام على فكرة التسيير النقابي من العمال بطرق عفوية للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية، والتي نشأت من وجهة تفكير والتر كيندال (1929-2003) *Walter Kendall*، حول رفاهية

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، غريزة الحرية، مقالات في الفلسفة والفوضوية والطبيعة البشرية، تر: عدي الزعبي، المرجع السابق، ص 89.

⁽²⁾ Noam Chomsky, Democracy and Education, Ibid., p133.

العمال وتحسين للبروليتاريا، يكون نوعاً من أدوات المناهضة ضد الاستبداد الرأسماليين المستغلين في المصانع التابعة للدولة.⁽¹⁾

فيما تكون مراقبة العمل كما هو الوضع في شيفيلد، إنجلترا. بمثابة التنظيم الاقتصادي المهم جداً والذي تطورت عنه السيطرة العمالية إلى قوة هائلة مؤلفة بدورها إلى أكبر النقابات دولياً، مثل (اتحاد المهندسين وعمال التعدين)، وكلها تبنت من الماركسية مبادئها وفلسفاتها الأساسية و تطورت على كافة الأصعدة في شكل الأدبيات السياسية وهذا أمر مثير للاهتمام لتوسيع مفهوم الاشتراكية بفضل تمثيل العمال للثورة الاجتماعية، والتي تبذل النقابات العمالية فيها جهوداً موازية ومتوازنة مع شيوعية المجالس على ترويج لأفكار الاشتراكية التحررية، كنتيجة لهذا التحول جاءت حقبة أيار (1968)، في فرنسا وألمانيا، تشبه إلى ذلك التعاطف الطبقي الحاسم الذي دعا عامة الناس وراء الحرية في إنجلترا.⁽²⁾

مع ذلك يعتقد تشومسكي بأن الولايات المتحدة الأمريكية دولة برجوازية من غير المستحيل تفكيكها بروليتارياً لأن خطابها السياسي نجح في تطوير أسس التقليدية المحافظة بتقويضها للأيدولوجيات الأوروبية المعادية للفاشية لكن هذا الوضع يُمكنُها من تقوية البرلمانية والطبقة السياسية الرجعية للغاية في المجتمع الأمريكي و قد يغير هذا من مواجهة الأناركية والشيوعية بينما يسمح للدوائر الألمانية بدعم النخبة الأمريكية لتقويض موجة الثورة الاشتراكية التي تقود النقابات والاتحادات العمالية في تشكل دولة البروليتاريا والتي بطبعها تشكل خطراً على التقليد الأمريكي المحافظ وإذا أمكن وقفها بقمع تنظيماتها الشعبية وتقسيمها.⁽³⁾

لهذا وقع اليسار التحرري المعادي الذي يمثله الأناركيين في ميول الانتحارية مع الشيوعيين ما بعد العقد الماضي من الثورة الإسبانية سببها العقيدة "الماركسية اللينينية" التي تم تحويلها إلى الفاشية الحمراء وهذا بفعل التيار الأمريكي المحافظ مع العقلانية الألمانية في تقويض ما جاءت به الثورتين الروسية والإسبانية من تلاحم القوي بين الأناركيين والشيوعيين والماركسيين فيما نتجت ضدها مشكلة الديمقراطية واستعباد الطبقة العاملة مع السيطرة على العمل بفعل الدعاية الغربية التي نجح فيها التيار المحافظين من إخماد جهود الحركة العمالية والجماهيرية التي تسعى إلى ممارسة الاشتراكية التحررية داخل المجتمعات الرأسمالية

(1) دانيال غيران، الأناركية من النظرية إلى التطبيق، تر: عومرية سلطاني، المرجع السابق، ص 44.

(2) المرجع نفسه، ص 44 45.

(3) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية، مقالات في الفلسفة والفوضوية والطبيعة البشرية، تر: عدي الزعبي، المرجع السابق، ص 91.

والصناعية فيما ظل التحرر وفقاً لتشومسكي بعيد المنال إذا ما تم اليسار من تنظيم نفسه وتنظيم المجتمع الصناعي على أسس ديمقراطية صحيحة.⁽¹⁾

وطبقاً لتأكيد تشومسكي على خطر الإمبريالية الأمريكية على المصالح الاجتماعية والاقتصادية للشعوب المضطهدة، يجب على اليسار دفع الثورة الاشتراكية إلى الأمامية في المجتمع فيفترض باكونين (1814 - 1876) Mikhail Bakunin، تحقيق هذه النبوءة يتطلب تنظيمها من الشباب الأذكاء في مواجهة الدولة والتمسك بقضية الشعب سوف يتولون السيطرة على الشتات بقناعاتهم و تطلعاتهم الفائضة للأزمة الحالية وحرصهم على العمل ضمن خطط تكتيكية مشتركة وفقاً لبيان عام (1865م).⁽²⁾

وعليه يعتقد باكونين أن تدمير الحكومة، هدف الثورة الاجتماعية، سيكون عناصر من الطبقة العاملة وأقلية من الطبقات الغنية، مع إنقاذ دولة على الإبادة دون إعادة تأسيسها مرة أخرى من جديد لهذا تشومسكي يؤكد على طابع هذه الحركة وأفكارها التنبؤية خصوصاً مع صعود الحركة الطلابية في الستينيات بدأت اشتراكية التحررية تظهر بخطواتها إلى العيان بحيث أكسبت الرأي العام فكرة الكتلة الجماهيرية والتي دعت إلى من كومونة باريس (1871م) إلى غاية حركة "احتلوا وول ستريت" بحثاً عن نبرة الممارسة الفعالة للتغيير السياسي والاجتماعي.⁽³⁾

كانت الماركسية الحقيقية قد ذُكرت الطبقة العاملة بالمبادئ الإنسانية قبل أحداث باريس أن الكومونة كانت الأساس لإلغاء البرجوازية الرأسمالية بدون عنف أو تفكيك وإسقاط الدولة، لأن هدف الثورة هو منظمة خالية من الغباء والتهور الاستبدادي. ومع ذلك، ترافق ذلك مع الحتمية المشؤومة للتقاول بعد الثورة (1870-1905) والتي أشاد إليها جورج بليخانوف (1856-1918) George Plekhanov، بمزاجية المتقلبة بين التشجيع والتنديد على حركة الفلاحين والنضالية والعمالية رغم مظاهرها العدوانية على عكس ما يتناقض مع تعاليم التحرر.⁽⁴⁾

(1) نعوم تشومسكي، المرجع السابق، ص 91.

(2) Noam Chomsky, Anthony Arnoft, Chomsky's Essentials, USA, New York Library Cataloging and Data Publishing, First Edition, © 2008.. p103.

(3) Ibid; p103.

(4) فلاديمير لينين، الدولة والثورة، تعاليم الماركسية حول الدولة، ومهمات البروليتاريا في الثورة، تر: سلامة كلية، بيروت - لبنان، دار روافد للنشر، ط 1، 1918، ص 67.

التي يسلم بها كارل ماركس (1818-1883) *Karl Marx*، منتهجا شكل من أشكال الممارسة على طريقة الليبراليين بأن الثورة البروليتارية، على الرغم من أنها الحقيقة التي تقوض مزايا الأقلية ورأسمالية الدولة، تختلف عما كانت عليه في ذلك الوقت، ومعيباً بضعف تعود أصوله التقليدية إلى ممارسة القتل والاستبداد بحمل السلاح.⁽¹⁾

لقد استطاع ماركس إعادة اكتشاف وإعادة النظر في أبعاد نظريته المادية التاريخية للأسس والعقبات. لأنه لم يحظى كارل ماركس بالإعجاب بالتجربة التي اكتسبتها الحركات الجماهيرية البروليتارية والعالمية في بطولة الكومونات ضمن إطارها السياسي، على الرغم من أن جهود "ممثلها صعدت إلى السماء"، فهو يرى أن من دواعي الخبرة التاريخية و السياسية تفكير البشر في الأساليب العملية التي يتم تطوير المجتمع البشري من خلالها فيما كان منها «التعديل في البيان الشيوعي» الذي أهدر الأهمية الثورية للجماهير لأنه الأكثر أهمية من مئات البرامج والتجارب التكتيكية مستوحى تأثيره على الطبقة البرجوازية والرأسمالية من تجربته لكونه باريث الثورية حتى لو لم تحقق أهدافها المرجوة يمكن إعادة إنشائها في عين العقل مرة أخرى من طرف العمال والفلاحين كنقطة أولية للممارسة في الثورة الاجتماعية.⁽²⁾

وعليه، فإن الغرض من التعديل الماركسي على وجه الخصوص هو محو آلة الدولة وتفكيكها، لأن أفكار ماركس التحررية والاشتراكية تؤكد على ضرورة نقل المجتمع من حالة الركود إلى الازدهار بسبب نضال الطبقة العاملة. والثورة البروليتارية التي يختفي بها النقل الخفي لآلة الدولة، كما ظهر في الثورة الفرنسية، مما أدى إلى تطور بطيء نحو الديمقراطية والاشتراكية التحررية لأنها لم تصل إلى المسار الحاسم للبروليتاريا التي تحشد فيه الإمكانات والغالبية الشعبية لتغيير سياسة المجتمع القديم إلى المجتمع الجديد، ولكن بالأحرى تجلت في العصيان والتمرد والانفصال بين الطبقة العاملة ومصالح الفلاحين. وهذه خطوة مفيدة للبلدان التي تنمو فيها الرأسمالية وأشكالها البيروقراطية والعسكرية في أيدي الدولة البرجوازية.⁽³⁾

لذلك أشار ماركس إلى أن إنجلترا بعيدة كل البعد عن الطغمة المستبدة وهي نموذج لظاهرة السيطرة الرأسمالية مقارنة بغيرها من دول العالم التي تتمتع بممارسة التشويه والانتهازية لجوهر التعديل الجديد الذي

(1) فلاديمير لينين، الدولة والثورة، تعاليم الماركسية حول الدولة، ومهمات البروليتاريا في الثورة، تر: سلامة كلية، المرجع السابق، ص 67.

(2) المرجع نفسه، ص 68.

(3) المرجع نفسه، ص 71.

توسعت آثاره مع المناشفة الروس والبلخانوفيين على أنقاض الرفاهية الاجتماعية وأهداف الشعب المضطهد واستيلاء الدولة البرجوازية على قوة العمل ورأس المال وهذا ما ساعد البلدان الأنجلو سكسونية (1914-1917) على تمييز نفسها من تمثيل القيم الليبرالية والديمقراطية في العالم، لخدمة مصالح الطبقات البرجوازية في الولايات المتحدة وإنجلترا.⁽¹⁾

لأن تراجع الماركسية الحقيقية قد تم تقويضه داخل القارة الأوروبية، بينما التحالف الذي يوحد البروليتاريا بين الفلاحين والعمال، الذي هو جوهر الكومونة والهدف من الفهم الصحيح لماركس في تحويل المجتمع نحو الاشتراكية التحررية، تم تفكيكه، لكن جهود الجماهير البروليتارية لم تكتمل. لأن تشويه البيان مكن الطغمة السلطوية والعسكرية والمؤسسات البيروقراطية من توسيع الفجوة بين الفلاحين والعمال لتقويض البروليتاريا المعادية لآليات الدولة ومصالحها النخبوية والبراغمية.⁽²⁾

ولهذا يتخذ تشومسكي التصور الأناركية إمكانية لتأويل السياسي الصحيح، نظراً لمكانتها من التأهيل الجديد الذي وصفها به دانييل غيران (1904 - 1988 م) *Daniel Guérin*، على أنها الوحيدة والقادرة على إثراء الماركسية ويعتقد بأنها في منتهى التدقيق لتخليص الواقع الفكري والاشتراكي المعاصر من القيود والتناقضات الواردة من الرأسمالية والتيارات الاجتماعية الانتهازية وبشكلها المُفْنَع من الفحص للحركة العفوية التي تؤثر على عَوَاطِف الحركات الشعبية مدفوعة بقوة نحو التحرر الاجتماعي.⁽³⁾

كما تسعى لخلق أنماطاً للأفكار والأفعال التي طرحها المتحدثون العظماء للفوضوية في فضاء الممارسة الاجتماعية الجديدة والتي تحدها وجهة نظر ماركس بعد امتلاكه للخبرة الثورية النابعة عن كومونة باريس والاستفادة من مرجعيتها وتنبؤات باكونين التي تركز أفكاره على الفكر الفوضوي الذي يحتفظ بحيويته البناء وفق تطلعاتها بالقدرة الابتكارية الفكرية الملحة لفهم العالم تضي على الممارسة الثورية شرعية تغييره من الإفادة للناس والمجتمع من طرق العفوية والتنظيمية.⁽⁴⁾

ما يتبدى لتشومسكي في الممارسة الأناركية يتنافى مع آليات ماركس، الذي لا تتحرف رؤاه دائماً للحفاظ على ما يُعرف بمركزية السلطة فيما يعتبره باكونين وسيلة بالنسبة له يمكن للبروليتاريين من خلالها إعادة بناء

(1) فلاديمير لينين، المرجع السابق، ص 72.

(2) المرجع نفسه، ص 72.

(3) دانيال غيران، الأناركية من النظرية إلى التطبيق، المرجع السابق، ص 46.

(4) المرجع نفسه، ص 47.

دولة الرفاهية. بعد تفكيك البرجوازية أثناء مواجهة دكتاتورية البروليتاريا يتم تعميمها بشكل أساسي عن كذب من الوعي الاشتراكي التحرري في العالم الرأسمالي، لأن أي دولة لديها القدرة على إزاحة القديم وتحويله إلى شيء يناسب احتياجات المجتمع، وهذه الشرعية تقوم على حيوية الطبقة العاملة في السيطرة على فروع الرأسمالية في العالم ؛ ولكن هذه العقلانية وفقاً لتشومسكي وباكونين لن تنتج عناصر جديدة في تحرير الإنسانية والمسيء في نظرية السيد ماركس وما تلاها من المفكرون الماركسيون المتبنين الحزب الشيوعي استخدموا هذه الآلية لإرضاء الأغلبية الناس بأن تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ينحصر في وظيفة الدولة.⁽¹⁾

فبدل الفوضويين يتم تأييدها دون إزالتها؛ وبطريقة خاصة في إدارة السلطة تعمل الطبقة الحاكمة للبروليتاريين فيما بعد على تحرير البشرية وفي هذا المقام يكون باكونين قد حدد الرؤية التي يضع بها الماركسيون حجاب الجهل على العامة من الجماهير وهذه المبادئ مألوفة لدى "تشومسكي" بأنها تضع الوصاية في مجالات التعليم والتثقيف وصناعة والزراعة والإنتاج والتجارة تحت الأطراف المحركة للدولة وهذا لا يمثل الاشتراكية التحررية حتى لو أن الدولة أكثر ديمقراطية لأن طريقتهم الخاصة تصب في نفس المجرى الذي يشكل اضطهاد الشعوب؛ لأن العمل على تولي "مركزية الدولة" من طرف مهندسيها متناسبة مع تكوين الحديث للطبقة "السياسية" والعلمية التي تستولي على الامتيازات لصالحها المادي وهذا يعيد المجتمع إلى كنف الرأسمالية ومظاهر القتل والتجوع والاستعباد للغالبية من الناس.⁽²⁾

وفي تقدير تشومسكي للموقف غيران تكون الأناركية بصفتها الممارسة المستبدلة للتنظيم الطبقي القديم الذي تأسست عليه هرمية الدولة إلى نظاماً اشتراكياً تحريراً يكون ذلك متاحاً بضرب السلطة الإقطاعية ومركزية القوة فيها واستبدال الطبقات المضطهدة بشريحة اجتماعية يساهم فيها الأقنان و العبيد على التحرر من السلطة النبلاء لأن هذه الطبقات لها طبيعة تروم الممارسة الثورية الشعبية تكون لها أبعادها التحررية بمجرد مُزاولتها من قبل النظام الكوميوني.

وهذا الرأي مبني على عقلانية آرثر روزنبرغ (1889-1943) *Arthur Rosenberg*، الذي أعرب بنظرته المادية التاريخية أن الإمبراطورية تظهر نتيجة تحويل الإنسان (في العمل غير الحر) في قبضة مهندسي

(1) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية، مقالات في الفلسفة والفوضوية والطبيعة البشرية، تر: عدي الزعبي، المصدر السابق، ص 124.

(2) المصدر نفسه، ص 124.

الدولة الإقطاعية إلى أداة للتدفق رأس المال وهذا ليس بمختلف عن الثقافة اللينينية-الماركسية فشكلاً من الديمقراطية المتطرفة يساهم في خصخصة المؤسسات وتغلغل الشركات الرأسمالية في كل من الولايات المتحدة وأوروبا ثم العالم.⁽¹⁾

وذلك تم في نظر تشومسكي عبر الصعود المفاجئ للبرجوازية من فضاء الإقطاعي والسياسي القديم إذ ينبغي تدمير الكومونة لهذا الشكل للدولة ربما يتحقق ذلك بعزل مبادئه الفلسفية والسياسية والدينية والاقتصادية الملازمة لها ؛لأنه لا يوجد أناركي أو ماركسي النزعة إلا ويؤمن بأفق الحرية الفردية والذات الحرة فطبيعة الصراع لها غاية تحررية لأنه ما من اشتراكية في عالم تضمن فيه الدولة البرجوازية راجعيتها السياسية و مركزيتها الاقتصادية المحافظة على السلطة ؛فتفكيك أي إمبراطورية في نظر تشومسكي ولتكن الدولة الأمريكية هو فقط تحفيز الثورة العمالية على النهوض والتي رأى ماركس بأنها الدعم الكفيل للكومونة في إزاحة البرجوازية من الهرم السياسي.⁽²⁾

لهذا السبب، واجهت الإنسانية إنتكاسةً في نظر تشومسكي، واقترن وجودها بالإصلاح الديني في ظل التقدم المادي للبرجوازية، بحيث أصبحت مشكلة تحرير الإنسان من الأنظمة الإمبريالية غير قائمة على الممارسات الأخلاقية. فيما يتعلق بالثروة العامة ورأس المال؛ فيما تمكن التيار البروتستانتي من دعم الإمبراطورية الجديدة التي تؤيد التركيز الاقتصادي القائم على الصناعة الرأسمالية بعد أن استولت على كميات كبيرة من الامتيازات والنفوذ والتوسع، أدخلت بها العالم إلى المرحلة الجديدة من الإنسانية أكسباً لاشتراكية التحررية مجالاً متقائلاً من الرؤية للممارسات الثورية بعد الانعدام لطبقتي البرجوازية و الإقطاعية في الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية.⁽³⁾

ولهذا سببت الفولتيرية المعادية بأدبياتها السياسية الأكثر تشاؤماً ضد الطبقة الكاثوليكية المسيطرة على الدولة، بديلاً وحيداً الذي أدى إلى انحسار المجتمع بين الأشكال شبه الديمقراطية والليبرالية، والتي لا يزال من الصعب ترسيخ العدالة الاجتماعية ضمن هذا الانتماء الجماهيري الذي بقيادة جمعية "إخوان المدرسة المسيحية" الذي وقّع في الصراع وأشكال الاستغلال والجهل والعبودية المُلزمة للسخط الفرنسي على التفكك

(1) دانيال غيران، الأناركية من النظرية إلى التطبيق، تر: عومرية سلطاني، المرجع السابق ، ص 47 .

(2) المرجع نفسه، ص 48.

(3) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية، المرجع السابق ، ص 93.

القومية و استيائه من فكرة المواطنة؛ حدث هذا عندما لا تملك الطبقة العاملة أي قدرة على تدمير آلة الدولة الحاكمة أو بخلل تعليم أبنائها الاشتراكية التحررية في آفاقها الكاملة.⁽¹⁾

لا يخفى على تشومسكي بأن التاريخ البشري والفكر السياسي مرتبطان بالمعرفة ولهذه المعرفة إسهام كبير في اللغة و الطبيعة البشرية لدى كل الأفراد في المجتمع الواحد فيما كان لها دور سلفاً في تنظيم البشر على شاكلة تضمن لهم الاستقرار في هذا الكائن الحي (الدولة) وهي خلاص للإنسان عند كل من سقراط وأفلاطون من الشبح الإنسانية (الجهل)؛ لقد لفت "ويليام ديورانت (1885-1981) *William Durant*" في مشروعه "*The Lessons of history*" "دروس التاريخ" ؛ إلى هذا الانتباه الذي يجمع بين المعرفة والارتقاء والتطور البشري بين الدول وإمبراطوريات والذي أسماه "بيولوجيا التاريخ" يفيد بأن أي هندسة اجتماعية مبنية على تفاوت تشكلت نواتها من جوانب المساواة الاقتصادية والحرية وظهر في الولايات المتحدة وإنجلترا طبقة طغى عليها الامتثال بنظام القدماء اليونان ورومان في تنظيم البنية الاقتصادية وحرية التوزيع المادي على طبقات المجتمع وتحديد الإنجاب والصحة والأوبئة ضمن له توماس مالتوس (1766-1834) *Thomas Malthus* وعياً بالديموغرافيا.⁽²⁾

و يحصل عليها الأفراد بعقلانية لضمان التوازن بين الحرية والمساواة الاجتماعية لأنهما يتناقضان إذ لم يرفقان بالعدالة التي لا تطغى الأولى عن الأخرى؛ فاتخذت محل التقويض في ألمانيا التي تؤيد فكرة فريدريش نيتشه (1844-1900م) *Friedrich Nietzsche*، بأنها الطبقة الفلاحين هي الطبقة القوة والثورة التي تضمن استمرار النخب المثقفة لصيرورة التاريخ البشري بينما تغير ذلك مع طبيعة المعرفة التقليد الجدد من المحافظين الأنجلوسكسونيين الذين اعتمدوا على تقويض الأخلاقية الكاثوليكية.⁽³⁾

يؤدي هذا التحليل السياسي الديني التاريخي عند تشومسكي إلى فهم طبيعة تسويق للنزعة الكاريزمية التي تمركزت في الاشتراكية الألمانية على أسس الثقافة البروتستانتية والتي طغت بجذورها في أوروبا ثم الولايات المتحدة الأمريكية بعد رَدْحاً من صعود الحركة الكالفينية والإصلاحات اللوثرية، فيما ارتبطت بالسلطة الدولة

(1) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية، المرجع السابق ، ص 93.

(2) ويليام ديورانت، دروس من التاريخ، تر: يوسف ربيع، مصر - القاهرة، دار عصير الكتب للنشر، ط1، 2020، ص 29 30.

(3) المرجع السابق ، ص 32 33.

والحكم المطلق معه تم استحداث التنشئة الاجتماعية والعلاقات السيادة في سياسة غير محدودة لدى الشعوب وطبقات التي اضطهدت جراء التطرف الديني في الحقبة القروسطية.⁽¹⁾

بحيث احتواء إمكانات وافكار لاعقلانية تنظم البشر على سمات الشخصية غير إنسانية نتج عن الاعتقاد خطأ في المبادئ والفلسفات الإصلاحية وضع ذلك الدولة والشعب والحزب تحت الإنسان الحر الذي يتمتع بمزايا عن بقية الشعوب، إنها سوى سفسة ظهرت مع ألمانيا الهتلرية المعادية للحرية الإنسانية التي توسّع عداءها للماركسية والاشتراكية التحررية في الولايات المتحدة الأمريكية بعدما انتهت من الزعامة الكاريزمية. اتخذت مبدأ الشرعية التي لها تبريرات للعنف والإرهاب الناجم عن الدولة، والتي حظي أفرادها بممارسة ثورية ساهم فيها كل من الصناعيون و رجال الدين والتجار والنبلاء ضد المركزية الغاشمة التي تؤسس لمجتمع البرجوازية فيما أن هذا النفع الذي أدى إلى تشكل الطبقة العاملة هو الحاجة الماسة إلى السلام والحرية والحقوق والمساواة والعقلانية الطبيعية، وهذه القيم الاشتراكية تطورت بفهم الناس للحرية الداخلية والعدالة الخارجية في إصلاحات لوثر وكالفن.⁽²⁾

تعقيب نقدي:

✚ ضاف تشومسكي رؤية سياسية جديدة كنموذج للتحرر البشري. والغرض من ذلك هو الجمع بين الاشتراكية والليبرالية الكلاسيكية في الممارسة "السياسية" هو تحرير قدرات الأفراد من قيود الهيمنة الأمريكية الرأسمالية والمادية وفهم الإنسان المعاصر لطبيعته البشرية، وبالمثل، يظل مفهوم الأناركية وتحررها علمًا وثقافة وفكرًا وأدبًا بشريًا يُمارس للانتقال إلى مجتمع عادل "سياسيًا" خالٍ من ثقافة الحروب والأنانية الواقعية. ✚ قام تشومسكي بتصفية تناقض جديد بين الأيديولوجيات لغرض فضح للشعوب بأن طبيعة الممارسة السياسية التي تميز الليبرالية، ودورها الرجعي وأكثر تحفظًا في الدولة، فهي إذن نموذج للديمقراطية البرجوازية وتعادي حرية وكرامة الإنسان المعاصر، بينما اللاسلطوية من جنس الليبرالية الكلاسيكية لتصحيح النهج الرؤية. فيما أفسدت السياسة الأمريكية دون تحقيق الرخاء والقيم المثالية بين الدول.

(1) فرانز ليوبولد نويمان، البهيموت بنية الاشتراكية القومية النازية وممارستها، تر : حسني زينة، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات للنشر، ط1، 2017، ص 128.

(2) المرجع نفسه، ص129.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

تهدف فلسفة تشومسكي إلى تقويض تدخل السلطة السياسية للدولة في أشكالها التعسفية، فهي تشكل عداء للإنسانية ولا تمنح اهتماما بالسعادة للأفراد، والسياسة الغربية محرفة للقيم الليبرالية الكلاسيكية. هنا نلاحظ أن السياسة وأشكال الطاعة الرجعية للسياسة الأمريكية دحضها ماركس وهومبولت يعني هنا أنه تجاوز مبدأ واقعية هوبز، التي تروج للعنف والسلطة الفوضوية، عن طريق انتقاد سلطة الحاكم وأشكاله الاستبدادية، يظهر هذا في الأساس التعاقدى المعاصر لروسو، غالبا ما يجادل تشومسكي بأنه في السياسة يعد رمزا للإرهاب الأمريكي، كما أن تشومسكي يستثني الفكر الديكارتي الذي طور ثقافة عنصرية في السياسة مثل (عنصرية ويلسون ضد شعب كاريبي).

ينتقد تشومسكي السلطة بكل أشكالها في السياسة، لأن الدولة معادية لحرية الأفراد، ويقر بأنه حتى لو كان لدى السياسيين نوايا أخلاقية للسيطرة على المجتمع، "فالحرية، كما يفهمونها باكونين وتشومسكي، مجردة من القيود، فيما يرفض أيضا السلطة الدينية على الرغم من أدبياتها وأخلاقياتها، لكونها إلزامية وإجبارية، كما أن نزاهتها مرتبطة بسياسة وسلطة المشرع، فإن حرية المحضة هي نتاج أصل واحد الطبيعة البشرية، ما دون ذلك من صنع الدولة.

نقاش تشومسكي بأن سياسة الدولة تتعارض بطبيعتها مع الفطرة السليمة، لأنه يعتقد أن السياسات ليست عفوية من حيث الممارسة ولا تترك مجالا للحرية، فهي سلطة تعسفية، هذا تفسير فون همبولت، لأن السياسة بطبيعتها سلوكيات لحماية البشرية من الانحدار إلى الحالة من البربرية، ولكن تشومسكي أوضح بالمنطق نفسه بأن أشكالها تتعارض مع الحرية عندما تقترن بالاحتياجات الضرورية، وتقيد السلطة حرية الأفراد، والقمع الذي يتجلى في حد ذاته من سلطة الدولة الهادفة إلى الاستيلاء والرغبة في خدمة صانعي السياسة. برغم من أن كل الأفراد لديهم حرية الإحساس والطبيعة البشرية، ولكن مشكلة السياسة تنظم حريات على نموذج طبيعة البشرية للحاكم، وهذا الجانب يقتل الإبداع والتفكير.

في مسألة الحرية حل تشومسكي الطبيعة البشرية بأنها دافع للتححرر من السلطة وأشكال الوصاية الاستبدادية، يؤمن بأن سلطة الإنسان ذاته ومحركة رغباته الطبيعة البشرية وهذا يعني أن السياسة، حسب فهمه، ليست ممارسة في حد ذاتها، بل هي علاقة (بين الحاكم والشعب). مثل أي علاقة، يتضمن إنتاج ماركس هذا التصور، لذلك إذا كان عامل آلة في قبضة مالك الإنتاج، فإنه بضرورة يكون الشعب خاضعا للسياسة الحاكم، وبهذا معنى تكون حرية الطبقة الحاكمة مستفادة مما يملكه أغلبية الشعب، وهو ذاته اغتراب

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

بمعنى ماركسي لكي نتجاوز مثل هذه مشكلة في السلطة والسياسة يضع تشومسكي سلطة الذات لذاتها وتشاركية الذات مع ذات أخرى طالما أن الطبيعة البشرية هي التي تحدد الاختلافات بين البشر، فلا داعي للسلطة في منطق الأناركيين.

✚ يجادل تشومسكي بأن فهم الطبيعة البشرية بمنطق ممارستي ينفي الأشياء الخارجية التي تنظم السلوك، بما في ذلك السياسة، الطبيعة البشرية هي غاية الحرية في حد ذاتها، تماماً كما أن البشر محكومون بها سياسياً دون وعي. لهذا فحوى تشومسكي من السياسة هي أنها تجعل الأفراد بعيدين عن "قانون الأسمى" في ذواتهم والعمل وانقياد إلى سياسة مشرعة بإملاءات موجودة في الطبيعة ولها سمة نشطة ومختلفة، يمكن أن يتعدى إبداعها في القانون والسياسة، وفي مجالات الأخرى درجة من الحيرة، فإن الذات والسياسة، الذات والسياسة متناقضان - لدى تشومسكي - لأن ما تبحث عنه الذات هو الحرية، وما تهدف له السياسة التبعية والولاء للسلطة، وأي كانت طبيعتها، فهي جائزة في نظره.

✚ يهدف تشومسكي إلى إزالة الأفكار السياسية التي تظل دائمة ومستمرة في فهم فرانسيس فوكوياما والتي لها علاقة بمنطق القوة والصراع، وأن مآلات البشر الأخير الاعتراف بالسيد "هيجل"، وهذا بدوره يجعل الواقعية متجذرة عبر التاريخ، إذا ظلت السياسة مستقرة على الأبوية "الفرويدية" و (الليفيثان) هوبز، فسيتم تجريد الناس من صفاتهم الروحية والأخلاقية والقيمية بينما يتحركون وفق طبيعة أنانية تتحكم في مجموع الإرادات الأخرى وطبيعتهم، بينما لا يزال لديهم العادة والأداة لإعادة الأفراد إلى حالة القصور العقلي الذي أخرج كانط الإنسان منه مزوداً إياه بالفطرة السليمة في مدى فعله لسلوك وقياسه للغايات.

✚ يتبع تشومسكي السياسة الرأسمالية ويكشف ممارساتها ضد مبدأ الاشتراكية التحررية، فالبشر ضمن مجالها مجرد أدوات مستلبة الفكر والوعي، كشف "روبرت تاكر" بأن البنية السياسية تتحكم في الوعي الكلي وهذه ضرورة منطقية، لأن العمل الذي يوفر الحاجة ويملاً الرغبة، ولكن مع هذه العلاقة تظهر السياسة بين البشر، فإمكانية التحرر من السلطة تتطلب وعياً كلياً بطبيعة البشرية وممارستها، فاستلاب الذات وقهرها بالرغبة والحاجة، وهذا مبدأ شامل للسياسة وباقي المجالات الأخرى، لأنه من المستحيل التحرر من السلطة والسياسة إلا إذا لم تتعد تلك الرغبة أو الحاجة في الذات.

✚ أوضح تشومسكي بأن الحرية والاشتراكية ينتجان بفعل الطبيعة البشرية برغم من أنه متأثر بهومبولت ولكن يتناقضان من ناحية التي يطرح فيها همبولت فكرة "بيلدونج" كجانب من التعليم والثقافة والإمكانات

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

وقدرات وحرية لإنسان، ولكن في حد ذاته يعني "التأديب" بمعنى أن الذات تنشئ بتعليم وثقافة الطبيعة البشرية في استبعاد الواقع السياسي، والاجتماعية لتحقيق المثالية، ولكن مثل هذا "التأديب" يعني الأنانية في تحقيق المثالية، وهو لا ينفك على السلطة والقيود التي تضعها الذات على نفسها وتعني بالطبع أن الهيمنة والسلطة في السياسة، اعتقاد ذاتي ويمكن تغييره بالإقناع والحجاج الفلسفي.

✚ يحلل تشومسكي بأن فكرة روكر وهومبولت أكثر معقولة في تفسير العلاقة التي تفتقر لها السياسة العالمية من حيث الحرية والمساواة بنظرة توفيقه مثل كانط بين التجريبية والعقلانية بنفس الفكرة يطبقها تشومسكي بين الاشتراكية والليبرالية الكلاسيكية، بأن المساواة في منطق الاشتراكية لا تقتصر المساواة بمعنى الضيق في توزيع الموارد بين الأفراد، وإنما تكون ممارسة في السياسة بتساوي بين الأفراد في مجال صنع القرار السياسي بشكل حر، ولهذا يكون للحرية أيضاً معنى في ظل التوزيع المتساوي لأن عدم تحقيق الرغبة والحاجة يعني افتقار الموارد كحق طبيعي للفرد مما يعني فقدان الحرية فلا يمكن في السياسة، فصل المساواة عن الحرية، أو التحرر من دون المساواة.

✚ ركز تشومسكي في السياسة على نقده لفكرة العقد الاجتماعي على أن طبيعة السياسة والدولة في ظل الرأسمالية الحالية تفتقر إلى منح الحرية للأفراد في أنها تدعو الأفراد لتنازل عن الحقوق مقابل الحماية وبهذا المعنى فإذا كان للنخبة الحاكمة السيطرة على الجمهور وإخضاعه لسلطتها فكيف ينتظر بأن تحمي له حقوقه بهذا المعنى، يقترح تشومسكي قانون الطبيعة البشرية بأن كل فرد عليه التزام بحماية ممتلكاته وحقوقه بذاته، وإذا تم تعميم هذا على الأفراد ككل، فإن الحماية تظل عفوية وتشمل الجميع دون الحاجة إلى مؤسسة أو علاقة مع سلطة.

✚ استدلال تشومسكي بأن كارل بولاني يعكس مظهراً للسياسة النظام العالمي من الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية يؤكد أن الليبرالية الكلاسيكية الممارسة سياسياً في الولايات المتحدة لا تفسر سوى "مفارقة آدم سميث" والذي وضع شروط الممارسة للإنسانية بين (رأس المال / العمل / المجتمع) على معايير تكون السلطة أو "اليد الخفية" أو مظاهر "القسرية والأبوية" السياسية غير موجودة من الدولة بحيث تؤسس نظرتهم إلى الإنسان الحر الكائن الأخلاقي والعامل الذي يحقق رفاهيته وسعادته عكس النفاق السياسي للنخب والذي قلبت أفكاره إلى العبودية وليحقق صانعي السياسات و(النخب) الثروة، ولهذا فما هي عليه الماركسية اللينينية في السياسة ومظاهرها النخبوية المستبدة تفرعت عن تصنيف وانحلال الليبرالية الكلاسيكية.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

✚ يكشف تشومسكي طابع العلاقة بين الليبرالية الكلاسيكية التي تمثل الحرية والتنوير وبين مظاهر اشتراكية روسو الراديكالية التي تفرعت مع سياسات الإرهاب والعنف، بينما هي تحريفات (السياسة باسم التنوير)، خلقت أجزاء من الماركسية والاشتراكية الطوباوية فهماً جديداً للديمقراطية والسياسة العالمية، غايات هذه الاتجاهات التي أصلها الليبرالية الكلاسيكية. لقد فشلت أهداف هذه الاتجاهات، التي تعود أصولها إلى الليبرالية الكلاسيكية، سياسياً في تحقيق المجتمع العالمي، وهذا تمثله قوة الأقوياء بين النخبة، التي تثير السياسة الطوباوية الماركسية لتحقيق التقدم والديمقراطية، بينما نتج عنها كل أشكال العبودية.

✚ طرح فكر تشومسكي بأن مشكلة السياسة تكمن في تصور النموذج البشري والنظام العالمي الذي يحقق السعادة والاشتراكية للأفراد. فاهتمام ماركس من أن العمل هو أساس التحول في السياسة يعني استبعاد ممارسة الرأسمالية والأخلاق الطوباوية، لأنها غيرت الرؤية السياسية للحرية والمساواة والديمقراطية في تحول إلى المجتمع العالمي الحر سياسياً، فيما هذا يعد تقويضاً لليوتوبيا السياسية، إلا أنه يضع حداً لواقعية روسو السياسية والتعاقدية من تقويض "فلانستير" فورييه المثالي الذي يهدف إلى تحقيق المجتمع العالمي الجيد، ولكن تشومسكي يبدو ممثلاً له في الطبيعة البشرية والفطرة الخيرة كما هي ممارسة شارل فورييه.

✚ يفسر تشومسكي بأن جوهر الحرية لا علاقة له بالسياسة أو بأشكال التنظيم وقواعد القانونية التي طرحتها فلسفة روسو لأن الحرية ليس تربية أو تنظيمًا سلطوياً وإنما "فطرة خيرية" ونزوع بفعل الطبيعة البشرية، لا تقبل القانون ولا العادة، لأنها من طبيعة مناهضة لمظاهر السياسة وأشكالها السلطوية والأبوية، الآلية، التبعية، وقيود الهرمية وهذا ينطبق بطبيعة الحال على (السياسة الأمريكية).

✚ برهن تشومسكي مسألة فقدان الحرية في العالم الثالث بفعل السياسة الأمريكية، الصهيونية ولكن مفتعلة من طبيعة فكر الرومانسي مما يعني أنها تطوير للسياسة الإسرائيلية ضد العالم العربي والتي تعود أفكارها إلى واقعية هيجل وقوة نيتشه التي أضافت إلى الفعل الهيجلي والعزلة عن ثقافة روسو في اضطهاد شعب تشومسكي (اليهود).

✚ يبين تشومسكي مسار الاشتراكية العلمية من الممارسة السياسية للتحرر أو التقدم إلى المجتمع العالمي بأنها خطر في السياسة لكونها تخضع الإرادة إلى العقل وهذا معارض للطبيعة البشرية ومبادئها السلمية فيما أضرارها بدأت تهديدها عام (1964) م على "سياسة الجزائر"، بفعل أفكارها التي تمجد سلطة الرأس المال والنخب ضد الحرية العامة.

✚ الفردانية ركيزة أساسية في السياسة يؤكد تشومسكي بأنها أكثر انسجاماً مع طبيعة البشرية كونها تحتوي الجزء الأكبر من التركيبة البنيوية للكائن ودافع للتغير أو ممارسة أخلاقية لأهداف إنسانية فمارستها لغايات سياسية تؤدي إلى جعل الطبيعة أنانية واقعية.

✚ يفرد تشومسكي ميزة فلسفته التحررية على أنها تناقض أفكار القوة والإكراه والعنف، وكونها من طبيعة الواقعية الكلاسيكية، بالإضافة إلى البنيوية المعاصرة للسياسة. بدلاً من ذلك، يدعم فون هومبولت فكرة الحد أو التقليل من الإكراه، فإن لدى تشومسكي رغبة في استئصال سياسة القوة (الولايات المتحدة) تمامًا من الإنسانية لكونه تحرري.

✚ تعد قيمة التسامح السياسي هي سمة من سمات القيمة الأخلاقية في العلاقات الدولية والإنسانية، لأنها الشكل الذي يقوض أشكال الصراع بين البشر وصانعي السياسات والأيدولوجيات، ولكن على الرغم من أنها قيمة أساسية في عمل تشومسكي، إلا أنها تبدو غير مهمة إلا كفضيلة أولية لحل النزاعات البشرية، ولأن تبريره ينفي وجود السلطة السياسية بشكل كامل، فلا ضرورة للتسامح أو لوجود العنف والصراع، الذي يلجأ تفسيره إلى التسامح العالمي السياسي الذي يخفي تلقائياً، مع تقويض السلطة.

✚ في مبدأ الحكومة المحدودة التي تقر بها الليبرالية الكلاسيكية في السياسة يمكن أن تأخذ كممارسة ديمقراطية محضة مكرسة للحرية والمساواة تكون أكثر نفعية بالنسبة لمصالح وحقوق عامة الشعب بتساوي والعدالة ولكن غير ضرورية في فلسفة تشومسكي التحررية لأنه ينفي مبدأ السلطة والدولة نهائياً على الأفراد فكيف له أن يدافع عن فكرة الحكومة المحدودة في السياسة .

✚ كشف تفكير تشومسكي عن علاقة القانون وسيادته في الدولة والسياسة كقيمة إنسانية وأخلاقية متسامية على الرغم من كونه أناركيًا، لكنه لم ينفي القانون، وهو ما يعني أخلاقية العمل السياسي ولهذا يحاول تشومسكي دائماً فرض مبدأ سيادة القانون الحقيقي، الذي يحد من تعسف الدولة (الولايات المتحدة)، الأمر الذي يتطلب منها عدة التزامات، بما في ذلك التخلي عن السلطة التشريعية وحيادها من الانحياز إلى الأقلية النخبة الحاكمة.

✚ يتبين من تشومسكي بأن فكرة النظام التلقائي هي جوهر المجتمعات الجيدة ولكن تنفي وجود "السلطة" و "السياسة" فهي من ناحية التنظيم عفوية دون وصاية سياسية أو حماية أبوية من الدولة، ولكن

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

مثل هذا التصور الأناركي والليبرالي الكلاسيكي، يتطلب جهوداً غفيرة بالنسبة لمجتمعات فاقدة الوعي مثل العالم الثالث كما يستلزم حرية الأفراد مع مساواة وأخلاق مثالية ليكون كممارسة موجودة دون السياسة.

➤ يهدف تشومسكي إلى استبعاد فكرة السياسة وأشكالها التوزيعية والتنظيمية للأسواق والممتلكات والثروة، نظراً لما يشترطه المجتمع الحر المثالي، وهو التوازن بين قيم السوق وقدرة الأفراد، بينما تكون حركة السوق تلقائية دون تدخل السلطة، فإن أي شكل من أشكال المجتمع يكون حرًا وعفويًا هو بالضرورة متساوٍ لجميع الأفراد، ينفي تشومسكي أن تكون الحماية والتبادلية الحرة شكلاً من أشكال الدولة أو السياسة النشطة سلطوياً، لأنها غالباً ما يقوي سلطة الأسر الحاكمة سياسياً للمركز الفيدرالي في الدولة والكونغرس دون أي رقابة أخلاقية، لأنها تستحوذ لذاتها ملكية المجتمع.

➤ بالنسبة لتشومسكي، لم تحتل السلطة والسياسة أهمية كبيرة في المجتمع المدني لأن قيم العدالة والحرية والتعايش والمساواة تفقد وجودها في تفعيل سلطة الدولة داخل المجتمع، وفي نظره أن السياسة ومبادئها التنظيمية تمارس ضد صالح العام، غالباً ما تكون السلطة وسيلة للنخبة من السياسيين لإضفاء الطابع المؤسسي على التلاعب بالهوية وتمثيلها خارج المجتمع المدني كوكيل للمجتمع السياسي. ولهذا، تمثل ثقافة القانون دفاعاً عن المجموعة الصغيرة، مما يجعل السياسي يطمئن الأفراد ويمد جذوره إلى التشبث بالبنية التحتية والبنية الفوقية لخدمة مصالحه.

➤ لدى تشومسكي علاقة سياسية بين القيم المشتركة الإنسانية والاجتماعية تفرعت من الليبرالية الكلاسيكية، بينما اتخذت أدوارها السياسية أهدافاً مختلفة في المنهج والنتائج، إلا أن لها هدفاً واحداً، وهو رفاهية الإنسان وسعادته، فمن الواضح أن السياسة وتنظيم المجتمع يتطلب من التقدميين أن يكون لديهم رؤية شاملة وثقافة عالية لتعزيز المبادئ والقيم الإنسانية المشتركة، مثل (القانون، الحرية، الديمقراطية، التعايش)، تجذر الأناركية على فهم الفرد ومعادية للهيمنة الدولة أضاف لها تشومسكي ما تفتقده من "مبدأ الطبيعة البشرية".

➤ لم تحافظ الاشتراكية على قيم التقدم الاجتماعي والتغيير السياسي، تعرض فكرها إلى البطورية وجشع التنافسية من الرأسمالية، لديها رؤية لقيمة الحرية السياسية عن طريق ممارسة القوة والعنف من أجل الحفاظ على مبدأ التغيير السياسي إلى مجتمع مثالي، لكنها ليست جيدة في نظر تشومسكي من الناحية الممارسية المختلفة عن الطبيعة البشرية.

✚ تركزت تلك التفرعات سياسياً على البراديغم العمالي لتحقيق التغيير ورعاية المصلحة العامة (نقابات / نضالات الفلاحين)، مما يعني من ناحية سياسية أنه توجد قوة خفية بعد سلطة الدولة ولديها نزوع قوي إلى الحرية وهذا لا يتعارض مع تشومسكي، فتدخلات تشومسكي حاضرة في مجال تغيير مسار الواقع وتجاوز التنظيم من السياسة نفسها، تمثل، في حالة الاشتراكية العلمية، إساءة للإرادة بفعل استخدام العقل، في التغيير إلى الديمقراطية نتج عن ذلك أخطاء وأنظمة السياسية كاللينية / الفاشية / الديمقراطية، بحيث تتغير القيم السياسية بسبب نوايا ورغبات قادة أي سلطة، لهذا يضبط تشومسكي بفعل الطبيعة البشرية في أي حركة أناركية للتغيير نحو القيم المستقبل الأفضل غايات غير سياسية، بل هي غايات تخلو من كل منفعة مادية، ونزاهة العمل تتبع من الطبيعة البشرية والإرادة المتقائلة.

المبحث الثالث: فلسفة تشومسكي الأخلاقية

فلسفة تشومسكي الأخلاقية هي نتاج واقع إنساني أكثر توتراً على المستوى السياسي والأخلاقي وهي ممارسة نقدية لجميع مظاهر السياسة غير العقلانية والبراغماتية التي يديرها نخبة المثقفين والتكنوقراط والمسؤولين والخبراء السلطة الغربيين في الأنظمة الرأسمالية والشركات الاستبدادية في المجتمع الأمريكي، وهكذا، يقترح نعوم تشومسكي رؤية جديدة تهدف إلى تحليل مسؤولية المثقفين في ضوء ممارسة العلم ويأمل في التغلب على البراغماتية الأمريكية في السياسة والمجتمع عندما بدأت لها آثار أكثر وحشية ضد الإنسانية. ولإقامة مجتمع مثالي قائم على حدود الطبيعة البشرية ومبدأ التفاضل والإرادة الخيرية بحيث يعيش جميع البشر بطريقة تشاركية أكثر أخلاقية وعدالة مثالية وحرية وديمقراطية ؛ ولهذا السبب يمكننا طرح السؤال: هل من الممكن تحويل الواقع البشري الحالي إلى النموذج المأمول الذي دعا إليه نعوم تشومسكي؟.

1- مسؤولية المثقفين (The Responsibility of Intellectuals)

يبدو أنها محاولة من نعوم تشومسكي لتقديم الحقيقة من واقع إنساني مثير للاهتمام. بدأ مصطلح "المثقفون" في "السياسة" واستمراراً للرؤية البديلة للمجتمع الصالح والتفاضل في جوهر الطبيعة البشرية كمفهوم مضلل. يحاول تشومسكي إزالة هذا التظليل وإضفاء الحقيقة داخل المجتمع الأمريكي عن طرح سؤال يفاجئنا إلى حد ما: ما هو المؤهل؟، بمعنى، كيف يدرك البشر أن أولئك الذين يتأهلون لمجتمع جيد مثالي هم أقرب إلى أنفسهم من كونهم مثقفين ومسؤولين؟ وفي هذا الجزء تعزيز دور الطبيعة البشرية لأنها المحرك الذي لا يتحرك كمصدر للتفاضل والإرادة الخيرية للإنسان ،إذا كان الناس فقط يمكن أن يدركوا ذلك جيداً.

فإن القصد تشومسكي هو إثارة الدهشة والتساؤل لحل القضايا ذات الأهمية الإنسانية بمنهجية وصفية صارمة، وربما خلق هذا حقلاً في الأنثروبولوجيا يعيد تأسيس العلاقة الفلسفية وعلم النفس من وجهة نظر إبستمولوجية، لم تكن مقدمة الاستدلال "إرشادية" وعلاقتها بالطبيعة البشرية و"السياسة" مقارنة تشومسكي بل إن اكتشاف دوايت ماكدونالد (1906 - 1982) Dwight Macdonald في مقال نقدي ساخر ومثير للاجئ من الألمان (1945) بفكرة "الذنب الجماعي" أو "مسؤولية المثقفين" ،لهذا تشومسكي لا يؤكد فقط

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

على الولايات المتحدة في العالم ككل ازدهار لحالة الإنسانية للمثقفين المنتصرين مع المثقفين المتعاطفين مع الإنسانية ضد الصالح العام.⁽¹⁾

مما لا شك فيه، أن تكوين "المثقفين" الذي أظهره غرامشي (1891-1937) Gramsci بمعنى النقد. هو جانب من ممارسات تشومسكي المنفصلة بين "السياسة" والمثقفين، ربما يصعب التمييز بين مثقفين المجتمع الجيد والمستقل ومثقفين النخب البراغماتية. لذلك يعتبر كلا الفيلسوفين أن المثقف ومسؤوليته في السيورة التاريخية قضية حاسمة، لأنه في ظل الأنظمة الرأسمالية، كما يؤكد "غرامشي"، فإن المثقفين هم نخب اجتماعية تتمتع بفعالية الأداء العضوي ومتجانسة في الوعي والصناعة كمؤسسة متخصصة وثقافة جديدة في "السياسة" والقانون والاقتصاد وغيرها من المجالات الأخرى، تظهر وجوديًا في فضاء العالم المادي والإنتاج الاقتصادي.⁽²⁾

على هذا النحو، فإن التصور العام للدور المنسوب لمفهوم الفكري للمثقف أو مسؤولية المثقفين هو مفهوم يتكرر مع تعديلات طفيفة. إذا كان لدى غرامشي جوهر تعريف وتخصيص المثقفين في ثنائية المثقفين التقليديين (التعليم والكنوت والإدارة)، فإن عملهم هو مهمة عبر الأجيال، والفئة الثانية هي المثقفين المنسقين في أدائهم لشرعية تنظيم السياسة والدولة لقيادة مصالحها، وتستخدم مثقفين متخصصين من الطبقات في (الصناعة، رأس المال، السلطة، الرقابة). وفي مقارنته بـ جرامشي، يبدو أن إدوارد سعيد قد تبنى نموذج الممارسة الفعلية، لذلك صنف إدوارد سعيد مفهوم المثقف أو (خيانة المثقفين) من بين المثقفين المسؤولين عن أداء "الرسالة التبشيرية" لما تشكله من "ضمير الإنسانية" من تراث الفلاسفة وأصحاب المواهب الفائقة والأخلاق الرفيعة؛ يجب أن يتمتع الهواة المحترفون المثقفين بصدق "سقراط" ويسوع المسيح (عليه السلام) مثل سبينوزا وفولتير و أرنت رينان (1823 - 1892) Ernest Renan، بمعايير صارمة وأبدية في قول

(1) Noam Chomsky, It is the Responsibility of Intellectuals to speak the truth and to expose lies, USA, New York, Review of Books Publishing, second edition, 2017, p.9 .

"Chomsky says: The concept of "intellectuals" is a rather curious one. What is it qualifies? The question arises in an instructive way in Dwight Macdonald's classic 1945 essay "The Responsibility of Intellectuals." The essay is a bitter and sardonic critique of distinguished thinkers pontificating about the "collective guilt" of German refugees who were barely surviving in the ruins of wartime disaster. "

(2) أنطونيو جرامشي، كراسات السجن، تر: عادل غنيم، القاهرة، مصر، دار المستقبل العربي للنشر، ط1، 1994، ص 22.

الحقيقة، بما في ذلك كونهم إله الحقيقة والعدالة، وتصنيفهم في نظر كل من تشومسكي وإدوارد سعيد خارج هذا العالم المريض سياسياً، ومن إنسانيته.⁽¹⁾

على هذا الأساس، يختلف نعوم تشومسكي مع إدوارد سعيد في وجهة نظر الممثل الحقيقي والصادق للمثقف بالمعنى الحقيقي عن المثقف كمصطلح، كونه متأثراً بجرامشي، فإن اقتراحه لمثقفين المجتمع الأمريكي بمعنى الحق وكيف يتعامل مع مسؤولية المثقفين في تصنيفه السلطوي والسياسي لمن يسمون أنفسهم بالمثقفين يتعارض مع الطبيعة البشرية والإنسانية، هذا هو السبب في أن تشومسكي يلاحظ بعناية أن مصطلح إدوارد سعيد (1935-2003) Edward W. Said، لـ "المثقف" باعتباره الكاتب الأيدي للتاريخ هو رمز في المجتمع. إن ضرورة هذا المعنى بعيدة المنال وتحمل معنى بالنسبة لأولئك الذين هم رموز القوة والقهر في التاريخ. لن يَصْدُقَ هذا المعنى للمثقفين، وقد خصصت مقترحاته لأعداء المسؤولين المفوضين، وليس للمعارضين الذين شعروا بنقص من الوطنية والحرية في مجتمعاتهم المضطهدة سياسياً أو للمثقفين اليسار التقدمي والتحرري.⁽²⁾

لذا يبدو أن تشومسكي قد قرأ المثقفين عبر التاريخ وهو متأكد من أنه حدد الممارسة العضوية لجرامشي لا يرى إلا أن مصطلح «الإنلجننتسيا» أو ما يصفه المثقفون "الجدد" في الحياة الأخلاقية والفكرية، تشعر بانفصالها عن الرجعيين في تقديم القيم العملية في بناء القيمة الإنسانية الفلسفية الشاملة والعبارة إلى مستوى التطور كبنى فوقية. يجب أن يكون هناك محتوى يركز على اللغة ووجودها، مما يعني نمو الثقافات البشرية. إن تلاعب باللغة في "السياسة" يعني أن المثقفين الجدد هم امتداد للمفكرين السابقين أو المحافظين في السياسة و"الممارسة".⁽³⁾

في تقدير تشومسكي أن مفهوم إدوارد سعيد في حالة غرامشي، بأن الحكومة الفاشية لديها ممارسة مخصصة واهتمام بخلق "سياسة" مبنية على المثقف المثالي بالنسبة له ويتفق معهم وبعدهم كمثقفين عضويين فيها، لكي يستغني العقل عن وظيفته، فإن ما يدفع إلى استرجاع أقوال وأفعال البشر وفقاً لجرامشي، إلى الطبيعة البشرية يُفسَّر تخمينهم بالإرادة والتفاؤل. ومع ذلك، يعتقد تشومسكي أنه في ضوء

(1) إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، القاهرة، مصر، دار الرؤية للنشر، ط1، 2006، ص 33 ؛ ص 35.

(2) نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص 152.

(3) أنطونيو جرامشي، كراسات السجن، تر: عادل غنيم، القاهرة، مصر، دار المستقبل العربي للنشر، ط1، 1994، ص 464.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

السياسة الأمريكية والإسرائيلية، يجب على إدوارد سعيد الامتناع عن استخدام مصطلح "المتقف المثالي" لوصفه هو أو غيره من المتقفين. لأن القضية في الواقع الحالي هي وجود النخب المثقفة ولديهم نموذجهم الخاص، لكن ممارساتهم لا تقتصر على الإرادة الخيرية، والغريزة السليمة، والطبيعة البشرية، بل بالعلوم الزائفة التي تقضي على أخلاقيات المسؤولية في السياسة.⁽¹⁾

يعترف هانز جوناكس (1903-1993) Hans Jonas بتهمة تشومسكي في مبدأ المسؤولية بأن تركيز المتقفين على جانب واحد من "السياسة" والأخلاق يظهر تحيزاً غير مباشر من العلم، لكنه يدافع عن إنكار التحيز ضد العلم و"الضرورة التكنولوجية" فلا مكان للسيطرة على المتقفين، لأن أسبقيتها الأنثروبولوجية في الواقع البشري هي جوهر الحالة الإنسانية ولا تتفصل عن ثقافة القرن العشرين. لكنها لا تحتاج إلى متقفين يسترشدون بالضغط على الآخرين في ضرورات الحياة، أو في النهوض بثقافة جديدة وتشجيع أخلاقي، أو في الاندفاع الطائش للمفاهيم أو الادعاءات المتنازع عليها والأكاذيب حول الكمال الأخلاقي. لأن التحرر من العبء يأتي أولاً في الواجبات الأخلاقية، ويزداد الأمر بفعل إغراءات قوة الذنب، فإن نسختنا الخاصة من الطبيعة البشرية هي استجابة لمرحلة عابرة من الحضارة، يجب على المتقفين اتباع المسؤولية الأخلاقية على طريق أرسطو (384 ق.م - 322 ق.م) Aristote، الذي يعتقد أن الفضيلة في أي ممارسة بشرية تأخذ مبدأ "الوساطة"، إذا ما تعلق الأمر "بالسياسة"، فلا إفراط ولا نقصان، بمعنى التمسك بميزان العدالة الأخلاقية.⁽²⁾

لهذا السبب، يقدم فكر تشومسكي الفلسفي معايير تحدد بموجبها مسؤولية المتقفين في التعامل مع الواقع الإنساني لأي بلد مضطهد في العالم. لأنها مسؤولية كل مفكر عربي كان أم غربي، مع الإصرار على معرفة الحقيقة والتحقيق فيها بعقلانية. إنه يثير جدلاً وسؤالاً حول مكانة الممارسة الفعلية الصحيحة للأخلاق السياسية، فهل يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الأحداث من المنظور التاريخي للنخب الحاكمة التي تقود السياسة الأمريكية؟، لذلك، يؤكد تشومسكي أن العقل والأخلاق لتحقيق هدف التقدم في البلدان التي فقدت حقوقها، لكن التعليم يساعد الدول الأخرى على انفتاح مجتمعاتها، لذا فإن المشكلة التي تواجه المتقفين هي

⁽¹⁾ نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص 154.

⁽²⁾ Hans Jonas - The Imperative of Responsibility In Search of an Ethics for the Technological Age-United States of America, University of Chicago Press, First edition, 1985 p.203 204.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

ظهور فلسفة واقعية جديدة في السياسة الدولية تضع فلسفة الخداع ودحض معارضي السياسة الأمريكية دون تفكير.

فغالبا ما يقع مفكرو الدولة المستغلة سياسياً في المبالغة بالمنطقة دون قوة، فهي عقبة تميز الدول الغربية وتحميها كمقاربة تفتح آفاقاً جديدة.. وأشار تشومسكي إلى أن معظم جلسات الاستماع الفكرية للدول لا تتميز بنهج النخبة الفكرية الفاضلة. ولكن غاياتها واقعية مكيفيلية لن تكون مدعومة بأي مسؤولية أخلاقية تجاه السياسة الأمريكية في الكونجرس، كما أشار هانز مورجنثاؤ (1904-1980) *Hans Morgenthau*، لفلسفته الواقعية البنيوية تجعل العقل يطور آليات القوة لأن المفكرين الواقعيين الأمريكيين يجعلون سياسته التقليدية، في تمثيل القيم والتقدم والحرية، لكنها رؤية مادية غير صالحة في رؤية تشومسكي الأخلاقية للسياسة.⁽¹⁾

يدين تشومسكي أيضاً فساد الأخلاق في الصين ومعاييرها في الممارسة بمنطق السياسة الأمريكية، الذي وضع نظرياً من قبل جون ميرشايمر (1947)، بأن الصين تتمتع بحرية المنافسة، هذا المنطق يجعل مثقفها دائماً ضد جمهوريتها التي تدعو إلى السلام الديمقراطي لن تشن حرباً ضد دولة ديمقراطية معها، فيما يتعلق باستغلال الصين مرتبط بالبنية الفوضوية للعلاقات الدولية التي تخفي تدخلات الولايات المتحدة بالقوة أو السلام أو الديمقراطية لأنها واقعية غير واضحة، بينما تظل الواقعية الدفاعية انتهاكاً لحرية الشعوب، كما أكد كينيث والتز (1924-2013) *Kenneth Waltz*، في الحالة الراهنة، يُفضل الاقتصاد كبنية تحتية للأمن القومي تتعلق بإخضاع السكان للدولة، وهذا ضد الطبيعة البشرية وقيم التحرر.⁽²⁾

يؤكد تشومسكي أن المثقفين لديهم القدرة الكاملة على إيجاد تقارب فلسفي ينظم العالم الفوضوي بين الدول، وربما التخلي عن السلطة لأنها مصدر فساد للبشرية وكارثة على الدول. لأن نوايا الفرد المثقف الذي يسيطر على بلد لا تظهر نواياه في الواقع، فإن تلك الإمبريالية هي فكر وثقافة من وجهة نظر تشومسكي، لكن الأفراد الذين يقودونها لديهم نفس النوايا، والخداع في تحرير تطلعاته الإقليمية بطريقة غير واضحة كونها

(1) Noam Chomsky, It is the Responsibility of Intellectuals to speak the truth and to expose lies, USA, New York, Review of Books Publishing, second edition, 2017, p45.

“Chomsky says: In the Congressional Hearings that I cited earlier, Hans Morgenthau aptly describes our traditional policy towards China as one which favors “what you might call freedom of competition with regard to the exploitation of China”.

(2) Ibid, p. 45.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

القوى الإمبريالية، فالسياسة الأمريكية، وفقاً لمفكرها الواقعيين، تصور مصالحها البراغماتية على أساس الأخلاق والإنسانية . يشير تشومسكي إلى أن المثقفين الأمريكيين، وهم قادة السلطة، يتبعون النوايا الأخلاقية، لكنهم لا يخضعون للشرعية أو المسؤولية للحد منها. جريمتهم ديمقراطية وأخلاقية وإصلاحية، تم تقاسمها وظهرت بالتنسيق مع مثقفي الإمبرياليين في عامي (1784 و 1936 م). قام مثقفو الأمريكان ومثقفو البرلمان البريطاني بالدعاية والافتراء على أفكار المثالية والاشتراكية، ووعدوا بأن تحققها في (الهند) و(مصر). أن يأخذ من مثقفي هذه الدول الموافقة على طبيعة نوايا وأخلاق رغبة هذه الدول في شرفها وسياساتها تقتصر إلى الواقعية الهجومية، واستيعاب الفتح مصادر الموارد ومصالح "البراغماتية" وهي تمنحها القوة و الأمن القومي فيها، لأنه من وجهة نظر تشومسكي، لا يوجد شخص مثقف سلطوياً دون أن يمثل دولة متحركة في اتجاه المصالح والقوة، لذا فإن مزايا الفكر الواقعي تعكس حرب الإنسان ضد الإنسان، مع نهج الدول ضد الدول الأخرى هذه هي إشكالية "السياسة" وفساد الأخلاق.⁽¹⁾

في هذا السياق، يدرك تشومسكي أن المثقفين والفلاسفة بين العلم والفلسفة يمكن أن يؤسسوا مجتمعاً إنسانياً دولياً. لكن التناقضات التي وقع فيها فلاسفة أمثال كارل بوبر (1902-1994) *Karl Popper* معادية لأفكار المثقفين الماركسيين، على الرغم من أن الهدف هو سعادة الفرد وتحقيق الرفاهية، فإن تشومسكي يركز على قيم وأخلاقيات العلم وتوافقه مع الفلسفة في فهم العلاقات الدولية وإصلاحها على أساس فكرة المجتمع المفتوح الذي يعطي رؤية معارضة للواقعية الأمريكية التي يهيمن عليها العلم والديمقراطية اللإنسانية على قمع حقوق الإنسان.⁽²⁾

لذا فإن رغبة كارل بوبر في إعادة تخصيص مجال الفلسفة، أشبه إلى فكر نعوم تشومسكي، وجعله خصباً للكشف عن المراوغات والخداع للمفكرين الواقعيين الأمريكيين و المحافظين الجدد.⁽³⁾ فضح وانتقاد ممارسة المقاربات السلوكية والتحليل اللغوي وبناء النظريات "السياسية" في الواقع على الوضعية المنطقية للعلماء والتجريبيين الذين قد أساءوا للعلم عن طريق مهاجمتهم للقيم الإنسانية، وتشويه الماركسية، واستخدام

(1) Noam Chomsky, It is the Responsibility of Intellectuals to speak the truth and to expose lies, USA, New York, Review of Books Publishing, second edition, 2017, p 46.

(2) كارل بوبر، مائة عام من التنوير، تر: عادل مصطفى، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي للنشر، ط1، 2018، ص 11-12.

(3) المرجع نفسه، ص 12.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

اليسار الليبرالي بطريقة خاطئة أهان العلم ورفضه من بعض مفكري الفلسفة ذوي النزعة الإنسانية والأخلاقية، مثل نعوم تشومسكي.

شكل التفكير السياسي مع كارل بوبر قطيعة إبستمولوجية مع تشومسكي، بحيث أصبحت الفلسفة أكثر سوابقاً في تحليل القضايا والعلاقات الدولية والإنسانية: على سبيل المثال، دولتان مثل اليابان والصين، حيث يعتمد كلا المتقنين على مناخ سياسي وثقافي اشتراكي. ويستند فهمهم للواقع والحرية وحقوق الإنسان على الحداثة في العلم والإبداع الذاتي، فإن قراءة أعمال كارل بوبر كرس التزام شعبي الصين واليابان للاندماج مع ثقافة الفرد الصيني أو الياباني بطريقة الواقعية الأخلاقية المجهزة بعلم حقيقي. باكتشافه ثقافة بوبر كمشروع حديث في تاريخ العلم، ميز الفلسفة "السياسية" في تكوين الدول القديمة، مثل الصين، واعتماد منهجه في تصحيح مسارها الاقتصادي، واكتشافها أن الذات الحقيقية تكون عند الانفتاح وتنشيط عقولهم، وتحرير المجتمع للخروج من حرية الداخل إلى الابتكار والإبداع من قنينة عقلانية، ترى أن الدول المنهكة مثل دول أوروبا الشرقية تدرس فكره السياسي في معاهدها.⁽¹⁾

فبدلاً من ازدياد تنظير تشومسكي السياسي والأخلاقي للسياسة الأمريكية، يبدو أن المفكرين السياسيين البريطانيين مثل ونستون تشرشل (1874 - 1965) *Winston Churchill*، طبقوها في بداية ظهوره على الخطابات المتلعبة للجماهير والقاسية من وراء "الستار الحديدي" بإعطاء الأولوية للعلم وبرنامج ترى من خلاله صراع الشيوعيين وانقسام المتقنين الماركسيين عن الرأسماليين بحسب الدول المزدهرة. تمثل الإبستمولوجية كارل بوبر يساراً تحريراً قيمته قوية في اليابان عن إنشاء جمعية شعبية لنشر فكرتها وتطوير سياساتها واقتصادها عن طريق الكتيبات والدوريات والبرامج التعليمية لأجيال من ثقافة العلم الحقيقي الذي، مع أخلاقه، يخلق "السياسة المثالية". إن أفكار تشومسكي حول مجتمع صالح للمتقنين المضطهدين في البلدان التي تعاني من الفقر وفساد القيم لم تأخذ في حيزاً من الممارسات الفلسفية والعلمية السليمة.⁽²⁾

آمن تشومسكي بقيمة ودور وقوة العقل، وأن يتبنى المتقنون "النقد" كمنهج للفعل "السياسي" والعقل، ويقدمون المعرفة بالأخلاق ومناهضة السلوك، والفلسفة الواقعية البنيوية للنخب الحاكمة الأمريكية

(1) كارل بوبر، مائة عام من التنوير، المرجع السابق، ص 12.

(2) المرجع نفسه، ص 12.

والصهيونية، لأنهم مصدر انتهاك للقيم. ومبادئ التنوير الفكري الحامي الأخلاقي للإنسانية من الدمار. مثل كارل بوبر، بالاتفاق الثقافي مع تشومسكي، في تطهير الشعوب التي استتشت "الماركسية"، وانتقادها لميلها التحرري في تفكير بنزعة «ارتيازية» أو «اصطلاحية» أو «نسبية» في العلم يؤدي إلى الهيمنة وإلى ضرراً على شؤون الإنسان بشكل عام، ورد نعوم تشومسكي، مثل كارل بوبر، إلى الفلسفة، مكانتها السامية التي تطاردها صرامة "العدالة التوزيعية" بين أعضاء المجتمع الدولي، في أخذ نرجسية التعايش البشري دون استثناء ومشروعها الطموح والمتفائل في التحول من الأخلاق الرأسمالية إلى اللاسلطوية الإنسانية التي تروج لقيم الديمقراطية المتساوية بين الجنس البشري.⁽¹⁾

ربط تفسير تشومسكي وبوبر في تكامل ثقافة العلم بمسؤوليته في تقدم المجتمعات لمتابعة رؤية هنري برغسون (1859-1941) *Henri Bergson*، في أزمة العلاقات الدولية، إن تحقيق التمييز بين الأخلاق والسياسة يتطلب معرفة الضرورة عن طريق العلم والشعور بالذات بالطبيعة البشرية التي تساعد الإنسان على التحرر من انغلاق مجتمعه على الآخر. يؤكد هنري برغسون بأن السياسة ليست مفيدة للحكومات والشعوب في إنشاء مجتمعات مغلقة، من الواضح أن الصين واليابان والولايات المتحدة لديها انفتاح دائم، ولكن بين الرأسمالية والاشتراكية هناك تعليم وثقافة غير مكتسبة.⁽²⁾

إن اندماج الأفراد في المجتمعات الرأسمالية مثل "الولايات المتحدة" هو مجرد دمج لعمليات الاستحواذ التي قد تكون مصدراً للمشاكل والحروب، والصراعات الدينية و"السياسية"، وشجاعة مثل هذا المجتمع الذي يؤدي إلى إغلاق المجتمع السياسي في (الشرق الأوسط). فإنه يأمل في التنبؤ الخاطئ. يبدو أن لديها تكويناً مسبقاً لتوفير بيئة اجتماعية مناسبة للفرد هو نمط من الآليات والغموض الذي لا يستطيع المتفكرون تفسيره بالعلم. لأنها مجتمعات مثل "كومة من النمل"، التي لها اشتراكية في العادات والمؤسسات واللغة والأخلاق. لديها غرس مستمر للعلم والتعليم للأجيال، من الأب إلى الطفل. ثقافة الطاعة والولاء والمجد الزائف، لهذا الانسداد النفسي تأثير على العلم الإيجابي.⁽³⁾

⁽¹⁾ كارل بوبر، المرجع السابق، ص 11.

⁽²⁾ Henry Bergson, Sources of Ethics and Religion, USA, New York, Library of Congress Publishing, 2nd Edition, 1974 AD, p.260.

⁽³⁾ Ibid., p 260.

لذلك ترتبط ثقافة السياسة في المجتمعات المفتوحة بالعمل البيولوجي والنفسي، تأثراً بسبنسر (1820 - 1903م)، *Herbert Spencer*. جعل الرأسمالية في الانفتاح والتطور بفعل محاربة الآخر، لأن قيم السلام والحرية هي بقاء الإنسان الأصلح في المجتمع، لأن إعداد الحس السليم يتم في أسلوب التلقين والاستهلاك الجماهيري، لذلك هذا يعكس التعود البيولوجي في المجتمع الغربي. تجد أن المرأة تتمتع بالحرية. العمل وإشباع الرغبة والحاجة، ففي أمور "السياسة الغربية" لا يمثل عملها واستغلالها عقبة بل دعمها في الولايات المتحدة على رفع الاقتصاد، بينما في العالم الإسلامي مشكلة الحرية هي الفساد الديني والأخلاقي. و بسبب هذه القضايا الاجتماعية والسياسة" يعود الفكر السياسي العربي إلى انغلاق المجتمع عن الغرب. أخلاقه ليست شاملة لأنه لا يجسد الانفتاح، كما أشار كارل بوبر، وبالتالي فإن معرفته وفلسفته في العلم ليست حقيقية.(1)

يدفع تشومسكي المثقفين إلى تحمل المسؤولية والجدية في نهج التعاطف مع دلالات الإنسانية في اتخاذ القرارات بشأن السلطة ومسألة الحقوق والعدالة والمصير.، يجب أن يصمم الشعور المتضارب بين الحرية و"الفطرة السليمة" للعلم على الهندسة الأخلاقية والعلمية في ممارسة العمل الاجتماعي و"السياسة"، ومع الحقيقة، وفقاً لتشومسكي، يجب على المثقفين أن يفهموا بعقل وجدية مراحل تكوين المعرفي للدول الأولى، حيث تتلاقى العلوم عند النقطة التي تتلاقى فيها الظروف التاريخية مع التفكير البدائي والعلم.(2)

من وجهة نظر تشومسكي، فإن مسؤولية المثقفين المخولين لفهم خصوصيات المشاكل والقضايا الإنسانية هي قضايا تتعلق بالمصير القومي: مثل (الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، الصراع التركي الكردي، أو الصراع في إيرلندا الشمالية). إنه يتطلب حكماً بأحكام علمية وعقلانية لأنه خطأ في الماركسية اللينينية وتبرير في خصوصية هذه القضايا المتعلقة بالتعصب الديني. يمكن التخلص منها بالتححرر من الميتافيزيقا المذهلة في العلم بمبادئ نظرية وعلمية، فهي الأمر الذي يحرك هذه الصراعات البشرية يتطلب الجدية والنظر المعقول لهذه القضايا من مفكرها، والصرامة دون اقتراح حلول سطحية في المحافل الدولية.(3)

(1) Ibid., p261.

(2) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية والفلسفة الفوضوية، المصدر السابق، ص 184.

(3) المصدر نفسه ، ص185.

على الحكومة الإصرار على مصير الإنسان عن طريق مناقشة القضايا المتعلقة بالشأن العام من أجل العلوم المتعلقة بحل الأزمات. لا يهم تشومسكي بأن طريقة حل الأزمة ذكية أو غبية. إنه يقتضي العناد دائماً للجنس البشري أن يفتح النقاش والحوار السقراطي والبحث فالتفكير دون تأخير من إمكانيات الذات والطبيعة البشرية لدى مثقفي الدول. في كل دورة ديمقراطية عامة، تركيز بدقة على المبادئ العامة التي تحكم السلوك السياسي عن طريق علمنة وترشيد السياسة التعليمية والديمقراطية السياسية في ضوء الدولة الرأسمالية، يكون الشعور بالواجب دائماً أمام شبح الواقعية السياسية في ديمقراطية الإعلام ومواجهة المشاكل الإنسانية.⁽¹⁾

لعل القلق من مأساة الشعوب يفوق إحساس تشومسكي بانخراطه مع أمريكا في الرفاهية البراغماتية والمتعة، لأن المبالغة في إهانة الإنسانية بشكل عام هي بتعميم أن الدول تسود على "الأمير" في "السياسة"، وهو ما يرقى إلى الفكر الشمولي الذي تمجده "السياسة الأمريكية". وينتقد تشومسكي أن بناء السياسة على معرفة الواقعيين الذين يريدون إنهاء المصالح التي يقودها الصراع على السلطة للحفاظ على النخب القوية التي يزينها المثقفون بالمكر والتلاعب والتخويف والعنف. كونها وصية مؤسسي الحرية والمصلحة الوطنية لأفرادها المختارين على مثال "هانز مورجنثاو"، "كينيث والتز"، "وجون ميرشايمر" في وضع النظرية الواقعية على معايير براغماتية للدولة الأمريكية لا أساس لها في بأخلاق الإنسانية.⁽²⁾

إن مهمة إدراك أفكار اليسار ومثالية نعوم تشومسكي تتضمن وضع عبء تبرير السلطة ليس فقط على أعداء مثل: هانز مورجنثاو، كينيث والتز، وجون ميرشايمر، ولكن على المفكرين والمثقفين الذين يجب أن نسميهم مثقفين، أي لديهم أفكار وموارد ومسؤولية إنسانية وأخلاقية، لأن آمال الشعب تعتمد على ما يمتلكه من عقلانية وامتياز وموارد لمواجهة التحدي المتمثل في إلقاء اللوم على "إدوارد سعيد"، الذي يخاطب الإمبريالية وثقافة الإمبراطورية خارج المصير القومي، ومسألة إشعاره بالقضايا الدولية، لم تكن مهمة صعبة، لأن أفكاره كانت قليلة من وجهة نظر تشومسكي.⁽³⁾

خطابه السياسي في نيويورك اتخذ طريق الحياة والعمل كشريك رائع لأخلاقيات الرأسمالية والبراغماتية. بالمقارنة مع هانز مورجنثاو، قام بتنظيم العلاقات الدولية مع إدراك أن المنفعة هي مسألة مصير وطني. إذا

(1) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية والفلسفة الفوضوية، المصدر السابق، ص 185.

(2) Anthony R. Di Maggio. Political Power in America: Class Conflict and the Subversion of Democracy, USA, Publisher: State University of New York Press, First Edition, 2019. p 340.

(3) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 185.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

نظر إلى الدول بشكل واقعي، فإنه يشير إلى حماية طبقة الرؤساء، مثل الولايات المتحدة. خوفا من الاستبداد الوطني، يتم تعبئة السلطة بالأخلاق كما ينبغي أن تكون لأن ما هو أخلاقي يلقي بظلاله على الجرائم الوحشية والعنفية للمتقنين المطيعين، بالولاء للدولة.(1)

لهذا يؤكد تشومسكي أن عبارة "المسؤولية تقع على عاتق المتقنين" تثير الالتباسات، والواجب الأخلاقي يسبقه وجود الأفكار والعلم والثقافة. في حين أن ممارسة السياسة الأمريكية هي مسؤولية الشعور بأن الصفات الإنسانية والأخلاقية والكماليات موجودة "لمديري الشركات" أو "مسؤولي السلطة أو الحزب كفرصة للدفاع عن العدالة وحقوق الإنسان وتحدي الشرور والقيم والفساد. لكن من المؤسف أن يصور التاريخ الفلسفي أن ثقافة المثقف التقليدي لسقراط (470 ق.م - 399 ق.م) *Socrates* وأفلاطون (427 ق.م - 347 ق.م) *Plato*، تدير السياسة والدولة بأخلاق الحكمة والعدالة، لكن واقعية الأمير جعلت المثقفين مختلفين بعض الشيء.(2)

تكشف تحليلات تشومسكي للمثقفين أن الجبن والخوف يؤديان إلى الاختفاء، ومذاهب الكتاب المقدس والمسيحية إرهابية وعدوانية بامتياز، والإسلام لم يضع العقل في الجنون والعنف، كما أكد فريدريك نيتشه، بأن تصرفات المسيحية حولت المثقفين إلى إكراه و قمع الإنسانية فهم لممارسة السياسة الأمريكية من النخبة الحاكمة التي تضع غطاء على جرائمهم ضد الإنسانية الإنجيل كالستار الحديدي و كمعلم للقيم الأوروبية وكمراجع للتسامح والأخلاق والديمقراطية والحرية، لكن مفارقاته في عقل مارتن لوتر *Martin* (1483-1546) *Luther* في فكرة التغيير والتعديل في الله والإصلاح الديني، فهي ثورة ضد القيم السياسية والتغيير الاجتماعي، ومعضلة الجنون البشري. أساسه المنفعة والمتعة والمصلحة الذاتية والبراغماتية.(3)

من اللافت للنظر أن نرى تشومسكي يفضح جون آدامز *John Adams* (1735 - 1826)، وهنري كيسنجر *Henry Kissinger* (1923)، وجورج بوش، الذين جعلوا أوروبا ميزان روح القوى العظمى لأن المسيحية الزائفة تحافظ على سياساتها ومصالحها النفعية.

(1) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 185.

(2) المصدر نفسه، ص 186.

(3) سفيان البراق، 14/4/2018. مقال نيتشه ضد المسيحية، قراءة تحليلية في كتاب نقيض المسيح فريدريك نيتشه، تم الاطلاع عليه في 2/1/2023. رابط الموقع:

<https://www.aljazeera.net/blogs/2018/4/14/%D9%86%D9%8A%D8%AA%D8%B4%D9%87-%D8%B6%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D8%A9>

لذلك يرفض تشومسكي قضية العلم الزائف لأن جرأة العقائد التي تم تبنيها مرة واحدة، كما يشير إميل سيوران (1911-1995) *Emil Cioran*، بين المثقفين، يتم تنشيطها على الممارسة الشكوكية الأخلاقية لمنع غرائزك الشريرة ضد مصالحهم في "السياسة"، الإنسان الواقعي لا يشارك في أخلاق مثل المهزوم والضعيف الذي لا يستحق إلا الشفقة من القوي والاحتقار. ويؤكد أن "السياسة الجديدة"، مثل "المحافظين الجدد الأمريكيين"، لديها غرائز خاصة للدين، كل الذين نجحوا في استبداد العالم وممارسة القوة في حيلهم في جلب الإنجيل أو "الرب" كوسيلة في أحزابهم السياسية، والدعاية وجعل السلطة تحافظ على المعتقدات السابقة، لإظهار ضعفها بالتواضع وحسن السلوك، مما يجعلها تخدم مصالح الدولة وثرواتها، حتى تفقد الجماهير والشعوب، قناعاتهم وإيمانهم بقوة العقل والثقافة والعلم.(1)

من المدهش أن يكون لدى تشومسكي تفسيرات تبرر جشع وفساد المثقفين من الكتاب المقدس. لا تتعارض أخلاق الكتاب المقدس مع الأنبياء، لكن النمط على تقاليد فساد المثقفين للشباب الآن في القرن العشرين يمثل أحد الأمثلة على الرجل المثقف والحكيم الذي أفسد شباب أثينا. "سقراط" هو الإنسان المثقف العاقل وليس الدولة أو الآلهة. نفس الإنسان المثقف والمحترم الذي كشف أن الآلهة الزائفة هي نظام مصلحة ويخدع العقل، وعودة الممارسة الأمريكية إلى مبررات المثقفين والمفكرين الذين لديهم أخلاق القداسة ومسئولية التواجد في صفوف الأنبياء مع أدلة من أسفار الإنجيل.(2)

لهذا أدان تشومسكي ممارساتهم لتشويه السلطة بميتافيزيقيا زائفة كان لها دعوة لخلق مفكرين ثوريين بممارساتهم للدولة في جرائم العنف والفساد من أجل المصالح البراغماتية والذاتية للدولة الأمريكية، يؤكد تشومسكي أن الكتاب المقدس نفسه يحذر من الأنبياء الكذبة، وهو مصطلح "للمثقفين اللاأخلاقيين" بالمعنى المعاصر». إنهم يأتون للبشرية بملابس الحملان، لكنهم من الداخل ذئاب جشعون يعرفونهم من ثمارهم بعد ممارسة السلطة أو "السياسة".(3)

لكي يدرك المثقفون أن أخلاقيات الحرية، وفقاً لتشومسكي، يجب أن تتحمل مسؤولية تبرير عبء السلطة والفساد والحروب عن طريق نظريات الفلسفة الواقعية إذا كان لديها حقاً القدرة على تفسير العديد من

(1) إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، تر: آدم فتحي، ألمانيا، دار منشورات الجمل، ط1، 2003، ص 133.

(2) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق، ص 186.

(3) المصدر نفسه، ص 186.

الموضوعات المختلفة بناءً على أسس متناقضة مع الأخلاق والدين "والسياسة" لأنها علوم تكاملية في تعزيز الأخلاق الإنسانية، وبفعل تعظيم المصلحة الذاتية للنخب أو الأفراد أو الدول، يتم فقدان التوازن الأخلاقي بين القوى العقلانية والقوى الشهوانية التي تحكم الدول، كونها جهات فاعلة جماعية وعقلانية يتفوق فيها المفكرون في أي حزب سياسي أو مسؤول. بممارسة الواقعية الأنانية والسعي لتعزيز النفع والسعادة وتوسيع قوتها لمواكبة التاريخ بأمنها على المسرح العالمي. فالأخلاق لن تكون ممكنة، لدول مثل "السياسة الأمريكية" تستخدم العنف كآليتها الأساسية لأن تسوية النزاعات هي من طبيعة المثالية الفارغة بحيث يكون العنف أكثر احتمالاً لإنتاج مكاسب مادية والبراغماتية على عكس التسوية والأخلاق والقيم الإنسانية.(1)

يقوم مبدأ الأخلاقيات لدى نعوم تشومسكي على ممارسة "المتقنين للمسؤولية" بفعل الطبيعة البشرية، والتي لها الجوانب الأساسية التي توفق بين العلم و"السياسة" والمجتمع. لكنه يشدد على أكثر الأسس صرامة للأحكام الإنسانية للأخلاق، أن تكون مبنية على قابلية التطبيق خارج مبادئ النفعية الزائفة لأن العواقب تكون ضارة بالناس شخصياً، عدد كبير منهم لا يعرفون أي شيء يجعل "السياسة" والسلطة جيدة في نظر المسؤولين المتقنين، لأن "الطبيعة البشرية" تنفر من استبداد العلم. وعلى هذا الأساس، تستند "أخلاقيات السعادة" عند تشومسكي، إذا كان الناس مسؤولين بشكل موضوعي عن العواقب الناجمة لأفعالهم، وإمكانية ممارستها بإملاءات أخلاقية وعقلانية مرتبطة بإمكانية "الطبيعة البشرية"، وليس بإنتاج العلم و تكنوقراط.(2)

يبدو أن تحليل تشومسكي "لسلطة المتقنين" تبلور في القرن الثامن عشر الأوروبي على العقلانية الطبيعية عن طريق بناء المعرفة العلمية للنظام السياسي والاجتماعي بما يتناقض مع الحقوق الطبيعية للإنسان. وقد استندت "السياسة" مع تشومسكي إلى إعادة تأسيس «الحق الطبيعي للإنسان»، الذي اختفى في تصوره مع أيديولوجية النخبة المثقفة، التي دعت إليها السياسة الأمريكية مع النخب الألمانية. وعودة الإنسان إلى الحالة التي تكون فيها "السياسة" والأنظمة الاستبدادية غير عادلة، مثل العبودية أو النظام الرأسمالي أو عدم المساواة بين الناس، والتي لا تتوافق مع العدل والعقل.(3)

(1) Anthony R. Di Maggio. Political Power in America: Class Conflict and the Subversion of Democracy, Ibid, p. 340.

(2) نعوم تشومسكي، جون بريكمون، العقل ضد لسلطة رهان باسكال، تر: عبد الرحيم حزل، لبنان - بيروت، دار التنوير، ط1، 2014، ص 37.

(3) علي أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، بيروت-لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، 1996، ص 235.

قد أوضح في ادعاءات تشومسكي المناهضة للأيديولوجية أن "موت المثقف" مثلته فلسفة اندرو أوزبورن (1836-1898م) *Andrew Osborne*. يضاعف من حدة القيمة العنف في الخطاب "السياسي". باختصار، "لصالح النهج الواقعي"، أي الدول القوية تفعل ما تشاء لأن الأمم المتحدة تقتدر إلى القوة وتعاني الدول الأضعف من إكراه، ولا يوجد إنفاذ للقانون الدولي. وتعزيز الديمقراطية من مزاعم العنف والكذب الولايات المتحدة لزيادة قوتها وأمنها من الصين وروسيا ما يجب أن يعرفه "المثقفون الأخلاقيون" أنه لا يوجد هيكل قوة واحد شامل للنهج الواقعي يسيطر على دول العالم.(1)

لذلك يدعو تشومسكي المثقفين إلى ممارسة العلاقات الاجتماعية والإنسانية بدون سلطة. يستند هذا الاعتقاد بالقيمة المثالية إلى نظرية «العلم» و «الحق الطبيعي للإنسان» إنه يهدف إلى أن تكون للسياسة شرعية بالنسبة له، مثل ما ادعى هوغو غروتوس (1583-1645) *Hugo Grotius*، وجاليليو (1564-1642) *Galileo*، وأسسها هي قيم تستند إلى الفكر المثقف الأخلاقي الشمولي، حسب تعبير ميشال فوكو (1926-1984) *Michel Foucault*، ومن جهة القيم العلمية، تمسك المثقفين بالدعوة إلى الحرية والتقدم والعدالة، بوحدة العلم والحقيقة، مع مسؤولية الحق في مواجهة الفساد والاستبداد العالميين.(2)

لأن توسع الأيديولوجيا وموت المثقفين في عيون تشومسكي في "الستينيات" مع مساهمات الحركة الطلابية ربما كان الفضاء الأمريكي الغربي، من رد فعل الطبقة المثقفة في تأسيس "السياسة" على النفور اللاأخلاقي والقلق من الآخرين، من منظور "جان بول سارتر"، خلق الأدبيات المسيئة مع انحراف نحو اليمين، والديمقراطيات، واستبداد المثقفين للشعوب، عن طريق فرض رأسمالية الدولة في الولايات المتحدة، وخلق جوهر الحريات والتعليم وثقافة تهديداً "للسياسة" بقيم مثالية التي أكدها تشومسكي تمثل اليسار الحر المعادي لمفكري الطبقة الرأسمالية، وتملاً الدولة الأمريكية الفجوات في السلطة "السياسية" بفعل قمع جماهير حرية الفكر والعلم من المؤسسات الأيديولوجية التي تهيمن على الشؤون الاجتماعية. تحذيراتها فاشية وشمولية ومثقفة. والعار أن حركتها السياسية هم مثقفون وليسوا البوليس، هدفها هو منع إحياء الأخلاق

(1) Anthony R. Di Maggio. , Ibid, p. 340.

(2) علي أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، المرجع السابق ، ص 236.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

الأرثوذكسية المثالية، المعادية للسياسة الأمريكية، والرقابة، وغسيل الأدمغة للاستسلام للواقعية الميكافيلية البراغماتية . (1)

في هذا السياق، صحح سيدني هوك (1902-1989) *Sydney Hook*، وجهة نظر المثقفين المثالية بأن ثقافة "البراغماتية" لا تدعو إلى "التراجيديا" والوحشية وفساد الديمقراطية وحقوق الإنسان. تكاد قضية العدالة تدفع المرء للاعتقاد بأن "السياسة الأمريكية" ليست وحدها في التدخلات الطائشة التي لا تحترم أغراض الوجود البشري والطبيعة البشرية، ليعارض تشومسكي بطريقة غير تقليدية على أن البراغماتية لها منفعة في حماية الكائن الحي والوجود البشري من الطبيعة المحيطة من (البراكين والزلازل والفيضانات..) التي لا تخضع للطبيعة البشرية، حتى أولئك المثقفين والمتدينين مثل: رالف والدو إمرسون (1803-1882) *Ralph* *Waldo Emerson*، ووالث ويطمان (1819-1892م) *Walt Whitman*، لا يتوقعون قسوة "يوهوبا" أو انتهاك الطبيعة لقواعد الشؤون الإنسانية. (2)

ما يعنيه هو أن قسوة التدخلات البشرية والعلم والواقعية في السياسة هي أكثر من قسوة الطبيعة، لأن الهدف هو الاستفادة دون تقييد الحرية بوسائل مثل الأسلحة النووية. هنا، يتفق مع تشومسكي على العودة إلى الطبيعة البشرية مدفوعة بعناصر الشر، والتي هي أساسًا خارج هيكلها، وأن المنفعة والأخلاق ليسا متعارضين، بل طبيعة مصدر الأفعال البشرية. القول بأن المنفعة والبراغماتية في مجتمع مثالي تمارس بين البشر لأنها تمثل سعادة ووجود الإنسان. (3)

ونتيجة لذلك، لم يدرك المثقفون سوى جزء صغير من معرفة حقيقة العالم، لذا فإن الخبراء في السياسة الأمريكية لديهم هذا التصور بأن العلم يحدد رغبة واهتمام السياسة، لكن لا ينبغي للمرء أن ينفي شكوكه كثيرًا فيما يتعلق بغياب دافع أعمق للتعاطف الإنساني في السياسة بين المثقفين والجمهور، فإن وجودها يؤكد تأييده للطبيعة البشرية في جوهرها.

لذلك يؤكد تشومسكي أن هذه الطبيعة تتضمن « الكفاءة أخلاقية » بالنسبة للدوافع التي يقرها ديفيد هيوم (1711 - 1776) *David Hume*، بأن الحس الأخلاقي لا يمكن تصوره في الواقع، ولن يسعى السياسيون

(1) جون راكمان، نعوم تشومسكي وميشيل فوكو، مناظرة عن الطبيعة الإنسانية، تر: أمير زكي مصر - القاهرة، دار التنوير للنشر، ط 1، 2015، ص

(2) Cornel West, The American Evasion of Philosophy, United States of America, Board of Trustees of London and University of Wisconsin for Printing and Publishing, first edition, 1989 AD, p 123.

(3) Ibid, p. 123.

أو المثقفون التجريبيون لإثبات ذلك بفعل الملاحظة والتجريب لأنه شكل من أشكال العاطفة، يحدد منطق الممارسة الأخلاقية والسياسية والاجتماعية بقدر كبير من الحدس والوضوح، بأنها الدوافع التي تحرك البشر سياسياً نحو المصالح، لذا فإن فهمهم في العصر الحالي للعقل أفضل مما كان عليه من قبل في القرن السادس عشر. ولكن حتى لو استمر الإنسان المعاصر في فهم كل شيء بفضل العلم، فإن قضية الطبيعة والعواطف هذه لن تؤسس لمبدأ العلم والعقل في تقديم ملاحظة الأساس للأحكام الأخلاقية.(1)

على هذا الأساس، يحاول تشومسكي تجاوز البراغماتية الأمريكية في السياسة وإنشاء ضمير إنساني يتجاوز الطبيعة التقليدية للبشر تقع على عاتق المثقفين مسؤولية دحض الميل الطبيعي للعدوان والعنف، بتطبيق التعاطف كأسلوب أفضل من المنطق ويوجه الأفراد نحو العمل الأخلاقي الذي يحد من الميل الطبيعي للظلام. يُبين آدم سميث حقيقة أن التعاطف واللفت والاهتمام بالآخرين والتضامن يحتاجها المجتمع من أجل البقاء ولا ينكر ذلك بأن الظلم والقمع لا وجود لهما.(2)

بدلاً من ذلك، فإن عبء المسؤولية في مؤسسات الدولة الاستبدادية والديكتاتورية هو تبرير السياسة في الحضارة الغربية، وفقاً لتشومسكي وسميث، فإن انعكاس الطبيعة البشرية لا يقل أهمية عن فتح فهم لحياتنا بفعل تصميم خطوات لقمع المفاهيم العنيفة والحفاظ على الخصائص الأساسية الأقل خطورة لطبيعتنا والتي هي نقطة الجاذبية المشتركة للبشر؛ لأن الأفكار والأفعال الأخلاقية التي يعيشون بها ليست سوى نتاج لطبيعتهم المشتركة ككائنات اجتماعية، فمن مهمة الأشخاص المسؤولين فكرياً هي جعل السياسة الاجتماعية تشكياً ثقافياً ومؤسسياً مدمراً لأيدولوجية تتعارض مع طبيعتنا.(3)

يبنى تحليل تشومسكي للسياسات الليبرترية على اعتقاد الناس بأن غريزة الحرية هي البراديغم الذي يحدد إرادتهم ومعرفتهم بشؤونهم الخاصة بدون فرض المثقفين المفوضين فرصة للقيام بأشياء لها معنى العبودية والسلطة والولاء، لذلك يمثل تشومسكي الطبيعة البشرية على أنها عمل تحرري وبناء، بطريقة لفهم جوهر الممارسة على أنها مثالية ومتسامية بحيث تكون مسؤولة عن عدالة متساوية مع الآخرين. بحيث يكون لنهجها قناعة مؤكدة بذاتها في موضوع العمل تجاه الآخر. إنها ليست وسيلة لإثبات ذلك. أن يكون ذلك حقاً

(1) نعوم تشومسكي، جون بريكمون، العقل ضد السلطة رهان باسكال، المصدر السابق، ص 37.

(2) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، المصدر السابق، ص 245.

(3) المصدر نفسه، ص 245.

طبيعياً سوف يدفع الشكل البشري إلى التطور والتقدم بفعل الأمل، مصحوباً بالعالمية والتعميم في الهياكل الاجتماعية، بوساطة شكل أخلاقي كافٍ. ناتج عن الجوانب التي تنظم أهداف الحياة المتساوية والحرية التي لا مفر منها في الطبيعة البشرية والتي سوف تتجلى في الوجود المادي.(1)

لذلك لا يوجد نهج لإثبات أو دحض حقيقة وجودها. تعتبر الطبيعة البشرية، بقدر ما هي متسامية عن أي شيء، مصدرًا للحكم الذي يقوم بإجراء مقارنة غريزية وسليمة. إنها تمثل دائماً إعادة تهيئة البشر. لذلك يرى المثقفين المثاليين بعقلانية على أن وجودها في الإنسان مقيد بقيود بيولوجية قوية للغاية على مستوى التفكير والعلم، فيما يعتقد تشومسكي بأن الفعل، والخيال، والمخاوف، والإدراك، والآمال، وما إلى ذلك، تحدث في الوجود بها. ولكن تفسيرها الفلسفي لما يُعرّف بالبنية الخارجية لا تظهرها الكليات العقلية ولكنها فطرية ومدفوعة بالمشاعر والميول.(2)

يظهر ذلك في فعل "الرواية" على أنه أكثر مقاربة لصدق الواقع، حيث يتحد الخيال والمعرفة والعلم في الروح، أكثر مما يمكن أن تفعله معظم العلوم، على عكس ما يتغلغل في ذات الفعل الواقعي. بالنسبة لتشومسكي، يستخدمها كل فرد كأساس يحقق آماله أو تقاوله القوي عن طريق التحرك نحوه أو الابتعاد عنه، يظهر هذا الاعتقاد من قبل تشومسكي بالممارسة الفعلية للثقف بالفضائل الطبيعية البشرية التي أظهرها جرامشي سابقاً في بيانه الاستراتيجي الوحيد الأكثر معقولة، يجب أن يكون لدى كل إنسان "التشاؤم" في "الفكر والتقاؤل في الإرادة"، وهذه هي الممارسة الفعلية للسياسة وتغيير المجتمعات وتحرير الناس. لأن التفكير في التحرر يدفع إلى خيبة الأمل والتقاؤل واستحالة الوجود، ولكن على أمل أن تكون الإرادة ممكنة، يصبح العقل والتفكير قادرين على إيجاد حلول لمجتمع بديل يعيش أفراداه على قدم المساواة وبشكل مشترك.(3)

(1) نعوم تشومسكي، تواريخ الانشقاق، تر: محمد نجار، عمان، الأهلية، للنشر، ط1، 1998، ص 333.

(2) Noam Chomsky, David Barsamian, Records of Dissent USA, Richmond Public Library, 1st ed., 1992, p 354.

"Chomsky says: 'There is no way to prove it or disprove it. We don't know anything about human nature. If we're rational we know that it exists and undoubtedly there are very powerful biological constraints on the way we think, what we do, what we conceptualize, what we imagine and our fears and hopes, etc.'"

(3) Ibid, p. 354.

"Chomsky says: I think no one has ever said it better than Gramsci in his famous comment that 'you should have pessimism of the intellect and optimism of the will.'"

في هذا السياق، ربما تكون غريزة الحرية اعتقادًا ينبع من طبيعة البشرية وفقًا لتشومسكي ويتناقض بشكل ملحوظ مع العلم والمعرفة بضرورة التفكير، تفقد الذات التعاطف الفلسفي لإرادة الإنسان كإحساس مشترك مع الآخرين، هذا هو السبب في أن الاستدلال على علم الطبيعة البشرية، في الواقع، مرتبط بحالة قوية جدًا، وهي أن الاستدلال عليها يتجاوز مبادئ التجريبية الجذرية والبراغماتية حتى على العلم. يؤكد تشومسكي أن مثل هذه الحجة تم تقديمها بشكل صحيح للغاية من قبل مؤرخ العلوم البارز ريتشارد بوبكين (1923 - 2005) *Richard Popkin*، بأن القرن السابع عشر انفتح بأزمة شك، ظل الناس يدركون أن إنشاء المعرفة على أساس اليقين غير ممكن على الإطلاق.⁽¹⁾

لذا يجب أن يؤخذ اكتشاف المعرفة حول العالم موضع التنفيذ، لتقييم الحقيقة، ويجب وضع قبول المعرفة على هذا النحو في اختبار معاييرنا كمتقنين. لأن الطبيعة البشرية توسع فهمنا لوسائل المعرفة والعلوم خارج الوسائط الفيزيائية المادية، لكن ما يمكن أن تأمله هي الطريقة التي تعمل بها ممارسة المثقف على تحسين سلوك المجتمع والواقع السياسي، إلى مدى الذي ينطبق فيه هذا كمياري إنساني، لأن الفضيلة والصالح الأسمى من أسرار الطبيعة والإرادة الفعالة، لكن أولويتها على العلم واضحة؛ فإن الاعتراف بأن العلم هو الكاشف الوحيد لأسرار الأشياء في حد ذاته جعله محجوبًا عن معرفة أنفسنا وطبيعتنا البشرية إلى الأبد.⁽²⁾

لذلك يعتقد تشومسكي أن التحولات التي تحدث في الواقع السياسي والاجتماعي نتيجة الإرادة الدافعة إلى العمل والتغيير إلى الرغبة والحب والأفضل والمصلحة، وتأثيرها من الطبيعة البشرية له الأسبقية عن العلم، فلم يضيف يقيناً إليها إلا بالتفسير، لكن تحرر الإنسان من القهر والعنف والاستبداد في السياسة يتطلب من المتقنين لفهم الطبيعة البشرية لأنهم يختلفون في المطالبة بأحكام أخلاقية يقيناً، لا يمكن للمرء أن يتوقعها تقنيًا من العلم.⁽³⁾

لذلك، يعتبر تشومسكي أن معرفة الطبيعة البشرية لا تنعكس في السيطرة التي يسعى إليها الإنسان من العلم التجريبي في العالم المادي. ذلك يعكس فقط نمط التفكير في المعرفة. فإن طبيعة العقول البشرية لا تمارس الضغط التطوري الذي يختار النظريات والعلوم لجعل البشر لديهم القدرة على إنتاج عقول لديها القدرة

(1) نعوم تشومسكي، جون بريكمون، العقل ضد لسلطة رهان باسكال، المصدر السابق، ص 37.

(2) المصدر نفسه، ص 38.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

العلمية على حل المشاكل الإنسانية والسياسية. نظرًا لأن الطبيعة البشرية هي الوضع الأصلي والجوهري لتشغيل القوانين الفيزياء، وتكوين العلم، وتوليد الأفكار⁽¹⁾.

لن يكون مفاجئًا بالنسبة لتشومسكي إذا كان لديها بنيات المحددة التي تنظم البشر من أجل الممارسات الأخلاقية في العالم المعاش. يتضح هذا بفعل مبدأ التعاطف البشري. ككائنات بشرية، ليس لدينا الحس السليم أو بعض مبادئ السمو الأخلاقي للطبيعة البشرية، لأن النبوغ البشري يسير في اتجاهات مختلفة في الواقع، فإن إنجازات بنياتنا العقلية بما في العلم تقف ذاتها كعقبة أمام تقدمها في مجالات أخرى من الحياة، مما يجعل الفهم العام لممارسة العمل وفق مبدأ الطبيعة البشرية لخلق من العلم والمعرفة فهماً مشتركاً وشاملاً بشروط معقولة توفر مبادئ صارمة ومُقيّدة تؤدي إلى التحرك في اتجاه إنساني وأخلاقي واحد فقط.⁽²⁾ يمكن للمرء أن يلاحظ مع تشومسكي تشكيل الأيديولوجية في السياسة الأمريكية وبطريقة غير حكومية وسرية، حظيت هيمنة اللجنة الثلاثية (1973) بدعم المثقفين الليبراليين، ونفوذها غير الأخلاقي أسسها: ميشيل كروزيير (1922-2013) *Michel Crozier*، وصامويل هنتجتون (1927-2008) *Samuel Huntington*، وجوجي واتانوكي (1931-2015). تتمثل أهدافها الواقعية في غرس مبدأ هيمنة المؤسسات المسؤولة عن النظام الرأسمالي والاقتصاد الكينزي على أنه تحيز للسياسة الأمريكية بالتعاون مع دور المثقفين في أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية واليابان كتهديد للقيم الإنسانية الشرقية ومناهضي المثقفين دعاة كارل ماركس والاقتصاد الأرثوذكسي، وفجأة، دفعت اللجنة إلى الاستبداد الحقيقي، و «أزمة الديمقراطية»، وخطر حقيقي للرقابة الأيديولوجية على الناس عن طريق إجبار الحركة الطلابية على شمولية اليسار في فيتنام للتخلي عن الاقتصاد الماركسي، وهو قرار كنزي أمريكي بأن البراغماتية لها الأسبقية مادية في السياسة على المثالية والأخلاق.⁽³⁾

يشير تحليل تشومسكي إلى أن أزمة الإنسانية والديمقراطية في العالم مرتبطة بالمفوضية الأمريكية الثلاثية، التي لديها تحولات عديدة بين المثقفين البراغماتيين الليبراليين بأفكار جون ديوي والعلماء التكنوقراط. تأسست على خلفيات فكرية، بما في ذلك "قضية دريفوس"، للترويج لثقافة معاداة السامية والتي هي ألم

(1) نعوم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010، ص 70-71.

(2) المصدر نفسه، ص 70-71.

(3) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، ترجمة: أمير زكي، مصر-القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2015 م، ص109.

الفلسطينيين؛ كان لهذا الانقسام بين "المتقنين المفوضين" و "الأباتشي" والمتقنين المنشقين "، صراع موجه نحو استيعاب مصطلح "القيمة" وفقاً لتشومسكي، فإن تحليلهم داخل السياسة الأمريكية ينقسم إلى نوعين: (1) - أولاً، المتقنين المفوضين الجادين أو التكنوقراط، طبقة من السياسيين البنائين.

- ثانياً: طبقة المنشقين أو المتقنين ذوي "القيمة" يشار إليهم من قبل السياسة الأمريكية على أنهم نخبة شريرة تتحدى السلطة ومعادية للديمقراطية، مما يديم خلق الارتباك في أذهان الشباب والجماهير، في نزع الشرعية عن تلقين عقيدة المؤسسات المسؤولة، وفضح شرعيتها على أنها خطراً جسيماً ضد سياسة الدولة.

وفي حالات أخرى، تقع على عاتق متقني تشومسكي مسؤولية تحدي التكاليف غير الإنسانية الباهظة للعمل السياسي، بسبب الأيديولوجية التي تحدد ما يهم السياسة الأمريكية الكينزية والبراغماتية. هناك العديد من العوامل الوحشية في تزوير الحقيقة. تفشل علوم الدماغ في إدراك ظواهر العقل، وهي عوامل غير إنسانية تخلق الوجود البشري، بدلاً من ذلك، فإن التهديد بمصير الوجود يقضي على البعد الأخلاقي، الذي له علاقة بالعواقب السياسية الدولية المحتملة، خاصة بالنسبة للكينونة الجنس البشري. "مسؤولية المثقف والكاتب لدى تشومسكي هي أنه يجعل حكم عمله قانوناً للإنسانية جمعاء"، والمثقف المعاصر "كعامل أخلاقي في تقييم الحقيقة ذات الأهمية الإنسانية" لشعوب العالم الذين يمكنهم فعل شيء لتغيير إلى مجتمع جيد حيال ذلك. (2) إذن، لدى تشومسكي رؤية للصراع السياسي تقوم على المتقنين الدوغمائيين والمتطرفين وغير العقلانيين، مدفوعة بالمصالح البراغماتية للجنة الثلاثية. إن أي نقاش حول أزمة الديمقراطية يقضي على الواقعية التي تركز على حرب فيتنام. لذا فإن الدولة الأمريكية تغرس السياسة الواقعية الأخلاقية في أجندتها باعتبارها الدين الليبرالي للنوايا الحسنة الدولية، وتشعر العديد من أشكال المعارضة من المتقنين المثاليين في أساليب

(1) Noam Chomsky. Towards a New Cold War: U.S. Foreign Policy from Vietnam to Reagan. Ibid, p. 69.

"Chomsky says: The intelligentsia, who, according to their analysis, come in the familiar two varieties: 1 the "technocratic and policy-oriented intellectuals," responsible, serious, and constructive; 2 the "value-oriented intellectuals," a sinister grouping who pose a serious danger to democracy."

(2) Noam Chomsky. Powers and Prospects Reflections on Human Nature and the Social Order, Boston, Massachusetts, US, Library of Congress Publishing, 1st ed., 1996, p. 72.

"Chomsky says: [...] it is a moral imperative to find out and tell the truth as best one can, about things that matter, to the right audience [...] the responsibility of the writer as a moral agent is to try to bring the truth about matters of human significance to an audience that can do something about them. That is part of what it means to be a moral agent rather than a monster. "

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

انتقادية لارتكاب أخطاء ضد الشعب في فيتنام. ويظل اليسار مستبعدًا. ويتم استبدال المفكرين التحرريين بقيادة ومؤسسات سياسية بحجة أن الأمريكيين طيبون وليس أشرارًا بطبيعتهم⁽¹⁾.

يؤكد تشومسكي أنهم يمثلون تهذيب المثقفين وتنتقد إخفاقاتهم بأساليب مثل التحريض ضد سلطة الدولة، أو الرغبة في السيطرة، أو تعزيز الحكومات الديكتاتورية. وهذا ليس، من وجهة نظر تشومسكي، تشاؤمًا، ولكنه ترتيب للإجراءات المستقبلية لبدء التدخلات في إندونيسيا وتشيلي والبرازيل بنوايا خادعة منمقة بأخلاقيات التسامح، لكنه يوضح أن تراجع الإمبريالية عن فيتنام، الغرض منه هو تحويل موارد الأيديولوجيا إلى المثقفين الدوغمائيين للحكومات في مكان آخر⁽²⁾.

و ما يعنيه تشومسكي أن يكون فاعلاً أخلاقياً وليس وحشاً. ما يظهر في العالم هو نظام من الممارسة المعيارية للسياسة في المجتمعات الفكرية التي ترفض لهذا المبدأ الأخلاقي الأساسي. ومن الصفات التي يجب أن تكون بارزة في المثقف في الواقع، الحماس والعاطفة. لمساعدة البشر الجاهلين والضعفاء من عمق تاريخي منخفض في القيم، عندما يكون العقل هو المقياس الطبيعي للممارسة السياسية ذات المسؤولية الأخلاقية، فإن خطاباتك الفلسفية تُظهر في الواقع الواجب الأخلاقي والإنساني. ويكون لديها مرتبة المثقف الكلي المثالي الذي يمثل تشومسكي للحديث عن أي قضية تمثل حلاً للاستبداد الحقيقي، مثل تلك الموجودة في: الشرق الأوسط وتيمور الشرقية⁽³⁾.

من المثير للاهتمام بالنسبة لتشومسكي أن يفكر المرء أو الجمهور في المعيار الذي يتم بفعله تطبيق المبادئ الأخلاقية الجوهرية في السياسة، يجب أن تكون سلطة المثقفين الغربيين رسالة مشرفة منسجمة مع الحقيقة والكلية والمثالية في مؤسسات الدولة الأمريكية، انقلبت مقاييس طبيعة البشر إلى القاعدة في نظام القيم في الحياة الاجتماعية، مع أولوية المصالح ورضا عن الجرائم التي تفرضها السياسة بمسؤولية المثقف، كانت الحقيقة المزعومة هي أن المثقفين الروس صقلوا الإنسانية والواقع باعتبارهما مسؤوليات أقرب

(1) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 141.

(2) المصدر نفسه، ص 141.

(3) Noam Chomsky, Powers and Prospects Reflections on Human Nature and the Social Order, Boston, Massachusetts, US, Library of Congress Publishing, 1st ed., 1996, p. 72.

إلى الطبيعة البشرية التحررية لمجتمعاتهم، ظل عملاً خاضعاً ومخلصاً للمدح والشرف لطمس المعرفة والحقيقة والتستر على القوى السياسية وعملائها في المؤسسات الدولة.(1)

ينتقد تشومسكي مثل هذه المبادئ في السياسة الأمريكية ومساهمتها في صنع (العلم) سيطرة على الجسد وترويضه لتأسيس الهيمنة والإشراف على المؤسسات الصحة لدعم النظام الرأسمالي، فإن استغلال البشر عن طريق ممارسة تأثيرات القوة في الطب الطبيعي أو الطب النفسي هو وظيفة سياسية، كما يصفها ميشال فوكو، والمرض هو جوهر إحساس المثقفين بالمسؤولية لتكييف العلاج والإصلاح مع تدخل سياسة الدولة في المجتمع على النموذج من التدابير الصحية.(2)

لذلك فإن آليات الاعتقال العيادي والقمع والإكراه تخلق الأفراد تحت المراقبة مما يؤدي إلى تمويل اقتصاد ورأسمالية الدولة، بدأ هذا يتضح فيما يتعلق بضرورة الطب والسلطة في الدولة، مع نهج الديمقراطيات الغربية ضد ممارسات الحكومات الفاسدة مثل الستالينية (1955-1960)، والتي مثلت الواقعية اللإنسانية ضد المثقفين والأطباء في (معسكرات جولاج). لهذا السبب يؤكد تشومسكي وفوكو أن الوضعية التقدمية (للعلم) قد مثلتها السياسة الأمريكية كقوة ضد وسط المثقفين داخل الحزب الشيوعي الفرنسي، فجعل المثقفين الماركسيين بقيمة العلم وسد طريقه بعد أن فُتح وراء إنجلترا ولينين، انهيار اليسار الاشتراكي التحرر.(3)

لذلك، فإن فائدة السياسة الأمريكية هي التطور العلمي للذرائعية لكل من بيير دوهم (1861-1916) *Pierre Duhem*، من التجربة والحدث والموقع في فلسفة ألكسندر كواريه (1892-1964) *Alexandre Courrier*، لإدموند هوسرل (1859-1938) *Edmund Husserl*، فكرة التجديد الأخلاقي، التي تمثل تأييداً للسياسة الأمريكية التي تقوض استقلال الإسلام الراديكالي والعقلانية، يؤكد تشومسكي هذا الاستقلال ما يقلق المثقفين البراغماتيين في الولايات المتحدة، لأن قضية القومية هي الخوف والشعور بعدم الرضا عنها، لأن الدوافع النبيلة لدى البشر على وجه الخصوص هي مقارنة الواقعية الداهية لمنع الحرية والديمقراطية.(4)

(1) نعوم تشومسكي، قوى وآفاق تأملات في الطبيعة الإنسانية والنظام الاجتماعي، تر: ياسين الحاج صالح سوريا — دمشق، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط 1، 1998، ص 129.

(2) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 173.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص 174.

ربما يكون من المفيد لهذه النظرة لقيمة العلم، التي تسيّس مسؤولية المثقفين، تتبع التداخل الفلسفي بين البنيوية الظاهرة مع تشومسكي وفوكو، نسبةً لترتيب المجتمع المثالي دون حقائق الفاسدة الأخرى، المتعلقة بفلسفة وأخلاقيات العلم، وجد تشومسكي أن كتابات بول فييرآبند (1924-1994) *Paul Feyerabend*، (ضد المنهج)، تؤكد تلك الأيديولوجيات والممارسات السياسية، كوسيلة للدولة الأمريكية لتبرير الغاية البراغماتية، فإن الأمر مزعج لتشومسكي أنه من المخزي اختيار نظام معرفة أو علم خارج خدمة الإنسانية، لهذا السبب في أن تشومسكي يرى الخلل في الممارسة وليس في العلم أو الفلسفة، لأن المثقفين يُنظَرُونَ للفكر خارج الطبيعة البشرية وضد منهج البنية العقلية.(1)

كما يؤكد فييرآبند، فإن ممارسة العلم في السلطة عن طريق الخداع والاستبداد أمر قسري بفسنه، في توزيع الثروة ما يشكل كارثة على المجتمع العالمي. فإن تصور فييرآبند لفصل العلم عن الدولة كحل للإنسانية يقع خارج تصور تشومسكي لمسؤولية المثقفين، لأن هدف تشومسكي وفوكو هو ممارسة السياسة بقيم عصر التنوير بفعل مراجعة ذاتية لأخلاق المثقفين، يعارض فييرآبند في إيجاد حل بالطريقة التقليدية للمجتمع المستقبلي بحجة ذلك إذا أمكن الفصل العلم عن الكنيسة يمكن فصل العلم عن الدولة.(2)

لا توجد اختلافات تقريباً بين تشومسكي وفوكو حول مصطلح المثقف ومسؤولية المثقفين. قضية الفساد في السياسة الأمريكية هي مسألة تشكل مجموعة من القطعان المعرفية وفلسفتها هي التلاعب والملاءمة والإدارة والسيطرة على الناس لأن تراكم رأس المال يعتمد على الصحة والجنس والديموغرافيا. لأن العمل الذي يقوم به المثقفون هو مواجهة السلطة التي وراءها دوافع عدوانية غزيرة، مثل إشباع رغبة الأحزاب أو الطبقات، عن طريق انتهاك حقوق الآخرين. ولمعالجة مشكلة هذا الفساد اللإنساني والسياسي، يجب على المرء أن يكون مثقفاً "عضوياً"، سيد الحقيقة، صانعها ومتحدثها، كمنظمة عالمية(3).

مع ملاحظة تشومسكي وفوكو أن السياسة الخارجية الأمريكية لا تحظى بالاعتراف بحقه مثقفاً فكري، لأن المثقفين في الدولة الأمريكية هم مجرد البروليتاريا المستغلة لتحقيق الثروة للنظام الرأسمالي، إذا كان يقصد الاحتياجات اليومية والاستهلاكية للإنسان داخل الدولة الأمريكية الرأسمالية، فإن الواقعية تثير اشمئزاز

(1) طاهر حسو الزبياري، النظرية السوسيولوجية المعاصرة، الأردن، عمان، دار البيروني للنشر، ط1، 2016، ص 84.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 193-194.

الحديث عن "المتقف اليساري" أو الاستماع إلى خطابه، عن الوعي والضمير الجماعي، وتجده معارضاً للبراغماتية. لذلك فإن كل من دعاه تشومسكي وفوكو المتقف ليلعب دوره في التغلب على مشاكل السياسة والهيمنة الأمريكية بتبني نموذج، «الكلية» و«المثال» و «الحقيقة الأخلاقية والسياسية للجميع»، فلا بد أن يأخذ رمز العدو من ذاته وليس من الآخر دون تشكيل البروليتاريا المختلفة، مثل: الشركات، و أجهزة الدولة. (1)

يبدو أن تصور تشومسكي لمسؤولية المتقفين والكتاب له نفس البعد الإنساني و الأخلاقي مثل ميشيل فوكو وأنطونيو جرامشي وإدوارد سعيد، يقترن هذا بوجود نهاية للقيم الإنسانية للغرب التي تمثلها السياسة الأمريكية من قبل متقفين لا يتمتعون بأخلاق المثالية. في هذا المستوى من العمل البشري، تظهر التعقيدات بسرعة أمام العقل المتقف في ممارسة السياسة، التي تهيمن عليها الميكافيلية والواقعية. لهذا بدأ النموذج الغربي للقيم المثالية والإنسانية. من الضروري و لما يصفه تشومسكي بأنه كاتب أو متقف أن يكون فاعلاً أخلاقياً في اكتشاف الحقيقة، ومعرفة الأشياء المهمة في أي مجال، وخاصة السياسة، وقول الحقيقة على أفضل وجه ممكن للجمهور المناسب. بالنظر إلى أن مؤهلات التحدث باللغة النقد هي في الواقع صعبة خاصة في المجتمعات الحرة جداً والمكلفة على المستوى الشخصي للمتقفين الأكثر ضعفاً. (2)

يستند المبدأ الأساسي لتشومسكي وفوكو في فهم السياسة والتسييس ومسؤولية المتقفين على نموذج دولي تمثله السياسة الأمريكية والذي انعكس في حقيقة أن القيم والأخلاق والثقافة منفصلة عن السياسة والاقتصاد عن طريق تدخل الملكية والثورة في البنى "التكنوقراطية" في مجال السلطة، اندلع صراع بين "المتقف الكلي" الذي يمثل مبدأ الفولتيرية والحرية والحقيقة الأخلاقية الشاملة، وبين "المتقف المتخصص" الذي يدعم السياسة الأمريكية بمؤهلاته العلمية. فمثل المتقفون خصوصية أزمة الجامعات في نمط يلغي تكامل المعرفة بين الإنسانيات والطبيعة لتمكين السلطة من السيطرة والرقابة على الجنس البشري. (3)

ما يثير بعض الاهتمام في نقد تشومسكي هو المبادئ السياسية والاقتصادية المتطرفة التي تلجأ إلى تمثيل موجة المستقبل. كإثارة حرب صليبية (استعادة الديمقراطية) في أيدي متقفين مستبدين لا يخضعون

(1) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 194.

(2) Noam Chomsky. Powers and Prospects Reflections on Human Nature and the Social Order. Boston, Massachusetts, US, Library of Congress Publishing, 1st ed., 1996, pp. 71 72.

(3) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر نفسه، ص 195.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغمية للسياسة الخارجية الأمريكية

للمحاكمة والمسؤولية، يقع الدليل على الليبرالية الجديدة في التكامل مع الولايات المتحدة، كما أوضحه جورج لاكوف (1941) *George Lakoff*، وإنجازات الفكر الاستبدادي التكنوقراطي، والاعتراف بها كمصدر علمي. وكأداة قادرة على إقناع الناس بعبادة الإيمان الجديد حقًا، فالمشاركة في الغالب خارج تقليد السياسة من « المنشقين » لدعم الواقعية الريغانية من المثقف توماس كاروترز (1956) *Thomas Carruthers*، بهدف تزوير الفكر الليبرالي والتقدمي بقناع النموذج اللينيني كخطوة نحو هيمنة الرأسمالية على المجتمع الدولي. (1) الغرض من فهم المسؤولية والتخصص بين العلماء والمثقفين، وفقًا لتشومسكي، هو تفسير الظواهر الاجتماعية والسياسة النموذجية في المجتمع الصناعي الحديث من تحليل كلاسيكي مبني على تحذيرات باكونين فيما يتعلق بعلاقة "التكنوقراط" بقاعدة "الذكاء العلمي" في تطوير "القوة والسياسة" من طبقة جديدة لها قيمة ومركزية في الدولة، تحت مسؤولية مثقفين تقنيين وخبراء علميين، وتشكيل نخبة فكرية من الطبقة الأرستقراطية الحاكمة. فإن علاقاتها الوثيقة مع الاستبداد عميقة في الولايات المتحدة تجعل "المثقف المتخصص" مركزياً في هياكل الدولة والسياسة مع ملكية الشركات، والبرامج القائمة على الجامعات، والسيطرة على الحرية الاقتصادية والإدارة الصناعية. (2)

يؤكد تشومسكي بأن دورها ضد السياسة المثالية ينعكس في الاتجاه الذي اتخذه روبرت أوبنهايمر (1904-1967) *Robert Oppenheimer*، كرمز للمثقف "المتخصص" الذي طورت ثقافته الولايات المتحدة كتهديد نووي عام، لذلك أصبحت هذه العلامة مقدسة بالنسبة لـ "المثقف الكلي"، وانخفضت الكتابة والتفكير في أشياء مثل السياسة إلى نمط سياسي بيولوجي. وهذه الأزمة هي انتقال المثقفين إلى سيطرة الخبراء، وهي أساس البراغمية في السلطات السياسية وظهور فكرة "الخبير السياسي"، "الاقتصادي" و"التجريبي". لذلك يؤكد فوكو أن المعرفة والأخلاق المثالية لدى دي سوسير (1857-1913) *de Saussure*، وتشومسكي في محاربة فساد السياسة الخارجية الأمريكية بفعل (اللغويات و السيميولوجيا، والتحليل النفسي) كالأدبيات البسيطة

(1) نعوم تشومسكي، الربح مقدماً على الشعب، تر: لمى نجيب، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2011، ص 117 118.

(2) Noam Chomsky, *Towards a New Cold War: U.S. Foreign Policy from Vietnam to Reagan*, United States, University of New England Press, first edition, 1979. p 62 61.

“Chomsky says: [...], Bakunin warned that the new class will attempt to convert their access to knowledge into power over economic and social life.' They will try to create the reign of scientific intelligence, the most aristocratic, despotic, arrogant and elitist of all regimes, [...] and the world will be divided into a minority ruling in the name of knowledge, and an immense ignorant majority. “

لإعادة القيم الإنسانية والحرية وفهم الأشياء داخل الدولة الأمريكية أو في العالم، فعلى المثقفون الوعي بأن لديهم مبدأ الاستشارة وممارسة الكلية في الكتابة والفكر والأخلاق.(1)

هناك أداء من وجهة نظر تشومسكي يمثل مركزية عظيمة تسمى القيم المفرطة والمزيفة بروح القوة العظيمة؛ عملها عبارة عن تزييف لمبادئ الديمقراطية الراسخة في العالم كما في نسخة مفكري وفلاسفة اليونان، يمثل انحلال القيم العقيدة الجديدة للأوساط العلمية بواقعية عنيفة، تلقي ملامحه بظلالها على الولايات المتحدة بانتقاد السياسات من المثقفين المندمجين مع عقيدة "المركنتيلية" مساوٍ لحكم الأقلية المثقفة التكنوقراط، يتم تعزيزه كامتداد يدعي الأخلاق الليبرالية الكلاسيكية التي تهيمن عليها الصحافة الغربية بأوهام تروج للإنسانية وأنها تمجد الخير الأسمى للعدالة وترسي حريتها في أمريكا والعالم. كمرحلة خطيرة، شهد انتقادات من آدم سميث وواقعية في وحشيتها الكاملة في فيتنام، وكذا من جون ستيوارت ميل باعتبارها مستبعدة من النزاهة الأخلاقية لأن أكثر المثقفين الداعمين لها في بريطانيا إنهم لا يمثلون قيم إنجلترا الحديثة للعالم "كقوة خيرية" ذات مصلحة أخلاقية مشتركة بدلاً من كونها شيئاً لمصلحتها الخاصة.(2)

ربما يكون إدخال القيم الإنسانية العالمية وتطويرها، بافتراض نموذج عالمي للمثقف "الكلي"، أو نابعاً من هيئة التحكيم (المحلف) أو المستشار، بالنسبة لكل من فوكو وتشومسكي، يجد المرء هذا الاتفاق حول هذا النموذج من المثقفين الذين يملأون فراغه في بلدان الشرق والعالم العربي بنمط الاشتراكية منذ عام (1945)، والذي يمثل تجديداً في القيم العالمية للسياسة عن طريق صياغة ميثاق الأمم المتحدة وتزامن الأحداث مع المعارضة العلمية لاختفاء دور المثقف الوجيه (*The defiant intellectual*)، الذي يحمل القيم من القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، كرمز تاريخي مختص تماماً في الواقع وفي الحقيقة، يعارض ممارسات القوة والاستبداد الأمريكي، ومظالمه ضد الشعوب، ويمثل ثقافة النضال السياسي السلمي.(3)

وهو يدعم الكلية في قيم العدل والمساواة والأخلاق والقانون المثالي وتحارب الثروة والرأسمالية، يقوض سياسة العلم بالدلالات المثقف "المتخصص" الذي يمثل دوره علماء الذرة وخبراء السياسة والأطباء وعلماء الأحياء. على سبيل المثال، في الولايات المتحدة الأمريكية، ظلت سلطة المصطلحات العلمية بمثابة دعم

(1) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 196.

(2) نعوم تشومسكي، مداخلات، المصدر السابق. ص 187 188.

(3) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، المصدر نفسه، ص 197.

لهيمنة الدولة الأمريكية على العالم، تمثل الإمبريالية، عن طريق عمل (الجيش والإعلام والكتابة والجامعة). كلهم مثقفون متخصصون في آليات تأثير الدولة واستهلاك الأفراد لقيم الكوارث البشرية في العالم المعاش. (1)

في هذا السياق، يشير تشومسكي إلى أن المثقفين التقنيين هم ديناميكيات الإنتاج العلمي للدولة، وبالتالي فإن تشكيلاتهم لا تتحدى اجتماعيًا احتياجات أولئك الذين يتحكمون في قرارات الديمقراطية الرأسمالية. إنهم يمارسون السلطة نيابة عن القاعدة الشعبية للمجتمع. بالنسبة لتشومسكي، فإن ممارستهم للسياسة هي عكس ما اقترحه فييرآبند. بمجرد استبعاد العلم من السياسة، يتحرر البشر من القيود الاقتصادية التي تسود فيها المؤسسات والدولة على الحرية والديمقراطية في العصر الحالي، يعتقد فييرآبند أن التفسير العقلاني هو تجاوز العلم الغربي للتقاليد الإنسانية والتنويرية، بطريقة تجعل السياسة وحقائقها موضوعية، وهذا هو عيب فييرآبند في فهم التحليل البنيوي الذي يقره تشومسكي بأن التحرر البشري يتعارض مع التصورات العقلانية للتجربة أو أنه مشروط بتحفيز السلوك، لأن البشر لديهم طبيعة بشرية مرنة تدفع الكائن إلى الحرية الإبداع، كما أن طبيعتها الثورية هي أيضًا جوهر الشعور الأخلاقي للمثقف الذي يفكر في عدالة القيم الاجتماعية والسياسية. (2)

إن دور الارتقاء بمبدأ الطبيعة البشرية وفقًا لتشومسكي في مهاجمة السياسة وإعادة التشكيل الكلاسيكي للعقل والتنوير وقيم المثالية عن طريق أخذ دور التفكير والأخلاق خارج المصالح الإنسانية في العلم والمعرفة، وهي نقطة انطلاق هابرماس هي أن القدرة المعرفية والقوة النقدية للعقل تجاه الإدراك التقدمي الثوري والتنوير النقدي مشتقة من التكوين الذاتي للجنس البشري. فإن الحفاظ على الذات في ظل ظروف الإكراه السلوكي والواقعية لا يمكن أن ينظر إليه بشكل سلبي من قبل المثقفين الأمريكيين على أنه ممارسة للسياسة دون أن يتم تمثيله بالفعل واللغة والسلطة باعتبارها مصلحة الحفاظ على الذات. (3)

ومع ذلك، ينتقد فرويد أن عقبة تحرير المجتمعات بفعل التخلي الغريزي والبراغماتي عن مؤسسات سلطة الدولة من أجل التفاعل الديمقراطي هو حل مؤقت للنزاعات. بمعنى أن الطبيعة البشرية استبدادية وعدوانية

(1) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 197.

(2) Alison Edgeley, The Social and Political Thought of Noam Chomsky, Ibid, p 22.

(3) Jürgen Habermas. Knowledge and Human Interests. Canada, Saunders Publishing Center. Toronto Ltd. third edition, 1972, p. 289.

تتفق مع العلم وتوظيفها من قبل المثقفين للتحرر من قمع الشر، الذي وجوده في الثقافة يجعل الخير اصطلاحاً لا جوهرًا في الممارسة السياسية، لذلك، يستبعد هابرماس الوضعية التجريبية مثل تشومسكي، لأن طبيعة البشرية هي مصلحة غير مباشرة في الحفاظ على الذات الفكرية، وهي ليست حاجة تجريبية ولا ملكية نظامية للكائنات الحية.(1)

وتمثل إنتاجية نعوم تشومسكي للمجتمع الدولي بدائل تشمل الإنتاج اليدوي من الطبقة العاملة (البروليتاريا)، ويمثلها طيف من المبدعين ذوي مهارات الطبيعة البشرية، بما في ذلك المهندسين والعلماء الذين يشكلون فئة من المهن الخدمية لمعاني الإنسانية، في كلية شاملة، بالأخلاق الإنسانية والمثالية السائدة للمثقفين والتقدميين نحو المستقبل في الولايات المتحدة الأمريكية، لذا فإن التحسين، وفقًا لتشومسكي، بمساهمة السكان في ثورة جماهيرية تقدمية من الطلاب الثوريين والمثقفين الذين ينشرون القيم العالمية والحرية ويفككون السلطة مع الأخلاق التي تسمح لهم بمعرفة أنفسهم بالضرورة والعقلانية والصرامة في المستقبل، سوف يتولون السلطة ويقودون الدولة والسياسة بقيم العدالة الاجتماعية.(2)

في هذا الصدد، يحاول تشومسكي فصل مسؤولية المثقفين بين الأسر الحاكمة الغربية، مما يثير استيائه من القوميسارات؛ الأمر الذي يشوه الفكر الاشتراكي لدى المثقفين اليساريين الماركسيين بالخروج عن خدمة المجتمع الرأسمالي وهذا التلاعب من الداخل للمثقفين الاشتراكيين، ربما ينادي بحماسة المثالية في الاتحاد السوفياتي في ديمقراطيته واشتراكيته. ما مكن الدعاية الغربية في ظل الثورة البلشفية من تعزيز المثالية في السياسة من ويلسون بممارسة الفكر كمتقف لأخلاق الحرية وباعتباره رسولاً عظيماً للديمقراطية. وهي فرصة لزرع المثقفين الكبار لخلق الطغيان لسقوط الشيوعية، مثل أنطون بانيكوك وروزا لوكسمبورغ . بالطبع، مواجهة تشومسكي، مثل انتقاد برتراند راسل، أن الديمقراطية والاشتراكية، سواء من مثقفي الاتحاد السوفياتي، أو المثقفين الليبراليين مثل الولايات المتحدة، لا تجعل ممارسة المثقفين في خدمة الأيديولوجيا والدعاية من المؤسسات السلطوية أساساً للديمقراطية وحرية الشعوب.(3)

(1) Ibid, p. 289.

(2) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 82.

(3) نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، تر: عاطف معتمد عبد الحميد، مصر-القاهرة، النهضة للنشر، ط1، 2007 م، ص. 55 56.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

رؤية تشومسكي للمثقفين المؤهلين للسياسة في مجتمع بديل ومثالي. يمتلك المثقف القدرة التحليلية للعمل على كشف حقيقة، أي الشيء وفي أي حال، وإزالة الوهم والتعقيد والعمق الذي تضعه النخب السياسية، مثل جعل المجتمع الأمريكي أو الدولي لا يراعي مصالح الناس البسطاء عن طريق تنظيم الأثرياء للسلطة بقضايا بعيدة عن الجماهير، وتظليل القوانين والعقول لمنع المساواة في الحس الديكارتي السليم، لذلك يؤكد تشومسكي أنه من المستحيل إنشاء نظرية لتنظيم السياسة والمجتمع بإيديولوجيا محددة وعقل ممتع، ولها قواعد إنسانية وأخلاقية واجتماعية، لأن ما يدفع المثقفين لخدمة مصالحهم لسلطة خارجية بإنكار الواقع. وتقديم تزوير الحقائق بعقلانية الجرائم التي مارسوها، من أجل إدراك أن الدولة والسياسة لديهما خبراء ونخبة من فلاسفة العلم الحقيقي، لتفسير المجتمع على أنه زائف، ومظلل من السياسة بالعقلانية المثقفين ووسائل الإعلام الجماهيرية.(1)

لذا يبدأ تطوع تشومسكي إلى المجتمع الأخلاقي الإنساني بنزاهة المدارس كدليل لحقيقة الأمور ذات القيمة، مثل الديمقراطية والنقد الذاتي وثقافة المسؤولية لخدمة أغراض عامة الناس، بحيث تعكس تأثير نظرية المعرفة الشمولية لجون ديوي كنهج أولي للحد من معرفة حقيقة العالم، لأنها تضع الأجندة السياسية للنظام التعليمي لطبقة المجتمع «القوميسارات» ،ليس لديها موقع يهدف إلى ممارسة الديمقراطية أو تطبيق المبادئ الأخلاقية الليبرالية لاستخدام الأجيال، الذكاء والفطرة السليمة. لذلك، لا يوجد قانون يعيق مسؤولية المثقفين عن تزويد الفرد والجمهور بوسائل للدفاع عن النفس ضد عملاء العدو و المنشقين، بل يكرسون أنفسهم للولاء للمبادئ الوطنية، التي يصفها تشومسكي بالتشدد العاطفي. فإنه يجعل المثقفين الغربيين مستعدين لجني الفائدة دون القوة الداخلية التي أشار إليها تيودور أدورنو على أنها "الرفض القاسي للرؤية" ممثلة بديمقراطيتها ومدارسها التي تسيطر عليها طبقة الدولة المثقفة والمتخصصة التي تطالب بالولاء والطاعة من تعليم النشء الجدي.(2)

ربما قلّة وعي المثقفين العرب بأن قوة الولايات المتحدة الأمريكية في قضية الديمقراطية تتشكل من نواة الاشتراكية، ومن هذه الزاوية أثر المثقف في دوره في روايات أورويل، مثل الخروج إلى المُتَنَفَس (1939م)

(1) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق ، ص 91 92.

(2) نعوم تشومسكي، إهدار الحقيقة، إساءة التعليم والإعلام وأوهام الليبرالية والسوق الحرة، تر: نعيمة علي مصر - القاهرة، مكتبة الشروق الدولية للنشر، ط1، 2006 م، ص 37 38.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغمية للسياسة الخارجية الأمريكية

مزرعة الحيوان، (1945م)، وفقا لتشومسكي، فإن ثمرة فوضويته هي انتقاد إسبانيا في ظل ديكتاتورية فرانكو في العام (1944 م). تتميز باستهلاك المثقفين غير البسطاء لأسباب براغماتية للتعاون ضد الأيديولوجية الليبرالية، أدى ذلك إلى ظهور الماركسية المتلاشية. (1)

مما مكن المثقفين الغربيين من دحض مبادئ اليسار الاشتراكي الليبرالي الماركسيمن المثقفين الأمريكيين لتوسيع أيديولوجية النخبة المثقفة الألمانية أثناء بناء البروباغاندا الأمريكية، لفرض انحراف القيم وتقييد حريات الرأي والفكر والديمقراطية، لتشكيل الأسس النظرية للسياسة الأمريكية على الأخلاق العالمية المهيمنة مع المناهج الفاشية في الجامعات الأمريكية لدحض الاشتراكية. وهكذا تشكل ظهور الواقعية الجديدة والميكيا في أمريكا الشمالية، والتي تمثل جوهر الممارسة العالمية للسياسة الأمريكية البراغمية. (2)

مثل تشومسكي وظيفة المثقف المثالي والأخلاقي بطريقة تبني المجتمع البديل التحرري والأخلاقي كمثل إنساني وأخلاقي متميز يتمتع بقدر أكبر من النزاهة في المسؤولية بفعل الطبيعة البشرية والتعاطف والإرادة، متجاوزًا الأخلاق الواقعية والبراغماتية. لذلك يدعي رونالد أوزبورن مسؤوليته في نهج تشومسكي لكونه "واقعي يساري" يعترف بجذوره على أنها مثالية، ويحول الفقراء والمضطهدين والمحرومين من حقوقهم في الولايات المتحدة أو في جميع أنحاء العالم إلى معارضة وتمرد ضد السياسة الخارجية الأمريكية وأفعالها على أنها جوهر المصلحة الوطنية وحمايتها بالقوة من انتهاكات حقوق الإنسان الخاصة بها. (3)

لكن مشكلة القهر والعنف والديكتاتورية هي مشكلة مثالية لأنها تصور الحرية والديمقراطية في الدول من حيث تعزيز حقوق الإنسان والتنمية وتحسين الحياة دون خلق خبراء سياسيين رفيعي المستوى. لكن افتقار الناس إلى فهم المثالية بدون الطبيعة البشرية يجعلها واقعية مع التفكير المناق. وتقويض مشكلة التنافس بين المثقفين والمسؤولين وعلماء السياسة، من وجهة نظر تشومسكي، إلى المساواة وتحقيق مبادئ السلام الديمقراطي. وهذا ظلم بحق العامل الذي يمثل الأكثر كفاءة ومساواة مع من يمثل أدنى كفاءة. مصالح الطبقة

(1) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 100.

(2) المصدر نفسه، ص 100.

(3) Anthony R. Di Maggio. Political Power in America: Class Conflict and the Subversion of Democracy Ibid, p. 340.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغمية للسياسة الخارجية الأمريكية

العليا والشركات الرأسمالية مدفوعة بمخاوف الملكية لأولئك الأقل تأهيلاً في المجتمع. فعجزهم ناتج عن ضعف إرادة العمل وتفكير العقل. فإن مساواة الطبيعة بالخلقة ليست ثابتة ومطلقة.(1)

يجادل تشومسكي بأن العديد من المثقفين الليبراليين يمثلون نخبة مسيسة ضد الفكر العلمي والاجتماعي والحركة الإنسانية للعديد من المثقفين الأخلاقيين الذين لديهم الرغبة في استعادة الأرثوذكسية. لفرض رقابة على القيم الأخلاقية للفكر والعلم والبحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية من اليسار لتكون مبنية على الحقيقة والأخلاق والحرية، لكن المثقفين رفضوا الانصياع للدولة الأمريكية من أجل الحرية والاستقلال في العلم لأن هذا يمثل تهديداً لمسؤولي النخبة السياسية الأمريكية، بشرط أن تظل طاعة مؤسسات الفكر والعلم والمعرفة، في نظر تشومسكي، بمثابة واجب تجاه أحوال كبار المثقفين، سادة الدولة بشدة، ظل الفكر محصوراً بأخلاقيات الواقعية المسييسة في تفكير العقول والجامعات لجعل أدواتها وآليات الدولة القوية مثل الرقابة والدعاية ومتطلبات الإنتاج القومي لدعم السياسة الخارجية الأمريكية للحكومات عبر استهلاك المواد وتدمير الإنسانية، وهذه قضايا المثقفين المعاصرين.(2)

في هذا السياق، فإن التفاؤل لدى تشومسكي هو أساس طبيعة الإنسانية في الإنسان. يمكنه أن يفعل ذلك بنفس التصور الذي يعترف به ألبير كامو في نقده للمسيحية باعتبارها انتهاكاً للإنسانية عن طريق الخلافات الفارغة بين المثقفين الغربيين. هذا ما ينشر في العالم ثقافة موت الإرادة الحرة والتشاؤم. مشيراً إلى أن لدى "غابرييل مارسيل" الحكمة في الاستغناء عن التفكير في أشكال تضله عن الحقيقة وتبهه بظهورها على أرض الواقع. من يكرس نفسه لثقافة ديمقراطية هو معاد بشكل متشائم "لنزعة سارتر" الإنسانية، التي تحظر الطبيعة البشرية دفاعاً عن القيم المطلقة التي ينفي تشومسكي وجودها، لهذا السبب لا ينكر "ألبرت كامو" أن المسيحية أو الماركسية في دوره الفلسفي تدعم إرادة الحرية والعدالة الإنسانية.(3)

دحض التشاؤم أقرب إلى الحقيقة التي يقولها "تشومسكي"، على الرغم من أن البؤس البشري اخترع من القيم الإلهية وكان التخويف مخدوعاً، إلا أن الإنسان لم يكن قادراً على تحرير نفسه بوسائل العلم والمعرفة الخاصة. لأن الذات لديها تفكير مطلق بعيداً عن التفاؤل الماركسي، الذي ينظر إلى تحرير الإنسان بتفاؤل بشأن المستقبل عن طريق الديالكتيك التاريخي، فإن التشكك المعادي للإنسان هو تفاؤله بالتححرر في

(1) Ibid, p. 340

(2) نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، المصدر السابق، ص 103 104.

(3) Albert Camus. Resistance Rebellion and Death. New York: Alfred Knopf, first edition, 1961. p72.

المستقبل الذي تحده الأهواء الإلهية، يبدو أن "ألبر كامو" متشائم بشأن الإنسانية مثل تشومسكي، والأكثر تفاؤلاً بشأن حرية الإنسان ومصيره لهذا، كانت النزعة الإنسانية "ألبرت كامو" تبدو دائماً مقصورة في التحرر، لأن الجهل بالإرادة يؤدي إلى إنكار أي شيء (1). وهذا ينطبق على كلمات تشومسكي في "التشاؤم" و "التفاؤل" بفعل الطبيعة البشرية ذاتها. دعاها ألبر كامو إلى الانتباه إلى أنها ما يوحدنا وليس ما يفرقنا كبشر في تأسيس المجتمع المثالي الصالح .

2- المجتمع الصالح (The good society)

فكرة المجتمع الجيد هي البديل الذي تقدمه فلسفة نعوم تشومسكي الأخلاقية في نقدها للسياسة الأمريكية وممارساتها غير الأخلاقية، وهي أيضاً مساهمة أخرى - إذا أمكن القول - يعلن فيها تشومسكي التزامه وارتباطه بالاشتراكية التحررية والقيم المنبثقة عنها تحديداً الحرية والمساواة وهي ضرورية للتحقيق بمعناها العملي في هذا المجتمع الجديد الذي يختلف بممارسته عن الواقع الحالي وفقاً للسلوك البشري، فإذا كان الأفراد يتمتعون بالحرية الكاملة قد يعرض القيم العليا للخطر وعدم المساواة لأن حريتهم تخدم مصلحتهم الذاتية وهذا ما تتميز به النخب السياسية في المجتمعات الغربية المتقدمة و خاصة المجتمع الأمريكي، لكن الرؤية الجديدة للمجتمع المنظم هي تعزيز هذه القيم بالتساوي والتدرج وفقاً للسلوك البشري بطريقة مرنة تزيد من قيمة الحرية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية (2).

نظراً لأن الطبيعة البشرية متجذرة في مفاهيم المجتمع الجيد ومتجذرة في الميول الأخلاقية لجميع الأفراد فلا يمكن تصور مجتمع جيد إذا لم تكن الطبيعة البشرية مرتبطة بالنظم الاجتماعية لأنها تقدم نظرة شاملة عن الحرية والإبداع والكرامة الإنسانية و صفات أخرى لتبرير المجتمع لا يمكن لأي نظام أخلاقي وسياسي واجتماعي أن يقوم على أساس التسلسل الهرمي والهيمنة التي تحد من الحرية الفردية، لذلك فإن المجتمع الجيد هو عكس أشكال السلطة اللإنسانية التي يرتفع إليها عبء التبرير بشكل غير شرعي، الأمر الذي جعل تشومسكي يصور لنا أن الطبيعة البشرية هي أساس المجتمع الجيد هو تحليله للمجتمعات التي استمرت

(1) Ibid, p.73.

(2) Edgley, A. The Social and Political Thought of Noam Chomsky New York: Library of Congress Publishing, Volume I, 2000, p. 42.

في الوجود عبر التاريخ بطريقة تقدمية ومتقاطعة تزيد من الحرية القائمة على التطور الأخلاقي، وغريزة الحرية (1).

وعليه فإن، غريزة الحرية هي جوهر الطبيعة البشرية وهي المسؤولة عن ميل البشر نحو التغيير الاجتماعي من حقيقة إلى أخرى، وعلاقتها بالمجتمعات هي تأكيد حرية البشر في تقرير مصيرهم لأنهم مستقلون وعقلانيون وذاتيون ، وهي صفات موجودة مسبقاً وفطرية لديهم. وهذه هي الجوانب التي تشير إليها أفكار جان جاك روسو (1712-1778) *Jean-Jacques Rousseau*، على أن الحرية تزيد من تعاطف البشر فيما بينهم وإشباع احتياجاتهم إذا كانوا متساوين، الشيء ذاته الذي يراه تشومسكي في الطبيعة البشرية وميلها إلى العدالة والحرية والمساواة كونها ضرورية لتغيير الناس من مجتمع أكثر استبداداً واستغلالاً إلى مجتمع صالح، مما يتطلب زيادة وعي هؤلاء الأشخاص وتغيير أفكارهم وقدراتهم وإبداعهم للتطلع إلى المستقبل (2).

بحيث يكون لمبدأ الوحدة في المجتمع الصالح مكانة مثالية تقوم على العدل والإنصاف بين الأفراد في القانون، وفقاً لمايكل ساندل (1953م) *Michael Sandel*، "وجون راولز"، يستلزم فهماً شاملاً لجوهر الذات البشرية؛ لأن العقبة في مجتمعنا السياسي الدولي الحالي لا تعطيه نفس الأولوية في تكريس الوعي الكامل بذات الإنسان، فإن الوعي الذاتي لكل فرد يقتصر على دوافع تقاؤه بما يعزز مصالحه، وهذا التفرد يؤدي إلى التعددية والصراع والتشاؤم مع الآخرين لأنه يتعارض مع مصالحهم واختلال التوازن (3).

يتخيل تشومسكي الوحدة البشرية كما لو كانت جوهرية في الطبيعة البشرية بنفس المعنى الأساسي لطبيعتنا الذي تصوره مايكل ساندل و جون راولز (1921 - 2002م) *John Rawls*، لأن سبب غياب العدل والمساواة في المجتمع العالمي هو وجود الطبيعة الذاتية الشريرة التي يتم تغطيتها بالتفكير في المنفعة، ولكن من أجل الوصول إلى الخير الكلي، في ما ينعكس من التفسير الأنثروبولوجي، بأن المصالح المتضاربة ذات طبيعة ضيقة في مجال ذاتي معزول بالفكر والعلم في تحقيق الرغبة وليس التفكير في خطوات التحرر. التي توجد بشكل أساسي في طبيعتنا ،ولكن فكرة المجتمع البشري المثالي هي تحقيق الطبيعة البشرية في

(1) Gilfrey, J.M., The Cambridge Companion to Chomsky New York: Cambridge University Press, Vol. 2, 2017, p.269.

(2) Edgley, A. The Social and Political Thought of Noam Chomsky, Ibid, p. 45.

(3) مايكل ج. ساندل، الليبرالية وحدود العدالة، تر: محمد هناد، الحمراء - بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط 1، 2009، ص109.

المنفعة المتبادلة والتعاون، أي الاتفاق في المصالح ككائنات مثقفة وفعالة بطريقة موحدة للطبيعة البشرية في المنفعة المشتركة في الواقع. بحكم أن المشكلة ليست في المنفعة أو القوة، بل هي مشكلة علاقة التفاهم والتوحيد بين جسر الطبيعة البشرية بالغة إثباتها وتفعيلها، وإجماعها في تعزيز مجتمع مثالي الجيد. (1)

فألاحظ أن فكرة المجتمع الصالح، التي رسمها تشومسكي، تعني الإيمان بالهدف النهائي في إنتاج مجتمع من البشر الأحرار المترابطين مع بعضهم البعض وقضاياهم الأولى هي الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، المساواة والحرية، والاحتفاظ بطابعهما الفكري والعملية والأخلاقي، مما يمهّد الطريق للتطور الحر للبشر على أسس الطبيعة البشرية التي لا تقتصر على التراكم والسيطرة، بل على أساس الحرية واستقلالية العقل و الممارسة في التنظيم الاجتماعي الحر والتعاون بين الأفراد لتحقيق أهدافهم المشتركة، وهي نفس الرؤية التي لها جذور في الفكر التنويري مع جون ديوي و بيرتراند راسل وعلى الرغم من الاختلافات في الجوانب والحدود، إلا أن التفاؤل ومستقبل البشرية واحد ومشارك. (2)

3-التفاؤل والأمل أساس فلسفة تشومسكي الأخلاقية:

تتوافق رؤية تشومسكي للمقاومة العالمية مع مفهومه عن الأخلاق العالمية، مشيرًا إلى أن البشر لديهم ميل أخلاقي نحو الحرية. وهذا ما يأمل تحقيقه في كفاح إنساني عالمي لحماية القيم والحقوق المشتركة و تُمارس بواسطة غريزة الحرية التي هي جوهر الأخلاق العالمية والمحفز لحركات المقاومة الجماهيرية لتحل محل النظام العالمي البائس أخلاقياً، هذه الرؤية البديلة التي تقوم على العدالة والشمولية الأخلاقية بين البشر. (3)

ربما كان فشل كل من الرؤى الأناركية والماركسية في تحقيق نظام اجتماعي بديل يتجاوز البراغماتية الأمريكية ورأسمالية الدولة، وذلك الاستغلال الوحشي الذي يمارسه المثقفون والتكنوقراط والبيروقراطيون مثل: (الأسلحة النووية) فيما يتعلق بالبيئة، فإن إحدى تعاليم النيوليبرالية هي كارثة للإنسانية بالفعل، وأن يواجه تشومسكي مثل هذه المشكلات المتعلقة بالمسؤولية الاقتصادية والسياسية، يجعله يدعو للتفاؤل ويريد أخلاقياً،

(1) مايكل ج. ساندل، الليبرالية وحدود العدالة، تر: محمد هناد، المرجع السابق، ص109.

(2) نعوم تشومسكي، قوى وآفاق تأملات في الطبيعة الإنسانية والنظام الاجتماعي، تر: ياسين الحاج صالح سوريا— دمشق، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط 1، 1998، ص104.

(3) Gilfrey, J.M., The Cambridge Companion to Chomsky New York: Cambridge University Press, Vol. 2, 2017, p.240.

مستقبل البشرية، باعتبار أن نوع البشر يتمتع بطبيعة خيرية. لهذا السبب، من وجهة نظر تشومسكي، لا يمكن توجيه الناس إلا من خلال مدى فهمنا لمبادئ الطبيعة البشرية. وهذا يجعل البشر يواجهون خيارين من حيث المسؤولية والإرادة الحرة وهما : (1).

1. **الخيار الأول:** يمكن أن نكون متشائمين ونستسلم، ونساعد على ضمان الشر ودفع الإنسانية إلى أسوأ ما يمكن أن يحدث من المتقنين غير المسؤولين.

2. **الخيار الثاني:** فيمكننا أن نكون متفائلين ونلتزم بفرص المسؤولية والتعليم من أجل الحرية والعطاء من أجل التغيير، والتي هي بالتأكيد موجودة في الطبيعة البشرية، وربما تساعد معرفتنا بها كأشخاص أخلاقيين ومتقنين ومسؤولين على جعل العالم أفضل مكان.

ليس لدينا العديد من الخيارات للتوفيق بين المبادئ المتناقضة للبراغماتية الأمريكية والنيوليبرالية والواقعية الميكافيلية والمثالية الأخلاقية في السياسة إلا برجع إلى فهم جوهر الطبيعة البشرية.

بهذه الطريقة، يبدو أن حجج تشومسكي حول البديل الأخلاقي التي قدمتها فلسفته الأخلاقية تتعلق بمدى فهم هؤلاء الناس للطبيعة البشرية، والعلاقات الاجتماعية المقابلة لها، مستدلاً أن العلاقات الحالية لا يمكن تغييرها إلا إذا كانت تلك القدرات متوافقة معها، بالنظر إلى هذا الافتراض الأخلاقي الذي لا يزال قائماً وبعيداً عن الواقع. ومع ذلك، فإنه يُتيح مجالاً واسعاً للتفاوض بشأن إمكانية التغيير السياسي والاجتماعي.⁽²⁾

على هذا الأساس، فإن التحليل السياسي لتشومسكي يشكل نقطة خطيرة على الجنس البشري، صراحة، بيان قد يكون له عواقب وخيمة لاقتراح البديل الأنسب والأمثل لتجاوز الممارسة البراغماتية في السياسة، لأن "المعيار الأول" يستدعي النقد لجميع الجوانب المتعلقة بممارسة السياسة الأمريكية، فإن الضرورة تتطلب نقداً لجميع المظاهر التي تعكس فضائل ورذائل العقلانية والعلم. لهذا المعيار يقتضي إزالة وتغيير مجمل الفكر والبحث وقيمه في كل مؤسسات الدولة دون استثناء مع تحويل قيم البحث في السياسة وقضاياها ومفاهيمها ونظرياتها وممارساتها على قيم الطبيعة البشرية المواجهة لسلطة الدولة.

بينما "المعيار الثاني": هو أن طاقات الوعي والتحليل وقدرات الفيلسوف على تحديد هدف معين لم يتجاوز إبداعه، بدلاً من ذلك، أعطى للسياسة فهم جديد من التفسير، ما تم تقديمه من حيث الفكر، وهذا معيار

(1) نعوم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل بيروت، دار الساقي، ط1، 2018 ص 247.

(2) جون بريكمون، نعوم تشومسكي، العقل ضد لسلطة رهان باسكال، تر: عبد الرحيم حزل، لبنان - بيروت، دار التنوير، ط1، 2014، ص 65.

سيجعل أفراد المجتمع أكثر احتياجاً إلى المساعدة من تشومسكي. لأن مظاهر الوعي في السياسة وفهم مسارها عن طريق البحث العقلاني هو خطأ في فهم الإنسان وسلوكه، والحفاظ على التنظيم والحكم عن طريق التداول بين رؤساء المناهج السياسية الموروثة القديمة والمحددة لنمط معين، وهي مشكلة العصر المعاصر. ولهذا السبب تجد أنهم يحافظون على قيم البحث في السياسة الذي يجعل "مشروع التنوير مفقوداً" لكي لا يمكن فهم الأفراد للطبيعة البشرية والتميز بينها وبين ما هو معاصر في السياسة، لهذا يقول: « لا نرى أي اقتراح لبديل متماسك. "تبعاً لقدرتي" على فهم ما طرح والسبب ربما أنه "لا يوجد بديل". ما أقترح هنا هو درب يؤدي مباشرة إلى كارثة ستقع على رأس كل الذين يحتاجون المساعدة أي الجميع في زمن قريب.⁽¹⁾ » .

وهذا يعني أن هناك احتمالين: **الأول**؛ أنه يخفي في ذاته حقيقة، أنه متأكد من صعوبة تغيير القيم السياسية والأيديولوجيات وأفكارها الإيجابية والسلبية المتجذرة في المجتمعات والتاريخ وعقول البشر والبحث وممارسة الحكومات والأمم، فهذا أمره الذاتي (الخاص به)، في أنه يخفي الحقيقة ولا يستطيع أن يكشف عنها في الواقع، وهذا هو عبء المثقف المثالي والمتحدي السياسي الذي تحدث عنه.

أما الاحتمال **الثاني**، فهو أنه لم يقدم نظرية كاملة للسياسة، كما أكد ذلك "كيث ويندستشاتل" (1942) في كتاباته عن السياسة والدولة ومؤسساتها، ما هي إلا قراءات فلاسفة معظمهم ماركس، لا فرق بين تشومسكي وماركس في موضوع الدولة والطبقة العاملة، فهو نفس الحل للرؤية البديلة. أما بالنسبة للكتابات حول السياسة والنظام العالمي لمجموعة من المنظرين السياسيين ومؤرخي القانون، فإن مقاربتهم تبدو سليمة في نقل الحقائق ومشاركتها مع الجمهور. في حين أن السياسة التنظيرية لم تمارس أو - إذا الصح القول - لم يتم إنتاجها منه بعد، وبالتالي، فإن أي اقتراح منه سيكلفه "عبء المسؤولية" على الدولة الأمريكية والعالم ككل عن اختلال التوازن في "النظام العالمي"، لذلك، دائماً ما يكون "لحلولالسياسة" نوع من اليوتوبيا بالنسبة لفكر تشومسكي " ولا يتم تعريفها بوضوح لئتم "ممارستها" على الواقع الحالي.

(1) نعوم تشومسكي، غريزة الحرية والفلسفة الفوضوية، المصدر السابق، ص 147.

تعقيب نقدي:

✚ يوضح تجاوز السياسة والسلطة من وجهة نظر تشومسكي ضرورة ممكنة ومنطقية، بفعل (وعي وثقافة) جيديين لما يستلزم على المجتمعات التغيير نحو مجتمع مثالي وفاضل أشبه بالمثالية الأفلاطونية. ✚ إن عبارة مسؤولية المثقفين في فلسفة تشومسكي ليست إنتاجه، لقد تأثر بأفكار دوايت ماكدونالد، مما يعني أن زاوية التحليل السياسي لتشومسكي هي أنثروبولوجية، كما يعني أن أفكاره عن السياسة هي اقتباسات من مصادر مثقفين معارضين للسياسة والمتعاطفين مع الفكر الإنساني ضد حالة الفساد للنظام العالمي الأمريكي.

✚ يفهم أن المثقفين من أجل الرؤية البديلة للسياسة والممارسة في نظر تشومسكي ليسوا شكلانيون بما هو عليه المثقفين السياسيين في المجتمع الأمريكي والعالم بشكل عام، فإن مبادئهم على البراغماتية السياسية والاقتصادية وإنما يمنح شكلاً في الممارسة للمثقف كما وظفه غرامشي يتمتع بفعالية الأداء في تنظيم المجتمع وفقاً لما تمليه الطبيعة البشرية من الحرية والوعي تعم كل مجالات الفكر والحياة الإنسانية.

✚ المُمَيِّز في فكر تشومسكي أنه يقدم المثقف على نموذج بيرتراند راسل (المثقف/ الحر) الذي ينشر الفكر ورسالة الحقيقة والتحرر عبر الأجيال، كونه ضد الممارسة المتخصصة لدور المثقف السياسي الأمريكي البراغماتي السلطوي، أظهر بأن إدوارد سعيد أكثر تأثراً بجرامشي وبموقفه العضوي، لكنه لم ينجح ولو جزئياً في فهم أو تحرير سياسات العالم العربي. فالسياسة التحرر كالتّي ينتهجها تشومسكي تتوجب مسؤولية سقراطية وأكثر جرأة في مواجهة بالحقيقة، أي سلطة ولتكن (الولايات المتحدة ذاتها).

✚ تكشف آراء تشومسكي أن إدوارد سعيد لم يطرح المثقف الحقيقي لتجاوز السياسي، كونه قدم فكرته حول المثقف بأنه (كأبطال وقديسين) الذي يؤرخ لممارساته الفلسفية والسياسية، لهذا، يحلل تشومسكي أن مسؤولية المثقف لا تنتج بوصف الممارسات، وإنما بممارسة الطبيعة البشرية لتقويض تلك السياسات والممارسات الاستبدادية الأكثر عنفاً ضد الإنسانية، هذا ما يعاب على تسويغ هذا الفكر للسياسة الفلسطينية وضعها تحت استبداد أكثر من التاريخ ذاته، أشبه بمثقف اللامسؤولية الفكرية للقوة والعنف في الولايات المتحدة.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

✚ المتقف، عند تشومسكي، تقدمي في السياسة، متحرراً من قيودها وربطها بممارسة مصقولة بقيم الطبيعة البشرية والإنسانية المثالية. تفكيره خالي من الدولة والسلطة والمنفعة المادية، وتشكله السياسي ناتج عن اليسار السياسي.

✚ رؤية تشومسكي للمتقف السياسي في مراحل تاريخية يخلو من إزالة أشكال المعارضة، للتقدم بالفكر العالمي ووعي الشعوب، بينما تأثير الممارسة السياسية ضئيل في تجديد القيم الأخلاقية أو الإنسانية، يقدم ذاته كنموذج لم يفصح قبله متقف عن عيوب السياسة الخارجية الأمريكية وأسرارها، فإن هذه مهمة المتقف التحرري والسياسي الجيد في نظر تشومسكي، وتبنى عليه عادات وتقاليد وسياسات المجتمع الإنساني ممثلاً بذاته البنية الفوقية، ما دون ذلك فهو متقف تقليدي .

✚ وظف تشومسكي النموذج المتقف المثالي، دون العضوي الذي يخاطب به إدوارد سعيد وغرامشي لأنه ذات طبيعة فاشية، وبما أن السياسة الأمريكية-الإسرائيلية من واقعية مشتركة يفضل تشومسكي رفض تقليد إدوارد سعيد عن المتقف العضوي الذي يقتصر مظاهره على ممارسة تقليدية. فالمعاصرة تقتضي المثالية ضد السياسة الواقعية التي لها مثقفين ضد الإرادة الخيرة والفطرة السليمة والطبيعة البشرية بفعل سلطة العلم والتقنية والقوة .

✚ تحلل أفكار هانز جوناكس في السياسة والعلم والتقنية مسألة تشومسكي في تحميل العبء المسؤولية للسلطة الفاسدة على نمط يدعوا المتقف إلى أن المسؤولية متجذرة في طبيعتنا البشرية لديها نزوع إلى الأخلاق وتدحض الادعاءات الكاذبة والتهم الملفقة ضد الدول هي تشهير في القانون الدولي، ومن أخلاقيات المسؤولية في السياسة الموازنة بين القيم الإنسانية، العدل / السلام / والفضيلة الإنسانية (الحرية)، مع مبادئ الطبيعة البشرية الصارمة.

✚ يبين فكرتشومسكي أن معايير السياسة الواقعية التي تهيمن على المصلحة الوطنية لها انفتاح ضد التعليم والتقدمية والموارد المعرفية والثقافية والاقتصادية، لذلك، فهي خادعة لتفكير ووعي الجماهير. فمسؤولية المتقف هي التعليم الجيد والوعي؛ الأخلاق والمسؤولية وقول الحقيقة وهذه معايير مجتمعة تؤدي إلى المجتمع المثالي.

✚ في أخلاقيات المسؤولية للمثقفين، لتشومسكي وأدبياتها السياسية تنتقد الفساد الفكري المدعوم بقوة من قبل "الكونجرس الأمريكي" فمعظم القضايا والمشكلات الأخلاقية والإنسانية هي أزمات الطبقات الفقيرة،

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

خاصة في المجتمع الأمريكي، التي تناضل من أجل اللحاق بالوجود الحر تقوض بنخبة تدعي المسؤولية الثقافية والرؤية الصالحة للمجتمع، والتي هي في الأصل براغماتية صرفة ومادية وواقعية سياسياً، مكافحتها من المثقف المثالي بالإرادة والتفائل والهواة الواعي دون التأثير على أفكاره وثقافته أو عقله. بالقوة أو برأس المال.

✚ إن عدوى الفلسفة الواقعية تهدد الوجود من نشرها الفساد الكوني والسياسي بين المثقفين والمفكرين الماركسيين في الصين وفقاً لتشومسكي في عدااء لسياسة الولايات المتحدة داخل نظام الفوضى هو مظهر من مظاهر السياسة اللينينية، التي تقوض أفكار السلام الديمقراطي وتخفي عيوب وجرائم الإنسانية بتدخلاتها في جوانب المنافسة في السياسة البراغماتية. فمشهد المسؤولية وأخلاق الإنسانية المفقودة يشبه المجتمع الأمريكي، رغم اختلافهما في السياسة، ومع ذلك، فإن منطق الواقعية دائماً ما يكون متشائماً ضد التحرر والطبيعة البشرية.

✚ يركز تشومسكي على المثقفين، مفضلاً توحيد وعيهم وفكرهم في بناء المثقف المثالي الذي ينظم بدوره الصالح العام العالمي، وكمسؤولية أخلاقية في تحقيق السياسة المشتركة والقيم الإنسانية المثالية والحرية، فتقويضهم لأصنام الجهل من أنفسهم وتبرير إنسانيتهم كمسؤولية أخلاقية وليس كمسؤولية مهنية وسياسية. بدلاً من أن يظلوا براغماتيين مستعبدين في تبرير الأعباء على أنها واجب مسؤولي السياسة الأمريكية، وجرائمها للإنسانية، يستوجب على المثقف نقيض ذلك، بأخذه للالتزام بمبادئ الإرادة الخيرية، يمثل (مبدأً كانط) في الحرية ويتحدى السلطة وأشكالها التي تسيء للإنسان بالخداع والأكاذيب والسياسة السخيفة والقوة، بالنسبة لتشومسكي، فإن المثقف المرموق يقوض جوانب عبء إثبات المسؤولية والأخلاق حتى وإن تكن في نموذج العائلة.

✚ رفض أفكار التضليل من المثقفين بين العلم والفلسفة بدلاً من إنشاء وتطوير مجتمع حر ومثالي بنهج بوبر وافتراضاته للمحافظين الأمريكيين في الغايات السياسية للإنسانية، يمثل خداع المثقفين وتزييف الحقيقة وتلاعب السياسي في اختيار الفرضيات لتحقيق الثروة، وبسلطة العلم ساهم في تبريره للسياسة الأمريكية وجرائمها، في توقع وتنبؤ بالحقائق ضدها من المحاكم أو الرأي العام، يأخذ تشومسكي جزءاً من اللوم على سياسات اتباع الماركسية ويكشف التلاعب اللغوي للسلوكيين التجريبي الوضعية المنطقية، في مهاجمة العادات الأخلاقية للإنسان السياسي العقلاني وتحويله إلى حيوان شهواني وبرغماتي.

✚ يجعل تشومسكي من مسؤولية المثقف المجهز بقوة العلم الطبيعي أن يكسب جوهر البحث عن الحقيقة في السياسة، وتوظيف القدرة على قابلية التكذيب القضايا والادعاءات التي تنتج عن السياسة الواقعية الأمريكية. وبفعل ممارسة فكرة بوبر عن العلم بعقلانية والانفتاح على الحقيقة بنزاهة أخلاقية يزيل أشكال الاستبداد من المجتمع، ويتم استبدالها بالمثالية الشاملة والمكتسبة من مجموع العقول التي تميز بين الحقيقة واللاحقيقة بين أصناف التنظيمات السلوكية الاجتماعية والسياسة ؛ مثل (تطور اليابان بعد القصف) بقوة الطبيعة البشرية للمثقف الذكي.

✚ في فهم السياسة من أجل المثقف المثالي، حدد تشومسكي فكرة توحيد العلم والفلسفة على أنها ثقافة، لأنها تأخذ في الاعتبار فعالية العلم وفعالية الفلسفة، لأن العلوم الإنسانية والطبيعية ذات طبيعة تكاملية، قياساً على تحليل أفكار الخطاب السياسي وآليات السيطرة على الجماهير، وجد ثقافة هذه الممارسة محصورة بين التجارب العلمية على عضوية الكائن الحي، وفهم آليات الدماغ والبيولوجيا السياسية وبين الفلسفة النقدية والعقلانية في السياسة، بخلق اقتناعات وحجج تقوض الشكوكية واصطلاحية المعنى والبنية اللاواعية وتأثيراتها، لأن تحرر الإنسان من السلطة السياسية يتوجب ثقافة شاملة بين قطبي الإنسانية.

✚ هنري برجسون في طرحه لثقافة المجتمع الذي يشعر مفكروه بالمسؤولية السياسية كاستمرار للشعور الإيجابي بالمسؤولية الأخلاقية، يستوجب على المثقف السياسي الإحساس بمسألة الفعل والممارسة من الذات وإلى المجتمع كثقافة عبر العلم، فملاحظ أن فجوة التحرر من الرأسمالية إلى الاشتراكية التحررية في نظر تشومسكي، يتطلب الأمر ثقافة عالية وليس تلقيناً للخطابات الفكرية والسياسية من الأب إلى الطفل، مثل (قانون فرويد).

✚ تتعلق قوة المثقفين السياسيين الأمريكيين بأن لهم من طاقات إبداعية وإيجابية متحررة بطبيعتها البشرية بفهمهم للتطور الدارويني كجزء من ثقافتهم السياسية، تعد الولايات المتحدة واحدة من المجتمعات السياسية الناجحة اقتصادياً وسياسياً، مقارنة بالعالم العربي بفعل الثقافة و الطبيعة البشرية المتحررة، نظراً لما تشمله من تأثيرات على الأخلاق والسياسة تؤثر أيضاً في نظر تشومسكي على بيولوجيا الإنسان (الدماغ)، فقصور الفكر العربي السياسي عن التقدمية والتحرر يرتبط بحركة الفرد داخل المجتمع، ونظرته إلى الوجود ونمط تفكيره الطبيعي هو في مسألة اتخاذ القرار، من الذات وفهم الدين دون سلطة أو سياسة.

✚ ضرورة المثقف الحقيقي من وجهة نظر تشومسكي هو العناد والسعي وراء الحقيقة وتوظيفه للعلوم التي تحل مشاكل المجتمع، وينصب تركيزه على كفاءة التعليم والمبادئ العامة التي تحكم السلوك السياسي ويقوض النظريات التي تهدد أو تنهي مصير الإنسانية، مواجهاً القضايا السياسية وكشف الحقيقة في المصير القومي ومناقشتها في مجال أوسع للديمقراطية.

✚ تحدد أفكار تشومسكي في السياسة أن مسؤوليتها وتنظيمها وصلها يقع على عاتق المثقف العقلاني للحقيقة والواعظ الأخلاقي والسياسي للقيم الإنسانية والسياسية الصحيحة التي تخدم الأفراد وتكون متوافقة إلى حد ما مع الطبيعة البشرية، فعبثية المثقفين الغربيين، في نظر تشومسكي، هي دلالة على المخاوف الإنجيلية وعلى فساد المعتقدات التبشيرية، لضرورة أن تتوافق السياسة مع المرجع الذي يبرر به المثقفون السياسيون عيوبهم وجرائمهم، في الحكم والسلطة ضد شعوبهم، قد يمثل هذا الوعي السياسي تلاشي الغرب في مرحلة ما في المستقبل.

✚ كشف تشومسكي عن عبء المسؤولية السياسية الذي يُحمَلُ جون آدامز وثقافته البراغماتية لجورج بوش، بأنهم جعلوا المثقفين في السياسة والدولة ليسوا هواة بل يهتمون بثقافة رأس المال والحجج لدعم قدسية الممارسة السياسية والأصولية المسيحية، لإفساد المجتمع وتعديل السياسة اللاهوتية لخدمة المصلحة الخاصة للأغنياء والأقوياء، كما جادل سيوران أيضًا عن أيديولوجية الانحياز إلى الأقوياء وممارسة أخلاقيات الواقعية على الضعفاء لأنهم على وعي بأن "الرب أو الإنجيل" يحمي مصالحهم وحقوقهم.

✚ ينتقد تشومسكي استخدام العلم من قبل المثقفين الأمريكيين في خدمة السياسة الليبرالية الجديدة لما لها من آثار على تقويض قيم الحرية والمساواة والديمقراطية، من طرف الواقعيون التكنوقراطيون الذين تغطي أخلاق الخيرية والإنسانية طابعهم الديمقراطي والسياسي، ولكنه مظهرًا للميكافيلية من الخيانة والنفاق والخداع في ممارسة الهوبزية في عدااء الإنسان للإنسان.

✚ تهدف مسؤولية المثقف لدى تشومسكي في السياسة إلى رفع قيمة الإنسان المعاصر، والطبيعة البشرية بإعادة حقوق الطبيعة البشرية إلى الإنسان الليبرالي الكلاسيكي الخالص الذي تم تقويضه "بموت المثقف" بين أفكار السياسة النازية وأفكار السياسة الأمريكية، كما أشار إلى اللا أخلاقية "أوزبورن"، مما يعني أنها سياسة قائمة على المثقفين لانتهاك الشرعية والقانون الإنساني، فالمسؤولية من الذات الأخلاقية للسياسة

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

في نظر تشومسكي لا تلحق الأضرار بالقيم الرأي العام وحرية التفكير الآخرين، كما نقد سارتر مثقفه المثالي.

✚ ينقد تشومسكي في مسؤولية المثقفين، أنصار الواقعية والبراغماتية النفعية، ولوجهة نظر سيدني هوك و والت ويطمان عن الإساءة الفكرية إلى الأخلاق العالمية والطبيعة البشرية، بأنها لا تقتصر على المثقفين السياسة الأمريكية ذاتها بدلاً من ذلك، فإن إدانة البيئة باعتبارها محيطاً يقوض الطبيعة البشرية بلا غايات، فالسياسة البراغماتية ما هي إلا خدمة لصالح العام والفرد بقدر ما يكون لمثقفها تصحيح في عقلانية ونوايا مثقفي السياسة وقانون الدولي ونزاهة الأمم المتحدة

✚ يشدد تشومسكي على مسؤولية المثقفين في أن الإنسان المعاصر يميل إلى اهتمام بصنع السياسة إلى أن يكون تقنياً ومادياً بدرجة أكبر وينكر التساؤل عن قضايا وقيم وأخلاقيات التعاطف البشري، دون إدراك أن الطبيعة البشرية لها القدرة على حل الأزمة والتحرر من السلطة وتحقيق المجتمع المثالي، لأن كونها "كفاءة أخلاقية" أو "دوافع الأخلاقية" (كما أشار هيوم)، تدفع البشر نحو الحرية بنفس القدر نحو المنفعة.

✚ يسعى تشومسكي إلى تجاوز البراغماتية وتحقيق التعاطف والضمير الإنساني في مجال السياسة وأخلاقيات التعاون والطف والاهتمام التشاركي بين البشر بالسياسة بدون عنف وقوة، كما تؤكد حقيقة الأخلاق المثالية الكلاسيكية لآدم سميث.

✚ يحدد تشومسكي بأن ثقافة السياسة تقوم على الحقيقة، وهي غريزة الحرية باعتبارها مركز الطبيعة البشرية المتعالية، ولا تخضع للتشكيك فيها أو إنكار جوهرها ووجودها، وحالة نفي الاستدلال العقلاني عليها غير محددة بشيء، ولكنها محددة للسياسات وسلوكيات الأفراد والدافع لتحقيق التقدمية والسعادة الفردية وترتيب العالم وسياساته ومجتمعاته الإنسانية، هذا ممكن من وجهة نظر تشومسكي إذا كانت ممارساتها من البشرية مفهومة جيداً.

✚ الممارسة الحقيقية في السياسة هي الإرادة والتفائل ونفي دور العقل والتفكير لأنه مصدر للتشاؤم، وهذا هو السبب في أن تشومسكي يجعل قواعد الطبيعة البشرية تكشف ماهيتها وكيفية العمل بها في المجال السياسي عكس ما يفعله الواقعيون، في جعلها تقود بالعلم والعقل لتحقيق المصالح والثروة البراغماتية، كونهم مثقفين لا يفهمون السياسة من منظور الطبيعة و "الحرية والتعايش المثالي" في المجتمع بين بني البشر.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

✚ فضح تشومسكي إسهامات جون ديوي في تطوير المعارضة الفكرية من السياسات الألمانية والبريطانية تتكون من مثقفين ذوي عزيمة شريفة على العالم، والمركزيون في السياسة الأمريكية لحماية الديمقراطية وفرض المصالح، ودحض الأشكال المثالية للفكر والحرية، والرأي العام الدولي، لفرض الهيمنة (الماسونية أو البنائية).

✚ المثقف الحقيقي كاتب مرموق في نظر تشومسكي، الذي يحكم الإنسانية بأحكام وقرارات أخلاقية مستتيرة في عمله السياسي والإنساني كقانون عالمي للبشرية جمعاء، مع المبادئ والقيم التي تشبه الكانطية في / الحقيقة / السلام / نزاهة العمل السياسي، أكثر من البراغماتية والكينزية التي لها عواقب ضد الطبيعة الخيرة.

✚ أن المثقف الليبرтари اليساري يتم قمعه من قبل سياسات الأمريكيين والخبراء، كما هو الحال مع جرامشي، بحجة أنه في فضاء معادي لشرعية دولتهم وسلطتهم وقانونهم العالمي، تركزت هذه الانتهاكات للسياسة في فيتنام وبقية الدول التحررية.

✚ المثقف الحقيقي لتشومسكي، الذي يزاوج بين المعرفة والواقع، بين الحقيقة والممارسة، بين الأخلاق والسياسة، بين العدالة والفضائل الأخرى، في خطابه للإنسانية، مبدأ الواجب والمسؤولية هو فاعل أخلاقي كامل.

✚ الموقف المنطقي للسياسة من وجهة نظر تشومسكي من قبل النخب الفكرية الأمريكية يسيء إلى قيمة العلم والفكر السياسي الغربي في إهانة أخلاقيات المسؤولية والمهن، إهانة أخلاقيات المسؤولية والمهن لتحقيق ثروة مثل ثروة علماء الأحياء والطب كما انتقدها فوكو ثقافة، (البيوبوليتيك) الإكراه والرقابة على المجتمع من قبل سلطة العلم والتستر على الحقيقة اللاأخلاقية وفقاً لتشومسكي، فإنها تعكس تراجع الفكر الغربي وشرعية الأخلاق التمثيلية للسياسة الكونية.

✚ الاستفادة من السياسة الأمريكية من قوة المثقفين الممارسين لمبدأ "ألكسندر كويري" الاحتمالات الرياضية في دعم البراغماتية، وفقاً لتشومسكي كما أثروا في السياسة بفكرة التجربة والحدث والاختبار التجريبي لظواهر السلوك السياسي بفعل "بيير دورهايم" في هندسة القبول، بمعنى قوة الثقافة في أمريكا وسياستها تقوم على ممارسة العلم في المجالات الاجتماعية والسياسية (من حيث المبدأ، لا تهم وسائل وأخلاق السياسة بقدر ما تهم الغايات).

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

✚ المتقنون التكنوقراطيون ليس لديهم أخلاق في السياسة لغرض تحقيق الواقعية الأمريكية هيمنة شاملة على العلاقات الدولية، يكون ذلك المنتهى من الممارسة البراغماتية لغاياتهم.

✚ المتقف السياسي كما صورته تشومسكي يكون صانعاً للحقيقة وسيدها ومتحدثها كمنظمة عالمية في اتصافه بالنموذج والمثال والحقيقة والكلية، رمز التحرر من السلطة السياسية المزيفة من قبل الليبرالية الجديدة.

✚ ينتقد تشومسكي المتقف المتخصص الذي يبدو مفيداً في السياسة مع ثقافته، مهما كان له من الفائدة فقد تخصص أمثاله ألبرت أينشتاين وروبرت أوبنهايمرفي خدمة آليات القوة النسبية والأفكار النووية لتحقيق الإمبريالية، في حين أن معاناة السياسة الكونية المعاصرة خطأها، في تخصيص ثقافة لأقلية، بمعنى مقايضة أفكارهم لخدمة اللإنسانية، فإن عبارة تشومسكي المتقف ليست بمعنى الفرد البسيط، ولكن بمعنى مكانة الخبير.

✚ يبحث تشومسكي عن المتقف المتحدي ضد قرارات وقوانين القوة السلطوية وضد مظاهر الهيمنة السياسية الأمريكية، ويمثل نضاله السياسي كثافة للنضال السلمي.

✚ في إطار مسؤولية المتقف، إقصاء العلم وآثاره السلبية على السياسة والمؤسسات الاجتماعية بسبب توظيفه البراغماتي، أشار نقد هابرماس أيضاً إلى أن سياستها تضعف القدرة البشرية على (التواصل)، (ومناقشة)، (وتنوير) وتعزيز (القيم الأخلاقية) فيما تتمثل رؤية فييرآند في أن المتقف الحر الذي ينسب ممارسة العلم إلى منفعة سياسية و أنانية، فتتحرر الشعوب إذا ما انفصل العلم عن السياسة وإقصائه من الممارسات السياسية، فكلاهما مؤيد تشومسكي ضد الغريزة والطبيعة العدوانية لفرويد في السياسة.

✚ يقلل تشومسكي المسؤولية الصحيحة عن نزاهة التعليم ويركز على طبيعة المعرفة كنقد للتلقين السياسي لأفكار جون ديوي وضغوطه العاطفية على المصلحة السياسية، نظراً إلى الأعراض التي تظهر في السياسة الأمريكية بسبب ثقافة الطاعة والولاء لسياسة النخبة الحاكمة.

✚ قوة السياسة الأمريكية في تقويض المثقفين المنشقين الذين لديهم أسرار الاشتراكية التحررية عن الإنسانية كما حددها جورج أورويل وتشومسكي في تنظير السياسة بعقريّة كسر نقاط ضعف الحركات الأناركية.

الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية

✚ يتوجب على المثقفين والمسؤولين السياسيين فهم معان بسيطة للمساواة والعدالة لتحقيق غاياتها ونشر التفاؤل السياسي والإرادة الحرة، بنهج السقراطي ومواجهة الديمقراطية الأمريكية لكونها تقوض مبادئ الطبيعة البشرية، لذا فإن المثقف يقوي نضاله السياسي بذات الطريقة التي قام بها مثقفو سارتر وجابرييل مارسيل وألبرت كامو بتحرير مصيره وشعبه بنزعة إنسانية وجودية، من وجهة نظر تشومسكي، قام هؤلاء الفلاسفة الأخلاقيون بإضفاء الإنسانية على ذواتهم.

✚ فكرة المجتمع الصالح هي مجرد تنبؤ لتشومسكي مثل ماركس وكارل بوبر. وشارل فورييه وتوماس مور لما هو أفضل من السياسة الحالية وهي تعزيز للقيم الكرامة والعدالة والمساواة والحرية والديمقراطية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية - بصفة شمولية / ضد السلطة.

✚ المجتمع المثالي وهو ما يمثل العدالة بمقاربة العدالة التي تُفهم من جوهر الذات والوعي بها كحقيقة في ممارسة العمل وتشريع القرار، كما تؤكد ثقافة جون راولز ومايكل سيندل، في العدالة السياسية، أي (يحقق الوحدة الإنسانية).

✚ فكرة تشومسكي عن مجتمع جيد في السياسة هي نهاية السلطة وإنتاج الناس الأحرار، الإنسانين بطبيعتهم البشرية، نقيض فرانسيس فوكوياما، أي بداية التاريخ ونهاية الإنسان الواقعي التكنوقراطي المستبد، وظهور المثقف التنويري والإنساني والمثالي الذي يدعو إلى الخير الأسمى ويتضمن مكانه، بنضال من أجل الإنسانية والقيم العالمية المشتركة، وتغيير إلى عالم ومستقبل أخلاقي أكثر أماناً، يعتمد على الطبقة العاملة.

الخيانة

نظراً لازدواجية تشومسكي بين آرائه المحلية حول المجتمع الأمريكي ووجهات نظره العالمية حول السياسة الخارجية الأمريكية ومصير الدول الأخرى، فإنه يتجاوز السياسة الأمريكية البراغماتية وممارساتها غير الأخلاقية في مجموعة من أفكاره وكتاباتاته الخاصة، تختلف مناظرات الباحثين والنقاد حول وضعها في مكانها الصحيح. هناك من يرى أنها ممارسة ذات مساهمات نقدية تكشف عن الأعمال والممارسات الوحشية للسياسة الأمريكية التي تؤثر على الكيان الأخلاقي والإنساني، وهناك من يراها نقداً أجوفاً، وأقل جدية وعمقا، ولا تهدف إلى أهداف محددة رغم تعدد المواضيع التي أنتجتها عن السياسة.

لكن ما نستخلصه من بحثنا المتواضع هو أن معيار الممارسة النقدية لتشومسكي بعيد كل البعد عن الممارسة السياسية الأمريكية البراغماتية، التي يرى أنها الخطر الذي يهدد البشرية نتيجة ممارساتها الإرهابية وجرائمها الوحشية وآلياتها المغرية وألاعيبها الإعلامية، وهيمنة شركاتها الاقتصادية، الأكثر استغلالية لمصالح الناس، وتدخلاتها العسكرية غير الشرعية في البلدان التي طالما كانت تأمل في الحرية والديمقراطية. أصبحت الآن نموذجاً للتخلف والفقر والتبعية، وكلها تحولات مهمة تكشف عن واقع سياسي ظل أكثر توتراً في قضايا الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أعد له تشومسكي رؤية علاجية نقدية مستمدة من قيم التنوير الكلاسيكية وأفكاره اللاسلطوية الرافضة لجميع أشكال التسلسل الهرمي والسيطرة والعبودية، مُكتملة غاياتها بتفائل أخلاقي يهدف إلى إصلاح وبناء وتنظيم هذا العالم بطريقة مختلفة عن الواقع المأساوي، بحيث يكون أساسها الطبيعة البشرية، وما يتوافق مع البشر في ملكاتهم اللغوية وقدراتهم العقلية والإبداعية. تمثل نموذجاً للأخلاق العالمية والعدالة والمساواة والقيم الأمن والسلم والتعايش الإنساني.

لكن هذه الرؤية لا تزال خاضعة للبحث عن آليات الممارسة والتنفيذ على أرض الواقع. وما يمكن قوله عن فلسفة نعوم تشومسكي السياسية هو أنها مجرد ممارسة نقدية تشجع الناس على العمل ضمن مجموعة من الفرص السياسية والانتخابية والتظاهرات السلمية والمقاومة في تنظيم الرأي العام عن طريق إقناعهم بأن الحقيقة والمعرفة والثقافة هي الأسس الجوهرية لإرادة الإنسان للتغيير الاجتماعي والسياسي. فما هو إنساني وحقيقي هو مسؤولية المثقف الكلي الذي يدفع بنفسه إلى عمل إنساني مرتبط بالمخاطرة والجهد. ومن تحليلنا السابق "لمعيار الممارسة النقدية لنعوم تشومسكي" في مجال السياسة الخارجية الأمريكية، نخلص إلى نتائج أهمها:

المعيار النظري

نستنتج أن ما يبدو أنه إشكالي في السياسة هو "المآلات" أو "الغايات" التي من خلالها يحكم العقل على طبيعة البنية التي تحرك العلاقات بين الدول، لا يوجد شيء جديد يفصل أو يفكك السياسة عن التداخلات الدلالية الأخرى، مثل: الدولة، أو المصلحة - غالبًا ما تعني الاقتصاد، أو القوة، أو القيم والنتائج الإنسانية، من أجل إعطائنا سياسة واضحة مع إشارة ممارساتية "عملية" (*Practicologie*)، إلى أنها تنوي التطبيق وتوقع النتائج قبل مسار الممارسة في الواقع، هذا المعيار مفاده هو أنه يمكننا من خلاله معرفة تصنيف العقلانية والأنماط التفكير لدى جميع البشر إذا كان لها مسار مشترك في التفاعل الاجتماعي بقدرة واحدة، فهذا يعني أن القابلية على التحول والانتقال إلى مجتمع مثالي هي بطبيعة الحال ناجحة ومضمونة وممكنة، كما أسس نعوم تشومسكي هذا المبدأ على الطبيعة البشرية.

1- نستنتج أن الأمر الأكثر إشكالية في السياسة هو أنه لا يوجد قطيعة عقلانية أو إبداع من ناحية التنظير للقوة، هذا هو العقم في الدراسات والأبحاث في العلاقات الدولية المعاصرة، وهي مزيج من الفكر الإغريقي الذي يفتقر إلى الممارسة العلمية والإجراءات التي يصفها عصرنا الحالي، بأنها "بالتكنيك السياسي"، وبين فكر "الأمير" الذي يقوم أساسًا على "التكتيك السياسي" وبين تحدي القوة والتحكم على الحكومات. إن هذا التداخل في التنظير والتطبيق في النظام العالمي الجديد شكل "الثأر" و"النسبية" في "السياسة" على مستوى الحوار الثقافي والتنظيمي بين الدول. إن حلول القضايا والأزمات في السياسة يسهل تقديم الحلول لها عبر طرق التكنيك العقلاني والأخلاقي والإنساني، الذي يحدد الرغبة ويعطي الأولوية للإرادة في توزيع مهام السياسة وفق منطق الثقافة الأخلاقية وفي معاتبة الفعل بعقدة الرمز، بحيث يكون للممارسات السياسية المستهجنة شعورا مماثلا للشعور بالطبوهات مثلاً، إن فعل الفرد لا يكون ممارسا ومرهونا بها لأنه على وعي بأنها تعرقل وجوده الذاتي، وهذا اقتراح، إذا تم تنفيذه سياسياً، فإنه يؤدي إلى نتيجة مفادها "التأديب الذاتي" و"التقائي" في السياسة له دور في تنظيم المجتمع السياسي المثالي وهو جزء من الطبيعة الخيرية، كما أشار "هومبولت" و"تشومسكي". إن السياسة، كما يؤكد تشومسكي، قد انحلت في جوهرها وانحدرت إلى الغموض مثل "الدولة" مع التطور البشري يتم تجريدها من معناها لأنها الآن "غامضة" و"مستعصية" على الفهم التنويري بالنسبة لتشومسكي، المؤخلق بقيم الطبيعة البشرية.

2- نستنتج أن التصور التكتيكي المعاصر (نموذج السياسة الأمريكية) بالنسبة لتشومسكي هو "سيكولوجية الأنانية"، ففي تكتيكات الخبراء من "الأمريكيين"، يتم وضع منهج "ثيوسيديس" ضمن أولويات الممارسة، ثم يتصور الواقع وفقاً لاعتبارات "ميكافيلية". إن "السياسة الحقيقية" تعمل على تحديد القيم الإنسانية والأخلاقية، وتستفيد من الممارسات والدروس والحروب السابقة، وهذا لسوء فهم الخبراء كما أسس تشومسكي. يضع معيارية تسييس المجتمعات وتنظيمها على المنطق الذي يجذب الذات للإبداع والانفتاح على السياسة، بإزاحة ركam الانقراض وتشوهات المعنى وتجريدها، بإعطاء الأولوية لمعاني القوة والسلطة. إن الإشارة إلى السياسة كتصور وماهية يجب أن تعكس معنى محدداً لها، هذا المنطق هو إشكالية للبشر في تصوره، لأن السياسة هي أكثر ما تميل إلى التفكير في معاني تشاؤمية وسلبية، على عكس الطبيعة البشرية، مثل "الأبوية" و"القوة" و"الخداع" و"العبد والسيد"، "الاعتراف" و"الولاء" ... إلخ).

3- نستنتج وضوح ما يأتي في قدرة تشومسكي على "السياسة" بمعنى الأولوية لكرامة وأخلاق المصطلح، وبفهمنا، "إذا كان لدى الأفراد خصائص وحدود التميز عن الغير" دون تدخل في خصوصية كونها حرة بشكل طبيعي" فأيضاً أن "الكلمات لها ذات" الميزة" وهذا يتأشكل في "السياسة" من ناحية الخصوصية. وهذه النقطة توظف أدبيات المصطلح بما يفيد الإنسانية والبشر ثم تقوم مراكز البحث الأكاديمي بتغيير الرؤية وصقلها إلى سياسة مثالية وإنسانية ثابتة، وتصحيح عقيدة ونوايا (الواقعية) للبشر على منطق "توازن بين البشر" وليس بين الدول. لذلك، يتم حل مشكلة السياسة بفعل ممارسة المفهوم العالمي لسياسة مشتركة وإنسانية، فتصنيفات الفكر والممارسة مع الواقعية البنيوية الجديدة تقعد السياسة جوهرها نظراً لممارسة وفق المذاهب والمدارس والأيدولوجيات المتعددة. إن هذا يشبه التأويلات في نصوص الوحي، لا يمكن إنكار أي تأويل أو التشكيك في شرعيته، ففي السياسة أيضاً توجد هذه الميزة، مع تعدد المدارس والتوجهات التي تفسر العلاقات الدولية، ويكون تبرير عبء الشرعية في (الجرائم، الحروب، القانون) أمراً سهلاً للواقعيين الأمريكيين.

المعيار الاقتصادي

1- نستنتج أن معيار الممارسة لدى تشومسكي فيما يتعلق بانقاده للسياسة الخارجية الأمريكية استلزم نقاطاً توجد في هذه السياسة المعاصرة والتي تتحقق عليها السيرورة التاريخية نحو الهيمنة والإمبريالية، فيما يتعلق بالدولة بأنها البنية التي تشمل التفاعل السياسي وبالنسبة لتشومسكي يركز على فضحه للاستغلال

الاقتصادي المدعوم بالسياسة الخارجية تجاه الدولة وأن الشركات محمية ولها حقوق تحقيق البراغمية الاقتصادية. فهي أكثر قداسة من الإنسان عندما عزز الكونجرس الأمريكي، هذه اللعبة في السياسة الأمريكية دعماً لسلطة الدولة وتشجيعاً للنخب على جني الثروات وتقوية الأرباح ورأس المال خوفاً من تطور الاشتراكية التحررية التي تدمر الديمقراطية السياسية وتتهض بالديمقراطية الاجتماعية وأخلاقياتها الإنسانية من حيث المساواة والعدالة والازدهار.

2- أفاد تحليل ماركس للدولة، وهو الأقرب إلى تشومسكي من أن تلك السياسة الأمريكية التي تصنع خدعة العصر بهجومها على أفكار آدم سميث الليبرالية الكلاسيكية، فما من دولة إلا وغايتها البناء وتعزيز كرامة والعيش لشعبها سياسياً بتوفير البنية التحتية وتسخيرها لخدمة المصلحة الوطنية العامة ولكن أساسها هو هذه السياسة العالمية، كما كشفها تشومسكي، أنها تضع نظرية التطور الداروينية على إمامها بأهداف طبقة النخبة، والتي يرمز لها بـ (1%)، كما يتم تعزيز سياستها عن طريق النموذج النيوليبرالي المعولم الذي يشمل مجتمع الأعمال بفعل ممارسة الاحتكار وتراكم رأس المال من الضمان الاجتماعي والسوق الحرة. لقد خدعت السياسة الأمريكية الشعب لجني الحاجة إلى تكوين طبقة عاملة، والتي من شأنها أن تكون شكلاً من أشكال العبودية المأجورة للبرجوازية والتي كانت متجذرة في مؤسسات الدولة، البنّتاغون ووكالة المخابرات المركزية وهما أعمدة السياسة الداخلية، وهدفها تحقيق الاشتراكية للأثرياء والرأسمالية للحكم على الفقراء كما وصفها تشومسكي، بمنطق أن المادة تحقق وجود النخب الأمريكية.

3- من الواضح أن هذه السياسة لها هدف اقتصادي غير أخلاقي يخترق مؤسسات النظام العالمي مثل صندوق النقد الدولي والمؤسسات المالية الدولية، لتطوير الفروع الصغيرة مثلاً وخبراء البيو-سياسة وخبراء التكنو-سياسة، كحلقة وصل لبقاء النظام الاقتصادي الرأسمالي بقواعده (التيلورية) (الكينزية)، والتي في نظر تشومسكي، تظل مرهونة بالواقعية والقوة العسكرية السياسية للدولة، بحيث أثر هذا المعيار الاقتصادي للسياسة لتشومسكي كما أثر أيضاً على استغلال نفط العالم الثالث والبنية التحتية لأمريكا اللاتينية في البلدان الفقيرة الأخرى. في نظر تشومسكي، هذا المعيار للسياسة الأمريكية يحقق تقدماً عالمياً بأشكال وحشية، لذلك فلا بنية اقتصاد دون أن تخلق أعباء (اغتراب العمال) الفقر والبطالة والقتل والتهميش والأوبئة الاجتماعية، الركود الاقتصادي على مستوى سياسة الدولة الأمريكية ذاتها، أما المتأثرون فهم الجنس البشري الذي يمثل (99%) الغالبية المهمشة والفقيرة، كما أشار ديفيد هيوم، حيث لا توجد طبقة وسطى ودنيا في المجتمع. وأن

تعايش الهرمية بفعل الغايات البراغماتية من جانب هذه، سياسة الممارسة "للبد الخفية" و"السوق الحرة" و "الاستقرار" ، وهي كلها اقتصاديات بصيغة أورويلية. للترويج السياسة الخارجية للغزو والحرب ضد العالم، مظاهرها واضحة في العالم ولا تحتاج إلى برهان فهي الدولة العالمية بسياسة النهب لصالح الأقلية الحاكمة والتي تغزو الدول الفقيرة بحجة العولمة والتنمية، وفي رأي تشومسكي أخلاقية مارقة وشريرة للسيطرة على القوة الاقتصادية (الثروة الزراعية) وشل حركة الفلاحين المحركة للثورة، كنموذج مهدد للرأسمالية الصناعية. إن هيمنة السياسة الاقتصادية، من وجهة نظر تشومسكي، هي السلاح الذي يطور ثقافة الواقعية من أجل المعيار السياسي.

المعيار السياسي

1- نستنتج أن السياسة التي تجعل من الميكافيلية العامل الحاسم في تطور الدولة وفرض الأسس والمبادئ الهوبزية، تمكن السياسي أن يعتبر القوة في مصلحة السياسة هي إبادة الآخرين من أجل الحفاظ على تركيز السلطة، وهذا ما يحذر منه تشومسكي بأن أكثر أمراض الطبقة الحاكمة شيوع أسلوبها السياسي الفاشي. كشف أنه، يظل النمط الغالب على السياسة الخارجية للولايات المتحدة الفريدة من نوعها من حيث أنها تتدخل لإنهاء الديكتاتوريات، فصح بأنه، طالما كان لديها وثائق وخطابات سياسية سرية في البنتاغون وتمثل وكالة المخابرات المركزية، تمثيلها الأوروبي في مشكلة الحقيقة، والتشجيع على العنف، والتآمر والدعم السري واللامرطراطية، كنتيجة بأنها السياسة المرموقة "للديمقراطية". فبنقد تشومسكي للسياسة تثير مخاوف عامة في أوروبا الشرقية، وتحريض ضد الشيوعية والماركسية، فكونها السياسة العالمية لها نزعة إجرامية، وتمثل انتهاكا للقانون الدولي ضد دول السلفادور وشيلي وفلسطين والعراق وأفغانستان وكوبا... إلخ. فإن تقويضها للنقابات السياسية بالإكراه والسيطرة بالنسبة لتشومسكي هو أنها مظهر لدولة مارقة وفاشلة.

2- نستنتج أن السياسة الأمريكية في نظر تشومسكي هي وراء إخفاء الحقيقة للعالم، فما ظهر مع فكرة صراع الحضارات بأن الإسلام والمسلمين هم وراء وباء الإرهاب. يدافع تشومسكي ضد هذا التلغيق والنفاق والكذب السياسي، ومثبتاً بأن السياسة لا تحترم معايير الحقيقة والموضوعية، كيف يمكن لها أن تكون معياراً أساسياً ومثالاً للديمقراطية العالمية؟ تعامل تشومسكي مع هذه السياسة وفضح جرائمها وفضائحها اللإنسانية، ووحشية ممارساتها باعتبارها (الفاشية الموسولينية) ومتضمنة في قواعد التشاؤم الواقعي الذي يبرر بأنه النهج

السائد لهذه السياسة الأمريكية. كشف تشومسكي عن المصدر الذي تنبثق منه المأساة والألم والصراعات بين الأيديولوجيات في العالم العربي والشرق الأوسط ومناطق أخرى من العالم، بأنها مخطط لها من السياسة الخارجية في كتيبات الجيوش كمعيار سياسي. لم يكن إيمانويل كانط مخطئاً في اقتراحه للسلام الدائم على الدول إزالة فكرة الجيش. ويتضح أنها سياسة عنصرية وراء أشكال التطرف التي تؤدي بالبشرية إلى الوقوع في كارثة العدم، بالنظر إلى ما قدمه تشومسكي على أنه عدمية وعبثية على نهج نيتشه، مما يعمق فجوة الصراع بين اليسار السياسي، الذي غالباً ما يميل إلى تغيير وهم الديمقراطية الزائفة إلى حرية وديمقراطية محضة، واليمين السياسي الذي يحافظ على فساد هذه السياسة في نظر تشومسكي، بفعل أيديولوجيات "المثقفون التكنوقراطيون" والمحافظين الجدد.

3- هذه السياسة ترهق لغة تشومسكي في مسح كل مظاهر فسادها في السيطرة على المجتمع وتظليل الرأي العام، بينما تعمل على تقليص مكانة العقل المعاصر بهذه السياسة وتدخلاتها البونابارتية دولياً لتحويل مصطلح "الاستقرار" و"الأمن" السياسيين في نظر تشومسكي على طريقة "النيو-سبيك" الأوروبي "إلى لغة محركة للفوضى والصراع بين الشرق والغرب. ومن المتوتر للغاية أن السياسة التي تنتشر الإرهاب في العالم بكافة أشكاله وتلفق القانون العالمي لأغراض نفعية، فإنها لا تحمي جنسها البشري. يظهر عبء المسؤولية أن السياسة الداخلية تقوض ملامح الديمقراطية وتهدد سكانها، بعزل المشاركة السياسية، وعقلانياتها وتهدف للهيمنة ولردع "الجموع البشر"، بينما يعطي تشومسكي الثقة لمواطني المجتمع أن التغيير هو جوهر الوعي وقول الحقيقة وفهم الطبيعة البشرية.

4- نستنتج بأن الغايات السياسية الأمريكية، في منطقة الشرق الأوسط كما وصف تشومسكي، خلق تقسيم دول العالم العربي إلى صراع ديني سلفي وعلماني وشيعي، وتعزيز ثقافة الكراهية والعداء في (اليمن، مصر، سوريا ولبنان). تمثل السياسة وباء العصر المعاصر ضد الإنسان العربي في انتشار مظاهر الفساد بدعم من الإخوان المسلمين والمعاناة والفوضى والإسلام السياسي مع حركة (السيد قطب)، مكرسة لصراع المثلث المصري، الهدف منه تحقيق إجمالي لثروة المنطقة "الشرق الأوسط" وممتلكاتها من الطاقة والنفط، كأداة محركة للميكافيلية العسكرية بين القوى الثلاث (الولايات المتحدة، إسرائيل وفلسطين) وأهدافها: عرقلة جميع حلول السلام التي يأملها العالم العربي والشرق الأوسط، وهي تروج كما أشار تشومسكي لفكرة أن العالم العربي وراء المعاداة للسامية، لتستمر الصهيونية في دعم مصالح النخبة الأمريكية الغربية ونقل النواة الصلبة

للعالم العربي من احتياطات الطاقة والنفط الاستراتيجية إلى الغرب، في خدمة الديمقراطيات الصناعية وتحقيق المصالح البراغماتية بموقعها السري مع الفاتيكان، الذي لديه تطور مع السياسة الأمريكية في رؤية تشومسكي "في بناء الهولوكوست"، ليحقق الدولة الجديدة في منطقة الشرق الأوسط.

5- نستنتج من تشومسكي أن هذه السياسة هي لاستمرار النظام الرأسمالي النيوليبرالي للدعاية والإعلام، التي تستند على نظريات "لاسويل" و"ويلسون" و"جوستاف لوبون" وأعضاء "لجنة كريل" و"التر ليبمان" و"إدوارد بيرنز". إن الغاية من ذلك تقويض الديمقراطية والحرية بفعل آليات التأثير على الفكر وحرية التعبير على عقول الجماهير، كونها سياسة تعمل على نموذج السلوكي لـ"سكينر" ودعم النخبة الحاكمة سياسيًا. إن ما كشفه "تشومسكي" و"هيرمان" أن الرؤية العلاجية لهذه السياسة هي تثقيف وتوعية الإرادة بشكل أعمق وتحويلها من مأزق البراغماتية ومظاهر الخداع والتلاعب السياسي اللغوي. كما يفهم من أفكار تشومسكي أنه ضد ممارسة التكنولوجيا وهيمنتها على الإنسان المعاصر من هذه السياسة غير المقيدة بقيود إنسانية أو أخلاقية كما وصفها "ماركيوز" و"بيير بورديو" بالانحراف الأخلاقي. كما أشار لها منتقدي السياسة الإعلامية أمثال "أورويل" "كارل بوبر" و"جون كنتري".

إن الإعلام السياسي الأمريكي بالنسبة لتشومسكي لا يخدم الاجتماع البشري والديمقراطية، بل يدعم النخبة الحاكمة، يقوض الحقيقة الموضوعية بالتلفيق والتجسس وتمثيل خطاب ضد الجماهير وإفراغ العقول القراء والمتقنين و"هندسة القبول" في العلاقات العامة وتلاعب بالرأي العام.

المعيار الأخلاقي

1. نستنتج أن تشومسكي في هذا المعيار ينفي السلطة التي تشكل أزمة الوجود الإنساني وهي مدرجة في المعيار السياسي، لهذا استخدم تشومسكي رؤية "سياسية" جديدة كهدف لتحرير الإنسان خالية من الشوائب، جوهرها أكثر صرامة في مبادئ التفاوض والإرادة الحرة والخيرة، أقرب إلى نهج كانط من حيث التوفيق بين الإيديولوجيات، لهذا فإن قيام تشومسكي بفضيحة السياسة الأمريكية بأنها عملت على تقويض الحقائق والأفكار التي كان لها بعد أخلاقي من عصر التنوير. كما أنها جعلت فروع الليبرالية الكلاسيكية مشوهة بإدراج رأسمالية الدولة مكانها، لأنها الرابط الذي ينقل العدوى بين الماركسية الحقيقية التي أخلاقها التحرر، ودفاعها عن المجتمعات من الاغتراب والفساد والظلم والبيروقراطية والطبقية وعدم المساواة وكافة

أشكال الاحتكار الرأسمالي، هنا تقع صدمة العقل السياسي للأناركيين من الدولة التي لها مهمة إزالتها بكافة معاييرها السلطوية، يتوجب ذلك، في أخلاق تشومسكي التحرك على مسؤوليته المكلفة له والصارمة في تحقيق الحرية.

2. إن إساءة السياسة للفوضوية باعتبارها بربرية تدعو إلى أخلاقيات العنف، جاء الرد بأصالة من تشومسكي في تحليل الأصل لها على أنها تحررية، لهذا السبب يهدف إلى إعدام السلطة والنخبة من السياسة الواقعية الأمريكية يحاول تقويض الأحادية في تحريك النظام العالمي ونشرها للفساد الأخلاقي البراغماتي والمصالح للثروة ورأس المال.

3. لقد كشف أن السلام هو جوهر الأخلاق المثالية، وحقيقة أنه يقلل من الرأسمالية ويقوض سياستها النيوليبرالية، فقد طورت سياسة انتهازية ودعم عملاءها من الخلية الماركسية اللينينية، لأن انتقال الأناركية إلى الولايات المتحدة مع "برودون" كشف عن قيم مثل التسامح، وقيم التعاون الإنساني المتبادل والحرية والحكومة المحدودة، والسوق الحرة، وأخلاق المجتمع المدني، والقانون.. إلخ وهي قواعد الليبرالية الكلاسيكية أفسدتها هذه السياسة النخبوية. كما أظهر لتشومسكي أنه ضلّ المجال السياسي بالماركسية اللينينية، لأن إيديولوجية رأسمالية الدولة ليس لها تعريف للمصطلح تمامًا كما فعل "كينز" وفون هيك" وميلتون فريدمان" رأسمالية الدولة كامتداد بالنسبة للديمقراطية البرجوازية الأمريكية، التي جاء بها الفساد السياسي للدستور الأمريكي من سياسة "جيمس ماديسون". فيما تعلق بتأثير هذه السياسة على الاشتراكية والفوضوية وقيم الانتماء الأخلاقي إلى "ماركس"، تطلق عليهم الفوضويون. ومن حيث الانتماء إلى "ميخائيل باكونين" تطلق عليهم الاشتراكيون، أدى إنجاز تشومسكي إلى تفكيك هذه الرؤية الانتهازية للأخلاقية بالتحليل والنقد من الاشتراكية اليسارية والليبرالية الكلاسيكية، بحيث أظهر الوجه الحقيقي للأخلاق الفوضوية التحررية دون نزاع، وأن (الفوضوي يمكن أن يكون اشتراكياً بينما الاشتراكي لا يمكن أن يكون أناركياً)، وهذا جانب إنساني وأخلاقي من التمييز. يعمل على توضيح أنه ليس منحازاً لطبقة، لأنه يجمع بين التحرر الماركسي وتحرر الباكونيني.

4. ممارسته "الأخلاقية"، استخدم الطبيعة البشرية باعتبارها جوهرًا والمحرك الذي لا يتحرك في الإنسان، وأن الإبداع واللغة والحرية والوعي والثقافة تشبه قيم التنوير والليبرالية الكلاسيكية بقدر ما تحرر قدرات الأفراد من قيود الهيمنة الرأسمالية والمادية الأمريكية، من طبيعته البشرية، لأنها جوهر المثل والقيم والإرادة والتفائل، ولها غريزة نحو الحرية. لذلك، فإنه لا يقبل القيود السياسية أو الرأسمالية أو مظاهر إذلال الكائن لهذا يظل

مفهوم الأناركية وتحررها علمًا وثقافة وفكرًا وأدبًا بشريًا يُمارس للانتقال إلى مجتمع "مثالي" عادل خالٍ من ثقافة الحروب والأنانية الواقعية، على أساس كفاءة المثقفين الاشتراكيين التحرريين والمدافعين عن الحقيقة والطبيعة البشرية والضمير الإنسانية مثله.

5. وبناءً على ذلك، فإن مشروع التحرر هذا ورؤية تشومسكي البديلة من السياسة والانتقال إلى مجتمع مثالي صالح قد يلاقيان النجاح، إذا ما تم بتعزيز الثقافة والدراسة والبحث العلمي والاجتماعي لفهم الطبيعة البشرية وغريزة التحرر، بشكل جيد على كيفية تسييس السياسة دون سلطة، وهو يعمل على معرفة أنثروبولوجية لهذه البنية (STRUCTURE)، ما يدفع سلوكنا وأفعالنا هو معرفتنا قاصرة بها ويحدد تداخل أبعادها في مجموعة من العلاقات الأخرى مثل الاقتصاد وعلم النفس وعلوم اللغة والتواصل وعلم السياسة ..إلخ. إذا تم الكشف عن حقيقة الطبيعة البشرية وفهمها على حقيقتها، ستكون ذات البنية التي تمنح المعايير الإنسانية للسياسة والتسييس دون كل مظاهر الشر، تمامًا كما يتقاضى الإنسان الحرية والسعادة، فإن السياسة الملفقة (مع أخلاق الميكافيلية والهوبزية) التي تتعايش حاليًا وفرضت علينا في المرحلة المعاصرة خارج طبيعتنا ليست مثل سياسة البنية، والتي لا تشوبها شائبة وخالية من المزايا البراغماتية. يمكن أن نرفق هذا البحث العلمي الأكاديمي بنتائج توصيات فرعية الملاحظ فيها أنها ذات أهمية مستسقة من فهمنا لبحثنا المتواضع :

نتائج فرعية:

- ✓ السياسة الحالية والمعاصرة تنهار إلى العدم بسبب منطق الممارستي للواقعية ومع ذلك، لدى تشومسكي سياسة غير محددة موجودة في كل إنسان، مثل البنية. تتطلب البحث في عناصرها البنوية بين الذات والبيئة والعمل عليها.
- ✓ التحرر من القيود ضرورة متأصلة في الوجود، لكنه يتطلب الممارسة المكثفة للطبيعة البشرية وإدراكها أنها محرك الطاقات والقدرات وجوهر فطري في الإنسان.
- ✓ يركز تطور الجنس البشري على مبدأ الإحسان والتعاون ونشر ثقافة التعايش الحر وأخلاقيات التعاون وتبادل المعرفة والوعي ومناقشة الرأي العام وتعزيزه اجتماعياً.

✓ الصانع للديمقراطية العالمية (الولايات المتحدة): لقد انتهك جوهرها وشرعية أسسها ومبادئها بإفراطه في خلق الإرهاب ونشره جرمًا وشعورًا، وجعلت للإعلام دوراً في تضليل الحقيقة والموضوعية والتحريض على العنف والقوة والسيطرة على العالم.

✓ إن إصرار العالم العربي والقضية الفلسطينية عليها يؤدي إلى تأخير دبلوماسي من الولايات المتحدة ورفع معنويات الغرب مع تدفق الموارد والنفط. العلاج هو الثقافة والوعي داخل المجتمع نفسه دون اللجوء إلى القوة أو العنف.

✓ نهج نعوم تشومسكي ماركسي بحت، وانتقاله إلى الفوضوية هو تجنب النقد أو إنكار أفكاره واعترافاته بسياسة الولايات المتحدة لأن تحريفية الماركسية يخشى أن ينسب شيء منها إليه، أو أنه لن يُعطى طابع الجدة فيما يقوله، لأنه مجرد تقليد لماركس.

✓ اختياره للفوضوية دون الاشتراكية هو إكمال تنظيمه الفكري المثالي وأن يكون متسقاً، بينما مزج الاشتراكية مع الليبرترية ليكون في تحليله الدولة ماركسياً اقتصادياً وضد القوة والسياسة الأمريكية كفوضوي عالمي، مكوناً نسقا فكريا غير قابل للتشكيك والدحض والتكذيب.

🌈 التوصيات:

✓ في مشروع تشومسكي، لم تحصل فكرة الدولة على تحليل وفهم كافيين يمكن أن يكون موضوعاً للاستكشاف والبحث في المستقبل.

✓ السلطة والسياسة، وفق المشروع الفكري لتشومسكي، لم يزل عليهما الغموض، يتطلب جهوداً فكرية وعقلانية للتشكيك في أفكاره حول ما إذا كان لديه نظرية في السياسة أم أنه مجرد تجميع لأفكار الفلاسفة والمفكرين والمؤرخين كمساهمات في تقويض المشروع السياسي الأمريكي.

✓ الطبيعة البشرية وطريقة ظهورها في الواقع السياسي وممارستها لا تزال محل غموض يتطلب الثقافة والوعي لتبسيطها عن طريق الدراسة العلمية الأكاديمية من حيث العلوم الإنسانية الاجتماعية والعلوم التجريبية.

المصاوير

فائمه

والسر اجمع

أولاً: المصادر بالعربية:

- (1) تشومسكي نعوم، إعاقة الديمقراطية، الولايات المتحدة والديمقراطية، د.ت بيروت - لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1998.
- (2) نعوم تشومسكي، "احتلوا"، تأملات في الحرب الطبقيّة والتمرد والتضامن، تر: انطوان باسيل، بيروت، لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 2014.
- (3) نعوم تشومسكي، الدولة المارقة، تر: أسامة إسبر السعودية، مكتبة العبيكان، ط1، 2004.
- (4) نعوم تشومسكي، الربح مقدماً على الشعب، تر: لمى نجيب، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، دط، 2011.
- (5) نعوم تشومسكي، القوة والإرهاب، تر: إبراهيم يحيى الشهاني، دمشق، دار الفكر، ط1، 2003.
- (6) نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، تر: عاطف معتمد عبد الحميد، مصر، دار النهضة، ط1، 2007.
- (7) نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء، تر: سامي الكعكي، بيروت، دار الكتاب العربي، دط، 2004.
- (8) نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، تر: شيرين فهمي، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 2002.
- (9) نعوم تشومسكي، تواريخ الانشقاق، تر: محمد نجار، عمان، الأهلية، للنشر، ط1، 1998.
- (10) نعوم تشومسكي، ثقافة الارهاب، تر: منذر محمود صالح محمد، الرياض، دار العبيكان، دط، 2017.
- (11) نعوم تشومسكي، جون بريكمون، العقل ضد لسلطة رهان باسكال، تر: عبد الرحيم حزل، لبنان - بيروت، دار التنوير، ط1، 2014..

- (12) نعيم تشومسكي، ضبط الرعاع، تر: هيثم علي الحجازي، عمان، دار الأهلية للنشر، ط1، 1998.
- (13) نعيم تشومسكي، طموحات الإمبريالية، تر: عمر الأيوبي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 2006.
- (14) نعيم تشومسكي، غريزة الحرية، مقالات في الفلسفة والفوضوية والطبيعة البشرية، تر: عدي الزعبي ومؤيد نشار، سوريا - دمشق، دار ممدوح عدوان للشر والتوزيع، 1: 2017.
- (15) نعيم تشومسكي، قراصنة وأباطرة الإرهاب الدولي في العالم الحقيقي، سوريا، دار حوران للنشر والترجمة، ط1، 1996.
- (16) نعيم تشومسكي، قوى وآفاق تأملات في الطبيعة الإنسانية والنظام الاجتماعي، تر: ياسين الحاج صالح سوريا - دمشق، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط1، 1998.
- (17) نعيم تشومسكي، ماذا يريد العم سام، تر: عادل المعلم، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1998.
- (18) نعيم تشومسكي، مداخلات، تر: محمود برهوم ونوال القمار سرياني، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2007.
- (19) نعيم تشومسكي، من يحكم العالم؟، المرجع: فواز زعرور، بيروت - لبنان، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2017 م.
- (20) نعيم تشومسكي، من يمتلك العالم، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2014.
- (21) نعيم تشومسكي، ميشال فوكو، في الطبيعة البشرية، ترجمة: أمير زكي، مصر - القاهرة، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2015 م.
- (22) نعيم تشومسكي، صناعة المستقبل، الاحتلال، التدخلات، الإمبراطورية و المقاومة، تر: Lingo Office l.r.a. s، لبنان، شركة المطبوعات للنشر، ط1، 2013.
- (23) نعيم تشومسكي، أشياء لم تسمع أبداً، تر: أسعد الحسين، سوريا، دار نينوى، ط1، 2010.
- (24) نعيم تشومسكي، الدول الفاشلة، إساءة استعمال القوة والتعدي على الديمقراطية، تر: سامي الكعكي، لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، 2007.
- (25) نعيم تشومسكي، العالم إلى أين، تر: ريم طويل. بيروت، دار الساقى، ط1، 2018.

- (26) نعيم تشومسكي، الغزو مستمر سنة 501، تر: مي النبهان، بيروت، لبنان، دار المدى للثقافة والنشر، د.ط، 1996.
- (27) نعيم تشومسكي، إهدار الحقيقة، إساءة التعليم والإعلام وأوهام الليبرالية والسوق الحرة، تر: نعيمة علي، مصر - القاهرة، مكتبة الشروق الدولية للنشر، ط1، 2006 م.
- (28) نعيم تشومسكي، جلبير الاشقر: السلطان الخطير، السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، بيروت، دار الساقى، ط1، 2007.

المصادر بالإنجليزية:

1. Noam Chomsky & Edward. W. Said, Fateful Triangle: The United States, Israel, and the Palestinians, (Boston - USA, South End Publishing Press, third edition, 1999 AD).
2. Noam Chomsky , Powers and Prospects Reflections on Human Nature and the Social Order,(Boston, Massachusetts, US, Library of Congress Publishing, 1st ed., 1996).
3. Noam Chomsky, Edward S. Hermann ,Manufacturing Consent: The Political Economy of the Media,(New York - America, Pantheon Books for Publishing, 1st edition,1994).
4. Noam Chomsky and David Barsamian, Propaganda and the Public Mind, (USA, South End Press, Cambridge, MA Publishing 2nd ed., 2015).
5. Noam Chomsky, Anthony Arnoff, Chomsky's Essentials,(USA, New York Library Cataloging and Data Publishing, First Edition, © 2008.).
6. Noam Chomsky, Bray Bertmirn, Chomsky on Anarchism ,(Scotland, USA, University of Edinburgh, Oakland, and West Virginia Publishers, 1st Edition, 2005.).
7. Noam Chomsky, by Michael Albert, Taming the Rascal Multitude,(USA, Library of Congress Publishing, first edition, 2022 AD).
8. Noam Chomsky, Carlos B. Otero, Language and Politics, (Canada, Black Rose Books, 1sted 1988).
9. Noam Chomsky, David Barsamian, Secrets, Lies, and Democracy, (USA - London, OdonianPressto Publishing, 1st ed., 2002).
10. Noam Chomsky, David Barsamian, Records of Dissent (USA, Richmond Public Library, 1st ed., 1992).
11. Noam Chomsky, David Barsamian, What We Say Goes: Conversations on U.S. Power in a Changing World ,(Australia - New Zealand, National Library of Books, Metropolitan Publishing, first edition, 2007).
12. Noam Chomsky, Democracy and Education, (New York and London, British Routledge Falmer Publishing Corporation, first edition, 2003).

13. Noam Chomsky, Democracy and Power. Delhi Lectures, (United Kingdom, Cambridge, Open Book Publishers, no edition, 2014).
14. Noam Chomsky, Deterring Democracy, (United States, South end Press, to publish, first edition, 1991).
15. Noam Chomsky, Edward W. Said, The Fateful Triangle, The United States, Israel and the Palestinians (New York, Book Sales Consortium for Publishing and Distribution, 1st ed., 1999).
16. Noam Chomsky, Gaza in Crisis, Reflections on the Israeli War on the Palestinians, (Chicago, USA, Library of Congress Publishing, first edition, 2010).
17. Noam Chomsky, Gilbert Achcar, and Perilous Power: The Middle East and US Foreign Policy: Conversations on Terror, Democracy, and War, (New York, Library of Congress Cataloging and Publishing Data, 1st ed., 2007).
18. Noam Chomsky, How the world works,(United State, Soft Skull Press, Publishing, 2nd ed, 2011).
19. Noam Chomsky, It is the Responsibility of Intellectuals to speak the truth and to expose lies, (USA, New York, Review of Books Publishing, second edition, 2017).
20. Noam Chomsky, Marv Waterstone, Consequences of Capitalism: Manufacturing Discontent and Resistance, (Oakland, CA, Library of Congress Publishing Cataloging Data, 1st ed., 2020).
21. Noam Chomsky, Noam Necessary Illusions: Thought Control in Democratic Societies, (Canada, Anansi Press, first edition, © 2003).
22. Noam Chomsky, Towards a New Cold War: U.S. Foreign Policy from Vietnam to Reagan,(United States, University of New England Press, first edition, 1979 AD).
23. Noam Chomsky,&IlanPappé, On Palestine , (United States, Haymarket Books and Library of Congress Cataloging and Publishing, 1st ed., © 2015.)
24. Noam Chomsky ,Requiem for the American Dream ,(New York ,Library of Congress, 1st ed,2017).

المراجع باللغة العربية:

- 1) براق زكريا، الدولة والشرعية في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت -لبنان دار النشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2013.
- 2) أحمد عبد الحليم عطية، الفلسفة والمجتمع المدني: نصوص فلسفية لجون لوك ورسالة في الحكومة المدنية، مصر - القاهرة، دار الثقافة العربية للنشر والتوزيع، ط4، 2007.
- 3) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، معجم المصطلحات القانونية وحقوق الإنسان، الأردن، دار أمواج للنشر، ط2، ج1، 2015.
- 4) أحمد محمد وهبان، النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية من مورجنتاؤ إلى ميرشايمر، دراسة تقييمية، جامعة الإسكندرية، كلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، مصر - القاهرة، 2016.

- (5) إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، القاهرة، مصر، دار الرؤية للنشر، ط1، 2006.
- (6) إدوارد سعيد، خيانة المثقفين النصوص الأخيرة، تر: أسعد الحسين، دمشق - سوريا، دار نينوى للدراسات والنشر، ط1، 2011.
- (7) أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، تر: نصر الدين لعياضي، الصادق رابح، لبنان - بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2005.
- (8) إريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، تر: محمد سيد رصاص، سوريا - دمشق، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط1، 1998.
- (9) آلان جوكس، إمبراطورية الفوضى الجمهوريات في مواجهة الهيمنة الأمريكية ما بعد الحرب الباردة، تر: غازي برو بيروت، دار الفارابي، ط1، 2005.
- (10) ألكسيس دي توكفيل، الديمقراطية في أمريكا، تر: أمين مرسي قنديل، القاهرة، عالم الكتاب، دط، 1735.
- (11) آلن هاو، النظرية النقدية "مدرسة فرانكفورت"، تر: ثائر ديب، مصر، دار العين للنشر والتوزيع، ط1، 2012.
- (12) أمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي القاهرة، منشورات الجمل، ط1، 2002.
- (13) إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، تر: آدم فتحي، ألمانيا، دار منشورات الجمل، ط1، 2003.
- (14) أناتول ليفن، أمريكا بين الحق والباطل، تشريع القومية الأمريكية، تر: ناصرة السعدون، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2008م.
- (15) أنطونيو جرامشي، كراسات السجن، تر: عادل غنيم، القاهرة، مصر، دار المستقبل العربي للنشر، ط1، 1994.
- (16) أنور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية، العراق - السليمانية، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية للنشر، ط1، 2007.
- (17) إيمانويل كانط، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاوي، كولونيا - ألمانيا، منشورات الجمل للنشر و التوزيع، ط1، 2002.

- 18) بيرناركتولا، الإشهار والمجتمع، تر: سعيد بنكراد، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2012.
- 19) ببير بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، تر: درويش الحلوجي سوريا، دار كنعان للنشر والتوزيع، ط1، 2004.
- 20) تشارلز تيللي، الديمقراطية، تر: محمد فاضل طبّاخ، بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، 2010.
- 21) جاك دوه نيدييه دي فابر، الدولة، تر: أحمد حسيب عباس، مصر- القاهرة، دار النشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1. 1958.
- 22) جان بودريارد، إدغارموران، عنف العالم، تر: عزيز توما سوريا - دمشق، دار الحوار، ط1، 2005.
- 23) جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، تر: علي مقلد بيروت- لبنان، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط2، 1983.
- 24) جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، تر: بولس غانم لبنان - بيروت، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، 2009.
- 25) جمال سند السويدي، آفاق العصر الأمريكي: السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد. الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية للنشر والتوزيع، ط1، 2014.
- 26) جورج أورويل، رواية 1984، تر: الحارث محمد النبهان لبنان - بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 2014.
- 27) جوزيف أ. شومبيتر، الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، تر: حيدر حاج إسماعيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 2011.
- 28) جون آر برادلي، ما بعد الربيع العربي: كيف اختطف الإسلاميون ثورات الشرق الأوسط. تر: شيماء عبد الحكيم طه، القاهرة- مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة للنشر، ط1، 2013.
- 29) جون بريكمون، نعوم تشومسكي، العقل ضد لسلطة رهان باسكال، تر: عبد الرحيم حزل، لبنان- بيروت، دار التنوير، ط1، 2014.

- (30) جون رولز، نظرية في العدالة، تر: ليلي الطويل، سوريا - دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2011.
- (31) جون ميرشايمر، مأساة سياسة القوة العظمى. تر: مصطفى محمد قاسم، السعودية - الرياض، جامعة الملك سعود للنشر، الطبعة الأولى، 2012.
- (32) جيمس دورتي، روبرت بالتسغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، تر: وليد عبد الحي، بيروت - لبنان، مكتبة شركة كازمة للنشر والترجمة والتوزيع، ط1، 1985.
- (33) جيوفانا بورادوري، الفلسفة في زمن الإرهاب، حوارات جاك دريدا يورغن هابرماس، تر: خلدون النبواني بيروت، المركز العربي، ط1، 2013.
- (34) دانيال غيران، الأناركية من النظرية إلى التطبيق، تر: عومرية سلطاني، مصر - القاهرة، دار التنوير للنشر والإعلام، ط1، 2015.
- (35) دانييل غورين، اللاسلطوية بين النظرية والتطبيق، تر: مزاحم الطائي، ليبيا، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط1، 1996.
- (36) ديفيد فيشر، الأخلاقيات والحرب هل يمكن أن تكون الحرب عادلة في القرن الحادي والعشرين؟ تر. عماد عواد الكويت، عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، للنشر والتوزيع، ط1، 2014.
- (37) رجب بو دبوس، الفوضوية، الرباط - المغرب، معهد الانتماء العربي للنشر والتوزيع، ط1، 1989.
- (38) روبرت ماكيفر، تكوين الدولة، تر: حسين صعب لبنان - بيروت، دار العلم للملايين للنشر، ط1، 1996.
- (39) سعد الدين إبراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي، بيروت - لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، 1988.
- (40) سكوت بورتشيل وآخرون، نظريات العلاقات الدولية، تر: محمد صفار، مصر - القاهرة، المركز القومي للترجمة والنشر، ط1، 2014.
- (41) سمير أمين، ما بعد الرأسمالية المتهاكمة، تر: فهمية شرف الدين وسناء أبو شقرا بيروت، لبنان، دار الفارابي للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

- 42) سيندي ميلستين، ديفيد جريبير، الأناركية والثورة والإنسان، تر: أحمد حسان، القاهرة، مركز المحروسة للنشر، ط 1، 2016.
- 43) طاهر حسو الزبياري، النظرية السوسيولوجية المعاصرة، الأردن، عمان، دار البيروني للنشر، ط 1، 2016.
- 44) عبد الوهاب المسيري، إشكالية التحيز، رؤية المعرفة ودعوة للاجتهاد، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي للنشر، ط 1، 1995.
- 45) عبد الوهاب المسيري، تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وأزمته، القاهرة . مصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط 1، 2010.
- 46) عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية - دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط 1، 1982.
- 47) عرييد مسعد، أميركا الاخرى، في عيون مغترب عربي، عمان، دار فضاءات، ط 1، 2014.
- 48) عزمي بشارة، الثورة التونسية المجيدة: بنية ثورة وصيرورتها من خلال يومياتها، بيروت - لبنان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات للنشر، ط 1، 2012.
- 49) علي أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط 1، 1996.
- 50) علي حرب، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي، بيروت - لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 2، 2012.
- 51) علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراجماتية أصولها ومبادئها. لبنان- بيروت، دار الكتب العلمية للنشر، ط 1، 2008.
- 52) غي دورندان، الدعاية والدعاية السياسية، تر: رالف رزق الله، بيروت - لبنان، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط 2، 2002.
- 53) غيوم سيبرتان بلان، الفلسفة السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين، تر: عز الدين الخطابي بيروت - لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، ط 1، 2011.

- (54) فاروق القاضي، آفاق التمرد: قراءة نقدية في التاريخ الأوروبي والعربي والإسلامي، مصر - القاهرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004.
- (55) فالح عبد الجبار، الاستلاب، هوبز لوك روسو هيغل فويرباخ ماركس، بيروت - لبنان، دار الفارابي، للنشر والتوزيع، ط1، 2018.
- (56) فخري الدباغ، الحرب النفسية، العراق، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ط1 1979.
- (57) فرانز ليوبولدنيومان، البهيموت بنية الاشتراكية القومية (النازية) وممارستها، تر: حسني زينة، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات للنشر، ط1، 2017.
- (58) فرانسيس فوكوياما، أمريكا على مفترق الطرق، تر: محمد محمود التوبة القاهرة، دار العبيكان، ط1، 2007.
- (59) فرانسيس فوكوياما، النظام السياسي والانحطاط السياسي من الثورة الصناعية إلى عولمة الديمقراطية، تر: معين الإمام، مجاب الإمام، الدوحة- قطر، منتدى العلاقات العربية والدولية للنشر، ط1، 2016.
- (60) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، تر: فؤاد شاهين، جميل قاسم، رضا الشايبى، بيروت - لبنان، مركز الإنماء القومي للنشر والتوزيع، ط1، 1993.
- (61) فريدريك إنجلز، الاشتراكية الطوباوية والعلم، تر: إلياس شاهين، بيروت - لبنان، دار الفارابي، للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
- (62) فلاديمير لينين، الدولة والثورة، تعاليم الماركسية حول الدولة، ومهمات البروليتاريا في الثورة، تر: سلامة كلية، بيروت - لبنان، دار روافد للنشر، ط1، 1918.
- (63) فهمي عبد القادر، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية؛ دراسة في الأفكار والعقائد ووسائل البناء الإمبراطوري، الأردن- عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 2009.
- (64) فون فريدريك هايك، الطريق إلى العبودية، تر: محمد مصطفى غنيم، القاهرة - مصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1994.
- (65) فيليببرو، علم الاجتماع السياسي، تر: محمد عرب صاصيلا بيروت - لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1998.

- 66) قيس ماضي فرو، المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية وعلمية وأدبية، بيروت - لبنان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013.
- 67) كارل بوبر، مائة عام من التنوير، تر: عادل مصطفى، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداي للنشر، ط1، 2018.
- 68) كارل بولاني، التحول الكبير الأصول السياسية والاقتصادية لزمنا المعاصر، تر: طباح محمد فاضل، بيروت - لبنان، مركز الدراسات الوحدة العربية، للنشر ط1، 2009.
- 69) لوي ألتوسير، مونتيكيو السياسة والتاريخ، تر: نادر ذكرى، بيروت، دار التنوير، دط، 2006.
- 70) لويس عوض، دراسات في النظم والمذاهب، لبنان - بيروت، منشورات المكتب التجاري للنشر والتوزيع، ط1، 1962.
- 71) ليلي بارودي، السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 1984.
- 72) مايكل ج. ساندل، الليبرالية وحدود العدالة، تر: محمد هناد، الحمراء - بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، 2009.
- 73) مايكل رايس، الوطن المغتصب، إسرائيل في فلسطين و البحث عن حل، تر: إبراهيم سلامة إبراهيم، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003.
- 74) مايكل هارت، الإمبراطورية العولمة الجديدة، تر: فاضل جتكر، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 2002.
- 75) محمد بن علي بن محمد بن آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، 2003.
- 76) مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، مصر - القاهرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1990.
- 77) مونتيكيو، روح الشرائع، تر: عادل زعيتر، القاهرة - مصر، مؤسسة هنداي سي سي للنشر والتوزيع، ط2، 2017.

- (78) ميلتون فريدمان، الرأسمالية والحرية، تر: مروة عبد الفتاح شحاتة، القاهرة - مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة للنشر، ط2، 2014.
- (79) نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004.
- (80) نخبة من المؤلفين، التلفزيون خطر على الديمقراطية، تر: مجدي عبد الحافظ القاهرة - مصر، المجلس الأعلى للثقافة والنشر، ط1، 2005.
- (81) نظام بركات وآخرون، مبادئ علم السياسة، الرياض، دار الكرمل للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1989.
- (82) نيكوسبولانتزاس، نظرية الدولة، تر: ميشيل كيلو، بيروت - لبنان، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط2، 2010.
- (83) هارولد ج. لا سكي، الدولة نظرياً وعملياً، تر: سعيد شحاتة، مصر - القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 2012.
- (84) هارولد ج. لا سكي، الدولة نظرياً وعملياً، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 2012.
- (85) هالة محمود عبد العال، تقييم الدعاية السياسية في الانتخابات البرلمانية، القاهرة - مصر، دار العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2018.
- (86) هاني الرضا، ورامز محمد عمار، الرأي العام والإعلام والدعاية، بيروت - لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1998.
- (87) هيربرت ماركوزه، الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي لبنان - بيروت، دار الآداب للنشر والتوزيع، ط3، 1988.
- (88) ويليام ديورانت، دروس من التاريخ، تر: يوسف ربيع، مصر - القاهرة، دار عصير الكتب للنشر، ط1، 2020.
- (89) ويليام بلوم، الدولة المارقة، دليل إلى الدولة العظمى الوحيدة في العالم، تر: كمال السيد. بيروت، لبنان، المجلس الأعلى للثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 2002.
- المراجع بالإنجليزية :

1. Albert Camus, Resistance, Rebellion, and Death (New York: Alfred Knopf, first edition , 1961).
2. Anthony R. Di Maggio, Political Power in America: Class Conflict and the Subversion of Democracy,(USA, Publisher: State University of New York Press, First Edition, 2019).
3. Benjamin Franks, Nathan John and Leonard Williams, Anarchism A Conceptual Approach, (America - New York, Routledge Taylor & Francis Media Publishing Company, 1st edition, 2018).
4. Bjarne Melkevik, Habermas, Law and Deliberative Democracy, (Canada, Laval University Press, fourth edition, 2010).
5. Cornel West ,The American Evasion of Philosophy,(United States of America, Board of Trustees of London and University of Wisconsin for Printing and Publishing, first edition, 1989 AD).
6. Eamonn Butler, Classical liberalism a Primer, (Britain, London, Institute of Economic Affairs, for publication, first edition, 2015).
7. Edgley, A; The Social and Political Thought of Noam Chomsky (New York: Library of Congress Publishing, Volume I, 2000).
8. Edward W. Said, The End of the Peace Process, Oslo and After (USA. New-York, Vintage Books Publishing Corporation.1st edition. 2001).
9. Ellen Frankel-Pool et al., Fred D. Miller, Jr. and Jeffrey Poole, Problems of Market Liberalism, (United States of America, Cambridge University Journalists Association, Part 2, first edition, 1998).
10. Ernest Cassirer, The philosophy of the enlightenment, (USA, Princeton University Press, first edition, 1951).
11. Gabriel A. Almond, The American People and Foreign Policy, (New York, Greenwood Publishing Press, first edition, 1977).
12. Gilfrey, J.M. The Cambridge Companion to Chomsky (New York: Cambridge University Press, Vol. 2, 2017).
13. Hans Jonas, The Imperative of Responsibility In Search of an Ethics for the Technological Age,(United States of America, University of Chicago Press ,First edition. 1985).
14. Henry Bergson, Sources of Ethics and Religion, (USA, New York, Library of Congress Publishing, 2nd Edition, 1974 AD).
15. John. M. Maguire, Marx's theory of politics, (New-York, Published by the Syndics of the Cambridge University Press. first edition.1978).
16. Jürgen Habermas, Knowledge and Human Interests, (Canada, Saunders Publishing Center, Toronto Ltd., third edition, 1972 AD).

17. M. Sekiguchi, and editors: P Bilgin, P.D. Williams, J.K.; Murphy, Global Security and International Political Economy, (United States of America, UNESCO and Euless Publishing Company, Volume VI, Edition 1, 2010).
18. Mark Evans, Just War Theory: A Reappraisal. (USA, Publisher: Edinburgh University Press, 1st edition, ©2005.).
19. Neil Smith, Chomsky's ideas and ideals, (America - New York, Cambridge University Press, second edition, 2004).
20. Peter R. Mitchell and John Schaeffer, Understanding, Power. The Indispensable Chomsky, (USA - New York, New Press-Publishing, first ed., 2002).
21. Peter Wilkin, Noam Chomsky: On Power, Knowledge, and Human Nature, (USA, Library of Congress Cataloging and Publishing Data, first edition, 1997.).
22. Robert C. Tucker, Philosophy and Myth in Karl Marx, (USA, published by Cambridge Bentley House University Press, 2nd ed., 1972).
23. Robert F. Barsky, The Chomsky Effect, A Radical Works Beyond the Ivory Tower, (London, England, Cambridge Press MIT Publishing, First edition, 2007).
24. Robert Leeson, Hayek: A Collaborative Biography Part Fourteen: Liberalism in the Classical Tradition: Orwell, Popper, Humboldt, and Polanyi, (CA - USA, Tess Palgrave Macmillan and Stanford University Publishing and Distribution, 1st ed., 2018).
25. Roger Edward Backhouse, No Wealth but the Economics of Welfare of Life and the Welfare State in Britain (1880-1945), (New York, Cambridge University Press, 1st ed., 2010).
26. Rudolf Rucker, Anarchism, Syndicalist Theory and Practice, (USA, Pluto Publishing Press, 1st ed., 1989).
27. Stuart Elden, Understanding Henri Lefebvre, Theory and the Possible, (New York, Publishing in the British Library, 1st ed., 2004).
28. Vladimir Ilyich Lenin, Prabhat Patnaik, Imperialism. The Highest Stages of Capitalism (Moscow, Russia, Progress Publishers. Advance Publishers, Vol. 6, 2000).
29. Wilhelm von Humboldt, The Limits to State Action, (New York - US, Delhi Cambridge University Press, Publishers, first ed., © 1969).
30. William Poole, The State: Its Origin and Function, (Edinburgh - Scotland, Socialist Workers' Press for publication and distribution, without edition, 1917.).

المصادر بالفرنسية:

1. Noam Chomsky, La doctrine des bonnes intentions, Entretiens avec David Barsamian, traduction, Paul Shamla. Paris - France, Fayard Press and Publishing, 2nd Edition, 2007.

المعاجم والموسوعات:

- (1) أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، معجم المصطلحات القانونية وحقوق الإنسان، الأردن، دار أمواج للنشر، ط2، ج1، 2015.
- (2) ابن منظور، لسان العرب، القاهرة - مصر، دار المعارف للنشر والتوزيع، ج3، ط1، 1981.
- (3) بول روبنسون، قاموس الأمن الدولي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية للترجمة والنشر، ط1، 2009.
- (4) تيرينس بول، موسوعة كمبريدج للتاريخ، الفكر السياسي في القرن العشرين، تر: متى مقلد، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ج2، ط1، 2010.
- (5) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دمشق، دار الكتاب اللبناني للنشر، ط1، ج1، 1982.
- (6) جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، بيروت - لبنان، دار الطليعة للنشر والتوزيع، ط3، 2006.
- (7) خضر داهو قاسم، هيرت ماركيز، موسوعة فلسفية غربية معاصرة، بيروت، دار ضفاف للنشر، ط1، ج1، 2013.
- (8) عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، (بيروت - لبنان، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج2، د ط، 2015م).
- (9) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، القاهرة، دار القباء الحديثة للنشر، ط5، 2007.

القواميس بالإنجليزية:

1. William Outhwaite, *The Blackwell Dictionary of Modern Social Thought*, (USA, Library of Congress Cataloging and Publishing, 2nd Edition, 2003).

مواقع الإنترنت:

1. Tangguh Chairil, (26 Sep 2013) *Historical Precedents of Realist IR Theory* Thucydides, Pinos University International Relations, Views in, (4/3/2023) Website. Link: <https://ir.binus.ac.id/2013/09/26/historic-antecedents-of-realist-ir-theories-1-thucydides>

1. سفيان البراق، (14/4/2018). مقال نيتشه ضدَّ المسيحية، قراءة تحليلية في كتاب نقيض المسيح فريدريك نيتشه، تم الاطلاع عليه في 2/1/2023. رابط الموقع: <https://www.aljazeera.net/blogs/2018/4/14/%D9%86%D9%8A%D8%AA%D8%B4%D9%87-%D8%B6%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%AD%D9%8A%D8%A9>. <https://www.reuters.com/article/oegen-egy-comsky-sg5-idARACAE89N05220121024>

2. نعيم تشومسكي، (2013/02/11)، محاضرة: اللاسلطوية مع تشومسكي، تم الاطلاع عليه في (2/1/2020)، 16.30 سا. رابط الموقع:

https://youtu.be/o3kLivk_OZk

3. رمضان غيث، "الواقعية الجديدة" *Neorealism - Structural Realism* - الموسوعة السياسية، 09-12-2020، تاريخ آخر دخول: 11-07-2023 07:34، متاح على الرابط التالي:

[الواقعية الجديدة / https://political-encyclopedia.org/dictionary/](https://political-encyclopedia.org/dictionary/)

4. ميثاق مناحي دشر جناح العيساوي (2013/5/1). النظرية الواقعية: دراسة في الاصول والاتجاهات الفكرية الواقعية المعاصرة، جامعة أهل البيت، تم الاطلاع عليه في (2023/03/4)م. رابط الموقع:

<https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:ih9AOKOuzZUJ:https://www.iasj.net/iasj/pdf/68e8921377b6ecab&cd=1&hl=ar&ct=clnk&gl=dz>

فهرس الموضوعات

شكر وعران

إهداء

مقدمة أ- س

نبذة فكرية وفلسفية عن نعوم تشومسكي ع- ص

الفصل الأول: نعوم تشومسكي ، الأبعاد النظرية والفلسفية للسياسة

تمهيد : 1

المبحث الأول : مدخل مفاهيمي حول الواقعية و البراغماتية..... 2

أولاً : النظرية الواقعية..... 2

ثانياً: الواقعية في انسجام مع السياسة الخارجية الأمريكية (البراغماتية)..... 10

المبحث الثاني: نظرية الدولة عند تشومسكي..... 17

أولاً: وظيفة الدولة (تشومسكي)..... 20

ثانياً: استقلالية الدولة..... 28

ثالثاً: الحاجة للدولة في ظل الرأسمالية..... 39

رابعاً: مقارنة في فهم الدولة بين تشومسكي وماركس..... 52

خامساً: أشكال الدولة..... 75

تعقيب نقدي..... 81

الفصل الثاني: نعوم تشومسكي والسياسة الخارجية الأمريكية (الهيمنة والممارسة)

تمهيد..... 91

المبحث الأول: السياسة الأمريكية سياسة استبدادية؟..... 92

ملاحح الاستبداد الأمريكي في تقويض الديمقراطية..... 93

تعقيب نقدي..... 120

المبحث الثاني: الإرهاب كقوة مشروعة في السياسة الأمريكية..... 125

1- مقارنة فلسفية للإرهاب..... 130

2- ممارسة السياسة الأمريكية للإرهاب..... 135

151	تعقيب نقدي.....
157	المبحث الثاني: السياسة وهيمنة وسائل الإعلام.....
158	1- مفهوم الدعاية.....
160	2- الدعاية والإعلام السياسي عند نعوم تشومسكي.....
171	3- بدايات ممارسة الدولة الأمريكية لسياسة الدعاية.....
177	4- نموذج الدعاية (الموافقة على التصنيع) نعوم تشومسكي.....
199	تعقيب نقدي.....
الفصل الثالث موقف تشومسكي من سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في القضايا العربية	
206	تمهيد.....
207	المبحث الأول: نعوم تشومسكي والقضية الفلسطينية.....
207	1- المثلث المشؤوم : (الولايات المتحدة، إسرائيل، والفلسطينيون).....
217	المبحث الثاني: "عملية السلام" والاستراتيجية الواقعية الأمريكية.....
249	تعقيب نقدي.....
الفصل الرابع: نعوم تشومسكي والرؤية البديلة لتجاوز الأخلاق البراغماتية للسياسة الخارجية الأمريكية	
254	تمهيد.....
255	المبحث الأول: الفوضوية والفكر التحرري.....
255	1- مفهوم الفوضوية.....
256	2- نعوم تشومسكي والفوضوية.....
281	تعقيب نقدي.....
285	المبحث الثاني : اللاسلطوية هي الوريث الشرعي لليبرالية الكلاسيكية.....
285	1- الفرق بين مفاهيم التنظيم الاجتماعي عند نعوم تشومسكي.....
286	2- قواعد الليبرالية الكلاسيكية.....
303	3- التقليل من الإكراه.....
304	4- التسامح.....
305	5- الحكومة المحدودة (التمثيلية).....

306	6- سيادة القانون.....
307	7- النظام التلقائي.....
309	8- الملكية والتجارة والأسواق.....
311	9- المجتمع المدني
314	10- القيم الإنسانية المشتركة.....
329	تعقيب نقدي.....
337	المبحث الثالث: فلسفة تشومسكي الأخلاقية
337	1- مسؤولية المثقفين : (The Responsibility of Intellectuals)
367	2- المجتمع الصالح : (The 'good society').....
369	3-التفاؤل والأمل أساس فلسفة تشومسكي الأخلاقية.....
372	تعقيب نقدي.....
382.....	خاتمة
393.....	قائمة المراجع.....
409	فهرس الموضوعات

الملخص

تتناول هذه الدراسة اشكالية السياسة في الفكر الغربي المعاصر، واتخذت نعوم تشومسكي كنموذج بين الممارسة و التنظير البراغماتي الأمريكي، و ما تتمتع به من ثقافة النقد والتحليل لمسار الواقع السياسي و ما يعانيه من الفساد والجشع الرأسمالي، وتهدف الدراسة إلى الكشف عن الجوانب الخفية للوجود الإنساني لفهم الرؤية الصحيحة للإنسان الديمقراطي، وللقيم الاشتراكية التحررية وتعزيز مظاهر الممارسة بقصد الوصول إلى قيم التكامل والوعي والمسؤولية والثقافة والحرية والطبيعة البشرية، حيث تسعى إلى فهم الإنسان المعاصر في فضاء سياسي تُستبعد فيه قيمة العدالة الاجتماعية والبعد الأخلاقي، مناشدة العقل والفكر لتعايش نخبة تمجدها مصالح وقوى الدولة العالمية التي تدعم حقوق الإنسان، تظل مصدراً للفوضى والعنف؟ نشر الإرهاب؟ وتشيت انتباه الرأي العام العالمي؟ وأساليب صناعة القبول والدعاية الإعلامية، كما لا تقتصر رؤية الدراسة على تقييم جوانب الولايات المتحدة الأمريكية فقط، بل تكشف أيضاً عن معاناة الشعوب والمجتمعات من السياسات المارقة والتعسف في العالم العربي الإسلامي، بدحض أفكار الربيع العربي التحررية، والتلاعب بالحقيقة، واستغلال الثروة (النفط)، وزعزعة الاستقرار وتأجيج الصراع الديني والسياسي والدعم الأمريكي -الإسرائيلي الخفي لخرق ملامح القانون الدولي الإنساني والتشويه النيوليبرالي والدبلوماسي لقضايا الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية. كما تهدف إلى الكشف عن دور الممارسة الأخلاقية والإنسانية لنعوم تشومسكي، الذي يسعى تنويره الأتاركي إلى بناء مجتمع أكثر حرية وإنسانية على أساس الطبيعة البشرية ومعاييرها الثابتة والعالمية بين البشر.

كلمات مفتاحية: السياسة الأمريكية، نعوم تشومسكي، الفوضوية، الإرهاب، الديمقراطية.

Abstract

This study deals with the problem of politics in contemporary Western thought, Noam Chomsky as a model between American pragmatic theorizing and its practice, which enjoys a culture of criticism and analysis of the path of political reality and what it is going through and what it suffers from the shortcomings and manifestations of capitalist greed and corruption, while the study aims to reveal the hidden aspects of human existence in Understanding the correct vision of democratic man, liberal socialist values, promoting manifestations of practice, and transcending the values of integration, awareness, responsibility, culture, freedom, and human nature, as it seeks to understand contemporary man in a political space in which the value excludes social justice and the moral dimension, appealing to reason and thought for the coexistence of an elite glorified by the interests and powers of the global state. Which support human rights, remain a source of chaos and violence? Spreading terrorism? Distracting world public opinion? And the methods of making acceptance and media propaganda, and the vision of the study is not limited to evaluating aspects of the United States of America only, but also reveals the suffering of peoples and societies from its rogue policies and arbitrariness in the Arab-Islamic world, by refuting the ideas of Arab Spring liberation, manipulation of truth, and exploitation of wealth (oil), And the destabilization and fueling of religious and political conflict and the hidden American-Israeli support for violating the features of international humanitarian law and the neoliberal and diplomatic distortion of the issues of the Middle East and the Palestinian cause. It also aims to reveal the role of the moral and humane practice of Noam Chomsky, whose anarchist enlightenment seeks to build a more free and humane society on the basis of human nature and its consistent and universal standards among human beings.

Keywords: American politics; Noam Chomsky; Anarchism; Terrorism; Democracy.

Résumé

Cette étude traite de la problématique de la politique dans la pensée occidentale contemporaine, Noam Chomsky comme modèle entre la théorisation pragmatique américaine et sa pratique, qui jouit d'une culture de critique et d'analyse du cheminement de la réalité politique et de ce qu'elle traverse et de ce qu'elle subit des lacunes et des manifestations de la cupidité et de la corruption capitalistes, tandis que l'étude vise à révéler les aspects cachés de l'existence humaine en comprenant la vision correcte de l'homme démocratique, les valeurs socialistes libérales, en promouvant les manifestations de la pratique et en transcendant les valeurs d'intégration, conscience, responsabilité, culture, liberté et nature humaine, car elle cherche à comprendre l'homme contemporain dans un espace politique où la valeur exclut la justice sociale et la dimension morale, faisant appel à la raison et à la pensée pour la coexistence d'une élite glorifiée par les intérêts et les pouvoirs de l'État global. Qui soutient les droits de l'homme, reste une source de chaos et de violence ? Propager le terrorisme ? Distraire l'opinion publique mondiale ? Et les méthodes d'acceptation et de propagande médiatique, et la vision de l'étude ne se limite pas à évaluer des aspects des États-Unis d'Amérique uniquement, mais révèle également la souffrance des peuples et des sociétés à cause de ses politiques voyous et de son arbitraire dans le monde arabo-islamique. monde, en réfutant les idées de libération du printemps arabe, de manipulation de la vérité et d'exploitation des richesses (pétrole), Et la déstabilisation et l'alimentation des conflits religieux et politiques et le soutien caché américano-israélien pour violer les caractéristiques du droit international humanitaire et le déformation néolibérale et diplomatique des enjeux du Moyen-Orient et de la cause palestinienne. Il vise également à révéler le rôle de la pratique morale et humaine de Noam Chomsky, dont les lumières anarchistes cherchent à construire une société plus libre et plus humaine sur la base de la nature humaine et de ses normes cohérentes et universelles parmi les êtres humains.

Mots clés : politique américaine, Noam Chomsky, anarchisme, terrorisme, démocratie.